الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

تفسير ابن عاشور

التحرير والتنوير

دراسة منهجية ونقدية

٨
٤٠٣٤

اعداد

جمال محمود أحمد أبو حسان

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس

الدكتور

فضل حسن عباس

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في الشريعة / أصول الدين
بكلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٨/١١/١٤١١هـ الموافق ٢٢/٥/١٩٩١م

واجيـــــــــــزت

الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس	مشرفا
الدكتور احمد فرحـــــــــات	عضوا
الدكتور احمد نوفـــــــــل	عضوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شيّد بالعلم بنيانا، وجعل العلماء له أركانا. والصلاة والسلام على خير ولد عدنان وأشرف بني الإنسان سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه السائرين على دربه.

أما بعد

فإن علم التفسير أشرف العلوم وأعلاها وهو غايتها ومنتهاها، والمتعمق فيه، حاصل على أجلى الغايات وأوفاها، فهو بحث عن كنوز القرآن الكريم، الذي هو دستور الأمة ومنهج حياتها، وبه تتحقق حاجاتها وغاياتها.

ولا بدع فإن أمة تريد النهوض التام والسمو العام تعرف دستورها غاية المعرفة وتفهمه فهما يمكنها من الوصول إلى أقصى كمال هيئت له.

ولقد كان من همتي وقت الطلب الحصول على أكبر قدر من العلم يمكنني من الوصول إلى فهم الآيات الكريمة فهما يلبي رغبة جامحة في الحصول على معرفة من القرآن الكريم ولا أكتم أن دروسا كانت تذاع على أجهزة الرائي بتقديم الشيخ محمد متولي الشعراوي لا أكتم أنه كان لها أثر بالغ في هذا التوجه وخصوصا إلى بلاغة القرآن الكريم فلما كانت الجامعة وبدأت الصلة بالأساتذة الفضلاء وخصوصا الأستاذ فضل عباس -زاده الله منّة وفضلا- تعمقت الصلة وانفتح باب أوسع من ذي قبل حتى حصلت على الشهادة الجامعية الأولى، ثم إلى الدراسات العليا وقد كانت العلاقة بالأستاذ في مهدها الأول ولا شك أنها وصلت غايةً ما كنت أحلم بها في سالف أيامي فهيّأ الله أن تكون مواد التفسير في الدراسات العليا بإشرافه وتحت عنايته. فحصل بفضل الله شيء أكبر بكثير مما كنت أتوقع.

فزادت الرغبة الجامحة إلى دراسة بلاغة القرآن والتطلع إلى مزيد من البيان فكان التفكير في اثناء الدرس التفسيري بالمواصلة إلى كتابة موضوع يتعلق بهذا وقد كان طلعُ تفسير ابن عاشور، وهو تفسير ينحو إلى هذا المجال بشكل واضح فتطلعت إلى دراسة منهجية لهذا التفسير وذلك للأسباب التالية:

أولا: أنها توصلني إلى مزيد مما أريد في مجال الدرس البلاغي، وخصوصا أن هذا التفسير ذو صلة كبيرة بالبلاغة القرآنية.

ثانيا: التعرف على تفسير من أضخم ما كتب في هذا العصر، واستقراء منهج المؤلف فيه وبيان مدى الدقة والأصالة والموضوعية في هذا المنهج.

ثالثا: الرغبة في التعرف على آراء المفسر -ابن عاشور- باعتباره من علماء العصر المبرزين في قضايا القرآن ولغته وإعجازه.

رابعا: وجدت في أثناء قراءتي لهذا التفسير آراء انفرد بها ابن عاشور مخالفا ما استقر عليه تحقيق العلماء، فأردت دراسة هذه الآراء راغبا الوصول إلى ما أرجو أن يكون أقرب للصواب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجهود السابقة:

قرأت في هذا التفسير نصفه الأول ووضعت خطة أولية للبحث وليس بين يدي ما يدلي إلى أن أحدا قد كتب في نفس الموضوع إلى أن علمت بأن باحثا سعوديا قد كتب رسالة بنفس الموضوع فراسلته طالبا تصوير فهرست الرسالة ونتائج البحث، وقد فعل مشكورا فأرسل إلي ما طلبت، فلما قرأت الخطة وجدتها لا تفي بما أريد بحثه، -ولكل طريقة- فأكملت الخطة وتابعت الباحث الفاضل وطلبت إليه نسخة من رسالته فأرسل مشكورا نسخة وصلتني بعد أن قطعت شوطا عظيما في رسالتي، وبعد أن أخرجت ما أريد إخراجه وكتبت قسما صغيرا منها، وهاك بعضا مما يهم هنا عن رسالة الباحث:

١ - تقع في مجلدين وفي ستماية وستين صفحة من غير الفهارس

٢ - أخذ الحديث عن حياة ابن عاشور وما يتعلق بها أخذ مائتين وسبعة عشر صفحة.

٣ - كان الفصل الأول من الباب الثاني يتعلق بمصادر الشيخ في تفسيره، وكانت دراسته مغايرة لما فعلت إذ كانت دراستي استقرائية.

٤ - الفصل الثاني كان بعنوان منهجه في التفسير وقد اتفقت دراستي مع جوانب يسيرة من هذه الدراسة وهو الشيء الذي لا يمكن الاختلاف عليه، وقد نبهت على ذلك في ثنايا هذا البحث ولم أغفل شيئا رعيا لأمانة العلم. وحفظا لحقوق أهله، وكان هذا الفصل لُب رسالة الباحث حيث تحدث فيه عن مباحث ستة:

الأول: أسلوب الشيخ وطريقة عرضه للمعلومات.

الثاني: اعتماده على التفسير بالمأثور.

ثالثا: موقفه من التفسير بالرأي وقد أدرج فيه ما يتعلق ببلاغة القرآن وكان عرضه قاصرا أيّما قصور، وأنا أقول -رعيا للعلم وأمانته- إنه لم يبحثه ولو أنّا قومنا هذه الرسالة من هذا الجانب لما كانت جديرة بالقبول.

رابعا: موقفه من بعض قضايا علوم القرآن حيث عرض فيه للتفسير الإشاري وأسباب النزول والقراءات والمناسبات.

خامسا: منهج الشيخ في تفسير آيات العقيدة:

وقد خبط الباحث في هذا الفصل خبطا عجيبا محاولا محاكمة ابن عاشور إلى منحى ابن تيمية وخرج الباحث من هذا الفصل بابتداع ابن عاشور أو اتباعه لمذهب بدعي في العقيدة، وبئس ما قال.

سادسا: منهج الشيخ في تفسير آيات الأحكام. وكان بحثه جيّدا وموضوعيا.

وأما الفصل الثالث فكان بعنوان تقويم التفسير.

هذه هي رسالة الباحث، وما أخذت منها شيئا إلا ذكرت موضعه،، وقد خالفته في معظم ما ذكره في هذه الرسالة. وإن يكن للباحث فضل إضافة إلى تفضله بإرسال نسخة من رسالته، أقول: إن رسالته كانت مصدرا من مصادر الحديث عن حياة ابن عاشور، إذ أن الطالب قد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رحل إلى تونس وأما أنا فلم أفعل.

هذا هو البحث الذي اطلعت عليه، ولقد كنت سافرت إلى مصر للحصول على بعض المصادر العلمية، فأُخبِرْتُ في الأزهر بأن طالبة من الإمارات العربية مسجلة هذا الموضوع، وهي تكتب فيه، ولم أستطع الحصول على شيء سوى هذه المعلومة.

وبعد الانتهاء من معظم الرسالة سمعت أن طالبا عراقيا كتب حول ابن عاشور ولكن الذي أخبرني لم يحدد طبيعة الموضوع ولا عنوانه، وقد أرسلت إلى بعض الأصدقاء هناك فلم يستطع الحصول على شيء.

هذه هي الجهود الجامعية الرئيسة -فيما أعلم- وهناك بعض الأبحاث الصغيرة حول منهج ابن عاشور في التفسير كتبها بعض الطلبة في جامعة الزيتونة، كأبحاث فصلية، وقد تفضل علينا الصديق الفاضل عبد الناصر أبو البصل وأرسل بعضا منها، وقد أفدت منها ما هو مذكور في مواضعه ومُشار إليه.

وقد اقتضت طبيعة البحث والسير فيه من وجهة نظري وبموافقة الأستاذ المشرف الفاضل، اقتضت أن تكون في تمهيد وثمانية فصول وخاتمة.

وهذه العناوين الرئيسة لفصول الدراسة:

التمهيد:

١ - التعريف بابن عاشور

٢ - التفسير في القرن الرابع عشر

٣ - معالم مدرسة التفسير في المغرب العربي وأثرها في تفسير ابن عاشور

٤ - تعريف عام بهذا التفسير

الفصل الأول: مصادر ابن عاشور في تفسيره

الفصل الثاني: المنهج العام لابن عاشور في تفسيره

الفصل الثالث: قضايا علوم القرآن في هذا التفسير

الفصل الرابع: القضايا اللغوية والبلاغية في هذا التفسير

الفصل الخامس: القضايا العقدية في هذا التفسير

الفصل السادس: منهج الشيخ في عرض آيات الأحكام

الفصل السابع: الإسرائيليات وموقف الشيخ منها

الفصل الثامن: هذا التفسير ما له وما عليه

الخاتمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

قال عليه الصلاة والسلام "مَن لا يشكر الناس لا يشكر الله"(١)
وجاء عنه عليه وآله الصلاة والسلام: "من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير"(٢)
فالشكر كله إلى غايته أتوجه به بعد الله تعالى لفضيلة **الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس** المشرف على هذه الرسالة، أشكره إذ فتح قلبه قبل أن يفتح لي أبواب مكتبته فكان ذلك أكبر عون على أن يصل البحث إلى ما وصل إليه.
أشكره وأرجو الله تعالى أن يمد في عمره ويحفظه للإسلام وأهله وأن يجزيه عني وعن طلبة العلم خير الجزاء وإني أعترف أن الشكر لا يفي شيئا مما بذله في سبيل أن أكون متعلما ولكنه الاعتراف بالجميل والعرفان.
كما وأرجو الله تعالى أن يعينني على أن أكون أميناً على العلم وأرجوه أن ييسر لي سبيل نشر ما تعلمته على يدي أساتذتي في هذه الكلية وأخص بالذكر أستاذي المشرف حفظه الله.
ثم الشكر لكل الأساتذة الفضلاء الذين كان لهم فضل العلم علي،جزاهم الله خيراً وسدد على طريق الحق خطاهم.
ثم أتوجه بالشكر الجزيل إلى والديّ وسائر أهل بيتي الذين حرصوا على أن أكون متعلماً،فبذلوا كل ما يستطيعون،أرجو الله أن يجزيهم عني خير الجزاء كما أرجوه سبحانه أن يعينني على الوفاء ببعض ما لهم علي.
كما وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الصديق عبد الناصر أبي البصل،لما بذله في سبيل إتمام هذا البحث،وإلى كافة الأخوة والأصدقاء وأخص منهم الأخوة محمد سعيد حوّى، وتوفيق الرقب، وأنور الصانع وعاطف المرزوق ومراد أبي حلاوة ومحمد أبي الحاج، وأحمد المصري، وإبراهيم أبي شباب أشكرهم جميعاً على ما قدموه.

ولا يفوت أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذين الفاضلين:
١ - **الأستاذ أحمد اسماعيل نوفل**
٢ - **الأستاذ أحمد حسن فرحات**
على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة.

---

(١) رواه الترمذي في الأدب ٨٧/٦ وصححه ورواه الإمام أحمد في المسند ٢٥٨/٢
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢٧٨/٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

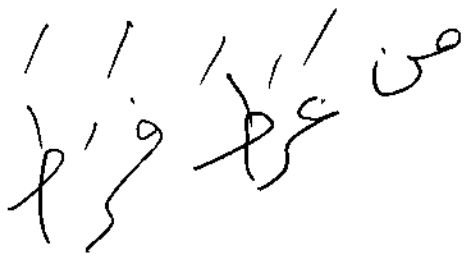

* تنبيـــــه *

قـد كانت هذه الرسالة تشتمل على (٦٨٣) صفحـة إلا أن اصـرار عميـد كلية الدراسات العليـا على تطبيق حرفية القانون المتعلق برسائل الماجستير وأنهـا لا ينبغي أن تزيد عن (٢٥٠) صفحة دون النظر إلى طبيعة الموضوع.

إلاأن اصـراره جعـل من الرسالـة مـا تراه فاختصرتُ الرسالة إلى ثلثهـا وحذفـت ثلثيها تقريبا. لذلك وضعت هذا التنبيه للعلم فقط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد وفيه

أولاً: ابن عاشور وعصره :

لاشك أن الحديث عن الاستعمار ؛ حديث عن أشد الفترات حالكة ظلاماً في تاريخ هذة الأمة . تلك الفترات التي أتيت فيها الأمة من جميع جوانبها ، ولولا لطف الله بها لضاعت منها هويتها ، وإن كانت قد خدشت .

ولا يستطيع المرء هنا أن يتحدث عن الاستعمار وويلاته ، لأن ذلك ليس موضعه هنا ، ولولا أن الشيخ ابن عاشور قد عاش الجزء الأكبر من حياته في ظل الاستعمار التقليدي ، وأكمل الباقي في ظل استعمار خفي لولا ذلك لما أشرت إليه .

ونستطيع نحن بكل هدوء أن نقسم المرحلة الزمنية التي عاشها ابن عاشور من هذه الجهة الى قسمين:(١)

القسم الأول: مرحلة الاستعمار الفرنسي المباشر ، والذي امتد منذ ولادة الشيخ في عام ١٨٧٩م إلى حدود سنة ١٩٥٦م

القسم الثاني : مرحلة العهد البورقيبي . وذلك إلى وفاته رحمه الله في عام ١٩٧٣م وهذان التقسيمان وإن كان لابد منهما ، فإن وقعهما على أمة الإسلام واحد ، الاستعمار بشقيه هو استعمار ، وإنما الذي ينبغي أن لانقنع أنفسنا به ، هو ان حريتنا باتت بأيدينا ،إننا لازلنا نعاني من آثار الاستعمار ، بما خلفه من مآس ودمار ، يقود هذه المآسي أبناء أعزة من أبناء جلدتنا ، فإنا لله وإنا اليه راجعون .

يقول الشيخ الفاضل بن عاشور في معرض حديثه عن إنشاء الجمعيه الخلدونيه(٢) : استقر الاستعمار ، وتوطد أمره ، واستولى المستعمرون على أجهزة الحكم والإدارة كافة ، فلم يبق لأبناء البلاد أميرهم ؛ وحقيرهم من الأمر شيء ، واشتد ساعد الجاليه الفرنسية وتضخم عددها ؛ ونفذ أمرها ؛ وعلت كلمتها ؛ فاعتبرت البلاد التونسية وطناً لها ، ووضعت أبناءها الأصليين ومصالحهم بمدرجة الإهمال ، وصارت النظم كلها مبنية على التقاليد الغربية، مستخفة بالديانة الإسلامية ، والعوائد التونسية وأصبح جميع المتصرفين الإداريين من الفرنسيين ، لايشاركهم إلا من لم يسهل صرفه من المواطنين القدماء ، فبقي على كرسيه جسداً وصار ابن البلاد مهيناً ساقط الاعتبار ، وأصبحت لغته مهجورة ، والحكم حكم غيره ، والبلاد لأمةٍ غير أمته ...(٣)

---

(١) انظر منهج الإمام ابن عاشور في التفسير ، الصحبي بن مسعود ، ص٤

(٢) ما بين ١٨٩٧ م - ١٩١١ م

(٣) الحركة الأدبية والفكرية في تونس للفاضل بن عاشور، ص ٥٧ - ٥٨ وانظر الشيخ محمد الفاضل بن عاشور حياته وأثره الفكري للمختار بن أحمد عمار ص ١١ وما بعدها ، وانظر تونس وجامع الزيتونة للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٣٣-١٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـذا من جهة حكم البلاد والعباد ، وليس هو من الجهات الثـانية أخف من هذه ، ففي مجال التعليم بشقيه المدني والديني يقول الشيخ محمد الخضر حسين :

كـان وزير المعارف فرنسياً ، ولـه التصرف المطلق في التعليم العـام والفنـون المستطرفة ، فـإليه يرجع النظر في جميع المعاهد العلمية . ومديرو المدارس الحكـومية كلهم فرنسيون ، وقد عملت حكومة الاحتلال على تضييق دائرة التعليم ما استطاعت ، فلم يوجد في المملكـة التونسيه آنذاك كليـة للطـب ، ولا كليـة للهنـدسة ، ولا مـدرسة للصنائع أو الكميـاء أو الطبيعيـات ، ولايبرع مـن التونسيين في هذه العلوم إلا الذين يرحلون إلى أوروبا ، ويحـوزون على الشهادة العليا من إحدى الجامعات هناك .

ومن العجب أن تكون المدارس القرآنية الأهلية تابعة لوزير المعـارف الفرنسي ، وقرأنا في جريدة (مـرشد الامة) – وهي جريدة تصـدر بتونس – أن أهـل (باجة) طلبـوا رخصة فتح مـدرسة قرآنية ، فأجابهم ذلك الوزير بالحرمان . وبقي جامع الزيتـونة قرين الجامع الأزهر مدة بعـد الاحتلال تابعـاً في إدارته إلى وزير المعـارف الفـرنسي ، ثم الحقـه بوزاره الـداخلية !!(١)

وقد حارب الفرنسيون اللغة العربية بضراوة ، وجعلوا حظها في التعليم بمدارس الحكومة دون حظ اللغة الفرنسية ، وجعلت الفرنسية رسمية كاللغة العربية ، وجرى زمن الاحتلال على أن لايقبل في إدارة البريد برقية إلا أن تكون باللغة الفرنسية. (٢)

ولم يكن حظ الصحافة بأقل شأناً من كل ما سبق ، فقد كانت لاتمتلك من الحرية ما تملكه صحف المستعمر والجالية الفرنسية هناك . (٣)

هـذا هو النظر العام للمرحلة الأولى ، والتي أدركها ابن عـاشور، ولكن لايعني أن ليس ثمـة تحـركات علمية وشعبية في تلـك الفترة ، فقد كان لكتاب الـوزير خير الـدين (٤) – أقوم المسـالك في معـرفة أحوال الممـالـك – الأثر في المجتمـع التـونســي ممثلاً في فكـر صاحبه .

وكان كذلك لحركة العروة الوثقى تأثيرها على الحركة الفكـريه بتونس خصوصاً بعد أن تكررت زيارة الشيخ محمد عبده إليها ، كل ذلك كان له أثره في دفع علماء الزيتونة إلى محاولة الإصلاح والنهوض بالأمة (٥)

---

(١) تونس وجامـع الـزيتونة ، ص ١٤٠ ، وانظـر ابن عـاشور ومنهجـه في التفسير للـريس ص ٢٦ – ٣٧

(٢) السابق ببعض التصرف ص ١٤١

(٣) السابق ص ١٤٠ بتصرف وانظر تونس العربية لإحسان حقي ص ٢٠٨ وما بعدها

(٤) خير الـدين التـونسي السيـاسي المصلـح الـوزير المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ رائد الإصلاح التـونسي الأول .

وكتـابه أقـوم المسالك في معرفة أحوال الممـالك أظهر فيه تأثره بأنصـار التنظيمـات الخيرية من الأتراك وبالشبـان الأتراك ، وبآراء رفاعة الطهطـاوي ، كما يبدو تأثره بالمفكرين الغـربيين كتيار مونتسيكو وستيوارت ميل وغيرهـم ، متـأثر بالخصـوص بتفكير عصـر النـور وهـو متـأثر أيضـا بالنظـريات الخلـدونية كـالعمران والبنـاء.

أنظر ترجمته في تراجم المؤلفين التونسيين ٢٧١/٢ – ٢٧٩ .

(٥) منهج الإمام ابن عاشور للصحبي بن مسعود ص ٤ – ٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالرغم من تقليص دور الصحافة هناك ، فقد برز لبعض الصحف أثرها في بلورة الاتجهات الفكريه والإصلاحية ، ولقيت هذه الصحف والمجلات مساندة عظيمة من كبار العلماء هناك ، وأهم هذة الصحف والمجلات :

مجلة السعادة العظمى ، ومجلة الشبان المسلمين ، ومجلة الهداية الاسلامية ، ومجلة نور الاسلام ، ومجلةالازهر ، ومجلة لواء الاسلام ، ومجلة الفتح ، ومجلة البدر ، والمجلة الزيتونية ، وجريدة الزهرة والزهراء .(١)

وأما مرحلة العهد البورقيبي فما هي بأقل سوءا من سابقتها ، فمن أول يوم سُلّم فيه الحبيب استقلال بلاده كان في باريس عقد مؤتمرا صحفيا هناك ، حيث سئل فيه عن طبيعة الحكم الذي سينتهجه فقال إنه سيؤسس نظاما علمانيا .(٢)

وكان الحبيب يوم كان أمينا للحزب الدستوري الجديد الذي أسسه بصحبة غيره ، كان قد التقى الشيخ محمد الخضر حسين بمصر ، ذلك الشيخ الذي أخرج من بلاده لمقاومته المستعمر فقال الشيخ له : إذا فتح الله عليك بحكم تونس ، فما هو أول عمل تقوم به ؟ فأجاب : أقوم بإغلاق جامع الزيتونة ، قال الشيخ : فعلمت أن الرجل لا خير فيه (٣)

هذه هي الإحداثيات الأولى لذلك العهد الخبيث . ويصور هذه المرحلة أحد الباحثين بقوله : شهدت تمكينا واضحا للفكر الغربي ، وبدأت بالإجهاز على التعليم الزيتوني وحل أوقافه ، وبدأت تتشكل هوية البلاد على أسس المشروع الثقافي الجديد ، وقد ارتكز على الأسس التالية :-

١ - التجزئة ومحاولة فصل تونس عن الفضاء الحضاري للأمة الإسلامية
٢ - التغريب في التفكير وأنماط السلوك والعلائق الإجتماعية .
٣ - العلمانية وبخاصة في مستوى مناهج التفكير وبرامج التعليم .
٤ - تكريس العداء العقدي للدين والاستخفاف برموزه وشعائره .

وهذه المرحلة شهدت أوج التمكين للمشروع الغربي ، بل مشروع الإلحاق الحضاري بالآخر ، وكان للزيتونة نصيب أوفر من الهجمة الشرسة على الدين وقلاعه ، وكان الصدام واضحا بين المشروع الثقافي المستند إلى الحضارة الغربية كمرجع ونموذج بتدعيم من السلطة والنفوذ الأجنبي الممتد بأشكال متعددة ، وبين التدين التقليدي المنتكس إلى الوراء نتيجة القمع واستحكام العداء للدين عموما . (٤)

---

(١) السابق ص ٥

(٢) ابن عاشور ومنهجه في التفسير لعبد الله الزيس ص ٥٦

(٣) السابق ص ٥٦ وقد قام بالفعل سنة ١٩٥٦ بإغلاق الزيتونة ، وكان فيه ما لا يقل عن عشرين ألف طالب ، أنظر السابق نفس المكان .

(٤) منهج الإمام ابن عاشور - للصحبي بن مسعود ص ٥ - ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان في هذه الأثناء وقبلها لبعض الجمعيات مثل الخلدونية والصادقية وجمعية قدماء الصادقية أثر بارز في محاولة إصلاح التعليم والنهوض بالمجتمع (١) وقد كانت هذه الجمعيات هي موضع الأثر عند ابن عاشور كما ستعرف .

إذن هذا هو الجو العام الذي عاش فيه ابن عاشور ، ولعل هذا الوصف كان طبيعيا جدا لا غموض فيه ولازيادة ، ولعلنا بعدُ نعود إلى هذا الوصف لمعرفة هل كان لابن عاشور دور في النهوض بالأمة التونسية ومحاربة الاستعمار ونتائجه ؟ ولكن هذه العودة تقضينا أن نمر بحياة الشيخ منذ ولادته إلى وفاته - عليه الرحمة - ولعل وقوفنا عند التفاصيل سيضيق به مثل هذا البحث ، ولذلك سأحاول الإلمام السريع بحياة الشيخ بما يفي قارئه بأهم مراحل الحياة وإحداثياتها لدى الشيخ ولعل طبيعة هذا العمل تقتضي الوقوف عند إحداثيات الحياة ممثلة بما يلي :

١ - ولادته ونشأته .
٢ - حياته التربوية والعلمية وجهده الإصلاحي .
٣ - حياته العملية ووظائفه .
٤ - آراء ومواقف في حياته .
٥ - كتاباته ومؤلفاته .

أولا : ولادته ونشأته

هو الشيخ الإمام العلم العلامة محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور من بيت آل عاشور الأشراف الأندلسيين .

فمحمد بن عاشور الجد ، ولد بالمغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فارا بدينه من القهر والتنصير ، وقد وصل إلى تونس سنة ١٠٦٠ هـ /١٦٥٠ م (٢) ، ولد مترجمنا بتونس لسنة ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م (٣) بضاحية المرسي من أحواز تونس الشمالية في جمادى الأولى/سبتمبر ، وجدّه للأب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٢٣٥/١٨١٥ - ١٢٨٤هـ/١٨٦٨ م) قاضي الحضرة التونسية وصاحب المؤلفات القيّمة (٤) وجدّه للأم العلامة الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور (٥)

---

(١) ابن عاشور ومنهجه في التفسير للريس ص ٧٧ وما بعدها.

(٢) المصادر المعرفية لابن عاشور ، خميس زهمول ص٦ ، وعائلة ابن عاشور للطاهر المعموري ص١

(٣) أنظر تونس وجامع الزيتونة ص١٢٣ ، وتراجم المؤلفين التونسيين ٣٠٤/٣ ، ومنهج الإمام ابن عاشورص٦

(٤) أنظر ترجمته في تراجم المؤلفين ٣٠٠/٣ ، وتونس وجامع الزيتونة ص١٠٨

(٥) أحد وزراء تونس في عهد الاستعمار وأحد العلماء ، أنظر ترجمته في تونس وجامع الزيتونة ص٨٩ ، وتراجم المؤلفين ٣٥٥/٣ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : حياته التربوية والعلمية وجهده الإصلاحي :

ومنذ ولادته كفله جده للأم الشيخ محمد العزيز بوعتور (١) وبدأ بتعلم القراءة وحفظ القرآن في السادسة من عمره في المنزل (٢) وفي الكتاب (٣) وشب على تعلم القرآن حتى أتقنه حفظا ، ونشأ في وسط علمي ، وتعلم الفرنسية ما تيسر له ذلك ، والتحق بجامع الزيتونة عام ١٨٩٢/١٣١٠ م .

وقد ظهرت عليه علامات الذكاء ، وزادت هذه العلامات والمواهب إبّان التحاقه بالزيتونة ، وبقي مثابرا في الدراسة حتى نال شهادة التطويع سنة ١٨٩٩/١٣١٧ م.

- قراءاته وأهم شيوخه حتى عام ١٨٩٩ م:

ذكر الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة الكتب التي قرأها ابن عاشور في حياته الدراسية ، قبل أن يصير إلى التدريس ، وهي كما ذكرها :

في النحو : سيدي خالد (٤) والقطر (٥) والمقدمة (٦) والمكودي (٧) ولامية الأفعال(٨) والأشموني (٩) والمغني بشرح الدماميني (١٠)

وفي البلاغة : قرأ الدمنهوري على السمرقندية (١١) والسعد على التلخيص والمطول(١٢)

---

(١) منهج الإمام ابن عاشور ص٦

(٢) السابق ، نفس المكان

(٣) تراجم المؤلفين ٣٠٤/٣

(٤) لعله يعني خالد بن عبد الله الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥ هـ [الأعلام ٢٩٧/١] وكتابه في علم اللغة المقدمة الأزهرية

(٥) قطر الندى وبل الصدى لابن هشام .

(٦) المقدمة الآجرّومية لمحمد بن محمد بن داود الصنهاجي الشهير بابن آجرّوم ت ١٣٢٧ هـ انظر الكواكب الدرية ص٥/١.

(٧) هو الشيخ عبد الرحمن بن علي المكودي نسبة إلى بني مكود ، وهي قبيلة قرب فاس توفي سنة ٨٠٧ هـ ، كما في الأعلام ٣١٨/٣ وكتابه هو شرح الألفية .

(٨) هي لابن مالك في الصرف .

(٩) هو الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الأشموني الشافعي المتوفى نحو سنة ٩٠٠ هـ كما في الأعلام ١٠/٥ والكتاب هو شرح على ألفية ابن مالك واسمه منهج السالك إلى ألفية ابن مالك .

(١٠) سيأتي الحديث عنه في المصادر .

(١١) هو متن في الاستعارات طبع ضمن مجموع المتون ص ٢٨٩ .

(١٢) سعد الدين التفتزاني والكتابان شرحان للسعد على التلخيص وستأتي هذه الكتب ضمن مصادره اللغوية في التفسير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي المنطق : قرأ السلم (١) والتهذيب (٢).
وفي الكلام : قرأ الوسطى (٣) والعقائد النسفية (٤) والمواقف (٥).
وفي الفقه : درس الدردير (٦) وميارة على المرشد (٧) والكفاية على الرسالة (٨) والتاودي على التحفة (٩).
وفي الفرائض : قرأ كتاب الدرّه . (١٠)

---

(١) السلم المنورق أو المرونق كما في الكشف ٩٩٨/٢ وهو أرجوزة في المنطق لصاحبها الشيخ عبد الرحمن ابن محمد الأخضري المتوفى سنة ٩٨٣ هـ وانظر الأعلام ٣٣١/٣ .

(٢) والتهذيب (تهذيب المنطق والكلام) للسعد التفتزاني ، أنظر الكشف ٥١٥/١

(٣) هو كتاب يسمى العقيدة الوسطى للسنوسي محمد بن يوسف المتوفى سنة ٨٩٥ هـ أنظر الأعلام ١٥٤/٧

(٤) متن مشهور في الكلام لعمر بن محمد بن محمد النسفي وستأتي ترجمته

(٥) كتاب مشهور في الكلام لعضد الدين الإيجي وستأتي ترجمته .

(٦).هو الشيخ أحمد بن محمد الدردير من فقهاء المالكية توفي سنة ١٢٠١ هـ وكتابه منهج القدير في شرح مختصر خليل. غالباً

(٧) هو كتاب المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأندلسي الفاسي المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ كما في إيضاح المكنون ٤٦٧/٤ وشرحه لأبي عبد الله محمد بن أحمد ميّارة الفاسي المتوفى سنة ١٠٧٢ هـ كما في الأعلام ١١/٦ وله شرحان أحدهما يسمى الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين ويعرف بميارة الكبير والثاني مختصره ويسمى ميارة الصغير .

(٨) كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦هـ لأبي الحسن علي بن ناصر الدين المتوفى سنة ٩٣٩ هـ كما في إيضاح المكنون ٥٥٧/٣ .

(٩) التحفة أرجوزة لأبي بكر محمد بن عاصم المالكي ، ذكر في كشف الظنون أنه فرغ من نظمها عام ٨٣٥ هـ ، وفي شجرة النور ص ٢٤٧ ، أن وفاته في ٨٢٩ هـ ، وقد شرحها أبو عبد الله محمد بن الطالب بن سوده المري الفاسي التاودي المالكي المتوفى سنة ١٢٠٧ هـ كما في إيضاح المكنون ٤١٩/٣ وسماه حلْي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم .

(١٠) هو أرجوزة في الحساب والفرائض ، لعبد الرحمن المغربي فرغ منها في عام ٩٤٦ هـ كما في كشف الظنون ٧٣٨/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي فن الأصول : قرأ الحطاب على الورقات (١) والتنقيح للقرافي (٢) والمحلي على السبكي (٣)

وفي الحديث : شرح غرامي صحيح (٤)

وفي السيرة : الشفاء بشرح الشهاب الخفاجي (٥)

وقد درس هذه الكتب على نخبة من العلماء الزيتونيين ، كان آخرهم الشيخ سالم بوحاجب ، الذي درس عليه في المرحلة العالية كتب الحديث والسنة مثل القسطلاني على البخاري ، والزرقاني على الموطأ.

وقد أجازه هذا الإجازة التامة المطلقة كتبها له في دفتر دروسه في الخامس والعشرين من رمضان عام ١٣٢٣ هـ . (٦)

أشهر شيوخه الذين تلقى عنهم العلم :-

ذكر الشيخ ابن الخوجة عددا منهم ، وهم : محمد صالح الشريف ، ومحمد الصالح الشاهد وأحمد جمال الدين ، ومحمد العربي الدرعي ، ومحمد النخلي ، ومحمد النجار الشريف ، وعمر بن عاشور ومحمد الطاهر جعفر ، والشيخ سالم بو حاجب (٧) . ولا ننسى جدّه الوزير بوعتور ، والشيخ عمر بن الشيخ . وإلى شيء من تراجم هؤلاء :

---

(١) الورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ هـ كما في الكشف ٢٠٠٥/٢ ، وشرحها المسمى قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المتوفى سنة ٩٥٤هـ كما في الأعلام ٥٨/٧

(٢) تنقيح الفصول في الأصول لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ كما في الكشف ٤٩٩/١

(٣) كتاب جمع الجوامع في الأصول لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ كما في الكشف ٥٩٥/١ وشرحه لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ

(٤) هو منظومة صغيرة في أنواع الحديث من تأليف الشيخ شهاب الدين أحمد بن فرح الإشبيلي المتوفى سنة ٦٩٩ هـ أنظر الأعلام ١٩٤/١

(٥) الكتاب نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض

(٦) أنظر شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأعظم لمحمد الحبيب بن الخوجة ص ١٠ - ١٢ منشور ضمن مجلة جوهر الإسلام عدد ٣ - ٤ سنة ١٩٧٨/١٠ م

(٧) شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأعظم ص ١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : جدّه الوزير محمد بوعتور:

هو الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتور ولد سنة ١٢٤٠ هـ في تونس وكان وزيرا للمالية في عام ١٢٨٣ هـ ، من كبار الرجال الذين تولوا الوزارة في تونس فجمعوا بين العلم وجودة النظر في السياسة . توفي سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ م.(١)

وكان الشيخ يمتلك مكتبة ضخمة غنية بنوادر الكتب والمخطوطات ، وآلت هذه المكتبة إلى الشيخ ابن عاشور بعد أن رأى جدّه همته ورغبته الشديدة في طلب العلم ، وتعرف المكتبة الآن باسم المكتبة العاشورية.(٢)

ثالثا : الشيخ عمر بن الشيخ :

هو عمر بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن قاسم المعروف بابن الشيخ ولد في عام ١٢٣٩ هـ في قرية يقال لها : (الماتلين) من أعمال بنزرت ، وهو من أول من اهتم بالشيخ ابن عاشور ، يوم أن جاء به أبوه إليه ، توفي في ١٣٢٩ هـ .

وكان الشيخ يدرّس علوما كثيرة في الزيتونة ، فدرّس الشرح المطول على التلخيص ، وشرح الأشموني على الخلاصة ، ومغني اللبيب ، وشرح المحلي على جمع الجوامع ، وشرح السعد على العقائد النسفية ، وشرح الزرقاني على مختصر خليل ، وتفسير البيضاوي، حيث انتهى فيه إلى أوائل آل عمران(٣).

رابعا : محمد صالح الشريف :

هكذا ذكره ابن الخوجة ، وهو في شجرة النور صالح الشريف ، وفي المصادر المعرفية لابن عاشور نقلا عن تراجم الأعلام أنه : صالح بن المختار بن محمد العربي الشريف ، ولد سنة ١٢٨٥ هـ (٤) . وهو من كبار علماء تونس ، وكان كثير الترحال طلبا للعلم ونشره ، توفي بسويسرة سنة ١٣٣٨ هـ ، وحمل جسده لتونس، ودفن بالجلاز (٥).

خامسا : محمد الصالح الشاهد :

هكذا ذكره ابن الخوجة ، ولعله يريد أبا عبد الله محمد الذي يسمى - حمده الشاهد - من كبار علماء تونس ، أخذ عنه عدد كبير من العلماء من بينهم عمر بن الشيخ السالف الذكر توفي سنة ١٣١١ هـ كما في شجرة النور (٦)

---

(١) تونس وجامع الزيتونة ص ٨٩ - ٩٢ وتراجم المؤلفين ٣/٣٥٥ - ٣٥٧

(٢) ابن عاشور ومنهجه في التفسير للريس ص ٩٠

(٣) تونس وجامع الزيتونة ١١٢ - ١١٦

(٤) المصادر المعرفية ص ٦

(٥) شجرة النور ص ٤٢٥

(٦) ص ٤١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادساً : أحمد جمال الدين :

فقيه مالكي ، كان حيا سنة ١٣٢٣ هـ ، ولا يعرف تاريخ وفاته ، كان من المقربين لدى القصر الملكي والسّلط الاستعمارية ، وله مواقف مشبوهة تنم عن ضعف في العقيدة الوطنية، وانصياع لمواقف السلط الاستعمارية ، كان صوفيا ، متشبعا بالخرافات ، عاملا على ترويجها بقلمه ، وكان من أشد الناس على دعوة الإصلاحيين ، الأفغاني ، وعبده ، ورشيد رضا ، وكانت بينه وبين الأخير مناوشات على صفحات المنار ، ومؤلفاته :

١ - بلوغ الأرب في مآثر الشيخ الذهب ، وينقل محمد محفوظ عن المنار ، بأن هذا الكتاب محشو بالخرافات والدجل ، والكتاب مطبوع في جزأين في تونس عام ١٩٠٤ م

٢ - السراج في معرفة صاحب التاج ، وهو رسالة وجيزة في بيان حديث المعراج ، طبعت في تونس سنة ١٩٠١ وفي ٢٦ ورقة .

٣ - مختصر مولد البرزنجي ، مطبوع في تونس سنة ١٨٨٨ م (١).

سابعا : محمد النخلي {أبو عبد الله الشيخ محمد النخلي القيرواني}

من كبار العلماء الزيتونيين ، ورائد النهضة الثقافية بتونس (٢) كان يشار له ولابن عاشور بالرسوخ في العلم ، وسعة الإطلاع ، وجودة البيان مع الميل إلى آثار محمد عبده الإصلاحية ، كانت له شجاعة أدبية في الجهر بآرائه المخالفة للمتعارف في وسطه ومنها آراء محمد عبده ، درّس بالزيتونة ، وبالخلدونية فلسفة الأخلاق ، وكان عضوا في الجمعية الزيتونية برفقة الشيخ محمد الخضر حسين ، قصد العمل على إصلاح التعليم الزيتوني ، توفي بتونس في رجب ١٣٤٢هـ/١٩٢٤ م ، له ألفية في الجغرافيا (٣)

ثامنا : محمد النجار :

أبو عبد الله محمد بن عثمان بن النجار ، من كبار علماء الزيتونة ، تولى منصب الإفتاء في ١٢ صفر عام ١٣١٢ هـ ، وكان يجمع بين هذا المنصب ، والتدريس في الزيتونة ، وبقي كذلك إلى ان توفي ليلة السادس عشر من رمضان سنة ١٣٣١ هـ . كان رحمه الله عصامي النفس عالي الهمة لا يحتفل بالوظيف ولا بالوجاهة لدى أهل الحل والعقد ، وكان مشاركا في التأليف ، وله عدة كتب نافعة في مختلف العلوم :

١ - إملاءات على أبواب من صحيح البخاري .

٢ - بغية المشتاق في مسائل الاستحقاق .

٣٩٧٠٨٨

(١) تراجم المؤلفين التونسيين ٥٠/٢ - ٥١

(٢) ابن باديس حياته وآثاره ٤٢/١

(٣) أنظر ترجمته في شجرة النور ص ٤٢٥ ، وتراجم المؤلفين التونسيين ٢٦/٥ ، وانظر ما قاله في الثناء عليه ابن باديس في الكتاب الذي جمعه عمار الطالبي بعنوان ابن باديس حياته وآثاره ١٣٨/٢ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ – تحرير على كتاب العلم من صحيح البخاري، طبع بتونس سنة ١٣٢٥ هـ في ٦٨ صفحة.

٤ – تحرير المقال في أحكام رؤية الهلال .

٥ – تقريرات على شرح السيد على المواقف .

٦ – تقريرات على شرح المطول .

٧ – حاشية على تفسير البيضاوي .

٨ – حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع .

٩ – ترجمة الشيخ عمر بن الشيخ ووالده الشيخ أحمد .

١٠ – رسالة في حكم الحاكم المالكي بتأييد حرمة المدخول بها في العدة .

١١ – شمس الظهيرة في مناقب وفقه أبي هريرة .

١٢ – مجموع الفتاوى ، ويقع في ثمانية مجلدات .

١٣ – شرح حديث لا عدوى ، وهو خاتمة مؤلفاته رحمه الله . (١)

تاسعا : عمر بن عاشور . (٢)

عاشرا : محمد الطاهر جعفر :

أحد أعيان المدرسين بالزيتونة ، ومن أبرز عناصر الإصلاح وأحد أعضاء جمعية العروة الوثقى (٣)

حادي عشر : شيخ المشايخ الشيخ سالم بوحاجب :

من أعلام عصره ، فقيه مجتهد ، لغوي ، أديب ، وشاعر . له اليد الطولى في المعقولات ، مُلم بطرف من التاريخ ، والجغرافيا ، والرياضيات ، واسع الأفق غزير الذكاء ، ناقد ومصلح إسلامي . كان أحد كبار مدرسي الزيتونة ، وكان خطيبا مفوها ، وهو من أوائل الناهضين بإصلاح الزيتونة ، والتي ظهر الإصلاح فيها بارزا على يد ابن عاشور ، ولي خطة الإفتاء في ١٩٠٥ م ، وشيخ الإسلام في ١٩١٩م . توفي في ١٣٤٢ هـ/١٩٢٤ م

---

(١) أنظر ترجمته في شجرة النور ٤٢١ – ٤٢٢ ، تونس وجامع الزيتونة ٩٧ – ٩٩ ، تراجم المؤلفين التونسيين ١٦/٥-١٨

(٢) لعله هو عمر بن الشيخ السابق الترجمة ، فإني لم أعثر على عمر بن عاشور هكذا ، وصنيع الباحث خميس زهمول في المصادر المعرفية لابن عاشور من خلال سورة آل عمران يفضي إلى أنهما شخص واحد . أنظر ص٦

(٣) مصادر عن رحلتي الإمام ص٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من مؤلفاته :

١ - تقارير على شرح الأشموني على الخلاصة .

٢ - تقارير على صحيح البخاري .

٣ - ديوان خطب ، مطبوع بتونس في ١٩١٣م.

٤ - ديوان شعر .

٥ - رحلة .

٦ - شرح على ألفية ابن عاصم في الأصول . (١)

وبعد فهذه تراجم لأهم الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن عاشور، اقتصرت على ما ذكره تلميذه ابن الخوجة (٢) . وأنت ترى أنهم أئمة أعلام مشاركين في مختلف الفنون ، فرحمة الله عليهم جميعا.

ولقد كان لهؤلاء الشيوخ أبرز الأثر في موسوعية ابن عاشور ، وسعة ثقافته ، وعلمه . ومع سعة العلم وموسوعيته ، كان الشيخ جم النشاط ، غزير الإنتاج ، تزينه أخلاق رصينة فلم يكن على سعة اطلاعه وغزارة معارفه مغرورا كشأن بعض الأدعياء ممن لم يبلغ مستواه (٣)

يقول الشيخ محمد الخضر حسين عنه : وللأستاذ فصاحة منطق ، وبراعة بيان ، ويضيف إلى غزارة العلم ، وقوة النظر ، صفاء الذوق ، وسعة الاطلاع في آداب اللغة ... انعقدت بيني وبينه سنة ١٣١٧ هـ صداقة بلغت في صفائها ، ومتانتها الغاية التي ليس بعدها غاية ، وصداقة بهذه المنزلة تقتضي أن نلتقي كثيرا ، وأن يكون كل منا يعرف من سريرة صاحبه ما يعرفه من سريرته ، فكنت أرى لسانا لهجته الصدق ، وسريرة نقية من كل خاطر سيء ، وهمة طماعة إلى المعالي ، وجدا في العمل لا يمسّه كلل ، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه ، وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم (٤)

ويقول محمد محفوظ عنه : اشتهر بالصبر وقوة الاحتمال ، وعلو الهمة ، والاعتزاز بالنفس والصمود أمام الكوارث ، والترفع عن الدنايا (٥)

ويقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة : لقيته بمصر ، وهو يعد في جملة شيوخي ، .. أحد أئمة القرن الرابع عشر ، غير مدافع : علما ، وحلما ، ومكانة ، وفصاحة ، وزكانة ، وسيادة ، وقيادة ، فهو يذكرنا بالإمام القاضي ابن خلدون في إمامته في العلم والقلم والفكر ، وسعة النظر والتفنن في جملة من العلوم بمتانة وضلاعة وحسن عرض ، ورفد .

---

(١) أنظر ترجمته في شجرة النور ٤٢٦ - ٤٢٨ وتراجم المؤلفين ٢/٧٧ - ٨١

(٢) أنظر كذلك ما ذكره عبد الله الريس في رسالته ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ١١٧ - ١٣٩

(٣) تراجم المؤلفين ٣/٣٠٦

(٤) تونس وجامع الزيتونة ص ١٣٥ - ١٣٦

(٥) تراجم المؤلفين ٣/٣٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو جدير بأن تكتب عنه دراسة خاصة بذاته وصفاته ، وعلومه ومكانته ، وسمو شأن بيته العلمي الرفيع ، وقد عمّر طويلا ، فعمّر من العلم أكثر ، وأعطى من آثاره أوفر ، فرحمات الله عليه ، وجعل الجنة مأواه في مستقر الأئمة الأبرار آمين (١)

توفي عليه الرحمة يوم الأحد ١٣ رجب ١٣٩٣ هـ/ ١٢ آب ١٩٧٣ عن أربع وتسعين سنة.

مجهوده الإصلاحي :

لا شك أن الناس وبخاصة العلماء ، وأرباب الغيرة على الدين والوطن (٢) كانوا يشعرون بضرورة إصلاح كثير من الأوضاع بتونس ، وعلى رأسها العلم ، وحال الناس في التدين .

ولقد كان رائدا الإصلاح : الشيخ محمد النخلي ، وسالم بوحاجب وهما من شيوخ ابن عاشور . هذان الرجلان كانا على درجة عالية من العلم ، وتعلقت بهما أنظار المصلحين ، ولكن إرادة الله تعالى لم تشأ لهما تحقيق ما كانا يصبوان إليه ، وشاءت الإرادة أن يتحقق أملهما على يد تلميذهما الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، والذي آتت الطلبات والرغبات الإصلاحية على يديه أكلها ، وبخاصة في التعليم.

ولا نريد أن ندخل في تفاصيل الموضوع الإصلاحي فهو بحاجة إلى دراسة مستقلة ، ولكن من المفيد أن نقول : إن بذور الإصلاح التعليمي وبخاصة في الجامع الأعظم كانت أولا منطلقة من الجمعية الخلدونية . يقول الشيخ ابن عاشور : كان الشعور بمسيس الحاجة إلى إلمام تلامذة الجامع الأعظم بما يحتاج إليه أهل ذلك العصر من العلوم الفكرية الخارجة عن العلوم الأصلية ، والعلوم الآلية للشريعة الإسلامية واللغة العربية ، باعثا لنهوض عزائم النخبة من خريجي المدرسة الصادقية (٣) وغيرها من المدارس القائمة بالتعليم العصري العام . فسعوا لإحداث جمعية علمية تهتم بتكميل ما يحتاج إليه مزاولوا العلوم الإسلامية . من العلوم التي لم تندرج في برامج تعليمهم ، أو اندرجت فيها ولم تتوجه إلى مزاولتها عناية الطلبة فآلت إلى الإهمال .

هاته الجمعية تأسست في ١٨ رجب سنة ١٣١٤ هـ بقرار من جناب الوزير الأكبر (٤) قاض

---

(١) قصاصات ورقية تفضل الأستاذ بإرسالها في ١٤١١/٤/١١هـ فشكر الله له.

(٢) بُدء التطلع نحو الإصلاح واستخلاص العبرة من تفوق أوروبا وتزكيز الإصلاح على استعادة العلوم الحكمية والرياضية من عهد الوزير خير الدين المتوفى سنة ١٨٩٠م ، والشيخ محمود قبادو المتوفى سنة ١٨٧١م ، أنظر مصادر عن رحلتي الإمام ص ٧٢ وانظر هامش ٣ ، ٤ منها . ولعل ذلك هو ما حفز الوزير خير الدين إلى تأليف كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، وانظر ترجمة الوزير خير الدين في تراجم المؤلفين ٢٧١/٢ - ٢٧٩ ، وانظر ترجمة الأديب الشيخ محمود قبادو في التراجم ٤١/٤ - ٤٤ . وانظر تونس وجامع الزيتونة ص ٨٢ - ٨٩

(٣) نسبة إلى الأمير محمد الصادق باي في ذلك الوقت .

(٤) هو محمد العزيز بوعتور ، أنظر الحركة الأدبية ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بتأسيسها ، ومهمتها السعي بطريقة علمية للوسائل الموصلة لتوسيع نطاق المعارف ، بترتيب دروس ومحاضرات باللغة العربية في علوم الحساب ، والمساحة ، والجغرافيا ، والتاريخ ، وفي اللغة الفرنسية ، ويتبع ذلك حفظ الصحة ، ومباديء الطبيعيات ، والكيمياء..(١)

وقد كان لهذه الجمعية ودروسها الأثر العظيم فيما بعد لإصلاح التعليم في جامع الزيتونة.(٢)وكان لابن عاشور دوره في المشاركة ، وذلك لتأثره الشديد بمنهج محمد عبده في الإصلاح ، واقتناعه به ، ولأنه كان يمارس فكرته من خلال وظيفته كمفت لتونس ، وقد عمل ابن عاشور على فتح الفروع العلمية للزيتونة ، فعمت فكرته مناطق كثيرة من البلاد ، وأفاد منها كثيرٌ من العباد ، ولم يكن الشيخ وحيدا في الميدان كما أسلفت ، وقد وجد معارضة من كبار العلماء غير الراضين عن منهج محمد عبده ، وكان النزاع يحتدم كثيرا بين الشيوخ الراغبين في إصلاح التعليم ، وبين الذين يريدون الإبقاء على الجامع كحاله القديم .

ويصوّر الشاعر محمد الشاذلي خزندار صورة الخلاف فيقول : (٣)

الحال في المعهد الديني منصرعُ يرثي لحاله حتى حاملو الوزر
الحال في جامع الزيتونة اضطربت تفاقم الأمر عن طيّ وعن نشر
هذا يطالب بالإصلاح ينشده وذاك يلحظه بالملحظ الشزر
والله يعلم أيّنا المآل به والله يعلم ما في عالم السّتر
أما الذي هو مرئي فحشرجة تدعو لخنسائه تبكي علىٰ صخر
تخطيطه ويد الحبحاب تحضنه ذكرى تأجج من جرائها صدري

ومراده بالبيت الأخير : الإشارة إلى عبيد الله بن الحبحاب من الأمراء الذين تولوا إفريقية الذي يقال إنه هو الذي بنى جامع الزيتونة (٤)

إلا أن الحال آل إلى انتصار ابن عاشور بزعامته للحركة الإصلاحية واستقر الأمر على ذلك (٥)

---

(١) أليس الصبح بقريب ص ١٠١ ، وانظر الحركة الأدبية والفكرية في تونس ٦٩ وما بعدها .

(٢) الحركة الأدبية ص ٧١

(٣) نقل هذه الأبيات السيد عبد الله الريس في رسالته ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ١٤٨ عن مصادر مخطوطة بتونس . والشاعر هذا يلقب بأمير الشعراء بتونس ، وهو أول من انغمس في السياسة الوطنية من الشعراء المحدثين ، وكان مؤثرا حياة الشقاء مع الوطنية على حياة القصر ، لأنه كان صهرا لأحد الأمراء ولكن حريته ووطنيته غلبت عليه . له حياة الشعر وأطواره طبع بتونس سنة ١٩٢٠م وله ديوان شعر من جزأين طبع الأول في ١٩٢٢م والثاني ١٩٢٦م ، توفي سنة ١٩٥٤م رحمه الله . أنظر التراجم ٢٠١/٢ - ٢٠٤

(٤) أنظر تونس العربية ص ٢٠٢ هامش ١

(٥) قد كتب السيد عبد الله الريس عن احداثيات المرحلة الإصلاحية كلاما موسعا في رسالته ابن عاشور ومنهجه في التفسير نحيل إليه ولا نرى لزاما أن ننحو نحوه . أنظره في ص ١٤٥ - ١٦٢ . وانظر ما كتبه ابن باديس في إصلاح التعليم في الزيتونة . ابن باديس وحياته - ٣/١٨٠ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا علينا أن نقف قليلا عند طبيعة هذا الإصلاح الذي نحاه ابن عاشور ومن قبله .

يقول المنصف الشنوفي : ولئن أولى المصلحون التونسيون قضية التعليم كل الاهتمام فإنهم ما فتئوا إلى جانب هذا الجهاد ، يجاهدون من أجل قضية ثانية لا تقل أهمية عن الأولى ، وهي الإصلاح الديني ، وتصفية الإسلام مما علق به من أدران التقليد والجمود(١)

وقد ذكر هو أيضا أن أسس الدعوة الإصلاحية من عهدها الأول الذي قامت عليه هو إدخال لقاح العلوم الكونية والرياضية على الثقافة الإسلامية لا سيما وأن ما وقع بمصر من إدخال تلك العلوم في مناهج التعليم بالأزهر بسعي محمد عبده ، كان مثالا جديرا بالإقتداء.(٢)

إذن قام الإصلاحيون على إصلاح التدين ، فهل تابعهم ابن عاشور على هذا المنهج ؟ إن الجواب على هذا يتطلب قليلا العودة إلى الوراء . لنقول : إن محمد عبده كان له عظيم الأثر في المنهج الإصلاحي للإصلاحيين التونسيين وبخاصة ابن عاشور الذي تعمق فيه ذلك الأثر ، وأصبح صدى للمؤسسة الإصلاحية المصرية ، ونحن نعلم أن الشيخ محمد عبده لم يكن ينحو إلى الإصلاح من طريق السياسة وما شاكلها تلك الطريق التي كان ينحو إليها الأفغاني ، ولكن عبده كان يرى أن الإصلاح إنما يكون عن طريق تربية الأمة ، وتعليمها ، ويُنقل في هذا عن محمد عبده أنه اقترح على الأفغاني بعد أن توقفت مجلتهما (العروة الوثقى) عن الصدور قوله : بأن يتركا السياسة ويذهبا إلى مجهل من مجاهل الأرض لا يعرفهما فيه أحد ، ثم يختارا من أهله عشرة غلمان أو أكثر من الأذكياء السليمي الفطرة فيربيانهم على منهجهما ، ويوجها وجوههم إلى مقصدهما ، يقول عبده : إذا أتيح لكل واحد منهم تربية عشرة آخرين لا تمضي بضع سنين أخرى إلا ولدينا مائة قائد من قواد الإصلاح ، ومن أمثال هؤلاء يرجى الفلاح . فقال له الأفغاني : إنما أنت مثبط .(٣)

فهذا وإن كان يبين الفارق بين المنهجين والبون بين الطريقتين ، إلا أننا نجد أن هناك مشاركة للشيخ عبده في الإصلاح الديني ومحاربة التدين مما علق به من البدع والانحرافات(٤)

فهل تعلق ابن عاشور بأحد جانبي الإصلاح عند الأستاذ الإمام؟

يقول السيد عبد الله الريس : الذي يستقريء حركة الإصلاح التي قام بها الشيخ ابن عاشور عليه الرحمة يجد أنها اقتصرت على إصلاح التعليم في الجامع الأعظم ، وهذا عمل جليل ، ولكن يتساءل المرء لمَ لمْ تشمل حركة الإصلاح : الإصلاح الديني بمحاربة البدع

---

(١) مصادر عن رحلتي الأستاذ الإمام ص ٩٢ ، وانظر ص ٩٠ كذلك

(٢) السابق نفس الموضع

(٣) مصادر عن رحلتي الإمام ص ٧٤ ، والمحاورة منقولة منه عن تاريخ الأستاذ الإمام ٤١٦/١

(٤) الإمام محمد عبده ، د. محمد عمارة ص ٤٧ - ٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الممثلة في إنشاء الزوايا والطرق الصوفية (١) ، والإعتقادات الباطلة ، مع أن الإصلاح الديني هو صميم دعوة الإصلاح ، وما الإصلاح في التعليم إلا خطوة للإصلاح الديني ، ... وإننا لنجد الشيخ قد سكت عن هذه الإنحرافات والبدع والخرافات ، ولم يسع إلى تغييرها ، فلماذا ؟

ثم يستطرد معللا هذه الظاهرة بثلاثة تعليلات :

الأول : إن بعض أجداده كانوا من أقطاب الصوفية ودعاتها ، فلعله اعتبر الإنكار يلحق به المذمة لما كان عليه أجداده .

الثاني : ضعفه في مواجهة السلطة (٢) ، والسلطة الفرنسية تشجع أصحاب الطرق الصوفية والمنحرفين ، فلعله لم يرد إغضابهم ، وخشي على نفسه خاصة أن الباي وحاشيته على هذا المنهج على الطريقة التيجانية .

الثالث : قوة تيار البدعة وكثرة القائمين بها وعليها ، واعتضادهم بالباي وحاشيته وجماعة من العلماء البارزين من شيوخ ابن عاشور وغيرهم (٣)

ولقد لفت النظر إلى مثل هذا ، الشيخ ابن باديس في أثناء رده على ابن عاشور في فتوى القراءة على الأموات (٤) حيث ذكر في معرض الرد على قول ابن عاشور (وإنما شأن العالم في مثل هذا ، أن يرغبهم التأسي بالسنة وبيان أنها الحالة الفضلى بقول ليّن) يقول : وإذا بان أن هذه بدعة ، وهي ضلالة فإنها تغيّر بدرجات التغير الثلاث فمن استطاع تغييرها باليد فلا يجوز له الإقتصار على اللسان ، ثم إننا والله لقد وددنا لو ظفرنا بهذا الذي قلت منك يا صاحب الفضيلة وودنا لو أنك قمت مرة واحدة من عمرك - وأنت شيخ الإسلام - فرغبت الناس بالتأسي بالسنة ، وبينت أنها الحالة الفضلى بقولك اللين ، وكلامك العذب الرقيق ، ولكن - ويا للأسف - كانت أول قومة قمتها هي قومتك هاته التي نحن في معالجتها ودفع أضرارها ، وغسل أوضارها ... ثم ذكر بعد ابن باديس أن ابن عاشور لم ينبس ببنت شفة أمام عادية من عوادي الزمان !(٥)

وقبل أن نتعجل استصدار رأي حول هذه القضية . لابد أن نلفت النظر إلى أن ما ذكره ابن باديس ، وإن أصاب جانبا عظيما من الحقيقة ، إلا أن الشيخ ابن عاشور كانت له بعض

---

(١) ينقل الريس عن كتاب افريقيا الشمالية تسير : توجد في تونس (١٩) طريقة تمثلها في البلاد التونسية (٥٠٠) زاوية ينتمي إليها ما يقرب من (٣٠٠٠٠٠) من الإخوان زدْ على ذلك (٤٠٠٠٠) من سلالة الأولياء وأتباعهم الذين يخدمون (١٧٨) زاوية وأخيرا (٦٢٢) من قبور الصالحين المقدسة اهـ ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ١٦٢ ، وانظر تونس العربية ص ١٩٢ دار الثقافة بيروت بدون تاريخ

(٢) سيأتي لهذا زيادة بيان

(٣) ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ١٦١

(٤) سيأتي خبرها بعد

(٥) جريدة البصائر السنة الأولى العدد ١٩ الموافق الجمعة ٢٣ صفر ١٣٥٥هـ/١٩٣١م صفحة ٢ ، وانظر ابن باديس حياته وآثاره٣/٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المواقف النادرة ، وخذ منها مثلا تقريظه لرسالة ابن باديس في الرد على من زعم أنّه قطب الزمان . وتعرض للحضرة النبوية الشريفة بشيء من الجفوة وسوء الأدب ، فقد قرظها ابن عاشور وأثنى على صاحبها في دفاعه عن الحق . (١)

ونجد أن ابن عاشور يدافع عن السنة وينحي باللائمة على المخالفين ، في جواب سؤال وُجّه إليه عن حكم صلاة يوم الأربعاء السوداء في شهر صفر ، وأن الذين يصلونها يسمونها صلاة الأربعاء الكحلاء. (٢)

هذا هو الذي بين يديّ ومن يدري فلعل هناك أمورا أخرى لم تصلنا وهو المظنون إن شاء الله ، ولكننا أيضا ينبغي أن نحسن الظن بهذه العصابة الإصلاحية وعلى رأسها الشيخ ابن عاشور . فنقول : إن اهتمام ابن عاشور ، واقتصاره على إصلاح التعليم لأنه كان في نظره من أهم الأصول التي يمكن أن تنهض بحياة المسلمين ، وتعالج أدواءهم وتخلفهم ، وتدنو بهم من الكمال الروحي والمادي ، وقد كان ذلك هو نظر الإصلاحيين بعامة (٣) بل إننا نجد ابن عاشور ينص على ذلك في طالعة كتابه أليس الصبح بقريب (٤) وإن الناظر في هذا الكتاب المجعول دستورا للإصلاح يجده مقتصرا تمام الاقتصار على إصلاح التعليم في مناحيه المختلفة ، دون التعرض لإصلاح التدين ، والفساد الذي ألم بالأمة ، على أن الشيخ ندّ به القلم إلى الحديث عن بعض الجوانب الأخلاقية والتربوية التي يقتضيها إصلاح التعليم ، وإننا لنحمد للشيخ هذا الدستور الذي كان منهجه فيه يصطبغ بصبغة الاعتدال ، وعلاج الواقع التعليمي الإسلامي من داخله (٥)

وبالنظر إلى هذا الكتاب المجعول دستورا للإصلاح ، وإلى غيره من كتب ابن عاشور والأبحاث التي وصلتنا عنه ، يمكننا أن نقول إن الشيخ رحمه الله لم يُعِرْ جانب التدين في حياة الناس شيئا من حركته الإصلاحية ؟!

وإننا لندعي أن التعجل بالحكم على الشيخ من خلال هذا الكلام يُعَدُّ من مزلات الأقدام، ولكننا نؤجل إصدار وجهة النظر التي عندنا لحين الانتهاء من الكلام على حياة الإمام .

---

(١) أنظر هذه الرسالة والتقاريظ عليها من غير واحد في ابن باديس حياته وآثاره ١٥٢/٣ - ١٧٤

(٢) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر خلال القرن الرابع عشر للدكتور محمد بن يونس السويسي ص ١٦

(٣) أنظر منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي منشور بمجلة كلية الدعوة الإسلامية - الصادرة بليبيا العدد الخامس ص ٢٠٥ وما بعدها للأستاذ محمد مسعود جبران

(٤) ص ٧ وما بعدها

(٥) منهج ابن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي ص ٢١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقي أن نلقي نظرة على ما آل إليه الإصلاح في الأزهر والزيتونة في عهد المصلِحَين عبده وابن عاشور .

أما الأزهر: فقد آل إلى حالة يرثى لها . فبعد أن كان جامعا شامخا صار جامعة، أخذ التعليم يتردى فيها إلى نحو لا يحسد عليه ، ولقد زرت الأزهر بمصر فرأيته بمنظر يندى له جبين كل مسلم - فإنا لله وإنا إليه راجعون - (١)

وأما الزيتونة فإن نفرا من التونسيين المعارضين لابن عاشور كانوا يرون أن مهمة ابن عاشور كانت علمنة التعليم الزيتوني وإدخاله تحت توجيه وزارة التربية التي يديرها الفرنسيون، وكان بعضهم يرى في ذلك الخطر الماحق على الجامع (٢)

وقد كان الزيتونة جامعا شامخا ثم صار جامعة ، ثم أصبح كلية ضمن جامعة مع ما مر به من مراحل الانهيار العلمي والتردي الموقعي والإغلاق .

والذي يظهر لي أن الإصلاحات التي طرأت على الجامعين استغلت استغلالا خاطئا فانقلب الإصلاح إلى ما يشبه التخريب - فإنا لله وإنا إليه راجعون -

والأمل معقود بذوي الهمم العلية من المسلمين لإعادة الجامعَين إلى سابق عهدهما وما ذلك على الله بعزيز .

ثالثا : حياته العملية ووظائفه:

وقد كان ابن عاشور في حياته مثالا للنظام ، والضبط ، والترتيب فقد تحدث عنه ابنه فيما ينقله عنه السيد عبد الله الريس بقوله : قضى حياته كلها في عمل متواصل دون أن يهمل أيّة ناحية من حياته العائلية اليومية ، مع المحافظة على الاستقامة ، والدقة ، والضبط، والحزم، والنشاط ، والقيام على الوجه الأتم بشؤون عائلته الكبيرة ، وتدبير أمورها.

فهو مثال للنظام ، ولم ينقطع عن أداء أموره في أوقاتها . ففي رجب من كل سنة يبدأ في تكرار القرآن استعدادا لصلاة التراويح بالتطويل ، التي كان يقوم بها ببيت اقتباله (الفنارية) بالمرسي ، بعد ساعة وخمس وأربعين دقيقة من المغرب ، ثم بعد ساعة يشرع في تلاوة الحديث بمعية ابنه الفاضل ، ثم يجلس مدة زمنية ، ثم يلتحق ببيت النوم فينام ، ويستيقظ قبل الفجر ليتناول طعاما خفيفا ، ويصلي الصبح ثم يضطجع من جديد ، وبقي هكذا مدة حياته (٣)

---

(١) وراجع ما ذكره مصطفى صبري في موقف العقل ١/١٣٣ - ١٣٤

(٢) عبد الله الريس ص ٢١٥

(٣)ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ١٤٠ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا في حياته الخاصة ، وأما في حياته العامة فقد تبوأ ابن عاشور مناصب عديدة وتقلب في وظائف متنوعة ، ولا شك أن الرجل كان أهلا لمثل ذلك ، ولكننا لا يمكن أن نقبل مثل هذا التقلب المتنوع دون أن نضع إشارات استفهامية حوله ، لا سيما إذا علمنا أن هناك كثيرا من العلماء على شاكلة ابن عاشور علما ولكنهم لم ينالوا ما نال بل لم يصلوا إلى شيء .

وإليك هذه الوظائف التي تقلب فيها على ضوء ما أفاده تلميذه محمد بن الخوجة في مقال شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأعظم (١)

١ - شرع في الإقراء بجامع الزيتونة الأعظم بوصفه متطوعا في جمادى الثانية ١٣١٧هـ أكتوبر ١٨٩٩م

٢ - ولي خطة التدريس من الطبقة الثانية على إثر مناظرة فاز بها في ذي القعدة ١٣٢٠ شباط ١٩٠٣م (٢)

٣ - في سنة ١٩٠٤م بدأ التدريس بالمدرسة الصادقية (٣)

٤ - وفي سنة ١٩٠٥م نجح في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى .

٥ - وفي نفس هذه السنة سمي عضوا باللجنة التي تشكلت لتحرير فهرس الكتب الموقوفة على المكتبة الصادقية .

٦ - وفي شباط من عام ١٩٠٧م سمي نائبا عن الدولة لدى النظارة العلمية بالجامع الأعظم (٤)

٧ - وفي سنة ١٩٠٩م عين عضوا بمجلس إدارة المدرسة الصادقية .

٨ - وفي نفس السنة السابقة عين عضوا بمجلس المدارس بعموم .

٩ - وفي سنة ١٩١٠م عين عضوا بلجنة إصلاح التعليم الأولى .

١٠ - وفيها عين عضوا بلجنة ترتيب الكتب الموجودة بالجامع الأعظم ومكلفا بتدوين الفهارس (٥)

١١ - وفي سنة ١٩١١م ولي عضوا بمجلس الأوقاف الأعلى .

١٢ - وفي نفس السنة عين حاكما بالمحكمة العقارية .

١٣ - وفي سنة ١٩١٣م سمي قاضيا مالكيا للجماعة وبقي كذلك عشر سنوات .

---

(١) ص ١٢ وسوف نجمع بين ما قاله وبين ما ذكره الباحث خميس زهمول في بحثه بعنوان المصادر المعرفية لابن عاشور من خلال تفسير سورة آل عمران في ص ٦ ، وكذلك ما ذكر الصحبي بن مسعود العتيق في بحثه بعنوان منهج الإمام ابن عاشور في التفسير ص ٨ وما بعدها ، وتراجم المؤلفين التونسيين ٣٠٤/٣ وما بعدها ، وتونس وجامع الزيتونة ١٢٣ وما بعدها .

(٢) أنظر ما يتعلق بطبقات المدرسين في تونس وجامع الزيتونة ص ٢٨

(٣) خوجة

(٤) وفي التراجم أن هذه الوظيفة كانت في ١٩٠٤

(٥) الصحبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤ – وفي ١٩٢٣م عين مفتيا مالكيا (وفيها عاد للتدريس بالزيتونة والصادقية) (١)

١٥ – وفي سنة ١٩٢٤م عين مفتيا ثانيا مكلفا بخطة باش مفتي وفيها عين بلجنة الإصلاح الثانية.

١٦ – وفي ١٩٢٧م أصبح كبير أهل الشورى المالكية وهو أعلى منصب يتولاه السادة المالكية قبل إحداث مشيخة الإسلام المالكية .

١٧ – وفي ٢٣ محرم ١٣٥١/ ٢٨ أيار ١٩٣٢ سمي شيخ الإسلام المالكي ، وهو أول من تولى هذا المنصب من المالكية .

١٨ – وفي هذه السنة أيضا سلمت إليه مقاليد إدارة جامع الزيتونة وبقي سنةً على ذلك ثم استقال منها ، وقيل : إنه أقيل بسبب إضراب الطلبة لما نسب إليه من فتوى التجنيس(٢)

١٩ – وفي سنة ١٩٤٥م أعيد إلى مشيخة جامع الزيتونة ، وبقي فيه إلى أن اعتزل ذلك خلال سنة ١٩٥١م ويقال : إن اعتزاله بسبب عودة قضية التجنيس والحديث عنها (٣)

٢٠ – ولما جاء الاستقلال سمي عميدا للجامعة الزيتونية في ١٩٥٦ .

٢١ – وكان الشيخ منذ عام ١٩٥٥ عضوا مراسلا بمعجمي اللغة العربية في القاهرة ودمشق(٤)

٢٢ – بقي الشيخ كذلك إلى ١٩٦٢ حين ألغيت الجامعة الزيتونة ، وأصبحت كلية ضمن الجامعة التونسية ، وتسمى الكلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين وعين ابنه الفاضل عميدا لها ثم تفرغ إلى الكتابة والتأليف (٥) .

٢٣ – أحرز الجائزة التقديرية للرئيس بورقيبة سنة ١٩٦٨ م (٦) وإنك ليأخذك العجب من مثل هذه الجائزة ؟!!

هذه هي المناصب التي تولاها الشيخ . آثرنا أن نذكرها من هذه المصادر تبعا للتسلسل الزمني ، فإنه فيما يبدو لنا أعون على مواكبة حياة الشيخ .

ولكن السؤال الذي لا بد منه، لِمَ كل هذه المناصب ، وهلا كان هناك عالم في زمنه يمكن إسناد بعض هذه الوظائف له ؟

---

(١) تراجم

(٢) الريس ص ٢١٥ وسيأتي الحديث عنها

(٣) السابق ٢١٦

(٤) صحي

(٥) الريس ص ٢١٦ وما بعدها

(٦) تراجم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا : آراء ومواقف في حياة الشيخ .

لا شك أن من يتولى مثل هذه المناصب والوظائف لا بد أن تعصف بحياته عواصف ، وتثور فيها زوابع متنوعة ، ومتلونة ، وقد كان شيء من ذلك في حياة الشيخ ومرجع ذلك إلى عدة أسباب منها فيما أظن :

الأول : أن من ينتصب لمثل هذه المناصب ربما لا يكون أهلا لها فيصبح مثارا للازدراء والسخرية والتهكم من الناس .

الثاني : أن من يتولاها لا بد وأن يرضي القائمين على توليته ، ولا يخالفهم لئلا يطيحوا به .

الثالث : إن من يتولى مثل هذه لا بد وأن يكون عرضة للحسد من غيره.

ونحن بحسب ما وصلنا من مكتوبات عن الشيخ يمكننا أن نقف مع ثلاثة مواقف للشيخ كانت قد أثارت جدلا في الأوساط العلمية والشعبية ، لننظر بعد ذلك هل كان الحق له أو عليه . وهذه المواقف :-

١ - تأييده للفتوى الترانسفالية : التي أفتى فيها من قبل الشيخ محمد عبده وتدور محاور هذه الفتوى على محورين ، الأول : إباحة أكل ذبائح أهل الكتاب وإن لم تتوفر فيها شروط الذبح عندنا

الثاني : جواز لبس البرنيطة .

٢ - فتوى التجنيس .

٣ - الإفتاء بجواز القراءة على الأموات . إن قبل دفنهم ، أو أثناء المسير ، أو حال الدفن.

هذه هي المواقف التي يمكن الحديث عنها واقتصاري عليها لا لعدم وجود غيرها . بل لربما وجد الكثير . ولكن لم أتمكن من الاطلاع عليه .

أولا: الفتوى الترانسفالية

وهي مقاطعة بإفريقيا ، ورد منها سؤال للشيخ محمد عبده حول حل ذبائح أهل الكتاب التي لا تتوفر فيها شروط الذكاة عندنا ، وتقوم هذه الفتوى على إباحة أكل ما يحطم الكتابي رأسه ثم يذكى من بعد . (١) وأخذت هذه الفتوى تدرج حتى سميت فتوى الموقوذة ، ومفتولة العنق . جريا وراء إباحة ابن العربي المالكي أن يأكل المسلم من دجاجة لوى النصراني عنقها ثم طبخها .

---

(١) السعادة العظمى العدد السابع ص ١٠٢ من المجلد الأول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أجاز محمد عبده الأكل من ذبيحة أهل الكتاب التي يأكل منها الأحبار والرهبان . وانتصر ابن عاشور لمحمد عبده ، وأرسل له رسالة يؤيده فيها . يقول المنصف الشنوفي في أصداء هذه الفتوى : ولقد اغتنم الخديوي عباس حلمي هذه الفرصة للتشنيع على الأستاذ الإمام ، ونهضت لذلك الصحافة المصرية المناوئة للمصلح المصري كاللواء ، والمؤيد ، والظاهر . وشدت أزر عبده الأهرام ، والمنار والمقطم (١)

وأما في تونس فقد تصدى محمد النجار لهذه الفتوى ، ورد عليها ردا علميا محكما على صفحات مجلة السعادة العظمى في الأعداد من (٧ - ١٠) ، ولكن الذي نأسف له أن الردود لم تصلنا كاملة . ورد الشيخ محمد الخضر حسين فتوى ابن العربي على صفحات مجلته واختار التحريم . (٢)

وقد عقد الشيخ رشيد فصلا كاملا في هذه المسألة ، وذهب به مذهب الرجلين مع زيادة في التوسعة بجعله حل الذبائح مطلقا ولا يشترط فيها ما اشترطه عبده من أن يأكل منها الأحبار والرهبان ، وذكر أن ذلك تشديد لا مستند له (٣)

ويذكر الشيخ رشيد بأن علماء الأزهر ألفوا تأليفا أسموه إرشاد الأمة الإسلامية إلى أقوال الأئمة في الفتوى الترانسفالية (٤)

ومما يلفت النظر ، أنه وقع السؤال عن هذه المسألة بتونس قبل زيارة محمد عبده إليها حيث نقل الشيخ محمد السنوسي في الرحلة الحجازية سؤال المشير أحمد باي الأول ملك تونس من عام ١٨٣٧ - ١٨٥٥ إلى الشيخ محمد بيرم الرابع شيخ الإسلام الحنفي في ذلك الوقت وحاصل الفتوى عدم إباحة ذبائحهم إلا ما توافق مع شروط الذبح عندنا . (٥)

وتقوم أسس الفتوى في هذه المسألة عند ابن عاشور على محاور أربعة كما أوضح ذلك أبو الحسن النجار متولي الرد عليها :

الأول : أن كلام ابن العربي الآنف الذكر في جواز أكل ما يفتل النصراني عنقه ثم يأكله (٦) مبني على قول ابن الحكم وابن وهب - من علماء المالكية - حيث ذهبا إلى أن ما ذبح لغير الله ، للكنيسة أو للمسيح ، أنه يجوز أكله .

---

(١) مصادر عن رحلتي الإمام ص ١٠٠

(٢) أنظر العدد ١٣ ص ٢٠٠ من المجلد الأول وما بعدها

(٣) المنار ١٧٩/٦ ، وانظر ما كتبه رشيد في تفسيره ١٦٥/٦ - ١٨١

(٤) المنار ١٦٩/٦

(٥) أنظر الرحلة الحجازية ١٦٨/١ - ١٧٤

(٦) أنظر أحكام القرآن ٥٥٦/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني : الاستدلال بكلام منقول عن ابن الفرس وهو (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) الآية ٥/المائدة ، اتفق على أن ذبائحهم داخلة تحت عموم قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فلا خلاف في أنها حل لنا ، وأما سائر أطعمتهم مما يمكن استعمال النجاسات فيه كالخمر والخنزير ، فاختلف فيه ، فذهب الأكثرون إلى أن ذلك من أطعمتهم ، وذهب ابن عباس إلى أن الطعام الذي أحل لنا من ذبائحهم ما خيف منه استعمال النجاسة فيه ، فيجب اجتنابه . (١)

الثالث : الاستنباط بالقاعدة الأصولية.

الرابع : أن تخريج الآية على أن طعام الذين أوتوا الكتاب معطوف على الطيبات عطف الجملة على الجملة يقتضي أنها غيرها . (٢)

ولعل من المفيد جدا أن نأخذ الجواب عن هذه المسألة من تفسير ابن عاشور حيث قال : ... ثم الطعام الشامل للذكاة إنما يعتبر طعاما لهم إذا كانوا يستحلونه في دينهم ، ويأكله أحبارهم وعلماؤهم ، ولو كان مما ذكر القرآن أنه حرمه عليهم ، لأنهم قد تأولوا في دينهم تأويلات . وهذا قول مالك . وأرى أن دليله : أن الآية عمت طعامهم فكان عمومها دليلا للمسلمين ، ولا التفات إلى ما حكى الله أنه حرّمه عليهم ، ثم أباحه للمسلمين ، فكان عموم طعامهم في شرعنا مباحا ناسخا للمحرم عليهم . ولا نصير إلى الاحتجاج (بشرع من قبلنا) إلا إذا لم يكن دليل على حكمه في شرعنا اهـ.

وإلى هنا والكلام لم يخرج به عن تأييد تلك الفتوى ، والقول بمضمونها ، ثم أردف قائلا : وقيل لا يؤكل ما علمنا تحريمه عليهم بنص القرآن ، وهو قول بعض أهل العلم ، وقيل به في مذهب مالك ، والمعتمد عن مالك كراهة شحوم بقر وغنم اليهود من غير تحريم، لأن الله ذكر أنه حرم عليه الشحوم اهـ.

فانظر إلى هذا الذي اعتمد عند مالك ، أليس يتناقض مع ما ذكره أعلاه من إطلاق الحل!! ثم قال : ومن المعلوم أن لا تعمل ذكاة أهل الكتاب ، ولا إباحة طعامهم فيما حرمه الله علينا بعينه : كالخنزير ، والدم ، ولا ما حرمه علينا بوصفه الذي ليس بذكاة : كالميتة، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وأكيلة السبع إذا كانوا هم يستحلون ذلك، فأما ما كانت ذكاتهم فيه مخالفة لذكاتنا مخالفة تقصير لا مخالفة زيادة، فذلك محل نظر : كالمضروبة بمحدد على رأسها فتموت، والمفتولة العنق، فتمزق العروق، فقال جمهور العلماء: لا يؤكل،

---

(١) السعادة العظمى العدد التاسع ص ١٤٠ من المجلد الأول

(٢) أنظر العدد السابع ص ١٠٦ من المجلد الأول والمحوران الأخيران لم يصلنا حديث الشيخ عنهما.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أبو بكر بن العربي: من المالكية: تؤكل، وقال في الأحكام: فإن قيل فما أكلوه على غير وجه الذكاة كالخنق وحطم الرأس فالجواب: أن هذه ميتة، وهي حرام بالنص، وإن أكلوها فلا نأكلها نحن كالخنزير فإنه حلال لهم، ومن طعامهم، وهو حرام علينا - يريد إباحته عند النصارى - ثم قال: ولقد سئلت عن النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها، هل تؤكل معه أو تؤخذ طعاما منه، فقلت تؤكل لأنها من طعامه، وطعام أحباره ورهبانه، وإن لم تكن ذكاة عندنا، ولكن الله تعالى أباح طعامهم مطلقا، وكل ما يرونه في دينهم فإنه حلال لنا في ديننا، اهـ. وأشكل على كثير من الناظرين وجه الجمع بين كلامي ابن العربي، وإنما أراد التفرقة بين ما هو من أنواع قطع الحلقوم والأوداج ولو بالخنق وبين نحو الخنق لحبس النفس، ورض الرأس، وقول ابن العربي شذوذ (١)

وهذا الذي ذكره ابن عاشور من شذوذ قول ابن العربي لا يبدو أنه كان مدعاة للرفض عنده، بدليل أنه لا زال يقول بهذا الرأي ولم يصرح بإبطاله، وكذلك فإنه أعرب جملة (وطعام الذين أوتوا الكتاب) على أنها عطف على ما سبق (٢) ولا شك أن هذا الإعراب يُذهب بهاء المعنى ونظم الكلام، فإنّه يصيّر التقدير: اليوم أحل لكم الطيبات وأحل لكم طعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، فيصير الكلام مضطربا ولذلك قال السمين في هذا الوجه: وجوّز أبو البقاء أن يكون مرفوعا عطفا على مرفوع ما لم يسم فاعله وهو الطيبات، وجعل قوله (حل لكم) خبر مبتدأ محذوف، وهذا ينبغي أن لا يجوز ألبتة لتقدير ما لا يحتاج إليه من ذهاب بلاغة الكلام (٣)

أما الشق الثاني من الفتوى الترانسفالية فهو قائم على إباحة لبس القلنسوة، وهذه الفتوى مبتناها على ثلاثة محاور كما يقول النجار:

الأول: أن اللباس لا دخل له في الدين وإنما يحرم منه ما كان من لباس الدين كالزنار لباس الكنيسة .

الثاني: اختلاف الشعوب في اللباس مع عدم اقتضاء ذلك الاختلاف في الدين .

الثالث: أن لباس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله تعالى عنهم كان موافقاً للباس المشركين . (٤)

---

(١) التفسير ١٢١/٦ - ١٢٢ وهذا الجمع بين كلامي ابن العربي هو قريب مما ذكره ابن عرفه ذكر ذلك النجار وضعفه وقد قال : إنه يحتمل أن تكون هذه الفتوى مدسوسة في الكتاب والله أعلم .

(٢) ١١٩/٦

(٣) الدر المصون ٢٠٥/٤

(٤) السعادة العظمى العدد السابع ص ١٠٦ من المجلد الأول . وانظر نص الفتوى في تاريخ الأستاذ الإمام ٦٧٦/١ والشيخ محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر ص ١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذه المسألة مما عرض له الشيـخ محمد السنوسي في الرحلـة الحجـازية، وجنح إلى أن لبسها ردة عن الدين، ثم نقل فتوى الشيخ محمد بن الخوجة الحنفي المتوفى سنة ١٩٠٧م القاضية بأن مـن لبسها، فقد كفر وخرج من الملة، ونقل كذلك بعضا من فتـاوى وأقوال المالكيين التي فصلت في المسألة. (١)

ويحسـن أن ننقـل كلام السنوسـي حين عُـرض عليه أن اسماعيـل باشـا وأبناءه يلبسون القلنسـوة، فقـال لما علم ذلك: (فقضيـت مـن ذلك عجبا وقلت: (إن اللـه لا يغير مـا بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الآية١١/الرعد كيف وهي من اللباس المختص بأهـل الكفر ولبسها ردة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم بلغني عـن أفـراد كثيرين من أعيـان المسلمين إذا حل الـواحد منهـم بلاد الكفر لبس برنيطة وانخرط في سلكهم، نعوذ بالله من هذا الضلال المبين. مع أني ما رأيت قط نصرانيا دخل إلى بلاد الإسلام فلبس عمامة يطوف بها الأزقة وإن هذا لمن موجبـات إزدراء الإفرنج بالمسلمين إذ يرونهم متهافتين على عوائدهم، وما كان من شعارهم، مع أن الواحد من النصارى إذا حل في غير أرضه يفتخر بالمحافظة على عوائده وما كان شعار بلاده إيذانا بأن لجنسـه عوائد في نظام العـالم. ولعمري إن المنسلخ عن عوائده سيّما الراجع إلى الدين لمـن أسخف الناس عقلا، وإلا إن كنـا نعتقـد أن لهـم عوائد يختصـون بهـا ولنا عوائد مثلهم فمـا بالنـا نؤثر عوائدهم، ولا يؤثرون عوائدنا؟ وأنا أقـول ذلك في غير مـا يعـود بالمنفعة الدنيـاوية التي لا تمنعهـا الشـريعة الإسلاميـة، وإلا فمن العقل أن يقتـدي الإنسان بغيره فيما يعود عليـه بالمنفعـة، ولكن كثيرا ما رأيت في الأمـم الشـرقية المستضعفـة التي لا يمنعهـا الـدين في هـذا الـزمان مصـداق تقرير ابن خلـدون في ولع المغلوب بالاقتداء بالغـالب في شعاره وزيّه، ونحلتـه وسـائر أحواله وعوائده. وهو تقرير مهم في الفصل الثاني من الكتاب الأول الذي تكلم فيه على أحوال العمران البشري في مقدمة تاريخه . وإني إن بسطت بساط هذا المبحث هنا خرجت عن الموضوع ولكن عسى أن نجد (٢) محلا لإفراغ ما تكنّه الصدور في صفحات تملؤها السطور .(٣)

وهـذا الكلام حسن جدا من الشيخ عليه الرحمة، وأما ابن عـاشور فقد خالف بفتواه ما انشـرحت لـه صدور الأجلة انتصارا للشيـخ محمد عبده، ولا ريب أن الفتوى في ذلـك الزمان الذي يكون مرتدي هذا اللباس فيه حقيق بالكفر لأنه يعني انسلاخ صاحبه من حظيرة الإسلام، ورضاه بما عند الكافرين من الأحكام هي فتوى الأجلة، ولذلك أفتى من أفتى بارتداده وكفره .

---

(١) أنظر الرحلة الحجازية ١١٧/١ - ١٢٣

(٢) في الأصل عسى نجد

(٣) الرحلة الحجازية ١١٧/١ - ١١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما اليوم فإننا لا نظن أن فاعلها يقصد بذلك الرغبة فيما عند الكافرين، وأن فعله كذلك موجب كفره، ولكننا نعتقد أن لبس البرنيطة محرم في شريعة الإسلام يستحق فاعله الغضاضة والملام، والسلام .

ثانيا : فتوى التجنيس

ولعل هذه من أشد العواصف، التي عصفت بحياة الشيخ، وهي أخطرها على الإطلاق فإنها إن صحت طعنت في دين الشيخ ووطنيته، وإنا لنرجو أن لا تصح، ولعله من الجميل جدا أن يَذُبّ المرء عن حياة عالم من العلماء، ولكن لا ينبغي على متوخي مثل ذلك أن تحملهم العواطف على الإغضاء عن كثير من الحقائق . وقد رأيت حرص التونسيين على سلامة الشيخ مما ينسب إليه، فلا يكاد أحد يترجم للشيخ يذكر شيئا عن ذلك ولم يصلني مما كتبه التونسيون المتحدثون عن الشيخ من ذكر شيء عن ذلك . إلا الدكتور علي السويسي الذي حاول تبرئة الشيخ من هذه الفتوى وسنمر بما ذكره إن شاء الله تعالى، ولكننا ينبغي أن نعرف ما هذه العاصفة وتاريخ هبوبها.

والتجنيس دسيسة استعمارية لإفقاد البلاد هويتها تمهيدا لسلخها عن دينها، وهو أسلوب خبيث استعملته فرنسا في بلاد تونس الإسلامية. ومعنى التجنيس كما حطت عليه الأقلام، هو الانسلاخ من الجنس الذي ينتمي إليه الإنسان، بحسب مولده ونشأته ودينه ونظام دولته، ثم اعتناق جنس آخر يختلف عنه تماما في الناحية الدينية والانصهار في بوتقته كليا، والعمل على حمايته، والمحافظة عليه . (١)

وقد تم إصدار هذا القانون برغم المقاومة الوطنية التونسية له، وانسلاخ اليهود التونسيين عن هويتهم الفرنسية سنة ١٩١٠م وبه فتح الباب للتجنيس بالفرنسية لكل راغب من التونسيين في ذلك .

ولما رأى الفرنسيون عدم الجدوى من فتح هذا الباب تم إصدار قانون جديد في عام ١٩٢٣م يضيف إلى المتجنس شيئا من الحقوق المادية، ويحقق له بعض الرغبات. (٢)

ولقد قوبل هذا القانون بضراوة من الشعب التونسي، ولعل الذي تزعم الحملة ضد هذا القانون هو الحزب الدستوري الحر. (٣)

---

(١) الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر ص ٢٥

(٢) السابق ص ٢٦ وانظر ابن عاشور ومنهجه في التفسير للريس ص ١٦٦

(٣) السابق ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وقعت حوادث جسيمة في أنحاء البلاد التونسية، ذُكر جانب كبير منها في كتاب صغير طبع سنة ١٣٥٢هـ بعنوان "الحملة الصليبية على الإسلام في شمال إفريقيا . مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية . معلومات تولى تدوينها مكتب الأخبار التونسية، ونشرت أولا في صحيفة الفتح الإسلامية بالقاهرة. (١)

ويظهر أن هذه القضية أخذت تزول عن الأذهان شيئا فشيئا، بسبب قلة المتجنسين من التونسيين إلى عام ١٩٥١م، حيث حدثت ضجة هائلة عند تقديم الامتحانات في جامع الزيتونة، ومحاولة بعضهم تأجيلها، وقيام ابن عاشور بالاستنجاد بالشرطة الفرنسية لجعل الامتحانات تقدم في موعدها، وفي هذه الأثناء فقط اتهم ابن عاشور صراحة بأنه أفتى بعدم ردة المتجنس (٢).

وقد ظهر لي من خلال ما وصلني من الدراسات عن هذه القضية، أنها صيغت بأكثر من صياغة منها : حكم التجنيس بعامة، ومنها صياغة تقول : بحكم توبة المتجنس، ورجوعه إلى جنسيته القديمة، ومنها حكم المتجنس الذي لا يزال يصلي ويؤدي ما عليه من الفرائض والأحكام هل يضره فعله ذلك .

ولا يستطيع المرء إلا أن يقول : إن مثل هذه الصياغات كلها تصب في طريق واحد وبخاصة أن المستعمرين الفرنسيين كانوا وراء مثل ذلك .

وإذ قد عرفنا شيئا موجزا عن تاريخ هذه القضية، فلا علينا أن نعرف ما موقع ابن عاشور في ذلك . لا سيما وأنه كان في عام ١٩٢٣م مفتيا مالكيا ومن عام ١٩٣٢م - ١٩٥١م كان شيخا للإسلام .

ولتصور ذلك لا بد من الإصغاء إلى ما يقوله أحد شهود العيان في هذه الوقائع، وهو أحمد توفيق المدني (٣) . حيث يقول متحدثا عن مشايخ المجلس الشرعي، الذين وقفوا حيال هذه الأزمة موقف الغريب الذي لم ير ولم يسمع . يقول : ما خاننا يومئذ إلا كبار المجلس الشرعي، ذهبت إليهم بنفسي واحدا واحدا، وكان بصحبتي الأخ المجاهد الكريم عثمان الكعاك (٤) الذي لعب دورا إيجابيا بذل فيه روحه وراحته، فكنا نقابل بالترحيب، ونقابل بالاحترام والتقدير ونقول : مصابيح الظلام الذين نصروا الظلام وقاوموا النور - نقول لكم التجنيس حرام - .

---

(١) هذا هو عنوان الغلاف وانظر ص ٢٠ - ٣٠

(٢) ابن عاشور ومنهجه في التفسير للريس ص ١٦٨

(٣) أديب مؤرخ كان أحد قادة الحزب الدستوري التونسي من كبار المقاومين للاستعمار . قضى حياته في ذلك عليه الرحمة ، توفي بالجزائر سنة ١٩٨٣ ، أنظر محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر ص ٢٧ هامش ٣ وانظر ترجمته في تراجم المؤلفين ٢٦٣/٤ حيث كانت فيه من أطول الترجمات وأغزرها من ص ٢٦٣ - ٢٩٠ .

(٤) من كبار أعلام تونس ، أديب لغوي مؤرخ غزير الإنتاج توفي سنة ١٩٧٦ أنظر التراجم ١٦٧/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال بعضهم : وهو الشيخ محمد بن يوسف شيخ الإسلام (١): إنه ردة لا ريب في ذلك، ولكننا لا نستطيع وبأي صفة من الصفات إعلان ذلك لا قولا ولا كتابة، فالتهديد الذي صدر منهم قاس شديد، ونحن لا نستطيع أن - نتمرد - أي نهان في آخر عمرنا. فقلت محتجا صاخبا (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) الآية ١٣/ التوبة

قالوا: هذا امتحان من الله لنا ونحن نعلم أننا نرتكب بسكوتنا إثما عظيما ولكن الله يقول : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) الآية ١٩٥/البقرة. وكان الجدال بيننا طويلا عنيفا وهم مصممون على الموقف الذي ثبت لنا فيما بعد أنهم اتفقوا عليه وهم كارهون، عند من كانوا يسمونه سيد الحبيب باي (٢) خادم فرنسا المطيع (٣) .

ولعل هذه الشهادة من هذا المناضل عليه الرحمة تمثل أصدق شيء يمكن الاعتماد عليه فالرجل كما جاء في ترجمته في تراجم المؤلفين صادق الإسلام والوطنية غيورا عليهما من المحبين للعلم وأهله .

ولكننا وقبل أن نغادر إلى نصوص أخرى حول هذا الموضوع الخطير، لنا وقفات عند هذا النص .

١- إنه كان بعد عام ١٩٢٣ وقبل عام ١٩٢٩م وقد كان الشيخ ابن عاشور مفتيا مالكيا، وكبير أهل الشورى المالكية.

٢ - إنه من أعجب العجب أن يستشهد كبار المجلس الشرعي بقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) على تواطئهم، وخذلانهم للوطنيين وسكوتهم عن منكر من أعظم المنكرات .

٣ - السؤال الذي ينبغي أن نسأله لماذا استمروا في وظائفهم ما داموا خائفين من الإفتاء؟ ألم يكن بمقدورهم أن يستقيلوا بدل أن يتحملوا وزر هذه الكبيرة ؟

٤ - إن الجواب الذي أجابوه للسيد المدني من اعترافهم بأنهم يرتكبون إثما جواب لا يليق صدوره عن عالم .

هذه هي الشهادة الأولى على هذه الواقعة، وينقل الدكتور السويسي عن جريدة العصر الجديد العدد ١٦٣ جمادى الأولى عام ١٩٢٤م ما نصه : تقول الجريدة: طالما استفتينا على صفحات جريدتنا وفي نفس المكان المفتين الرسميين ببلدنا عن حكم الله في التجنيس وطالما رغبناهم ورجوناهم في التفضل في الجواب، وبلغ بنا الرجاء إلى التوسل، والتذلل فناديناهم : يا علماءنا الأعلام، يا مصابيح الظلام، وحماة الملة، ورجال الدين، وطالما ترقبنا الجواب أسابيع

---

(١) أنظر ترجمته في التراجم ١٥٠/٥ توفي سنة ١٩٣٩م.

(٢) توفي سنة ١٩٢٩م

(٣) الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشهورا فلم يتفضل علينا واحد منهم بكلمة ننشرها بيانا وبلاغا للناس (١) وهذه شهادة معاصرة تؤول إلى ما آلت إليه الشهادة الأولى .

ونقتطف مما ذكره مكتب الأخبار التونسية بعض الفقر : فعلى إثر موت أحد المتجنسين بمدينة بنزرت، وامتناع الناس من دفنه في مقابر المسلمين، وقعت صدامات رأى الفرنسيون أنها لا تحل إلا بعد أن يفتي مفتي البلدة الشيخ إدريس الشريف (٢) فأفتى : بأن المتجنس لا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين، فكانت هذه الفتوى نازلة على الحكومة نزول الصاعقة، ودفن ذلك المارق في مدافن النصارى الغرباء . دهش الجماعة من هذا الأمر ونقمت السلطة على فضيلة المفتي ووقع استنطاقه إرهابا له وتخويفا لغيره (٣) . ونالت قضية التجنيس بذلك صدمة، وأية صدمة، ضاق بها صدر الحكومة . فأخذت تفكر في التخلص مما وقعت فيه بسوء تدبيرها، ووجدت من الوزير الأكبر لسمو الباي وشيخي الإسلام أكبر عون على حل هذا المشكل، فدبر ثلاثتهم مؤامرة ضد أميرهم ودينهم ووطنهم، فتواطأوا على وضع سؤال يلقى من الحكومة على أعضاء المجلس الشرعي فيقع الجواب منهم عليه طبق رغبة حكومة الاحتلال، ولو أدى إلى انقراض جنسهم، وزوال ملك الإسلام، وشريعة الإسلام من هذه الديار ... وعلى إثر ذلك أقام الحزب الدستوري قومته في مواجهة ذلك، وتوجهوا للوزير الأكبر، واجتمعوا وكان جوابه : إن مسألة بنزرت وفتوى مفتيها بعدم دفن المتجنس في مقابر المسلمين، استاءت منها حكومة فرنسا أيما استياء، ولا يخفى عليكم أن دولة فرنسا هنا بمقتضى معاهدة مع أمير البلاد. وأمر واقع لا يسعنا إنكاره ولا التعرض له بسوء، وهو احتلالها لبلادنا، وهذا الاحتلال يفرض علينا نحوها آدابا لا بد من مراعاتها وإزالة كل ما يخدش فيها . ولما كانت فتوى مفتي بلد بنزرت قد اعتدت على تلك الآداب، لأنها عبّرت أن الجنسية الفرنسية شيء قذر لا يقبله المسلمون، ولا يدفنون من تلبس به في مقابرهم، فيجب - والحالة ما ذكر - محو هذا الأثر السيء الذي أحدثته هذه الفتوى في نفوس أبناء الدولة الحامية . وعبثا حاول أعضاء الوفد إفهامه أن المسألة دينية، وأنها فوق هذه الاعتبارات ... وبعد ذلك شاعت أراجيف مفادها أنه وقع سحب الاستفتاء وبطُل العمل به، وأنه سيبقى ما كان على ما كان عليه، إلا أن الحزب الدستوري علم من مصدر وثيق بأن الأجوبة على ذلك الاستفتاء سلّمت جميعها من طرف المجلسين الحنفي والمالكي.

---

(١) الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر ص ٢٧

(٢) علم الأعلام بفتواه تلك المؤرخة في رمضان ١٣٥١ - ٣١ ديسمبر ١٩٣٢ أنظر ترجمته في التراجم ١٨١/٣

(٣) يقول الحبيب بورقيبة في كتابه الذي جعل مداره على نفسه ... على أن الشيخ استدعي من طرف وزارة العدل لاستجوابه في شأن هذه الفتوى فرد بأن الأمر يتعلق بشخص معين فقط لأنه كان سكيرا، وفاجرا لا بعموم المتجنسين ، أنظر ص ٨٩ من كتابه حياتي آرائي جهادي . وهذا القول لم أر من ذكره غير الحبيب ، ويفيني أنه غير صادق إذ لو كان كذلك لاستغلته الحكومة في دفع المقاومة الشعبية ويفيني كذلك أن أبا رقيبة كان يريد النيل من العلماء وإبطال أي دور للمجاهدين إلا دوره هو .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يشذ عن الجواب الذي يرضي الحكومة إلا الشيخ عبد العزيز جعيط من شيوخ الإفتاء المالكية، والشيخ حميدة بن مراد، والشيخ محمد بن الخوجة من شيوخ الإفتاء الحنفي، فقد علق أولهم وهو المفتي المالكي قبول توبة المتجنس ورجوعه إلى حظيرة الإسلام على رجوعه إلى الأحكام الشرعية، والجنسية التونسية، وهو أمر مستحيل قانونا، وامتنع المفتيان الحنفيان من الموافقة على الاعتراف بقبول التوبة لاستحالة رجوعه إلى أحكام الإسلام قانونا ... وأعلن طلبة جامع الزيتونة، ويقدر عددهم بنحو ثلاثة آلاف وخمسماية طالب أنهم قرروا الإضراب عن الدروس إلى أن يتخلى عن إدارة الكلية شيخ الجامع الحالي وهو شيخ الإسلام المالكي المسمى الطاهر بن عاشور (١)

وهذه الشهادة أيضا تؤول إلى أن شيخ الإسلام كان متوليا كبر هذه المسألة بالتعاون بإلغاء الفتوى السابقة وإرضاء حكومة الاحتلال .

وإذا أردنا أن نستصدر حكما على ابن عاشور من خلال ذلك، كانت النتيجة معروفة وواضحة ولكننا نحاول أيضا جمع أكبر ما يمكن أن يعيننا على هذه القضية، فمن هذا مثلا محاورة وقعت بين ابن عاشور، وأحمد توفيق المدني ذكرها محمد محفوظ في ترجمة الأخير يقول : دعا الشيخ ابن عاشور في مكتبه بإدارة الجمعية الخلدونية، وذلك خلال ١٩٢٤م، دعا أحمد المدني، وعرض عليه ترك السياسة مؤقتا !! والسفر إلى القاهرة أو دمشق للدراسة، دراسة جامعية حتى النهاية وقال له : ترجع بعد ذلك إلى تونس رجلا كاملا عالما فقال : أنى لي ذلك وأنا لست صاحب مال، وكيف أنفق على نفسي وأنا مملق . قال : لا تخف ولا تخش شيئا فهناك من يتعهد لك بالنفقة ومن يرعاك، ويكفيك كل حاجاتك . قل إنك تقبل السفر من أجل الدراسة، وستجد من يمدك بالمال، ويهيء لك في القاهرة، أو دمشق سبيل الحياة الكريمة، فوقف المدني وتقدم خطوة نحو الباب، وقال للشيخ : قل للذين أرسلوك أيها الأستاذ، إن هذا الشخص الضعيف الذي يقف الآن أمامك لا يباع ولا يشترى، ولا يساوم كغيره من الرجال، أنا مكافح مناضل سأبقى هنا في مركز النضال والكفاح، وما على الذين أرسلوك إلا أن يزجوا بي من جديد في السجن . أو يبعثوا بي إلى المنفى، أو ينفّذوا فيّ حكم الإعدام، فأموت شهيدا في سبيل الله، أما أن أخون وأتراجع وأستجدي فذلك لا يكون إطلاقا، ووقف الشيخ شاحبا متجهما، وتقدم نحوه فقبل جبينه، وهو يقول قد كنت أعلم أنك تقول هذا وأكثر من هذا، وقد قلت لهم إن هذا الشاب من طينة أخرى قالوا جرب على كل حال، إذهب الله يحفظك ويسترك وما عند الله خير وأبقى . وخرج من عنده وقد أيقن أن مدة وجوده بتونس أصبحت محدودة فازداد شدّة وحدّة، وأقدم مرتاحا مطمئنا على أن النفسي مصيره المحتوم (٢)

---

(١) مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية ص ٨ - ١٤ بتصرف شديد

(٢) تراجم المؤلفين ٢٧٢/٤ - ٢٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذا الموقف من ابن عاشور خطير جدا، وهو يفضي إلى تعاون ابن عاشور مع السلطة الاستعمارية في محاولة إجهاض حركات النضال متمثلا بإخراج الزعماء النضاليين من تونس وهي والله الطامة الكبرى والجريمة العظمى . فأي عجب أعجب من هذا التعاون من شيخ الإسلام ؟ .

ومن هذه المواقف أيضا، ما يقوله الصادق الزمرلي في كتابه أعلام تونسيون : أوفدت الحكومة الفرنسية في عام ١٩٣٦م(أرمان غيّون)إلى تونس لانتهاج سياسة جديدة مرتكزة على الانفراج السياسي والتقارب مع الطبقات التونسية النيّرة، واستئناف الحوار معها، قصد تحقيق ما يصبو إليه الجميع من هدوء واطمئنان . والجدير بالملاحظة أن هذا التقارب الذي كان يرغب فيه ممثل فرنسا الجديد لا يمكن أن يجد من يتحمس له أكثر من الشيخ الطاهر بن عاشور المقتنع منذ أمد بعيد بضرورة انتهاج سياسة متحررة كفيلة باستمالة العناصر التي بقيت إلى حد ذلك التاريخ في حالة انتظار أو تردد . ولذلك فقد نشأت بين الرجلين علاقات متواصلة ووثيقة ؟!! (١)

وهذا يؤكد ما سبق من تعاون ابن عاشور مع السلطة الاستعمارية فإنا لله وإنا إليه راجعون.

واستمع كذلك إلى ما يقوله محمد محفوظ في ترجمة إدريس الشريف : وفي السنوات الأخيرة من حياته دفعه دينه، ووطنيته للتشهير بانعقاد المؤتمر الإفخارستي بتونس من القساوسة والرهبان المسيحيين بتأييد من السلطة الاستعمارية، وخاب ظنهم في إعادة السكان إلى حظيرة المسيحية كما كانت في عهد الرومان، وكان انعقاد هذا المؤتمر المتحدي الفاشل فيما بين ١١ - ١٧ أيار عام ١٩٣٠م.(٢)

فإذا علمت أن ابن عاشور في ذلك الوقت كان يتربع على منصب كبير أهل الشورى المالكية ازددت عجبا في أن الرجل لم يذكر عنه ما يفيد أنه اعترض على هذا المؤتمر التنصيري الخبيث ولو بكلمة واحدة .

والآن لنعد إلى الدكتور السويسي الذي ذكر أن حمادى الساحلي أخرج وثيقة يمكن أن تكون وثيقة إعلان براءة الشيخ مما نسب إليه لنرى أهي كما يقولون أم لا ؟

يقول الدكتور السويسي : إن هذا التقرير المشار إليه بالوثيقة تضمن عشرين صفحة كشف عن حقيقة الفتوى ، وأسبابها وجاء فيه : إنه على إثر الحوادث التي جدّت بتونس وقتئذ بسبب اعتراض الوطنيين التونسيين على دفن المتجنس بالمقابر الإسلامية. تمّ الاتفاق

---

(١) أعلام تونسيون للصادق الزمرلي تعريب حمادى الساحلي ص ٣٦٣ - ٣٦٤

(٢) تراجم المؤلفين ١٨٤/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين المقيم العام المذكور وبين الوزير الأكبر الهادي الإخوة(١) على توجيه سؤال إلى المجلس الشرعي (٢) ونص السؤال حسبما ترجمه الساحلي : إذا اعتنق شخص جنسية يختلف تشريعها عن أحكام الشريعة الإسلامية ، ثم حضر لدى القاضي ونطق بالشهادتين (٣) وأعلن أنه مسلم، وأنه لا يعترف بغير الإسلام دينا، هل يحق له طول حياته أن يتمتع بنفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المسلمون ؟ وهل يحق له بعد وفاته أن يصلى عليه صلاة الأموات، أو أن يدفن في مقابر المسلمين (٤).

هذا هو نص السؤال ونترك نحن التعليق عليه إلى ما بعد الإجابة المذكورة في نص الوثيقة وما استنتجه منها الدكتور السويسي، حيث قال :

أما جوابه فقد أكد المقيم العام الفرنسي السالف الذكر أنه كان كما يلي : إن رجال الشرع التابعين للمذهب الحنفي قد اقتصروا على الإجابة بالإثبات دون زيادة أو نقصان، وأما أعضاء المجلس الشرعي المالكي، فقد أضافوا إلى النطق بالشهادتين كشرط لقبول توبة المتجنس قيدا آخر وهو تصريحه لدى القاضي بالتخلي عن الجنسية التي اعتنقها، وعندئذ يحق له أن يدفن في مقبرة المسلمين، وأضاف أحد أعضاء المجلس المالكي (٥) على ذلك قوله ينبغي أن تتمثل توبة المتجنس في الإقلاع عن الامتيازات التي تحصّل عليها بموجب جنسيته الجديدة، يقول السويسي : إن هذه الملاحظة التي أضافها الشيخ جعيط كانت لزيادة تفسير معنى التخلي عن الجنسية، والتأكيد على ذلك، وإلا فإنه بمجرد خلع التونسي لجنسيته الفرنسية تنقطع عنه جميع الإمتيازات التي حصلت بسببها . ويذكر أيضا أن المقيم الفرنسي علق على هذه الفتوى بقوله : يتعذر قطعا استغلال الجوابين، فلو كانت الفتوى المالكية مماثلة للحنفية لنشرتهما ولكن نص الفتوى المالكية يجعل من المستحيل الإقدام على نشرهما، أضف إلى ذلك، أن الفتوى الحنفية ليست ذات قيمة في حد ذاتها لأن الأغلبية الساحقة من الشعب التونسي تنتمي إلى المذهب المالكي .

هذا هو نص الفتوى، ونص الجواب، ولكن الذي يهمنا ما أفاده السويسي من خلال السؤال والجواب استمع إليه وهو يقول:

---

(١) جاء في بحث السيد عبد الله الريس ص ١٧٠ إن الاتفاق كان بين الوزير وشيخي الإسلام محمد بن يوسف ومحمد الطاهر بن عاشور على صياغة هذا السؤال ! فلماذا حذف السنويسي في هذا الموضع الإشارة إلى شيخي الإسلام ؟!!

(٢) الوثيقة مؤرخة في ٢٩٠ إبريل ١٩٣٣ وهي موجهة من المقيم العام الفرنسي إلى وزير الشؤون الخارجية بباريس .

(٣) هذا تصريح بالارتداد كما هو ظاهر .

(٤) محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر ص ٣٤ .

(٥) هو محمد عبد العزيز جعيط اهـ منه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد برزت الحقيقة سافرة ، وتجلى بوضوح سبب عدم نشر الفتوى على لسان ممثل فرنسا وبرّيء الشيخ ابن عاشور مما نسب إليه ظلمًا براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولو كان هذا بعد التحاقه بالرفيق الأعلى .(١)

ولقد نقل السيد عبد الله الريس هذه الفقرة، وخلص إلى أن ابن عاشور وإن كان مظلوما فيما نسب إليه إلا أنه يتحمل جزءا من المشاركة في إشاعة هذه الفتوى بعدة أمور :

١ – إنه سكت عن موضوع الفتيا في موضوع التجنيس .

٢ – إنه حين أشيعت عنه لم يرد عليها ويكذبها، ويثبت خلافها، بل سكت وكأنه أراد أن تكون له يد عن الفرنسيين .

٣ – إن ابن عاشور تتعين عليه الفتيا في هذه المسألة فهو رئيس المجلس الشرعي المالكي وأكبر العلماء في ذلك العصر فلا يجوز له السكوت (٢)

والذي أقوله والأسى يحز الفؤاد، وإن كان القول مما تتقطع منه الأكباد أن هذه الوثيقة لا تبريء ابن عاشور، بدليل أنها جاءت على إثر رد الفعل الفرنسي على أحداث التجنيس السابقة لهذه الفتوى، وكانت قد نسبت للشيخ من قبل، وعلى عكس ما يحب ناشر هذه الفتوى، فإنها تثبت مشاركة ابن عاشور في إخراج الفرنسيين من أزمة ألمت بهم على إثر فتوى إدريس الشريف عليه الرحمة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن ذلك إذا ثبت ولم يوجد ما ينفيه أو يدفعه عن الشيخ ابن عاشور فإن ذلك يعد خيانة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وخيانة للوطن كذلك .

وعلى هذا وذاك، فإن الشيخ قد وقع فريسة المناصب التي تبوأها، فقادت به إلى حيث ما نرى، فلله الشكوى .

ثالثا : الإفتاء بجواز القراءة على الأموات

سواء جال موتهم أو قبل الدفن أو أثناء المسير بالجنازة أو عند الدفن . وقد نشر هذا الإفتاء في جريدة البصائر، عن جريدة الزهرة التونسية، وذلك في عدد البصائر ١٥ من السنة الأولى ٢٥ محرم ١٣٥٥ الموافق ١٧ إبريل ١٩٣٦ ص ٣ ، ٦ . وقد أثار هذا الجواب المتساهل من ابن عاشور حفيظة عالمين، ومجاهدين من علماء ومجاهدي الجزائر هما الشيخ عبد الحميد ابن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، حيث تصدى الأول للرد على فتوى ابن عاشور في أكثر من أربعة أعداد، من أعداد جريدة البصائر، وكانت ردود الشيخ ابن باديس معنونة بـ (شيخ الإسلام بتونس يقاوم السنة ويؤيد البدعة ويغري السلطة بالمسلمين)! وذلك بدءا من العدد ١٦ عام ١٩٣٦ (٣) وقد أحسن ابن باديس في الجواب على فتوى الشيخ .

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهَر ص ٣٥

(٢) ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ١٧١

(٣) أنظرها أيضا في كتاب ابن باديس حياته وآثاره ٣/٧٣-١١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما البشير الإبراهيمي، فقد كتب ردا على الشيخ في جريدة البصائر عدد ٢٠ من السنة الأولى عام ١٩٣٦ ، ولم يصلني من الجريدة ما يذكر فيه باقي الرد، وكان الجزء الأول معنونا تحت عنوان (أشيخ الإسلام هو أم شيخ المسلمين) . وقد قسى فيه البشير على ابن عاشور قسوة بالغة.

ومن العجب في هذا الشأن أن البشير الإبراهيمي في عدد البصائر ٤٤ سنة ١٩٤٨م قد امتدح ابن عاشور امتداحا عظيما، حيث قال في طالعة امتداحه : الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره (١)

وعلى كل فإنا سنلحق بآخر هذه الرسالة نص الفتوى، والأجوبة عليها، فلا داعي لإطالة الكلام هنا.

ونحن إذا أردنا استصدار رأي بناء على ما سبق، وما سيلحق، إذا أردنا ذلك ونحّينا أقوال ابن باديس والبشير وغيرهم عناية بقاعدة الجرح والتعديل الرائعة التي سطرها يراع العلم تاج الدين السبكي في الطبقات (٢) أقول إذا نحينا أقوال المعاصرين الطاعنين في ابن عاشور، وأضفنا إلى ذلك إحسان الظن بابن عاشور فإن الحكم على ابن عاشور في ظننا لا يتجاوز قولنا : (إنه رجل علم وليس رجل دعوة) وكلٌ مُيسّر لما خلق له. وسيأتيك في ختام هذا البحث ما يؤيد هذا الذي قلناه تأييدا مبتنى على قراءة تفسيره كاملا.

هذا هو رأينا في الشيخ، ويعلم الله أنه ما جاء عن هوى، ولا مطعن في الشيخ ولا تقليلا لشأنه، ويعلم الله أنّي ما أخذت تفسيره لرسالتي إلا حبّا فيه، ولكن الله تعالى يعلم أن الحق أحبّ إلينا من ابن عاشور وغيره . والله أعلم.

خامسا : مؤلفاته وكتاباته :-

أولا : مؤلفاته المطبوعة : (٣)

١ - أصول الإنشاء والخطابة .
٢ - أليس الصبح بقريب .
٣ - التحرير والتنوير .
٤ - حاشية على التنقيح للقرافي في أصول الفقه سماها التوضيح والتصحيح.
٥ - شرح قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلّق .

---

(١) أنظر عيون البصائر للبشير الإبراهيمي ص ٦٢٨

(٢) طبقات الشافعية ١٨٧/١ - ١٩٨

(٣) نعتمد في هذا على كتاب تراجم المؤلفين التونسيين وإن وجدنا زيادة ذكرنا مصدرها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ – قصة المولد النبوي الشريف .
٧ – كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ .
٨ – مقاصد الشريعة الإسلامية .
٩ – موجز البلاغة .
١٠ – النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح .
١١ – النظام الاجتماعي في الإسلام .(١)
١٢ – الوقف وأثره في الإسلام .
١٣ – ديوان بشار جمع وتحقيق وشرح . (٢)
١٤ – الواضح في مشكلات المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني تحقيق وتعليق.
١٥ – سرقات المتنبي .
١٦ – ديوان النابغة جمع وشرح وتعليق .

ثانيا : ومما لم يذكره محفوظ :-

١ – كتاب نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم . (٣)
٢ – تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة ، جمع ونشر ابنه عبد الملك.
٣ – شرح المقدمة الأدبية من شرح المرزوقي على الحماسة. (٤)

وله عدة أبحاث لغوية اطلعت على بعضها منها :

١ – صوغ (مفعلة) من أسماء الأعيان الثلاثية الأحرف مما وسطه حرف علة، نشر في مجلة المجمع بدمشق سنة ١٩٦١ عدد ٣٦ ص ٣٦ وما بعدها.

٢ – تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح تأليف أحمد بن يوسف اللبلي نشر بمجلة المجمع بدمشق عدد ٣٧ سنة ١٩٦٢ ص ١٩٩ وما بعدها.

٣ – نظرة في كتاب الجامع الكبير لابن الأثير نشر بالمجمع بدمشق عدد ٣٦ سنة ١٩٦١ ص ٦٧٢ وما بعدها

٤ – تكملة وتقفية للتعريف بكتاب تحفة المجد الصريح ، نشر في الجزء الرابع من العدد السابق.

٥ – المترادف في اللغة نشر في الجزء الرابع من العدد ٣٧ سنة ١٩٣٧ ص ٢٤١ وما بعدها.

٦ – كلمة (كل) حقيقة في الكثرة، أيضا مثل الشمول نشر بمجمع اللغة بالقاهرة ج ٨

---

(١) الكتاب اسمه أصول النظام الإجتماعي في الإسلام

(٢) وقد قام الأستاذ الدكتور شاكر الفحام بتعقب ابن عاشور في تحقيقه لهذا الديوان في كتاب سماه نظرات في ديوان بشار بن برد طبع بمجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٨م

(٣) ابن عاشور ومنهجه في التفسير للريس ص ١٩٠

(٤) السابق ص ١٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنة ١٩٥٥ ص ١٩٣ وما بعدها.

٧ – الصوت المجسد تقفية وتأييد نشر بمجمع القاهرة ٨/١٩٥٥ ص ١٩٦ وما بعدها.

٨ – نظرة في الكتاب المعنون بعنوان (مقدمة في النحو المنسوب للإمام خلف الأحمر) نشر بالمجمع بدمشق مجلد ٣٨ – سنة١٩٦٣ ص ٥٧٦ وما بعدها، ونشر القسم الثاني من البحث في العدد ٣٩ سنة ١٩٦٤م من ص ١٥٣ وما بعدها.

٩ – قولهم كان مما يفعل كذا نشر بأحد المجامع العلمية له عندي صورة ولا أدري أي عدد أو مجمع.

١٠ – فرق لغوي مغفول عنه (الضر والضرر) نشر بمجمع القاهرة ج٨ سنة ١٩٥٥ ص ٤٨٤ وما بعدها.

١١ – تصحيح أخطاء وتحاريف في طبعة جمهرة الأنساب لابن حزم ، نشر في المجلة الزيتونية ولم يصلني إلا عنوانه وذكر السيد عبد الله الريس أنه طبع في ثلاثة أعداد بدءا من جزء٨(١).

١٢ – تحقيق مسمى الحديث القدسي. نشر بمجلة الزيتونة العدد الأول من السنة الأولى عام ١٩٧١م ص ٤٣ وما بعدها.

ثالثا : ومن كتبه المخطوطة :-

١ – أصول التقدم في الإسلام .

٢ – أمالي على دلائل الإعجاز (٢)

٣ – أمالي على مختصر خليل

٤ – آراء اجتهادية

٥ – تراجم بعض الأعلام

٦ – تحقيق وتصحيح وتعليق على كتاب الاقتصاب لابن السيد البطليوسي مع شرح أدب الكاتب

٧ – تحقيق وتعليق على كتاب خلف الأحمر المعروف بالمقدمة في النحو(٣)

٨ – تعليقات وتحقيق على حديث أم زرع .

٩ – تعاليق على المطول، وحاشية السيالكوتي .

١٠ – شرح معلقة امريء القيس

---

(١) أنظر ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ١٧٥ وهذه الأبحاث كلها قام بتصويرها السيد الصديق عبد الناصر أبو البصل شكر الله له ، وهناك أبحاث أخرى لم يمكنه الإطلاع عليها ذكرها السيد عبد الله الريس في منهج ابن عاشور ص ١٧٥ – ١٧٦

(٢) ذكرها ابن عاشور في تفسيره باسم الإيجاز على دلائل الإعجاز في ٩٢/٣

(٣) الظاهر أنه هو الكتاب المطبوع المار ذكره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١ - شرح ديوان الحماسة .(١)
١٢ - تصحيح وتعليق على كتاب الإنتصار لجالينوس للطبيب ابن زاهر.
١٣ - كتاب تاريخ العرب.
١٤ - جمع وشرح ديوان سحيم .
١٥ - الفتاوى .
١٦ - قضايا وأحكام شرعية.
١٧ - غرائب الاستعمال .
١٨ - مراجعات تتعلق بكتابي معجز أحمد واللامع للعزيزي .
١٩ - مسائل فقهية وعلمية تكثر الحاجة إليها ويعول في الأحكام عليها.
٢٠ - قلائد العقيان للفتح بن خاقان شرح وتحقيق وإكمال، قيل إنه قيد الطبع سنة ١٩٨٢(٢)
٢١ - تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي.
٢٢ - رسالة القدرة والتقدير (أو رسالة القضاء والقدر) ذكرها ابن عاشور في تفسيره. ولم أجد من أشار إليها، ولا أدري هل طبعت أم لا زالت مخطوطة، أم أنها لم تؤلف أصلا(٣)
٢٣ - كتاب المعجزات ذكره ابن عاشور في ٢١٨/٢٣ ، وليس عندي عنه شيء.
٢٤ - الحكمة الإلهية من رياضة الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه بتقليل الطعام، ذكره ابن عاشور في ٣١٤/٢١ ، ولم أجد من أشار إليه وليس عندي عنه شيء.
٢٥ - رسالة في النسب النبوي، ذكرها ابن عاشور في ٣٣٠/١٦ . ولم أجد من ذكرها وليس عندي عنها شيء.

هذا ما يتعلق بالمكتوبات التي وصلتني، وقد كان الشيخ يكتب في عدة مجلات سواء في القطر التونسي أم خارجه، ذكر عدة منها السيد عبد الله الريس، وهي مجلة السعادة العظمى في تونس، ومصباح الشرق، والمنار، والهداية الإسلامية، وهدي الإسلام، ونور الإسلام في مصر، والهداية الإسلامية في بغداد، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ومجلة الراديو والسينما،

---

(١) ذكر الريس أن اسمه فوائد الأمالي التونسية على فرائد اللآلىء الحماسية، ونقع في أربعة مجلدات أنظر ص٢٠٥

(٢) الكتاب يسمى قلائد العقيان في محاسن الأعيان أنظر بشأن طباعته في التراجم ٣٠٩/٣

(٣) أنظر ٢٥٧/١ ، ٢٦٥/٢٢ ، ٢٦٢/٢٨ من التفسير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثريا، والزيتونة، ونشرة الجمعية الخلدونية، وجريدة الزهرة، وجريدة حبيب الأمة، ولسان الشعب، والنهضة، والزمان، والاسبوع، وكلها تونسية، وجريدة النجاح الجزائرية(١) وذكر السويسي : جريدة الوزير، وجريدة العمل، وجريدة الصباح (٢)

مصادر ترجمة ابن عاشور

١ - عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي من ص٦٢٧ - ٦٣٢
٢ - تونس وجامع الزيتونة ص ١٢٣ - ١٢٦
٣ - الأعلام للزركلي ١٧٤/٦ ط٦ وأشار الزركلي إلى الثلاثة أسفل
٤ - فهرس الخزانة الأزهرية ١٩٨/٧
٥ - نموذج ٤٥٧
٦ - الدراسة ٥٧:٣
٧ - تراجم المؤلفين التونسيين ٣٠٤/٣ - ٣٠٩
٨ - الحركة الأدبية والفكرية في تونس في مواضع متعددة منها ص ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٩، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ وغيرها
٩ - مجموعة أبحاث ملتقى الإمام ابن عاشور المنعقد في تونس ١٩٨٥ وصلني منها ما يلي:-
أ - محمد الطاهر بن عاشور إمام الشريعة والأدب في عصره لمحمد عبد المنعم خفاجي
ب - عائلة ابن عاشور لمحمد الطاهر المعموري
ج - محمد الطاهر بن عاشور الحافظ الحجة للقاضي محمود شمام
د - محمد الطاهر بن عاشور رائد الفكر الإسلامي لبلقاسم بن حسن
هـ - محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر للسويسي
١٠ - منهج ابن عاشور في التفسير للصحبي بن مسعود
١١ - المصادر المعرفية لابن عاشور في تفسيره من خلال سورة آل عمران لخميس زهمول
١٢ - ابن عاشور ومنهجه في التفسير لعبد الله الريس
١٣ - النشرة العلمية للكلية الزيتونية عدد ٢ - ٣ ص ٢٢٣ - ٢٢٧ مقال لمحمد الحبيب بن الخوجة.

هذه أهم المصادر المتوفرة في ترجمة ابن عاشور ولربما وجد غيرها الكثير .

---

(١) ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ٢١٢ - ٢١٣
(٢) محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر ص ١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

مصادر ابن عاشور في تفسيره

إن المصادر التي يستقي منها مؤلف ما مادته العلمية في كتابه، ماهي إلا الركيزة الأولى التي يرتكز عليها في سبيل إتمام كتابه، والوصول به إلى أقصى كمال هيء له، وذلك حسب طاقته وقدرته.

وإن الباحث في تراث أئمة العلم، يفيد من دراسته لمصادر مؤلف منهم فوائد عديدة منها:

١ - إنها تعرفنا على تراث عظيم لعلمائنا المتقدمين منهم والمتأخرين، ويمكن من خلال هذا التراث التعرف على المجهود العلمي الذي قدمه هؤلاء خدمة لدينهم وإرضاء لربهم.

٢ - إنها تعرفنا على اطلاع المؤلف على هذا التراث الضخم وكيفية تعامله معه.

٣ - إن التعامل مع المصادر العلمية يساعد في تضييق الهوّة بين الأجيال مما يساعد في ارتباط الأمة خلفها بسلفها.

ولقد اعتمد ابن عاشور في تفسيره على مصادر متنوعة في أبحاثها العلمية، ومختلفة مشارب أصحابها وأهواؤهم الفكرية، والعقدية، فكانت مصادره في مجملها تزيد على أربعمئة وخمسين مصدرا.

وقد صدّر ابن عاشور تفسيره بالحديث عن أهم مصادره من كتب التفسير ولم يفرد لمصادر العلوم الأخرى بحثا كهذه، فلا بأس أن نتعرف على ذلك من خلال مقدمته لتفسيره.

قال الشيخ: والتفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق، بحيث لا حظّ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل، وإن أهم التفاسير:(١) تفسير (الكشاف)، و(المحرر الوجيز) لابن عطية، و(مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بديع، وتفسير الشهاب الآلوسي (٢)، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتزاني على الكشاف، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي (٣)، وتفسير أبي السعود(٣).

---

(١) سيأتي التعريف بهذه التفاسير وأصحابها في موضعه من البحث إن شاء الله تعالى

(٢) برغم عد هذا التفسير هنا إلا أن الشيخ لم يصرح بالنقل عنه إلا في مواضع قليلة على عكس غيره من المصادر

(٣) حالهما كحال تفسير الآلوسي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتفسير القرطبي، والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفه التونسي من تقييد تلميذه الأبيّ، وهو بكونه تعليقا على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير، لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفاسير الأحكام (١)، وتفسير الإمام ابن جرير الطبري، وكتاب (درة التنزيل) المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب (٢)، ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها (٣)

هذه هي أهم المصادر التفسيرية عند الشيخ، وهي لا تعدو في نظره أكثر من خمسة عشر كتابا، وقد رأيته صرح أن منهجه عدم العزو إلى هذه المختارات خشية التطويل، وهذا منهج غير سديد لسببين على الأقل:

١ - إنه لا ينبغي النقل عن أحد ثم إغفال ذكره، لأن ذلك نوع من هضم حقوقه.

٢ - إن هذا الفعل يسبب اختلاط الأقوال بعضها ببعض فلا يدري القاريء لهذا التفسير لمن هذه الآراء، ولا يستطيع أن يميز بين رأي كاتب وآخر.

وعملية التمييز حينئذ من أشق العمليات العلمية التي ربما لا توصل إلى نتيجة صحيحة، وذلك لأنك ربما تظن أن هذا الرأي لفلان، ثم يتبين بعد البحث أنه لغيره، وهكذا... فلا يسلم لك من ذلك إلا الأقوال التي اشتهر أصحابها بنسبتها إليهم.

وإني إذ أذكر مصادر ابن عاشور في تفسيره، فإني أقصد إلى ذلك على جهة الاستيعاب والحصر، لأنني رأيت أن ذلك مما يفيد جدا في التعرف على تراث السابقين، ثم إنني لا أرى وجها لذكر بعض المصادر كنماذج والاقتصار عليها بحجة أن الزيادة مدعاة للتطويل، ففي هذا هضم لحقوق أصحاب مصادر الشيخ هنا ولذلك سأعدل عنه إن شاء الله.

ولا بد من التعرف على كيفية إفادة ابن عاشور من مصادره قبل ذكرها(٤) فقد تبين لي أن إفادته من مصادره كانت على أنحاء متفرقة وبطرائق متعددة هي:

الطريقة الأولى : يشير إلى الكتاب دون مؤلفه.

الطريقة الثانية : يذكر المؤلف دون الإشارة إلى اسم كتابه.

الطريقة الثالثة : ينقل النص بحروفه دون التصرف فيه إلا بالاجتزاء.

الطريقة الرابعة : ينقل عن المصدر ولا يعزو إليه.

الطريقة الخامسة : يشير إلى المصدر دون النقل منه.

---

(١) هذا الكلام غير صحيح ولذلك انتقده محقق الكتاب الدكتور حسن منناعي أنظر ٤١/١ نشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية ١٤٠٧

(٢) سيأتي أن هذه النسبة هي الصواب وأن ما ينسب للرازي هو كتاب عقدي

(٣) ٧/١ ولا أدري ما هو الاختصار الذي حصله الشيخ بذلك، ثم إن هذا يتنافى مع المنهج العلمي السليم والقاضي بإرجاع الفضل لأهله

(٤) سيأتي سرد مصادره في تفسيره في ملحق خاص في نهاية هذه الرساله بإذن الله تعالى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطريقة السادسة : ينقل نقلا غير حرفي.

وللشيخ بعد طرائقه في النقل وأثنائها موقف من هذا الذي ينقله، وقد رأيته موزعا على أنحاء ثلاثة:

الأول : ينقل النقل ويؤيد كاتبه ويمدحه.

الثاني : ينقل النقل ويرده.

الثالث : ينقل ولا يعقب بشيء لا مدحا ولا قدحا.

هذه هي طرائق الشيخ ابن عاشور في الإفادة من مصادره، وإلى أن تتضح جيدا لا بد من التمثيل والتدليل عليها وهذا ما نحن سائرون إليه بمعية الله تعالى.

الطريقة الأولى من طرائق إفادته من مصادره:ذكره للمصدر دون تعريف بمؤلفه:

فمن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (إهدنا الصراط المستقيم) الفاتحة/٦ . حيث قال : "والصراط : الطريق وهو بالصاد وبالسين، وقد قريء بهما في المشهور، وكذلك نطقت به بالسين جمهور العرب إلا أهل الحجاز نطقوه بالصاد مبدلة" عن السين لقصد التخفيف في الانتقال من السين إلى الراء ثم الطاء . قال في لطائف الإشارات عن الجعبري : إنهم يفعلون ذلك في كل سين بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء، وإنما قلبوها هنا صادا لتطابق الطاء في الإطباق والاستعلاء والتفخم (١) مع الراء استثقالا للانتقال من أسفل إلى علو اهـ"(٢) .

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:(وله عذاب مهين) النساء/١٠٥ حيث قال: .... أو تقول إن محط العطف هو وصفه بالمهين، لأن العرب أباة الضيم، شم الأنوف، فقد يحذرون الإهانة أكثر مما يحذرون عذاب النار، ومن الأمثال المأثورة في حكاياتهم : (النار ولا العار). وفي كتاب الآداب في أعجاز أبياته "والحرّ يصبر خوف العار للنار"(٣)

ومنه ماذكره عند تفسيره لقوله تعالى : "(فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه) التوبة/٧٧ حيث قال : وقد ذكر في نفح الطيب في ترجمة أبي بكر بن العربي قصة في الاستدلال بآية الأحزاب على بعض معتزلة الحنابلة ونقض الحنبلي المعتزلي عليه بهذه الآية(٤)

---

(١) هكذا هي ولعلها التفخيم

(٢) ١٩٠/١ فقد ذكر لطائف الإشارات ولم يعرف بصاحبه وهو كتاب في القراءات للإمام القسطلاني وسيأتي التعريف به في كتب علوم القرآن

(٣) ٢٨٦/٤ وكتاب الآداب لابن سناء الملك وسيأتي في كتب الأدب

(٤) ٢٧٣/١٠ وكتاب نفح الطيب هو للتلمساني في التراجم وسيأتي التعريف به والمسألة المشار إليها هي في رؤية الله تعالى وآية الأحزاب المشار إليها هنا هي قوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الآية ٤٤ وترجمة ابن العربي ستأتي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخيرا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : (وأزواجه أمهاتهم) الأحزاب/٥ حيث ذكر خلاف العلماء في حكم تزوج من عقد عليها النبي- صلى الله عليه وسلم- من النساء ولم يبن بها، فقال .... وعن مقاتل (١) يحرم تزوج كل امرأة عقد عليها النبي- صلى الله عليه وسلم- ولو لم يبن بها، وهو قول الشافعي وصححه في الروضة(٢)

الطريقة الثانية: ذكرُ المؤلف دون الإشارة إلى اسم كتابه المأخوذ منه هذا النقل.

وهذا كثير في التفسير ومن أمثلته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ..الآية) النور/٣١ حيث قال : ولم يذكر في عداد المستثنيات العم والخال، فاختلف العلماء في مساواتهما في ذلك فقال الحسن والجمهور: هما مساويان لمن ذكر من المحارم وهو ظاهر مذهب مالك، إذ لم يذكر المفسرون من المالكية مثل ابن الفرس وابن جزي عنه المنع ...(٣)

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (واللائي يئسن من المحيض ...)الطلاق/٤، حيث قال : .... فنسب ابن لبابة (من فقهاء المالكية) إلى داود الظاهري أنه ذهب إلى سقوط العدة عن المرأة التي يوقَن أنها يائسة قلت (٤) : ولا تعرف نسبة هذا إلى داود، فإن ابن حزم لم يحكه عنه ولا حكاه أحد ممن تعرضوا لاختلاف الفقهاء. قال ابن لبابة: وهو شذوذ(٥)

ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا) نوح/٢٦ حيث قال ونظير (ديار) في العموم والوقوع في النفي أسماء كثيرة في كلام العرب أبلغها ابن السكيت في إصلاح المنطق إلى خمسة وعشرين، وزاد كراع النمل سبعة فبلغت اثنين وثلاثين، وزاد ابن مالك في التسهيل ستة فصارت ثمانية وثلاثين(٦)

---

(١) هو مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي من المفسرين المتقدمين توفي سنة ١٥٠هـ الوفيات ٢٥٥/٥

(٢) ٢٦٩/٢١ والروضة كتاب للإمام النووي وسيأتي في الفقه. وقد اختار ابن عاشور في هذه المسألة رأيا خلاف رأي الشافعية المذكور

(٣) ٢١٢/١٨ وابن الفرس وابن جزي من علماء المالكية ولهم كتب عديدة والمسألة هنا في التسهيل ٥/٣

(٤) القائل ابن عاشور

(٥) ٣١٨/٢٨ وكتاب ابن لبابة هو المسمى بالمنتخبة كما سيأتي وكتاب ابن حزم هو المحلى على الأغلب

(٦) ٢١٣/٢٩ وكراع النمل له مؤلفات عديدة في اللغة ولعل الكتاب المنقول منه هو "أمثلة غريب اللغة" كما سيأتي بيانه في موضعه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطريقة الثالثة:نقل النص بحروفه

وهذا كثير جدا في تفسيره، ومن أمثلته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : (قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا) البقرة/١٣٩ حيث قال: قال البيضاوي: كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحونه إفحاما وتبكيتا، فإن كرامة النبوة إما تفضل من الله على من يشاء فالكل فيه سواء، وإما إفاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة، فكما أن لكم أعمالا ربما يعتبرها الله في إعطائها فلنا أيضا أعمال اهـ (١).

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى :(تعلمونهن مما علمكم الله) المائدة/٦ حيث قال: إن الجملة حال ثانية من قوله تعالى : (وما علمتم من الجوارح) ثم قال: قال صاحب الكشاف: وفي تكرير الحال فائدة أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله علما، وأخرهم دراية، وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل، فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه، وعضّ عند لقاء النحارير أنامله اهـ.(٢)

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)الأنبياء/٤٧ حيث قال : قال أبو بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم : انفرد القرآن بذكر الميزان، وتفردت السنة بذكر الصراط والحوض، فلما كان الأمر هكذا اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال : إن الأعمال توزن حقيقة في ميزان له كفتان وشاهين، وتجعل في الكفتين صحائف الحسنات والسيئات، ويخلق الله الاعتماد فيها على حسب علمه بها. ومنهم من قال إنما يرجع الخبر عن الوزن إلى تعريف الله العباد بمقادير أعمالهم. ونقل الطبري وغيره عن مجاهد أنه كان يميل إلى هذا(٣) وليس بممتنع أن يكون الميزان والوزن على ظاهره وإنما يبقى النظر في كيفية وزن الأعمال وهي أعراض فهنا يقف من وقف ويمشي على هذا من مشى. فمن كان رأيه الوقوف فمن الأول ينبغي أن يقف، ومن أراد المشي ليجدن سبيلا مئتاءً، إذ يجد ثلاثة معان: ميزانا ووزنا وموزونا... فإذا مشى في طريق الميزان والوزن ووجده صحيحا في كل لفظة حتى إذا بلغ تمييز الموزون ولم يتبين له،

لا ينبغي أن يرجع القهقرى فيبطل ما قد أثبت، بل يبقي ما تقدم على حقيقته وصحته ويسعى في تأويل هذا وتبيينه اهـ (٤)

وأخيرا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي

---

(١) ٧٤٦/١ والكلام في تفسير البيضاوي ١٩٤/١ طبع مؤسسة شعبان - بيروت، قلت : أفاد ههنا شيخ شيوخنا الأستاذ فضل حسن عباس أن تصاريف كلمة "اعتبر" غير سائغة بإطلاقها على الله تعالى لأنها لا تليق به سبحانه فالأولى تجنب مثل هذه العبارات

(٢) ١١٥/٦ والكلام في الكشاف بنصه ٥٩٤/١

(٣) قال القاضي ههنا فإن كان هذا النقل عنه صحيحا، إنه لزلة قدم وفاتحة لمن يرى قلب الألفاظ لغير ضرورة مع إمكان حملها على ظاهرها العواصم ٣٢٨/٢

(٤) ٨٣/١٧ والكلام منقول بحروفه من العواصم من الصفحات ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والـد عن ولده ...) لقمان/٣٣ حيث قال : وموقع هذه الآية بعد مـا تقدمها من الآيات موقع مقصـد الخطبـة بعد مقدماتها، إذ كـانت المقـدمات الماضية قد هيـأت النفـوس إلى قبول الهداية والتـأثر بالمـوعظة الحسنة، وإن لاصطيـاد الحكماء فرصا يحرصـــون على عـدم إضاعتها، وأحسن مُثُلهـا قول الحريري في المقامة الحادية عشرة "فلما ألحدوا الميّـت، وفات قول ليت، أشرف شيخ من رُباوة متخصر بهراوة(١) فقال لمثل هذا فليعمل العاملون، فاذكـروا أيها الغافلون، وشمروا أيها المقصرون ... اهـ(٢) .

الطريقة الرابعة: ينقل عن المصدر ولا يعزو إليه

وهـذه الطريقة يعد تحديد موضع النقـل فيها من الصعوبة بمكـان، وقـد أشار هو إلى هذه الطـريقة في مقدمة كتابه حيث قال بأنه سينقـل عن الكتب ولا يعـزو إليها قصد الاختصار(٣).

وهذا من ابن عاشور غير مقبول، فما هو الاختصار المجتلب مـن تحديد موضع النقل من كتـاب ما في مثل هذا التفسير الضخـم، ثم هل يتوافق هذا مع الأمـانة العلمية؟ وأين هذا من إسناد الفضل لأهله؟

وقد يمر معنا أثناء البحث ما يمكن عدّه مثالا على هذا الصنيع.

الطريقة الخامسة:يشير إلى المصدر دون النقل منه

وهي طريقة قليلة الحصول نسبيا في هذا التفسير، مقارنة بغيرها من الطرق ومن أمثلتها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) الأنعام/٣٨ ....

.... حيـث قال: ووقع في المفتاح في بحث اتباع المسند إليـه بالبيان أن هذين الوصفين في هـذه الآية للـدلالة على أن القصـد مـن اللفظين الجنـس لا بعـض الأفـراد وهـو غير مـا في الكشاف(٤)

فأنت تراه أشار إلى رأي في الكشاف لم يذكره هنا.

قلـت ومـراده بالـوصفين كمـا ذكـر قبـل هـذا النـص قوله تعـالى (في الأرض) و (يطير بجنـاحيه) والذي في الكشاف فإن قلـت : فما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير بجناحيه؟ قلت معنى ذلـك زيادة التعميم والإحاطـة، كأنه قيل : وما من دابة قط في جميـع الأرضين السبع وما مـن طائر قط في جو السماء من جميـع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثـالكم محفـوظة أحوالها غير مهمل أمرها.(٥)

---

(١) في المقـامات متخصرا بالنصب ومعنى رباوة أي مـرتفع من الأرض ومتخصـر بهـراوة أي حامل لها تحت خاصرته

(٢) ١٩٢/٢١ والكلام بنصه في المقامات ص ٩٣ طبع دار صادر

(٣) ٧/١

(٤) ٢١٦/٧ وانظر المفتاح ص ٨٢

(٥) الكشاف ١٧/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) البقرة/١٦٣ حيث قال: واعلم أن قوله (إلا هو) استثناء من الإلـه المنفي، أي جنس الإله منفي إلا هـذا الفرد، وخبر لا في مثل هاته المواضع يكثر حذفه لأن لا للتبرئة(١) مفيـدة النفي الجنس فالفائدة حاصلة منها ولا تحتاج للخبر إلا إذا أريد تقييد النفي بحـالة نحو لا رجل في الدار غير أنهـم لمـا كـرهوا بقاء صورة اسم وحرف بلا خبر ذكـروا مـع اسم لا خبرا ألا ترى أنهـم إذا وجدوا شيئـا يسد مسد الخبر في الصـورة حذفوا الخبر مع لا نحو الاستثنـاء في (لا إله إلا الله) ونحو التكرير في قوله لا نسب ولا خلة. ولأبي حيان هنا تكلفات(٢)

فانظر إشارته إلى تفسير أبي حيان دون نقل عنه

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتـك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) الأنفال/٥ حيث قال ... فجملة (وإن فريقا) في مـوضع الحال والعامل فيها (أخرجك ربك) هـذا وجه اتصال كاف التشبيه بما قبلها على ما هـو الأظهر. وللمفسرين وجوه كثيرة بلغـت العشـرين قد استقصـاها ابن عـادل(٣)، وهي لا تخلـو مـن تكلـف، بعضها متحد المعنى، وبعضهـا مختلفه، وأحسن الـوجوه ما ذكره ابن عطية ومعنـاه قـريب مما ذكرنا وتقديره بعيد منه(٤)

فـانظره وقد أشار إلى ابن عادل ولم ينقـل عنه شيئا وقريب منـــه مـا صنعه مع ابن عطية.

الطريقة السادسة: ينقل نقلا غير حرفي

حيث يجتزيء من كلام الكاتب شيئا ويخلطه بكلامه أو ينقل الكلام بمعنـاه، وهذا كثير في تفسيره ومن أمثلته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (واذكر في الكتـاب إبراهيم إنه كان صدّيقا نبيـا) مريم/٤١ - ٤٢ حيث قال : قـال الجد الوزير - رحمه الله - فيمـا أملاه علي ذات ليلـة من عام ١٣١٨هـ فقال : علم ابراهيم أن في طبع أهل الجهالة تحقيرهـم للصغير كيفما بلغ حاله في الحـذق وبخاصة الآباء مع أبنائهم، فتـوجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيمـاء إلى أنه مخلص له النصيحة، وألقى إليه فساد حجة عبادته في صورة الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطيء، منبهـا إلى خطئه عندما يتأمل في عملـه، فإنه إن سمع ذلك وحاول بيـان سبب عبادة أصنامه لم يجد لنفسه مقالا ففطن بخطل رأيه وسفاهة حلمه، ... قال وفي النـداء بقوله(يا أبت) أربع مرات تكرير اقتضاه مقام استنزاله إلى قبول الموعظة لأنها مقام إطناب ونظـر ذلك بتكرير لقمان قوله (يا بني) ثلاث مـرات الآيات ١٣، ١٦، ١٧ لقمـان . قـال بخلاف قـول نوح لابنـه (يا بني اركـب

---

(١) قال الدسوقي : لأنها دلت على التبريء من ذلك الجنس من حيث نفي الحكم عن أفراده.اهـ حاشيته على المغني ٢٤٧/١

(٢) ٧٦/٢ وانظرابن عاشور ومنهجه في التفسير ص٢٢٤ وانظر ما ذكره أبو حيان من الأعاريب المختلفة في هذا الموضع ٤٦٢/١ وما بعدها

(٣) سيأتي التعريف به في المصادر

(٤) ٢٦٤/٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنا) هود/٤٢ مرة واحدة دون تكرير لأن ضيق المقام يقتضي الإيجاز، وهذا من طرق الإعجاز. انتهى كلامه بما يقارب لفظه(١)

فهو صريح في عدم حرفية النقل، ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (لنحي به بلدة ميتا ونسقيَهُ مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا) الفرقان/٤٩ حيث قال: والبلدة: البلد، والبلد يذكر ويؤنث مثل كثير من أسماء أجناس البقاع كما قالوا: دار ودارة، ووصفت البلدة بميت، وهو وصف مذكر لتأويل (بلدة) بمعنى مكان لقصد التخفيف. وقال في الكشاف ما معناه:إنه لما دل على المبالغة في الاتصاف بالموت ولم يكن جاريا على أمثلة المبالغة نزل منزلة الاسم الجامد (أي فلم يتغير)(٢)

وهذا أيضا تصريح منه بالنقل غير الحرفي.

وإذ قد تبين لك الطريق الذي سلكه الشيخ في الإفادة من كتب المتقدمين فبنا أن نعرف موقفه من ذلك، أعني هل كان دائما يوافق من ينقل عنه أم ماذا. لقد رأيته صنع ذلك وصنع غيره فقد كان تارة يوافق ويمدح وتارة يرد وتارة يسكت وإلى أمثلة توضح كل ذلك

أولا: نقله عن الكاتب ومدحه والثناء عليه.

وهذه الطريقة قليلة جدا، ومع قلتها فإنها تكاد تكون مقتصرة على الثناء على الزمخشري في كشافه ومن أمثلة ما ذكره في ذلك ما كان عند تفسيره لقوله تعالى (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) مريم/٤٦ حيث قال:...ولما كان الوصف له عمل فعله تعين على النحاة اعتبار الوصف مبتدأ لأن للمبتدأ عراقة في الأسماء، واعتباره مع ذلك متطلبا فاعلا وجعلوا فاعله سادا مسد الخبر. فصار للتركيب شبهان والتحقيق أنه في قوة خبر مقدم ومبتدأ مؤخر. ولهذا نظر الزمخشري في الكشاف إلى هذا المقصد فقال : قدم الخبر على المبتدأ في قوله (أراغب أنت عن آلهتي) لأنه كان أهم عنده وهو به أعنى اهـ. ولله دره وإن ضاع بين أكثر الناظرين دُرُّه(٣)

فانظر إلى هذا الاحتفال الشديد بالزمخشري والثناء عليه ومن ذلك أيضا ما اعتذر به عن صاحب الكشاف عند تفسيره لقوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ...) الحج/٧٣ حيث قال : وفسر صاحب الكشاف المثل هنا بالصفة الغريبة تشبيها لها ببعض الأمثال السائرة، وهو تفسير بما لا نظير له ولا استعمال يعضده، اقتصادا منه في الغوص على المعنى لا ضعفا عن استخراج حقيقة المثل فيها، وهو جذيعها المحكك وعذيقها المرجب، ولكن أحسبه

---

(١) ١١٣/١٦-١١٤

(٢) ٤٨/١٩

(٣) ١١٩/١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صادف منه وقت سرعة في التفسير أو شغلا بأمر خطير، وكم ترك الأول للآخر(١)

ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) الحجرات/١٤ حيث قال : قال في الكشاف : ... وما في (لما) من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وهي دلالة من مستتبعات التراكيب (٢) وهذا من دقائق العربية . وخالف فيه أبو حيان. والزمخشري حجة في الذوق لا يدانيه أبو حيان (٣)

ومن ذلك لغير صاحب الكشاف ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) المائدة/٤١ حيث قال وإسناد الإحزان إلى الذين يسارعون في الكفر مجاز عقلي ليست له حقيقة لأن الذين يسارعون سبب في الأحزان، وأما مثير الحزن في نفس المحزون فهو غير معروف في العرف، ولذلك فهو من المجاز الذي ليست له حقيقته... ولقد أجاد الشيخ عبد القاهر إذ قال في دلائل الإعجاز: إعلم أنه ليس بواجب في هذا أن يكون للفعل فاعل في التقدير إذا أنت نقلت الفعل إليه صار حقيقة، فإنك لا تجد في قولك أقدمني بلدك حق لي على فلان، فاعلا سوى الحق، وكذلك في قوله:

وصيرني هواكَ وبي ... لحبيني يضربُ المثل(٤)

ومنه أيضاً ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:(قال يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبةالدار)الانعام/١٣٥ ،حيث قال : وقد خصص الاستعمال لفظ العاقبة بآخرة الأمر الحسنة ،قال الراغب :العاقبة والعقبى يختصان بالثواب نحو (والعاقبة للمتقين)القصص/٨٣، وبالإضافة قد يستعمل في العقوبة نحو (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى)الآية١٠.الروم، وقلّ من نبّه على هذا وهو من تدقيقه،وشواهده في القرآن كثيرة (٥).

ثانياً:**النقل عن الكاتب والتعقيب على كلامه بالنقد أو الرفض** وهذا كثير جداً في التفسير ولعل الزمخشري هو اكثر من تعرض للنقد في هذا التفسير وسوف نتحدث عن تعقبه للزمخشري في موضعه الخاص إن شاء الله تعالى .

---

(١) ٣٤٠/١٧ والجذيل: أصل الشجرة، والمحكك: عود ينصب في مبارك الإبل تتمرس به الإبل الجربى والعذيق: النخلة والمرجب الذي وضع له رُجبة وهي دعامة تبنى حولها من الحجارة ويضرب للرجل الذي يستشفى برأيه وعقله مجمع الأمثال ٥٢/١ وما بعدها

(٢) ما يمكن إفادته من النظم

(٣) ٢٦٥/٢٦

(٤) ١٩٧/٦ والبيت ينسب لابن البواب ولسليم الكوفي وللزيدي أنظر هامش٢ ص٩١ من دلائل الإعجاز،تحقيق محمود شاكر

(٥) ٩٢/أ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين)الشعراء/٤ حيث قال ومن بدع التفاسير وركيكها ما نسبه الثعلبي إلى ابن عباس أنه قال نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية فتُذَل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة ، قال: وهذا من تحريف كلم القرآن عن مواضعه ونحاشي ابن عباس رضي الله عنه أن يقوله ،وهو الذي دعا له رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بأن يعلمه التأويل (١).وهذا من موضوعات المُسوّدة مثل أبي مسلم الخراساني (٢)، وكم لهم في الموضوعات من اختلاق ، والقرآن أجل من أن يتعرض لمثل هذه السفاسف(٣).

ومن ذلك ما ذكره في رد قول عبد القاهر رحمه الله في مسألة(كل) حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى (إن الله لا يحب كل مختال فخور)لقمان/١٨: قال ومعنى (إن الله لا يحب كل مختال فخور) ... الله لا يرضى عن أحد من المختالين الفخورين ، ولا يخطر ببال أهل الاستعمال أن يكون مفاده إن الله لا يحب مجموع المختالين الفخورين إذا اجتمعوا بناءً على ما ذكره عبد القاهر من أن (كل) إذا وقع في حيز النفي مؤخراً عن أداته ينصبّ النفي على الشمول ، فإن ذلك إنما هو في (كل) التي يراد منها تأكيد الإحاطة ،لا في(كل) التي يراد منها الإفراد، والتعويل في ذلك على القرائن ،على أننا نرى ما ذكره الشيخ أمراً أغلبياً غير مطرد في استعمال أهل اللسان، ولذلك نرى صحة الرفع والنصب في لفظ (كل) في قول أبي النجم العجلي

قد أصبحت أم الخيار تدّعي عليّ ذنبا كله لم أصنع

وقد بينت ذلك في تعليقاتي على دلائل الإعجاز(٤)

قلت: وما ذكره الشيخ عبد القاهر فالقول فيه إنه أغلبي غير مطرد ،وهو ما سبق من السعد التنبيه عليه في حاشيته على التلخيص (٥) ،وهو ما اختاره شيخ شيوخنا الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس في قاعدة سلب العموم وهو ما تتقدم فيه أداة النفي على أداة العموم وذلك في تنبيه مهم حول إفادة تقديم المسند إليه العموم (٦).

وعليه فلا داعي لما ذكره ابن عاشور من وجود نوعين لِ(كل).

---

(١) إشارة إلى حديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢٦٦/١ وانظر مجمع الزوائد٢٧٦/٩

(٢) المسودة :هم أول من سن للناس لبس العمائم السود أنظر سير أعلام النبلاء ٥٠/٦-٥١ ، وأبومسلم هذا هو ملك خراسان المشهور عبد الرحمن بن مسلم توفي في ٣٧ أو ٣٦ أو ١٤٠هـ أنظر الوفيات ١٤٥/٣-١٥٥

(٣) ٩٧/١٩

(٤) ١٦٧/٢١ وانظر أيضا ٧١/٢٩ والبيت المذكور لأبي النجم العجلي الفضل بن قدامة أحد رُجاز الإسلام له ترجمة في الخزانة ١٠٣/١

(٥) مختصر السعد مع تجريد البناني ٢٩٣/١ ط١ بمطبعة محمد علي صبيح بميدان الأزهر سنة ١٣٤٧هـ

(٦) البلاغة فنونها وأفنانها ٢٢٥/١ ط٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما بيت أبي النجم المذكور فقد خالف فيه البيانيون ما اتجه إليه النحويون حيث إن بعض النحاة جوّز الرفع والنصب في لفظ (كله) المذكور ،بل عد سيبويه إمام النحاة أن الرفع ضعيف في البيت . ذكر ذلك في الكتاب(١) واختار الشلوبين(٢) وابن مالك عدم الفرق في المعنى بين الرفع والنصب، كما نقله عنهما ابن هشام في مغني اللبيب(٣) وإن كان ابن هشام قد رجح ما ذهب إليه البيانيون(٤) القائلون بوجود الفرق بين الرفع والنصب وقد زيّف البغدادي قول النحويين(٥).

قلت: وما ذكره الجرجاني من وجود الفرق هو الراجح المختار، قال رحمه الله: قد حمله الجميع (٦) على أنه أدخل نفسه من رفع (كل) في شيء إنما يجوز عند الضرورة، من غير أن كانت به إليه ضرورة، قالوا: لأنه ليس في نصب (كل) ما يكسر له وزنا، أو يمنعه من معنىً أراده. وإذا تأملت وجدته لم يرتكبه ولم يحمل نفسه عليه إلا لحاجة له إلى ذلك، وإلا لأنه رأى النصب يمنعه ما يريد.وذاك أنه أراد أنها تدّعي عليه ذنبا لم يصنع منه شيئا ألبتة لا قليلا ولا كثيرا ولا بعضا ولا كلا. والنصب يمنع من هذا المعنى، ويقتضي أن يكون قد أتى من الذنب الذي ادعته بعضه اهـ(٧)

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) الأحزاب/٥٣ حيث قال : واعلم أن في ورود (يؤذي) هنا ما يبطل المثال الذي أورده ابن الأثير في المثل السائر شاهدا على أن الكلمة قد تروق السامع في كلام ثم تكون هي بعينها مكروهة للسامع.وجاء بكلمة (يؤذي) في هذه الآية ونظيرها (تؤذي) في قول المتنبي:

---

(١) في مواضع مختلفة منه أحدها في ٨٥/١ من الكتاب تحقيق عبد السلام هارون

(٢) الشَلُوبين هو عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الإشبيلي من كبار النحاة توفي عام ٦٤٥هـ بغية الوعاة ٢٢٤/٢ وما بعدها

(٣) ١٧٠/١ ومعه حاشية الأمير طبع عيسى البابي الحلبي

(٤) المغني ٢٢١/١ دار نشر الكتب الإسلامية لاهور

(٥) الخزانة ٣٦١/١ طبع الهيئة العامة بتحقيق عبد السلام هارون

(٦) المراد بيت أبي النجم وقوله الجميع يقصد النحاة وفي عبارته تساع إذ ليس كلهم على ذلك

(٧) الدلائل ص ٢٧٨ طبع الخانجي بتحقيق محمود شاكر والذنب المذكور هو ما ذكره البغدادي في الخزانة في أبيات أبي النجم الأخرى والتي منها:

مِنْ أن رأت رأسي كرأس الأصلع ... ميّز عنه قنزُعا عن قنزع

والمراد أنها عيرته بكبر سنه. والقنزع: الشعر حوالي الرأس

أنظر الخزانة ٣٦٣/١ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"تلذ له المروة وهي تؤذي"(١)

وزعم أن ورودها في البيت يحط من قدر المعنى الشريف الذي تضمنه البيت وأحال في الجزم بذلك على الطبع السليم، ولا أحسب هذا الحكم إلا غصبا من ابن الأثير لا تبوّغه صناعة ولا يشهد به ذوق، ولقد صرف أئمة الأدب همهم إلى بحث شعر المتنبي ونقده، فلم يعد عليه أحد منهم هذا منتقدا، مع اعتراف ابن الأثير بأن معنى البيت شريف، فلم يبق له إلا أن يزعم أن كراهة هذا اللفظ فيه راجعة إلى أمر لفظي من الفصاحة، وليس في البيت شيء من الإخلال بالفصاحة وكأنه أراد أن يقفّي على قدم الشيخ عبد القاهر فيما ذكر في الفصل الذي جعله ثانيا من كتاب دلائل الإعجاز، فإن ما انتقده الشيخ في ذلك الفصل من مواقع بعض الكلمات لا يخلو من رجوع نقده إياها إلى أصول الفصاحة أو أصول تناسب معاني الكلمات بعضها مع بعض في نظم الكلام، وشتان ما بين الصنيعين(٢)

وكلامه هنا جيّد وقوي، فقد رد رأي ابن الأثير وعلل رده تعليلا قويا.

ومن ذلك أخيرا ما ذكره عند قوله تعالى(فاعبد الله مخلصا له الدين) الزمر/٢ حيث ذكر إنه لا حاجة ههنا لتقديم المفعول لإفادة الاختصاص، فإن الاختصاص معلوم من المقام وإنه أفيد من الحال في قوله تعالى (مخلصا له الدين) ثم قال وبذلك يبطل استناد الشيخ ابن الحاجب لهذه الآية في توجيه رأيه بإنكار إفادة تقديم المفعول على فعله التخصيص... قال في إيضاح المفصل في شرح قول صاحب المفصل في الديباجة (الله أحمدُ أن جعلني من علماء العربية) اللهَ أحمد على طريقة (إياك نعبد) تقديما للأهم، وما قيل إنه للحصر لا دليل عليه والتمسك فيه بنحو (بل الله فاعبد) ضعيف لورود (فاعبد الله) اهـ

ونقل عنه أنه كتب في حاشيته على الإيضاح هنالك قوله : لا دليل فيه على الحصر فإن المعبودية من صفاته تعالى الخاصة به، فالاختصاص مستفاد من الحال لا من التقديم. اهـ.

قال ابن عاشور : وهو ضغث على إبّالة فإنه لم يقتصر على منع دليل شهد به الذوق السليم عند أئمة الاستعمال، وعلى سند منعه بتوهمه أن التقديم الذي لوحظ في مقام يجب أن يلاحظ في كل مقام، كأن الكلام قد جعل قوالب يؤتى بها في كل مقام، وذلك ينبو عنه اختلاف المقامات البلاغية، حتى جعل الاختصاص بالعبادة مستفادا من القرينة لا من التقديم، كأن القرينة لو سلّم وجودها تمنع من التعويل على دلالة النطق(٣) وهو كلام في ما يظهر لي حسن جدا.

---

(١) والبيت في ديوانه ٧٥/٤ وتمامه "ومن يعشق يلذّ له الغرام"

(٢) ٨٩/٢٢ - ٩٠

(٣) ٣١٦/٢٣ - ٣١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : النقل عن المؤلف والسكوت على الكلام المنقول دون تعقيب لا بالإيجاب ولا بالسلب

وقد يفضي مثل هذا الصنيع غالبا إلى قبول المنقولات المسكوت عنها.

فمن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) البقرة/١٨٣ حيث نقل في تفسيره أن حكماء اليونان يرتاضون على إقلال الطعام بالتدريج حتى يعتادوا تركه أياما متوالية ... ثم قال وفي حكمة الإشراق للسهروردي: وقبل الشروع في قراءة هذا الكتاب يرتاض أربعين يوما تاركا للحوم الحيوانات مقللا للطعام منقطعا إلى التأمل لنور الله(١)

فأنت ترى هذا النقل وقد سكت عنه فأيش هو هذا الكتاب حتى يُفعَل به هذا الارتياض، إن مثل هذا النقل لا ينبغي أن يسكت عليه.

ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) الروم/٣٠ حيث نقل نقلا طويلا عن ابن سينا في حقيقة الفطرة فقال : وقد بين أبو على ابن سينا حقيقة الفطرة في كتابه النجاة فقال : ومعنى الفطرة أن يتوهم الإنسان نفسه حصل في الدنيا دفعة وهو عاقل لكنه لم يسمع رأيا ولم يعتقد مذهبا، ولم يعاشر أمة، ولم يعرف سياسة، ولكنه شاهد المحسوسات وأخذ منها الحالات، ثم يعرض على ذهنه شيئا ليتشكك فيه، فإن أمكنه الشك فالفطرة لا تشهد به، وإن لم يمكنه الشك فهو ما توجبه الفطرة.وليس كل ما توجبه فطرة الإنسان بصادق، إنما الصادق فطرة القوة التي تسمى عقلا، وأما فطرة الذهن بالجملة فربما كانت كاذبة، وإنما يكون هذا الكذب في الأمور التي ليست محسوسة بالذات بل هي مباديء للمحسوسات.

فالفطرة الصادقة هي مقدمات وآراء مشهورة محمودة أوجب التصديق بها إما شهادة الكل : مثل إن العدل جميل، وإما شهادة الأكثر، وإما شهادة العلماء، أو الأفاضل منهم ... اهـ(٢)

فأنت تراه ههنا نقل النص وادّعى أنه به بُيّنت حقيقة الفطرة وسكت عنه ولم يشر إلا إلى أن شواهد الفطرة فيه خفية(٣)، مع أن ما نقله هو عن ابن عطية يبدو لي أنه أوضح مما عند ابن سينا . قال ابن عطية : والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة (أي الفطرة) أنها الخِلْقة والهيئة التي في نفس الإنسان التي هي مُعِدَّة ومُهَيِّئة لأن يميّز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه اهـ(٤)

---

(١) ١٦٠/٢

(٢) ٩٠/٢١ - ٩١

(٣) ٩١/٢١

(٤) ٩٠/٢١ عن ابن عطية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعلى هذا يكون معنى وصف الإسلام بالفطرة أنه هو الدين الذي يلائم الإنسان ويتلاءم معه الإنسان بكل سهولة ويسر. والله أعلم.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن ابن عاشور قد مس تعريف ابن سينا هذا بشيء من الكلام في كتابه أصول النظام الاجتماعي فقال : ثم إن وصف الإسلام بأنه هو الفطرة ليس المقصود منه أن تعاليم الإسلام لا تشمل إلا ما هو الفطرة أو ما تشهد الفطرة بصدقه على مصطلح الشيخ ابن سينا، بل المقصود أن الأصول التي في الإسلام هي من الفطرة(١)

ومنه أخيرا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الحجرات/٦ حيث قال:

واعلم أن جمهور أهل السنة على اعتبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عدولا، وإن كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به فهو من أصحابه، وزاد بعضهم شرطا أن يروي عنه أو يلازمه، ومال إليه المازري. قال في أماليه في أصول الفقه: ولسنا نعني بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كل من رآه أو زاره لماما إنما نريد أصحابه الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وأولئك هم المفلحون شهد الله لهم بالفلاح اهـ.(٢)

قلت : وتفسير المازري للصحابي هو ما درج عليه جمهور الأصوليين كما في مسلم الثبوت إذ قال : مسئلة الصحابي عند جمهور الأصوليين مسلم طالت صحبته مع النبي صلى الله عليه وسلم متبعا والأصح عدم التحديد وقيل ستة أشهر وقيل سنة أو غزوة(٣) وتابعه عليه شارحه.

ومال ابن السبكي في جمع الجوامع إلى أن الصحابي من اجتمع مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وإن لم يرو عنه ولم يطل اجتماعه به كما أوضحه الجلال المحلي في شرحه عليه(٤)

وقال العطار : فعلى قول المصنف وإن لم يرو أو لم يطل الخ فيه إيماء لبعض الأقوال وعدم اعتبارها(٥) فهو ظاهر في رد مثل قول المازري.

ولا يخفى أن مثل هذا القول يخرج به بعض من اتفق على صحبته كجرير بن عبد الله الذي أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما(٦)

ومثل هذا القول من الأصوليين مخرجه اعتبار العرف في تحديد معنى الصحبة(٧) والتعريف المشهور عند المحدثين لعله هو الأصح لئلا يخرج من عُدّ في الصحابة بذلك فقد قالوا إنه كل من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على الإسلام(٨)

---

(١) أصول النظام الإجتماعي ص ١٩ طبع الشركة التونسية للتوزيع - الدار العربية للكتاب ١٩٧٩م

(٢) ٢٣٠/٢٦

(٣) فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت بهامش المستصفى ١٥٨/٢

(٤) شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع مع حاشية العطار ١٩٦/٢ وما بعدها

(٥)حاشية العطار على شرح الجلال المحلي ١٩٨/٢

(٦) فواتح الرحموت ١٥٨/٢

(٧) منهج النقد في علوم الحديث ص ١١٧

(٨) تدريب الراوي ٢٠٩/٢ وانظر مقدمة اعلاء السنن ٣٢/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

المنهج العام لابن عاشور في تفسيره

ويشتمل على مباحث ثلاثة.
الأول : البناء الهيكلي لتفسيره.
الثاني: اتجاه ابن عاشور في تفسيره.
الثالث: التفسير بالمأثور والرأي عنده.

المبحث الأول

ويشتمل على ثلاثة اقسام
الأول : مدخل إلى هذا البناء الكبير (حديث عن مقدمات هذا التفسير)
الثاني: مدخل إلى كل سورة
الثالث: تفسير السورة

القسم الأول من المبحث الاول

مقدمات التفسير

عمد كثير من المفسرين إلى وضع مقدمات بين يدي تفاسيرهم، ومن هؤلاء شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره والقرطبي في تفسيره وأبو حيان في البحر والشهيد ابن جزي في تفسيره والآلوسي والقاسمي وغيرهم كثير.

وقد نحا ابن عاشور نحوهم في وضع مقدمة لتفسيره فصل فيها تفصيلا جيدا بعض الابحاث الخاصة، وقد قسم ابن عاشور هذه المقدمة إلى عشرة أقسام جعل كل قسم منها مقدمة، فكان تفسيره يشتمل على مقدمات عشر، اهتم فيها بابراز مسائل من علوم القرآن الكريم. ولأهمية هذه المقدمات، لا بد من ذكر اهم ما اشتملت عليه:

المقدمة الأولى: جعلها في التفسير والتأويل وكون التفسير علما، وبين فيها معنى التفسير والتأويل في اللغة والاصطلاح، وموضوع التفسير وعد التفسير علما مستقلا، والتصنيف فيه.

المقدمة الثانية: جعلها في استمداد علم التفسير، وبين فيها العلوم التي تكون مددا لعلم التفسير ومصادر له وهي مجملة: علوم العربية، وعلم الاثار(١) والقراءات وعلم أصول الفقه وعلم الكلام.

---

(١) يراد بها عنده المرويات عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان المراد من بعض القرآن في مواضع الاشكال والاجمال، وما نقل عن الصحابة في ذلك ١/٢٣-٢٤ وليس منه الاحاديث الواردة في تفسير الآيات وكذلك الاثار لانها من التفسير لا من مدده ١/٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة الثالثة: جعلها في صحة التفسير بغير المأثور وبالرأي ونحوه حيث ذكر ما قيل من آثار تنهى عن التفسير بالرأي وأجاب عنها،

وبين معنى التفسير بالرأي، وتحدث عن المقبول منه والمذموم، وعرض للتفسير الإشاري وذكر في خاتمتها انه لا ينبغي لأحد أن يقدم على التفسير دون مستند من نقل صحيح عن المفسرين أو دون أن يكون صاحب التفسير ضليعا في العلوم التي يحتاجها المفسر.

المقدمة الرابعة: جعلها فيما يحق ان يكون غرض المفسر حيث بين فيها أغراض القرآن الكريم من اصلاح الاعتقاد، والتشريع، وسياسة الامة بصلاحها وحفظ نظامها. وذكر قصص السابقين للتأسي بصالح احوالهم والتعليم بما يناسب عصر المخاطبين، والمواعظ والانذار والتحذير والتبشير، والاعجاز ليكون آية دالة على صدق الرسول، وبين أن غرض المفسر بيان ما يصل اليه او ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ، وبين أن طرائق المفسرين للقرآن على ثلاثة انحاء، إما وقوف عند ظاهر اللفظ، وإما استنباط معان من وراء هذا الظاهر، واما جلب المسائل وبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى، وعرض لاراء المفسرين في التفسير العلمي.

المقدمة الخامسة: جعلها في أسباب النزول، حيث بين فيها ولع كثير من المفسرين بتطلب أسباب لنزول الآيات القرآنية وتكلفوا في ذلك، وبين أهمية اسباب النزول للتفسير، وأقسام أسباب النزول وفوائدها

المقدمة السادسة: جعلها في القراءات، حيث بين اعتلاق علم القراءات بالتفسير، وذكر شروط القراءة الصحيحة وذكر حديث الاحرف السبعة والاختلاف في معناه، وتحدث عن مراتب القراءات الصحيحة والترجيح بينها، وذكر أن ابتناء تفسيره على قراءة قالون عن نافع.

المقدمةالسابعة: جعلها في قصص القرآن الكريم، حيث بين فيها معنى القصة وميزاتها وفوائدها في القرآن الكريم، وذكر فوائد التكرار في القصص القرآني(١).

المقدمة الثامنة: جعلها في أسماء القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها حيث عرض لأسماء القرآن وبين معانيها وعرّف الآية ومقدارها، وعرض للفواصل القرآنية وذكر أن ترتيب الآيات توقيفي، وذكر الخلاف في عدد الآيات، وعرض للوقوف في القرآن الكريم، وعرض للسورة القرآنية معناها وان التسوير سنة من النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعرض للخلاف في ترتيب السور، واسمائها.

---

(١) على أن الصواب أنه لا تكرار في القصص القرآني كما أوضحه شيخ شيوخنا وأستاذنا في كتابه القصص القرآني وجعل ذلك غايته وقد أبدع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة، حيث ذكر أن مختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن وتراكيبه وإعرابه ودلالته من اشتراك وحقيقة ومجاز وصريح وكناية، وبديع، ووصل، ووقف، إذا لم تفض إلى خلاف المقصود من السياق يجب حمل الكلام على جميعها، وعرض للخلاف في مسألة استعمال اللفظ المشترك في معنييه أو معانيه دفعة

المقدمة العاشرة: جعلها في إعجاز القرآن الكريم حيث بين فيها كيف كان القرآن معجزا وذكر الخلاف في ذلك، وذكر جهات الاعجاز وهي عنده ثلاث: بلوغ الغاية القصوى في مراتب الكلام البليغ، وما ابدعه القرآن من افانين التصرف في الكلام (١)، وما أودع فيه من المعاني الحكيمة والاشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لا تصل إليه عقول البشر، وأشار إلى بلاغة القرآن الكريم ولطائف تعبيره، وعرض لعادات القرآن الكريم.

بهذه المقدمات العشر بدأ ابن عاشور تفسيره، وهي مقدمات اشتملت على لطائف ونتف من الفوائد العلمية التي بثت في ثناياها. وقد دارت محاور هذه المقدمات على أمور في غاية الاهمية، وفى ابن عاشور بعضها حق الايفاء وبعضها يحتاج إلى مزيد، وقد أظهرت هذه المقدمات ضلوع ابن عاشور في مسائل علم التفسير.

وبعد فان محاور هذه المقدمات، كل محور منها يستحق أن يفرد في مؤلف خاص، وإني لأرجو أن يهيئ الله لهذا الغرض من يقوم به، وما ذلك على الله بعزيز.

القسم الثاني من المبحث الأول

مدخل إلى تفسير السورة الكريمة

يدخل ابن عاشور إلى تفسير السورة الكريمة ببعض المعلومات المتعلقة بها، وهذه المعلومات المقدمة هي من الاهمية بمكان، بل لا غرابة إذا قلت إن هذه المعلومات هي من أدق وأمتع ما كتب في هذا التفسير من التحقيق العلمي.

وهذه المعلومات في غالبها من مباحث علوم القرآن، أفردتها هنا لأنها جزء من المنهج الذي سلكه في تفسير السورة، وليس ثمة تداخل بين هذا المبحث والفصل المتعلق بعلوم القرآن لأن الأبحاث هناك لن تذكر هنا، هذا من جهة ومن جهة أخرى فانّ هذهَ الأبحاث هي ما كان يسوقه الشيخ في أوائل تفسيره للسور الكريمة كمدخل لذلك.

فأول ما يذكره ابن عاشور ما يتصل باسم السورة أو أسمائها إن تعددت ووجه تسمية

---

(١) هذه يمكن أن ترجع إلى الاولى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السورةبذلك، مستندا في ذلك إلى الآثار المروية، إن وجدت وإلى أمهات كتب التفسير والمصاحف العتيقة وإلى ما اشتهر بين القراء في ذلك.

ومن أمثلة ما ذكره في هذا الشأن ما كان منه عند تفسيره لسورة التوبة حيث قال: سميت هذه السورة في اكثر المصاحف. وفي كلام السلف: سورة براءة. ففي الصحيح عن أبي هريرة، في قصة حج أبي بكر بالناس. قال أبو هريرة "فأذن معنا علي بن أبي طالب في أهل منى ببراءة(١).

وفي صحيح البخاري عن زيد بن ثابت قال: آخر سورة نزلت سورة براءة(٢). وبذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه(٣) وهي تسمية لها بأول كلمة منها، وتسمى سورةالتوبة في كلام بعض السلف في مصاحف كثيرة، فعن ابن عباس: سورة التوبة هي الفاضحة(٤) وترجم لها الترمذي في جامعه باسم التوبة(٥)، ووقع هذا الاسمان معا في حديث زيد بن ثابت، في صحيح البخاري في باب جمع القرآن، قال زيد فتتبعت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) حتى خاتمة سورة براءة(٦)، وهذان الاسمان هما الموجودان في المصاحف التي رأيناها. ولهذه السورة أسماء أخر، وقعت في كلام السلف، من الصحابة والتابعين فروي عن ابن عمر، عن ابن عباس(٧): كنا ندعوها المقشقشة (بصيغة اسم الفاعل وتاء التأنيث من قشقشه إذا أبرأه من المرض)(٨) كان هذا لقباً لها ولسورة (الكافرون) لأنهما تخلصان من آمن بما فيهما من النفاق والشرك، لما فيهما من الدعاء إلى الإخلاص ولما فيهما(٩) من وصف أحوال المنافقين.

---

(١) البخاري مع الفتح ٣١٧/٨ الباب الثاني حديث رقم ٤٦٥٥ ولفظه (فأذّن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة).

(٢) قلت الذي في البخاري عن البراء بن عازب وليس عن زيد، وقال في الفتح والمراد بآخرية نزول هذه السورة معظمها أو بعضها ٣١٦/٨.

(٣) البخاري مع الفتح ٣١٣/٨.

(٤) أخرجه البخاري عن سعيد بن جبير عنه في ٦٢٩/٨ تفسير سورة الحشر.

(٥) ٤٧٧/٨ مع التحفة.

(٦) البخاري مع الفتح ١١/٩ حديث رقم ٤٩٨٦

(٧) هكذا هي والصواب وعن ابن عباس

(٨) عن ابن عمر رواه أبو الشيخ كما في الاتقان ٥٥/١.

(٩) وتسمى سورة الإخلاص بهذا الاسم ايضا وينبغي ان يقال كذلك ولما في براءة لأن (الكافرون) ليس فيها ما ذكر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان ابن عباس يدعوها الفاضحة(١) وعن حذيفة أنه سماها سورة العذاب(٢) لأنها نزلت بعذاب الكفار، وعن عبيد الله بن عمير أنه سماها المنقرة (بكسر القاف مشددة) لأنها نقرت عما في قلوب المشركين(٣) وعن المقداد بن الأسود وأبي أيوب الانصاري تسميتها البحوث بباء موحدة مفتوحة في أوله، وبمثلثة في آخره بوزن فعول بمعنى الباحثة(٤).

وعن الحسن البصري أنه دعاها الحافرة(٥) كأنها حفرت عمّا في قلوب المنافقين من النفاق، وعن قتادة انه سماها المثيرة لأنها أثارت عورات المنافقين وأظهرتها(٦).

وعن ابن عباس أنه سماها المبعثرة لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين أي أخرجتها من مكامنها(٧)، وفي الإتقان أنها تسمى المخزية بالخاء والزاي المعجمة وتحتية بعد الزاي(٨) وأحسب أن ذلك لقوله تعالى فيها (وان الله مخزي الكافرين) التوبة/٢ وفي الاتقان أنها تسمى المنكلة، اي بتشديد الكاف وفيه أنها تسمى المشددة(٩).

وعن سفيان أنها تسمى المدمدمة بصيغة اسم الفاعل من دمدم إذا أهلك لأنها كانت سبب هلاك المشركين(١٠) فهذه أربعة عشر اسما(١١).

فأنت تراه وقد ذكر هذه الاسماء معتمدا على ما ذكر في المرويات والآثار وعما عند أساطين المفسرين وأهل القرآن.

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لسورة يونس حيث قال في فاتحتها: سميت في المصاحف وفي كتب التفسير والسنة سورة يونس لأنها انفردت بذكر خصوصية لقوم يونس. أنهم آمنوا بعد أن توعدهم رسولهم بنزول العذاب فعفا الله عنهم لماآمنوا وذلك قوله تعالى

---

(١) البخاري ٦٢٩/٨ وذكره في الاتقان عن قتادة ٥٦/١.

(٢) أنظر الاتقان ٥٥/١ والمستدرك ٣٣١/٢

(٣) أخرجه أبو الشيخ عن عبيد بن عمير كما في الاتقان ٥٥/١ ويبدوا والله أعلم ان الرجل اسمه عبيد بن عمير وليس عبيد الله كما هنا ولم يتبين لي كلاهما وراجع الهدبب ٦٥/٧ وما بعدها.

(٤) الاتقان ٥٥/١

(٥) هو في جمال القراء غير معزو ٣٦/١ وفي الاتقان عن المقداد ٥٥/١-٥٦.

(٦) الإتقان ٥٦/١

(٧) عزاه في الإتقان إلى ابن الفرس ٥٦/١ وهو في جمال القراء غير معزو.

(٨) ٥٦/١ وانظر جمال القراء ٣٦/١.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) أنظر جمال القراء ٣٦/١ والآلوسي ٤٠/١٠

(١١) ابن عاشور ٩٥/١٠-٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) الآية ٩٨، وتلك الخصوصية كرامة ليونس عليه السلام وليس فيها ذكر ليونس غير ذلك وقد ذكر يونس في سورة الصافات بأوسع مما في هذه السورة(١) ولكن وجه التسمية لا يوجبها، والأظهر عندي أنها أضيفت إلى يونس تمييزا لها عن أخواتها الأربع المفتتحة ب(الر) ولذلك أضيفت كل واحدة منها إلى نبي أو قوم نبي عوضا عن أن يقال : ألر الاولى، والر الثانية، وهكذا فان اشتهار السور بأسمائها أول ما يشيع بين المسلمين بأولى الكلمات التي تقع فيها وخاصة إذا كانت فواتحها حروفا مقطعة فكانوا يدعون تلك السور بأل حم وأل الر ونحو ذلك(٢).

ومن ذلك أيضا ما ذكره عن تفسيره لسورة الانبياء حيث قال في فاتحتها: سماها السلف (سورة الأنبياء). ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: (بنو اسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والانبياء) هن من العتاق الأول وهن من تلادي(٣). ووجه تسميتها سورة الانبياء أنها ذكر فيها ستة عشر نبيا ومريم ولم يأت في سور القرآن مثل هذا العدد من أسماء الانبياء في سورة من سور القرآن عدا ما في سورة الانعام. فقد ذكر فيها اسماء ثمانية عشر نبيا في قوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) إلى قوله (ويونس ولوطا) الآيات ٨٣-٨٧ فان كانت سورة الانبياء نزلت قبل سورة الانعام فقد سبقت بالتسمية بالاضافة إلى الأنبياء وإلا فاختصاص سورة الانعام بذكر أحكام الأنعام أوجب(٤) تسميتها بذلك الاسم فكانت سورة الانبياء أجدر من بقية سور القرآن بهذه التسمية، على أن من الحقائق المسلمة أن وجه التسمية لا يوجبها(٥).

هذا جانب من جوانب حديثه عن موضوع السورة وأسمائها، ولكن الشيخ أحيانا يتجاوز بذكر فروع وتفاصيل تتعلق بذلك، فيطول حديثه جدا وأكتفي هنا بمثال واحد حول ذلك، حيث ذكر الشيخ كلاما طويلا عند سورة السجدة قال: أشهر أسماء هذه السورة هو (سورة السجدة) وهو أخصر أسمائها، وهو المكتوب في السطر المجعول لاسم السورة

---

(١) الآيات ١٣٩-١٤٨ من سورة الصافات.

(٢) ٧٧/١١ وقال شيخنا سميت كذلك لأنها أول سورة يذكر فيها يونس وشيء من خصوصيات قومه.

(٣) رواه البخاري في غير ما موضع منها في ٣٨٨/٨ تفسير الاسراء حديث رقم ٤٧٠٨ ومعنى العتاق الأول إما القديمة، أو التي بلغن الغاية في الجودة. والتلاد قديم الملك، فالمعنى انهن أول ما تعلم من القرآن وأن لهن فضلا لما فيهن من القصص، وأخبار الأنبياء والامم اهـ من الفتح.

(٤) العبارة غير مقبولة لأن الوجوب لا موضع له هنا.

(٥) ٥/١٧ وقال شيخنا ان سورة الأنعام قد ذكرت الأسماء فحسب لكن سورة الانبياء ذكرت أسماءهم وفصلت بعض التفاصيل ولذلك استحقت هذا الاسم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المصاحف المتداولة، وبهذا الاسم ترجم لها الترمذي في جامعه وذلك باضافة كلمة (سورة) إلى كلمة (السجدة)(١) ولا بد من تقدير كلمة (الم) محذوفة للاختصار(٢) اذ لا يكفي مجرد اضافة سورة إلى السجدة في تعريف هذه السورة، فانه لا تكون سجدة من سجود القرآن إلا في سورة من السور، وتسمى أيضا (ألم تنزيل) روى الترمذي عن جابر بن عبد الله أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان لا ينام حتى يقرأ (ألم تنزيل) و(تبارك الذي بيده الملك)(٣) وتسمى أيضا (ألم تنزيل السجدة) وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ يوم الجمعة في صلاة الفجر (ألم تنزيل السجدة) و(هل أتى على الانسان حين من الدهر)(٤). قال شارحو صحيح البخاري: ضبط اللام من كلمة (تنزيل) بضمة على الحكاية، وأما لفظ السجدة في هذا الحديث فقال ابن حجر: هو بالنصب، وقال العيني والقسطلاني بالنصب على أنه عطف بيان (يعني أنه بيان للفظ "الم تنزيل") وهذا بعيد لأن لفظ السجدة ليس اسما لهذه السورة الا باضافة (سورة) إلى (السجدة) فالوجه أن يكون لفظ (السجدة) في كلام أبي هريرة مجرورا باضافة مجموع (ألم تنزيل) إلى لفظ (السجدة) و سأبين كيفية هذه الاضافة. وعنونها البخاري في صحيحه (سورة تنزيل السجدة)(٥) ويجب أن يكون (تنزيل) مضموما على حكاية لفظ القرآن، فتميزت هذه السورة بوقوع سجدة تلاوة فيها من بين السور المفتتحة ب(الم)، فلذلك فمن سماها (سورة السجدة) عنى تقدير مضاف أي سورة (ألم السجدة)، ومن سماها (تنزيل السجدة) فهو على تقدير (ألم تنزيل السجدة) بجعل (ألم تنزيل) مركبا ثم اضافته إلى السجدة، أي ذات السجدة، لزيادة التمييز والإيضاح، وإلا فإن ذكر كلمة (تنزيل) كاف في تمييزها عما عداها من ذوات (ألم) ثم اختصر بحذف (ألم) وإبقاء (تنزيل)، وأضيف (تنزيل) إلى (السجدة) على ما سيأتي في توجيه تسميتها (ألم تنزيل السجدة)، ومن سماها (ألم السجدة) فهو على إضافة (ألم) إلى (السجدة) إضافة على معنى اللام وجعل (ألم) اسما للسورة، ومن سموها (ألم تنزيل السجدة) لم يتعرضوا لضبطها في شروح صحيح البخاري ولا في النسخ الصحيحة من الجامع الصحيح، ويتعين أن يكون (ألم)

---

(١) الترمذي مع التحفة ٥٥/٩

(٢) هذا التقدير لا داعي له فالاسم صار علما عليها اهـ شيخنا.

(٣) أنظر الترمذي ٣٥٠/٩، ٢٠١/٨ فضائل سورة الملك ورواه الامام أحمد في المسند ٣٤٠/٣ والحاكم في المستدرك ٤١٢/٢ والدارمي في السنن برقم ٣٤١٤ والبغوي في التفسير ٥٠٤/٣ وذكره السيوطي في الجامع الصغير مصححا ١٩١/٥ ورقمه ٦٩٢١ وقال المناوي قال البغوي غريب وقال الصدر المناوي فيه اضطراب انتهى فيض القدير.

(٤) البخاري ٣٧٧/٢ حديث رقم ٨٩١.

(٥) البخاري ٥١٥/٨ والموجود في النسخة التي شرحها الحافظ (سورة السجدة).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مضافا إلى (تنزيل) على أن مجموع المضاف والمضاف اليه اسم لهذه السورة محكي لفظه فتكون كلمة (تنزيل) مضمومة على حكاية لفظها القرآني، وأن يعتبر هذا المركب الإضافي اعتبار العلم مثل: عبدالله، ويعتبر مجموع ذلك المركب الإضافي مضافا إلى السجدة إضافة المفردات، وهو استعمال موجود، ومنه قول تأبط شرا(١).

إني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عم الصدق شمس بن مالك(٢)

اذ أضاف مجموع (ابن عم) إلى الصدق، ولم يرد إضافة (عم) إلى (الصدق). وكذلك قول أحد الطائيين في ديوان الحماسة:

داو ابن عم السوء بالنأي والغنى كفى بالغنى والنأي عنه مداويا(٣)

فانه ما أراد وصف عمه بالسوء ولكنه أراد وصف ابن عمه بالسوء، فأضاف مجموع (ابن عم) إلى السوء.

ومثله قول رجل من كلب في ديوان الحماسة:

هنيئا لابن عم السوء أني مجاورة بني ثعل لبوني(٤)

وقال عيينة بن مرداس في الحماسة:

فلما عرفت اليأس منه وقد بدت أيادي سبا الحاجات للمتذكر(٥)

فأضاف مجموع (أيادي سبا) وهم كالمفرد لأنه جرى مجرى المثل إلى (الحاجات). وقال بعض رجازهم:

أنا ابن عم الليل وابن خاله إذا دجى دخلت في سرباله(٦)

فأضاف (ابن عم) إلى لفظ (الليل)، وأضاف (ابن خال) إلى ضمير (الليل) على معنى أنا مخالط الليل، ولا يريد إضافة عم ولا خال إلى الليل. ومن هذا اسم عبد الله بن قيس الرقيات(٧) فالمضاف إلى (الرقيات) هو

---

(١) هو ثابت بن جابر بن قيس عيلان وسمي كذلك لأنه حمل سيفا وخرج فقيل لأمه أين هو؟ فقالت لا أدري تأبط شرا وخرج، وهو من أسرع الناس على قدميه، وهو خال الشنفرى وكلاهما مشهور له ترجمة في الأغاني ٢١/١٣٨-١٨١ والخزانة ١/١٣٧-١٣٨، ٨/١٩٤-١٩٨ وفي شرح التبريزي ١/٣٧-٣٨ والبيت مذكور في بعض تلك المواضع.

(٢) قال العسكري شمس بضم الشين: بطن من الأزد من مالك بن فهم وكل ما جاء في أنساب اليمن فهو شمس بالضم اهـ. نقله البغدادي في الخزانة ١/٢٠٢ عن كتاب التصحيف.

(٣) هو في ديوان الحماسة ١/١٥٥ بشرح التبريزي لرجل من بني أسد وليس لأحد الطائيين كما هنا

(٤) هو في الديوان بشرح التبريزي ١/١٥٧ ومعناه ليهن ابن عم السوء بعدي عنهم ومجاورة لبوني لغيرهم واللبون الناقة التي بها لبن اهـ. (٥) لم أجد هذا الشاهد في ديوان الحماسة ولا في غيره مما بحثت فيه.

(٦) لم أجده أيضا.

(٧) شاعر قريش في الاسلام له ترجمة في الخزانة ٧/٢٨٠-٢٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجموع المركب إما (عبد الله)، أو (ابن قيس) لا أحد مفرداته.

وهذه الاضافة قريبة من إضافة العدد المركب إلى من يضاف إليه، مع بقاء اسم العدد على بنائه كما تقول اعطه خمسة عشره.

وتسمى هذه السورة ايضا سورة المضاجع لوقوع لفظ (المضاجع) في قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية ١٦ منها، وفي تفسير القرطبي عن مسند الدارمي أن خالد بن معدان(١) سماها (المنجية): قال بلغني أن رجلا يقرؤها ما يقرأ شيئا غيرها، وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها وقالت: رب اغفر له فانه كان يكثر من قراءتي فشفعها الرب فيه وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة(٢).

وقال الطبرسي، تسمى سورة (سجدة لقمان) لوقوعها بعد سورة لقمان لئلا تلتبس بسورة (حم السجدة) اي كما سموا سورة (حم السجدة) وهي سورة فصلت (سورة سجدة المؤمن) لوقوعها بعد سورة المؤمنين(٣).

فانظر إلى مثل هذه التفاصيل وهي حسنة لو أنها خلت من كثير من التكرار. هذا هو الجانب المتعلق باسماء السور عند الشيخ، ولا يخفى أن ابن عاشور قد نسج على منوال تفسير الآلوسي في هذا الجانب، إلا أنه أخذ في التفاصيل وزيادة التوضيح عما هو عند الآلوسي، فرحم الله الجميع بوافر فضله وجعلنا من خدم كتابه.

— **وبعد ذلك** ينتقل ابن عاشور إلى الحديث عن مكية السورة ومدنيتها وتاريخ نزولها. والقرآن الكريم ينقسم في مجموعه إلى قسمين: مكي ومدني، هذا هو المشهور بين العلماء، وإن كان بعض السور قد يتداخل فيها النوعان ولكن العبرة بالغالب(٤) وتكمن أهمية معرفة المكي والمدني في أنه لا ينبغي لمن يتماطى علم التفسير أن يكون غفلا عن معرفة مكي السور ومدنيها لما في ذلك من الأهمية البالغة في الوصول إلى الحق والصواب(٥) حيث إن لمعرفة ذلك فوائد مهمة منها: معرفة ما قد يوجد في القرآن من ناسخ ومنسوخ، وهذا إنما تتوقف معرفته على تاريخ نزول الآيات، فيفضي ذلك إلى التبصر بالمراحل التدريجية التي سار فيها التشريع، والاطلاع على الطريقة الحكيمة المثلى التي أخذ الله بها...

---

(١) هو خالد بن معدان الكلاعي الحمصي من فقهاء التابعين توفي سنة ثلاث أو اربع أو ثمان ومائة روى عن جماعة من الصحابة مرسلا اهـ. من ابن عاشور ٢١/٢٠٣.

(٢) أنظر القرطبي ١٤/٨٤ ولا يخفى أن مثل هذا لا يقال بالرأي.

(٣) ابن عاشور ٢١/٢٠١-٢٠٣

(٤) البيان في مباحث من علوم القرآن لعبد الوهاب غزلان ص١٢٥.

(٥) المدخل لدراسة القرآن والسنة ص٢١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

...عبادة(١) فيما سن لهم من أحكام، ويفضي العلم بمكي السور ومدنيها إلى تتبع مراحل الدعوة الاسلامية، والاطلاع على تكامل بنية الفكر الاسلامي، وهو بالتالي خير معين للمفسر على معرفة الآية، وعدم الوقوع في الخطأ في تفسيرها(٢) ويضاف إلى ذلك قيام الدليل على سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل، فان الأمة التي تعنى بكتابها إلى حد البحث عما نزل منه قبل الهجرة، وما نزل بعدها، وتحصي ذلك احصاءا دقيقا... إلى غير ذلك من كل ما يحتف به لا يمكن أن تمس قدسيته بأدنى شيء أو تغفل عنه حتى يعبث به عابث(٣).

ومن هنا كانت عناية علماء الأمة بمعرفة ذلك عناية فائقة وشديدة، وقد أفرده بالتصنيف جماعة منهم مكي بن أبي طالب والعز الدريني(٤) فحددوا أطره وضوابطه وما يتعلق به من أمور لا بد من وجودها لتحقيق معرفة ذلك. وإذا كنا نرجح أن المكي هو ما نزل قبل الهجرة ولو خارج مكة والمدني هو ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة. فإننا لا نسلم القول بوقوع آيات مدنية في سور مكية على نحو ما ذكره السيوطي في الاتقان(٥) وغيره وعلى نحو ما فعل ابن عاشور في غير ما موضع(٦) لأن ذلك مدعاة لتفكيك النظم الكريم.

ومن عناية ابن عاشور بهذا الجانب ما ذكره عند تفسيره لسورة هود حيث قال:وهي مكية كلها عند الجمهور. وروي ذلك عن ابن عباس وابن الزبير وقتادة الا آية واحدة وهي (وأقم الصلاة طرفي النهار - إلى قوله للذاكرين) الاية ١١٤. وقال ابن عطية هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك)الآية ١٢، وقوله (أفمن كان على بينة من ربه - إلى قوله أولئك يؤمنون به) الآية ١٧ قيل نزلت في عبد الله بن سلام، وقوله (وأقم الصلاة طرفي النهار) الآية ١١٤ قيل نزلت في قصة أبي اليسر كما سيأتي (٧) والأصح أنها كلها مكية وأن ما روي من اسباب النزول في بعض آيها توهم لاشتباه الاستدلال بها في قصة بأنها نزلت حينئذ ... على أن الآية الاولى من هذه الثلاث واضح أنها مكية(٨).

قلت وأما قوله تعالى (فلعلك تارك) فقد جعله الشيخ مفرعا عما سبق ولم يضف تنبيها

---

(١) هذه العبارة تبدو كأنها نشاز في هذا السياق فإن أخذ الله إنما يستعمل في الإهلاك.

(٢) أحسن الحديث للبوطي ٧٤-٧٥ وانظر المدخل ص٢٢٠

(٣) البيان لغزلان ص١٣٠

(٤) الاتقان ٨/١

(٥) المصدر السابق ١٥/١ وما بعدها.

(٦) أنظر ما ذكره في تفسير الأعراف ٦/٨ والنحل ٩٣/١٤-٩٤

(٧) ١٨١/١٢ وأبو اليسر صحابي أصاب من امرأة قبلة فجاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تائبا.

(٨) ٣١١/١١-٣١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آخر على هذا وهو يفضي إلى أن القول بمدنيتها تفكيك لهذا التفريع وتشتيت لأجزاء النظم الكريم(١) وقد ذكر مثل هذا الكلام عند قوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) دون زيادة(٢) وأما ما ذكره في شأن قصة أبي اليسر فقد حمل الآية على العموم وأن الآية نزلت في الأمر باقامة الصلوات وأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - تلا على الرجل الآية حين جاء تائبا(٣).

وعلى هذا وذلك فالآيات مرتبطة معا ارتباطا وثيقا، ولم يكن بينها تفكيك، فلاداعي للنظر إلى القول بأن هذه الآيات مدنية.

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لسورة الحجر حيث قال: وهي مكية كلها، وحكي الاتفاق عليه. وعن الحسن(٤) استثناء قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) الآية ٨٧ بناء على أن سبعا من المثاني هي الفاتحة وعلى أنها مدنية، وهذا لا يصح لأن الأصح أن الفاتحة مكية، واستثناء قوله تعالى (كما أنزلنا على المقتسمين الذي جعلوا القرآن عضين) الآيات ٩٠-٩١ بناء على تفسيرهم (المقتسمين) بأهل الكتاب وهو صحيح، وتفسير (جعلوا القرآن عضين) أنهم قالوا ما وافق منه كتابنا فهو صدق وما خالف كتابنا فهو كذب. ولم يقل ذلك الا يهود المدينة، وهذا لا نصححه كما نبينه عند الكلام على تلك الآية(٥) ولو سلم هذا التفسير من جهتيه فقد يكون لأن اليهود سمعوا القرآن قبل هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - بقليل فقالوا ذلك حينئذ، على أنه قد روي أن قريشا لما أهمهم أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - استشاروا في أمره يهود المدينة.

وقال في الاتقان(٦) ينبغي استثناء قوله تعالى (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) الآية ٢٤. لما أخرجه الترمذي من طريق نوح بن قيس الجذامي(٧) عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسناء فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر (أي من صفوف الرجال) فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فأنزل الله تعالى (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) قال الترمذي ورواه جعفر ابن

---

(١) أنظر ١٥/١٢

(٢) ٢٦/١٢

(٣) ١٨١/١٢

(٤) استثناء الآيات عن الحسن ذكره الطبرسي ٥٠١/٣ وغيره

(٥) لم يبيّن ابن عاشور ذلك وانما رجح ان المقتسمين هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى جحدوا بعض ما أنزل اليهم من القرآن، أطلق على كتابهم القرآن لانه كتاب مقروء فأظهروا بعضا وكتموا بعضا انظر ٨٤/١٤-٨٧ ، قلت وليس يظهر لي صحة اطلاق القرآن على كتاب اليهود أو النصارى بل هو علم على كتابنا.

(٦) ١٦/١

(٧) الصواب الخذاني بخاء معجمة وذال معجمة مشددة وبعد الألف نون كما في الترمذي ٥٥٠/٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سليمان ولم يذكر ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح اهـ. وهذا توهين لطريق نوح. فان ابن كثير في تفسيره وهذا الحديث فيه نكارة شديدة، والظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر. فلا اعتماد إلا على حديث جعفر بن سليمان وهو مقطوع(١).

واعلم أن الخازن قد قال ان السورة مكية بالإجماع برغم أنه ذكر الحديث المتقدم ولكنه لم يحفل به(٢) وكذا صنع أبو حيان في البحر مع ذكره للحديث(٣) فمن عجب قول الآلوسي بعد أن ذكر استثناء هذه الآية ...: وعلى هدا فقول أبي حيان ومثله في تفسير الخازن أنها مكية بلا خلاف، الظاهر في عدم الاستثناء ظاهر في قلة التتبع(٤).

ومنه أخيرا ما ذكره في فاتحة تفسيره لسورة الحج حيث قال: واختلف في هذه السورة هل هي مكية أو مدنية. أو كثير منها مكي وكثير منها مدني. فعن ابن عباس ومجاهد وعطاء هي مكية إلا ثلاث آيات هي قوله (هذان خصمان) إلى (وذوقوا عذاب الحريق) الآيات ١٩-٢٢ قال ابن عطية: وعد النقاش ما نزل منها بالمدينة عشر آيات(٥).

وعن ابن عباس أيضا والضحاك وقتادة والحسن: هي مدنية إلا آيات (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) إلى قوله تعالى (أويأتيهم عذاب يوم عقيم) الآيات ٥٢-٥٥ فهن مكيات. وعن مجاهد، عن ابن الزبير أنها مدنية، ورواه العوفي عن ابن عباس(٦)، وقال الجمهور هذه السورة بعضها مكي وبعضها مدني، وهي مختلطة، أي لا يعرف المكي بعينه والمدني بعينه.

قال ابن عطية: وهو الأصح، وأقول(٧) ليس هذا القول مثل ما يكثر أن

---

(١) ابن عاشور ٦/١٤ وهذا الحديث أخرجه الترمذي في التفسير ٥٥٠/٨ ورواه ابن ماجة في باب الخشوع في الصلاة حديث رقم ١/١٠٤٦ وذكر الحافظ المزي في تحفة الأشراف ان النسائي رواه في الكبرى في التفسير وفي الصلاة (٢:٢٥٤) عن قتيبة به ٣٦٦/٤ ورواه ابن جرير في التفسير ١٨/١٤ والواحدي في اسباب النزول ٢٨٠ وقد رده ابن كثير بقوله حديث غريب جدا ٥٤٩/٢ ونوح الهداني من رجال مسلم والاربعة تهذيب ٤٣٢/١٠ وأبو الجوزاء اسمه أويس بن عبد الله وهو من رجال الستة تهذيب ٣٣٥/١ وجعفر بن سليمان من رجال مسلم والأربعة تهذيب ٨١/٢.

(٢) ١١٥/٣ ، ١٢٤

(٣) ٤٤٣/٥ ، ٤٥١

(٤) روح المعاني ٢/١٤

(٥) أنظر الإتقان ١٣/١

(٦) هو عطية بن سعد المتوفى سنة ١١١هـ كما في الاعلام ٢٣٧/٤.

(٧) ابن عاشور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقولوه في بعض آيات من عدة سور: إنها نزلت في غير البلد الذي نزل فيه أكثر السورة المستثنى منها(١) بل أرادوا أن كثيرا منها مكي وأن مثله أو يقاربه مدني، وأنه لا يتعين ما هو مكي منها وأما هو مدني، ولذلك عبروا بقولهم هي مختلطة. قال ابن عطية: روي عن أنس بن مالك أنه قال: نزل أول السورة في السفر فنادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهافاجتمع إليه الناس، وساق الحديث الذي سيأتي. يريد ابن عطية أن نزولها في السفر يقتضي أنها نزلت بعد الهجرة، ويشبه أن يكون أولها نزل بمكة فإن افتتاحها ب(ياأيها الناس) جار على سنن فواتح السور المكية(٢) وفي أساليب نظم كثير من آياتها ما يلائم اسلوب القرآن النازل بمكة. ومع هذا فليس الافتتاح ب(يا أيها الناس) بمعين أن تكون مكية، وإنما قال ابن عباس (يا أيها الناس) يراد به المشركون، ولذا فيجوز أن يوجه الخطاب إلى المشركين في المدينة في أول مدة حلول النبي - صلى الله عليه وسلم - بها. فإن قوله (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) الآية٢٥ بناسب أنه نزل بالمدينة حيث صد المشركون النبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين عن البقاء معهم بمكة وكذلك قوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآية ٣٩ فانه صريح في أنه نزل في شأن الهجرة.

روى الترمذي بسنده عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن فأنزل الله (أذن للذين يقاتلون بأنهم...) الآيات ٣٩ وما بعدها وكذلك قوله (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتو ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الآية ٥٨ ففيه ذكر الهجرة وذكر من يقتل من المهاجرين وذلك مؤذن بجهاد متوقع(٣) وأحسب أنه لم تتعين طائفة منها متوالية نزلت بمكة ونزل ما بعدها بالمدينة، بل نزلت آياتها متفرقة. ولعل ترتيبها كان بتوقيف من النبي - صلى الله عليه وسلم - ومثل ذلك كثير (٤) وقد قيل في قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) الآية ١٩ إنه نزل في وقعة بدر، لما في الصحيح عن علي وأبي ذر أنها نزلت في مبارزة حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث مع شيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر وكان أبو ذر يقسم على ذلك(٥)، ولذلك فأنا

---

(١) ينظر هذا وهل يلمح إلى أن المكي والمدني عنده بحسب المكان.

(٢) هذا عريب وفيه نظر وهو منقول عن البرهان ١٩٠/١ وليس هو بضابط معتمد ثم إن السور المفتتحة بذلك سورتان فقط هما النساء والحج فأين هي فواتح السور المكية التي هي كذلك؟.

(٣) حديث ابن عباس أخرجه الترمذي في التفسير ١٥/٩ وقال هذا حديث حسن وأخرجه النسائي في الكبرى في التفسير والجهاد كما في تحفة الأشراف ٤٢٦/٤ وأخرجه ابن جرير في التفسير ١٢٣/١٧ والواحدي في أسباب النزول ٣١٩.

(٤) كون الترتيب فيها توقيف هذا مما لا يقرى فيه أحد من أهل العلم ولا أدري ما الداعي للتنصيص عليه هنا وانظر ٧٩/١ من التفسير.

(٥) رواه البخاري في التفسير ٤٤٣/٨ ورقمه ٤٧٤٣ والمغازي ٢٩٦/٧ ورقمه ٣٩٦٥ والطبري ٩٩/١٧ والواحدي في أسباب النزول ص٣١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحسب هذه السورة نازلا بعضها آخر مدة مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة كما يقتضيه افتتاحها ب (ياأيها الناس) فقد تقرر أن ذلك الغالب في أساليب القرآن المكي(١) وأن بقيتها نزلت في مدة مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة، وروى الترمذي وحسنه وصححه عن ابن أبي عمر(٢) عن سفيان عن ابن جدعان عن الحسن عن عمران بن حصين أنه لما نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) الآية الأولى منها. قال: أنزلت عليه هذه وهو في سفر فقال: (أتدرون) وساق حديثا طويلا. فاقتضى قوله: أنزلت عليه وهو في سفر أن هذه السورة أنزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة، فإن اسفاره كانت في الغزوات ونحوها بعد الهجرة(٣).

وفي رواية عنه أن ذلك السفر في غزوة بني المصطلق من خزاعة، وتلك الغزوة في سنة أربع أو خمس (٤) فالظاهر من قوله (أنزلت وهو في سفر) أن عمران بن حصين لم يسمع الآية إلا يومئذ فظنها أنزلت يومئذ، فان عمران ما أسلم إلا عام خيبر وهو عام سبعة(٥) أو أن أحد رواة الحديث أدرج كلمة (أنزلت عليه وهو في سفر) في كلام عمران ولم يقله عمران، ولذلك لا يوجد هذا اللفظ فيما رواه الترمذي وحسنه وصححه عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن هشام بن أبي عبد الله عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين قال: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر فرفع صوته بهاتين الآيتين (ياأيها الناس اتقوا ربكم ...) إلى قوله (ولكن عذاب الله شديد) الآيتان ١-٢ إلى آخره(٦) فرواية قتادة عن الحسن

---

(١) هذا غريب فلا يعد ذلك ضابطا فضلا عن أن يكون غالبا وقد تقدم التنبيه على ذلك.

(٢) هو أحد شيوخ الترمذي.

(٣) الترمذي ٩/٩ مع التحفة وابن جرير ٨٦/١٧-٨٨ والبغوي في التفسير ٢٧٤/٣ وابن أبي عمر اسمه محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني من رجال مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه كما في التهذيب ٤٥٧/٩ وابن جدعان اسمه علي بن زيد بن جدعان من رجال مسلم والأربعة والبخاري في الادب كما في التهذيب ٢٨٣/٧ وقال في التقريب ضعيف ص ٤٠١ وسفيان هو الثوري والحسن هو البصري.

(٤) رجح الحافظ في الفتح أنها في شعبان سنة خمس. المغازي ٤٣٠/٧ وليس في الترمذي التصريح باسم الغزوة.

(٥) نص على ذلك غير واحد انظر سير اعلام النبلاء ٥٠٨/٢ والتهذيب ١١١/٨ والاصابة ٢٦/٣.

(٦) الترمذي ١٢/٩ ومحمد بن بشار من رجال الستة. تهذيب ٦١/٩ ويحيى بن سعيد هو القطان وهو من رجال الستة تهذيب ١٩٠/١١ وهشام بن أبي عبد الله هو الدستوائي بصري ثقة تهذيب ٤٠/١١ وقتادة هو ابن دعامة السدوسي من رجال البخاري. تهذيب ٣١٥/٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثبت من رواية ابن جدعان واسمه علي بن زيد قال فيه أحمد وأبو زرعة ليس بالقوي وقال فيه ابن خزيمة: سيء الحفظ. وقد كان اختلط فينبغي عدم اعتماد ما انفرد به من الزيادة وروى ابن عطية عن أنس بن مالك أنه قال: أنزل أول هذه السورة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر، ولم يسنده ابن عطية. وذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال سورة الحج من أعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، مكيا ومدنيا سلميا وحربيا، ناسخا ومنسوخا، محكما ومتشابها(١).

وهكذا سار ابن عاشور مع سورة الحج وذهب مع الجمهور إلى أنها مختلطة المكي والمدني دون تغليب لأحدهما، والذي في المصاحف أنها مدنية إلا آيات منها، وذكر ابن الضريس(٢) عن ابن عباس أنها مدنية واقتصر عليه(٣) واختاره الشيخ حسنين مخلوف رحمة الله في صفوة البيان(٤)، واختاره أبو السعود في التفسير(٥) تبعا للكشاف(٦) واختاره الشهيد ابن جزي في تفسيره(٧) واختاره الشهيد سيد قطب في تفسيره(٨).

والذي يترجح لي من القول أنها مدنية جريا على غالب موضوعاتها، فقد ذكر فيها موضوعات كثيرة من موضوعات القرآن المدني نحو الآيات المتعلقة بالمسجد الحرام وأحكام الحج والحديث عن الجهاد وغير ذلك.

هذا ما يتعلق بمكي السور القرآنية ومدنيها وأما ما يتعلق بتاريخ النزول فمنه ما ذكره عند فاتحة تفسيره لسورة الإسراء حيث قال: ويظهر أنها نزلت في زمن كثرت فيه جماعة المسلمين بمكة وأخذ التشريع المتعلق بمعاملات جماعتهم يتطرق إلى نفوسهم، فقد ذكرت فيها أحكام متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكية غيرها عدا سورة الانعام. وذلك من قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) إلى قوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) الآيات ٢٣-٣٨(٩).

---

(١) ابن عاشور ١٧/١٨٠-١٨٣ وانظر حديث القرطبي الأخير في تفسيره ١٢/١ ولم يظهر لي تحديد من هو الغزنوي.

(٢) ضبطه بصم الفساد المعجمة المشددة كما صنعته محققة كتاب فضائل القرآن له ص٩.

(٣) فضائل القرآن ص٣٤.

(٤) ٤٦/٢ توفي الشيخ رحمه الله في التاسع عشر من رمضان سنة ١٤١٠هـ الخامس عشر من ابريل سنه ١٩٩٠ مترجم عن مجله الأزهر الجزء العاشر سنه ١٩٩٠.

(٥) ٩١/٦

(٦) ٣/٣

(٧) ٣٤/٣

(٨) ٢٤٠٤/٤

(٩) ٦/١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه أيضا ما ذكره في فاتحة تفسيره لسورة العنكبوت حيث قال: وقيل هذه السورة آخر ما نزل بمكة، وهو يناكد بظاهره جعلهم هذه السورة نازلة قبل سورة المطففين. وسورة المطففين آخر السور المكية، ويمكن الجمع بأن ابتداء نزول سورة العنكبوت قبل ابتداء نزول سورة المطففين، ثم نزلت سورة المطففين كلها في المدة التي كانت تنزل فيها سورة العنكبوت ثم تم بعد ذلك جميع هذه السورة. وسيأتي ما يقتضي أن العنكبوت نزلت في أواخر سنة إحدى قبل الهجرة(١) فتكون من أخريات السور المكية بحيث لم ينزل بعدها بمكة إلا سورة المطففين(٢).

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند فاتحة تفسيره لسورة الأحزاب حيث قال: ... وكان نزولها على قول ابن اسحق أواخر سنة خمس من الهجرة وهو الذي جرى عليه ابن رشد في البيان والتحصيل وروى ابن وهب. وابن القاسم(٣) عن مالك أنها كانت سنة أربع وهي سنة غزوة الأحزاب وتسمى غزوة الخندق حين أحاط جماعة من قريش وأحابيشهم(٤) وكنانة وغطفان وكانوا عشرة آلاف وكان المسلمون ثلاثة الاف وعقبتها غزوة قريظة والنضير(٥).

ومنه أخيرا ما ذكره عند تفسيره لسورة الشورى حيث قال في فاتحتها ... وإذا صح أن آية (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) الآية٢٨ نزلت في احتباس المطر عن أهل مكة كما قال مقاتل(٦) تكون السورة نزلت في حدود سنة ثمان بعد البعثة، ولعل نزولها استمر إلى سنة تسع بعد أن آمن نقباء الأنصار ليلة العقبة، فقد قيل إن قوله (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) الآية ٣٨ أريد بها الأنصار(٧) قبل هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة(٨).

وهكذا يمضي ابن عاشور مع كل سورة قرآنية كريمة.

---

(١) هكذا هو التعبير ولعل الأحسن اواخر السنة قبل الهجرة او قبل الهجرة بقليل.

(٢) ٢٠/٢٠٠. بتصرف

(٣) ابن وهب هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري من أصحاب مالك ت ١٩٧هـ الأعلام ٤/١٤٤ وابن القاسم هو عبد الرحمن بن القاسم راوي المدونة عن مالك ت١٩١ الأعلام ٣/٣٢٣.

(٤) قال ابن عاشور هم بنو المصطلق وبنو الهون اجتمعوا عند جبل بمكة يقال له حبشي بضم الحاء وسكون الباء فحالفوا قريشا أنهم يد على غيرهم اهـ ٢١/٢٤٥ وهذا أحد التفسيرات لهذه الكلمة وفي اللسان أنهم أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش في الاسلام "حبش" وانظر النهايه كذلك ماده "حبش" ١/٣٣٠. وبنو القارة هم أبناء الهون بن خزيمه بن مدركة كما في معجم البلدان ٤/٢٩٥ وانظر الاكتفاء للكلاعي ٢/١٢٤.

(٥) ٢١/٢٤٥

(٦) أنظر ٢٥/٩٦.

(٧) أنظر ٢٥/١١١-١١٢.

(٨) ٢٥/٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يتحدث ابن عاشور عن ترتيب السور حسب النزول، وقد عرض الشيخ إلى موضوع ترتيب السور في المصحف أهو توقيف أم توفيق؟ وحري بنا أن نقف مع الشيخ في ذلك قبل أن نعرض إلى حديثه عن الترتيب حسب النزول. إذا فالحديث هنا ذو شقين.

الاول: ترتيب السور في المصحف كيف كان؟

ويجيب الشيخ بقوله: وأما ترتيب السور بعضها إثر بعض. فقال أبو بكر الباقلاني يحتمل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الذي أمر بترتيبها كذلك، ويحتمل أن يكون ذلك من اجتهاد الصحابة ... ونقل ابن عطية عن الباقلاني الجزم بأن ترتيب السور بعضها إثر بعض هو من وضع زيد بن ثابت بمشاركة عثمان، قال ابن عطية: وظاهر الأثر أن السبع الطوال، والحواميم، والمفصل، كانت مرتبة في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان من السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب وقت كتابة المصحف. أقول(١) لا شك أن طوائف من سور القرآن(٢) كانت مرتبة في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - على ترتيبها في المصحف الذي بأيدينا اليوم ... وأن طائفة السور الطولى الأوائل في المصحف كانت مرتبة في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - أول القرآن، والاحتمال فيما عدا ذلك(٣).

قلت، ومما يؤيد هذا الاحتمال عند ابن عاشور أنه لا يرى أن البحث عن المناسبة بين السور القرآنية، هو من غرض المفسر وليس هو حقا عليه(٤) ومما يؤيد رأيه وأنه هو المختار عنده ما ذكره في تفسيره لسورة (الكهف ١٥/٢٤٤) (والقصص ٢٠/٦١) حيث ذكر عبارات تفضي إلى أن الترتيب كان اجتهادا.

والذي ذهب إليه الشيخ من أمر المناسبة بين السور وجعله أمرا ثانويا وليس من غرض المفسر هو غير مقبول منه ولا يليق صدوره من مفسر مثله.

وبهذا يتبين لك أن الشيخ قد سار مع القائلين بأن بعض سور القرآن كان مرتبا على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، وبعضها الآخر كان اجتهادا ومن فعل الصحابة رضوان الله عليهم، ولهذا لم يتعرض ابن عاشور لذكر المناسبة بين السورة إلا مرتين وذلك في فاتحة تفسيره لسورة المائدة(٥) وكذلك في أثناء تفسيره لسورة القدر(٦).

---

(١) ابن عاشور.

(٢) في الأصل من سورا القرآن والصواب ما أثبته.

(٣) ١/٨٦-٨٧.

(٤) ١/٥٨.

(٥) ٦/٧٢.

(٦) ٣٠/٤٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعلم أن للعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن ترتيب السور اجتهادي، ومشى على هذا القول الإمام مالك وابن فارس والقاضي الباقلاني في أحد قوليه والبرهان البقاعي. والقاضي عياض(١).

القول الثاني: إن بعض السور كان توقيفيا وبعضها كان بالاجتهاد ومشى على هذا القول البيهقي في المدخل والحافظ ابن حجر في الفتح في أحد قوليه والسيوطي(٢) وابن عطية وأبو جعفر بن الزبير(٣).

القول الثالث: إن ترتيب السور توقيفي، وقد مشى على هذا القول جمهور العلماء منهم الباقلاني وابن حجر في قول آخر عنهما وأبو جعفر النحاس وأبو بكر بن الأنباري والكرماني وغيرهم(٤).

قلت: وهذا القول الثالث هو الذي ينبغي اعتباره وعدم الاحتفال بما سواه، قال الكرماني: أول القرآن سورة الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، على هذا الترتيب إلى سورة الناس، وهكذا هو في اللوح المحفوظ، وهو على هذا الترتيب كان يعرضه عليه الصلاة والسلام على جبريل عليه السلام كل سنة(٥).

وقال الآلوسي في مقدمة تفسيره: .. والذي ينشرح له صدر هذا الفقير هو ما انشرحت له صدور الجمع الغفير من أن ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح من القرآن، وحاشا أن يهمل - صلى الله عليه وسلم - أمر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته، فلا بد إما من التصريح بمواضع الآي والسور وإما من الرمز إليهم بذلك وإجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب وتعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الأساليب، وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل، ولا يصدهم عن اتباع الحق لومة لائم، ولا قول قائل، أقوى دليل على أنهم

---

(١) انظر الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره ص ٢٥٧ وما بعدها وانظر البرهان ٢٥٧/١ وما بعدها وانظر شرح النووي على مسلم ٦٢/٦ وانظر البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير ص٧٣ وما بعدها.

(٢) وقال السيوطي في كتابه التحبير إن المختار أن ذلك بتوقيف من النبي - صلى الله عليه وسلم - انظر ص٣٧١.

(٣، ٤) انظر فصل الخطاب في سلامة القرآن للدكتور أحمد السيد الكومي وزميله، ص٢٤-٣٧ والإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره ص٢٥٧- ٢٨٠ وانظر المصادر في هامش (٣) السابق.

(٥) انظر البرهان في توجيه متشابه القرآن ص٢٢ وقد غير المحقق اسمه إلى أسرار التكرار في القرآن في حين أن اسمه هو التكرار في حكمه من حضره التكرار يوفق نحو ٥٠٥ من صفحات الكتاب ولم يسمه جميع فيه ... وعزيه انظر الأعلام ١٦٨/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجدوا ما أفادهم علما، ولم يدع عندهم خبالا ولا وهما ... وبالجملة بعد إجماع الأمة على هذا المصحف لا ينبغي أن يصاخ إلى آحاد الأخبار ولا يشرأبّ إلى تطلع غرائب الآثار(١).

ثانيا: ترتيب السور حسب النزول:

وقد أفاض الشيخ في ذلك وتحدث عن كل سورة من القرآن الكريم في مقدمة تفسيره لها، وقد اعتمد ابن عاشور في حديثه عن ذلك على رواية جابر بن زيد عن ابن عباس، وهي معتمد الجعبري في منظومته (تقريب المأمول في ترتيب النزول)(٢).

واعلم أن السيوطي بعد أن ذكر رواية جابر بن زيد هذه في كتابه الاتقان قال: هذا سياق ترتيب. وفي هذا الترتيب نظر(٣).

ويعنيني أن يعلم أن هذه الرواية قد اسقطت منها سورة ابراهيم من المكي وسورة النساء، والبينة، والحديد، والقتال، والرعد، والرحمن، والانسان، والطلاق، والبينة، والحشر، من المدني(٤).

وعلى الرغم من تصريح الشيخ ابن عاشور بالاعتماد على هذه الرواية الا أنه قد خالفها في بعض المواضع، فجاء ترتيبه لبعض السور مخالفا لما في تلك الرواية(٥).

ومن أمثلة ما ذكره ابن عاشور في هذا الجانب قوله في فاتحة تفسيره لسورة الأنبياء: وهي السورة الحادية والسبعون في ترتيب النزول، نزلت بعد حم السجدة وقبل سورة النحل(٦) فتكون من أواخر السور النازلة قبل الهجرة. ولعلها نزلت بعد إسلام من أسلم من أهل المدنية كما يقتضيه قوله تعالى (وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) الآية ٣ منها كما سيأتي بيانه(٧)، غير أن ما رواه ابن اسحق عن ابن عباس أن قوله تعالى في سورة الزخرف (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه

---

(١) ٢٧/١ ومعنى يصاخ : يسمع.

(٢) التحرير ٩٠/١ وجابر بن زيد تابعي ثقة من رجال الستة. انظر التهذيب ٣٤/٢ وقد اختلف في وفاته فقيل سنة (٩٣) وقيل (١٠٣) وقيل (١٠٤).

(٣) الاتقان ٢٦/١.

(٤) أنظر الاتقان ٢٦/١ وقد بقي السقط كذلك في الطبعة المحققة ٧٣/١ طبع المكتبة العصرية بيروت.

(٥) أنظر مثلا الفاتحة ١٣٥/١ والحج ١٨٣/١٧، والمزمل ٢٥٤/٢٩ فالفاتحة عنده الثالثة بينما في المنظومة هي الخامسة. والحج عنده نص على ضرورة التوقف في اعتماد روايه جابر لأنها تقتضي أن السورة مدنية وهو لا يرى ذلك. وأما المزمل فالجمهور كما يقول على انها نزلت بعد المدثر خلاف رواية جابر المذكورة في

(٦) تقدمت رقمها في سلك الرواية (٦١) والنحل (٧٢).

(٧) أنظر ١٣/١٧ من التفسير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصدون) الآية ٥٧. أن المراد المثل الذي ضربه ابن الزبعرى(١) لما نزل قوله (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) الآية ٩٨ الانبياء، يقتضي أن سورة الأنبياء نزلت قبل الزخرف، وقد عدت الزخرف ثانية وستين في النزول(٢).

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند فاتحة تفسيره لسورة النمل حيث قال: وهي السورة الثامنة والأربعون في عداد نزول السور، نزلت بعد الشعراء وقبل القصص، كذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير(٣).

ومنه أيضا ما ذكره عند فاتحة تفسيره لسورة سبأ حيث قال: وهي السورة الثامنة والخمسون في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة لقمان وقبل سورة الزمر كما في المروي عن جابر بن زيد واعتمد عليه الجعبري كما في الاتقان(٤) وقد تقدم في سورة الاسراء أن قوله تعالى فيها (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) إلى قوله (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) الآيات ٩٠-٩٢(٥) إنهم عنوا قوله تعالى في هذه السورة (إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) الآية ٩ فاقتضى أن سورة سبأ نزلت قبل سورة الاسراء، وهو خلاف ترتيب جابر بن زيدالذي يعد الاسراء متممة الخمسين، وليس يتعين أن يكون قولهم (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) معنيا به هذه الآية لجواز أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - هددهم بذلك في موعظة أخرى(٦).

وأخيرا ما ذكره عند فاتحة تفسيره لسورة الحديد حيث قال: وقد عدت السورة الخامسة والتسعين في ترتيب نزول السور.

جريا على قول الجمهور إنها مدنية فقالوا نزلت بعد سورة الزلزال وقبل سورة الرعد(٧)

---

(١) أحد المشركين حين قال مثل هذا القول وانظر البغوي ١٤٢/٤ وله ترجمة في الاصابة على أنه أسلم بعد الفتح ٣٠٠/٢ دار الكتاب العربي.

(٢) ٦/١٧

(٣) ٢١٥/١٩ والشعراء رقمها (٤٧) والقصص (٤٩)

(٤) لقمان رقمها (٥٧) والزمر (٥٨)

(٥) أنظر ٢٠٩/١٥ من التفسير.

(٦) ١٣٣/٢٢-١٣٤.

(٧) هذه السور ساقطة من رواية جابر بن زيد في الاتقان، والذي في منظومة الجعبري أن الحديد بعد الزلزلة رقمها (٩٣) والقتال (٩٥) الاتقان ٢٦/١، قلت: وليس بين يدي من الروايات ما يقضي أن الحديد الخامسة والتسعين بل إن رواية ابن الضريس كما في فضائل القرآن رقمها(٩٣) أنظر ص ٣٤ [illegible] ما اعتمده الزركشي في البرهان ١٩٤/١ وكذلك ما ذكره صاحب كتاب المباني من رواية عثمان بن عطاء [illegible] عن ابن عباس أنظر مقدمتان ص١٢. وأما رواية ابي صالح عن ابن عباس وسعيد بن المسيب عن ←

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا روعي قول ابن مسعود أنها نزلت بعد البعثة بأربع سنين(١) وما روي من أن إسلام عمر بن الخطاب أنه قرأ صحيفة لأخته فاطمة فيها صدر سورة الحديد(٢) لم يستقم هذا العد لأن العبرة بمكان نزول صدر السورة لا نزول آخرها فيشكل موضعها في عد نزول السورة وعلى قول ابن مسعود يكون ابتداء نزولها أواخر سنة أربع من البعثة، فتكون من أوائل السور نزولا فتكون قبل سورة الحجر وطه وبعد غافر، فالوجه أن معظم آياتها نزل بعد سورة الزلزال(٣).

---

(١) عن ابن أبي طالب فعدها الثانية والتسعين، أنظر مقدمة كتاب المباني في مقدمتان ص٨-١٠، ١٤. وكذلك ما ذكره السيوطي عن البيهقي في الدلائل من رواية مجاهد عن ابن عباس كما في الاتقان ١٠/١ وكل هذه الروايات سلم ما عدا الفاتحة، فأما باضافتها فيصبح رقم هذه السورة ما بين الثالث والتسعين والرابع والتسعين.

(١) قال ابن عاشور روى مسلم في صحيحه والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود انه قال ما كان بين اسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا) إلى قوله (وكثير منهم فاسقون) إلا أربع سنين. عبد الله من أول الناس اسلاما فتكون هذه الآية مكية، التحرير ٣٥٣/٢٧ والحديث في مسلم مع النووي ١٦١/١٨-١٦٢ وقال في تحفة الأشراف رواه النسائي في التفسير في الكبرى أنظر ٧٠/٧ ولم أجده في ابن ماجة.

(٢) هذه الرواية ذكرها السهيلي في الروض الأنف دون اسناد ١٠٠/٢ وذكرها السيد أحمد زيني دحلان في السيرة ٢٥٧/١ بهامش السيرة الحلبية وانظر السيرة الحلبية ٣٢٩/١ والذي فيها أن الصحيفة التي كانت عند اخت عمر مسلم متعددة، فسم منها فيه الحديد والآخر فيه طه ٣٣٤/١ وانظر الآلوسي ١٦٤/٢٧ قال شيخنا ان هذا لا يخرج السورة من المدني فالمسبحات كلها مدنية ولا اعتبار لمثل هذه الرواية لا سيما وانها تناقض المشهور.

(١) ٢٥٤/٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا: ثم يعرض ابن عاشور لعدد آيات السورة والخلاف فيه:

ولم يعرض الشيخ لمبادئ العد ولا فوائده ولا ضوابطه، اعتمادا منه "فيما أحسب" على أن اهل العلم قد أفرده بعضهم بالتصنيف، فلم ير حاجة لإيراد التفاصيل المتعلقة به، واعلم أن علم عدد الآيات له فوائد جمة، وليس هو لعرض البضاعة كما يتوهمه المتوهمون(١) فمن أهم فوائده ما يلي:..(٢)

١- معرفة الوقف.

٢- إن الإجماع قد انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية* وقال بعض العلماء جزئ بآية، وقال غيرهم بثلاث آيات، وقال غيرهم بسبع آيات.

٣- ان الإعجاز لا يقع بدون آية، وقال بعضهم بثلاث آيات.

وسبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي - صلى الله عليه وسلم -، كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف. فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة(٣)، ثم إن بعض القراء يعد البسملة آية من كل سورة وبعضهم لا يعدها(٤).

ومما ينبغي التنبه له أن الاختلاف في عدد ايات السورة كثرة وقلة لا يعني زيادة القرآن ونقصانه، وإنما هو معرفة للفواصل القرآنية فحسب، مع ما يترتب على ذلك من الفوائد(٥).

ومن أمثلة ما ذكره الشيخ في هذا المجال قوله في طالعة تفسيره لسورة هود: وقد عدت آياتها مائة وإحدى وعشرين في العدد المدني الأخير، وكانت آياتها معدودة في المدني الأول مائة واثنتين وعشرين. وهي كذلك في عدد أهل الشام. وفي عدد أهل البصرة، وأهل الكوفة مائة وثلاث وعشرون(٦).

ومنه أيضا ما ذكره في طالعة تفسيره لسورة يوسف حيث قال: وعدد آيها مائة وإحدى عشرة آية باتفاق أصحاب العدد في الأمصار(٧).

ومنه أيضا ما ذكره في طالعة تفسيره لسورة الشعراء حيث قال: وقد جعل أهل المدينة وأهل مكة وأهل البصرة عدد آيها مائتين وستا وعشرين، وجعله أهل الشام وأهل الكوفة مائتين وسبعا وعشرين(٨).

وهكذا يمضي ابن عاشور مع كل سورة قرآنية كريمة.

---

(١) ذكره في الاتقان ورده ٧١/١.

* هذا الكلام فيه نظر، فلم ينعقد الإجماع على ذلك.

(٢) فصل الخطاب في سلامة القرآن ص١٣ وانظر نفائس البيان ٥-٦ حيث ذكر من الفوائد غير هذه.

(٣) الاتقان ٦٨/١-٦٩.

(٤) فصل الخطاب ١٣.

(٥) مدخل لدراسة القرآن والسنة ٣١٦.

(٦) ٣١٢/١١ وانظر ما يتعلق بمعرفة علماء العدد المذكورين هنا في الاتقان ٦٩/١ ونفائس البيان ٦-٧.

(٧) ١٩٨/١٢ (٨) ٩٠/١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا: ثم يعرض ابن عاشور لأغراض السورة الكريمة.

قال في مقدمة تفسيره: ولم أغادر سورة الا بينت ما أحيط بها من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انتظامه، وتحجب عنه روائع بيانه(١).

ومن خلال قراءتي لهذا التفسير تبين لي أن الرجل يقصد بالأغراض محتويات السورة أو يسميها احيانا مشتملاتها أو محتوياتها هذا في غالب السور بل أكثرها الا سورا قليلة لم يتحدث فيها عن المحتويات كباقي السور الأخرى(٢) وقبل أن اجلب أمثلة لصنيع ابن عاشور في ذلك لا بد من التنبيه على أن الشيخ رشيد رضا قد سبق ابن عاشور في مثل هذا الصنيع، فكان يذكر في كل سورة في خاتمة تفسيره لها كان يذكر ما يسميه بخلاصة السورة(٣) ونحو آيل إلى ذكر أهم ما اشتملت عليه السورة الكريمة، غير أن ما ذكره الشيخ رشيد أدق مما كتبه ابن عاشور، إذ لم يعد ابن عاشور أن يسير مع الآيات ليبين محتوى السورة الكريمة في غالب ما صنع.

وممن عني بذلك الشيخ عبد الحميد الفراهي صاحب تفسير نظام القرآن(٤) حيث ذكر مقاصد لمطالب بعض السور القرآنية في كتابه دلائل النظام(٥)، وقال جامع مؤلفاته إنه قد استوعب الحديث عن مطالب السورالقرآنية في تفسيره المذكور(٦)، وكلام الفراهي حسن جدا ويدل على استيعاب مؤلفة لمقاصد وأغراض السور القرآنية، وإني لأرجو لتفسيره هذا أن يرى النور. وممن تحدث حول ذلك أيضا الشيخ محمود شلتوت رحمه الله في تفسيره(٧)، وكان حديثه في ذلك من أعمق ما قرأت وأدته.

وإلى أمثلة من صنيع ابن عاشور:

قال في فاتحة تفسيره لسورة البقرة معنونا: "محتويات هذه السورة" هذه السورة مترامية أطرافها، وأساليبها ذات أفنان، قد جمعت من وشائج وأغراض السور ما كان مصداقا لتلقيبها فسطاط القرآن، فلا نستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان، وعلى الناظر أن يترقب تفاصيل منها فيما يأتي لنا من تفسيرها ولكن هذا لا يحجم بنا عن التعرض إلى لائحات منها.

---

(١) ٨/١

(٢) قد ذكر السيد عبد الله الريس في رسالته ابن عاشور ومنهجه في التفسير أن الشيخ لم يكن دقيقا في ذلك أنظر ص ٢٩٨ .

(٣) أنظر مثلا ٢٣٠/٧ وما بعدها في سورة المائدة.

(٤) لم يطبع فيما أعلم وليس هناك ما يؤكد أن مؤلفه قد أتمه.

(٥) ص ٩٩

(٦) ص ١٠٥ هامش ١ .

(٧) لم يفسر إلا الأجزاء العشرة الاولى فقط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حيكت بديع المناسبات والاعتبارات البلاغية من لحمة محكمة في نظم الكلام، وما فيه من فصاحة الكلمات، ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين:

قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه، وعالج عقديه وأصول تطهيره النفوس.

وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم(١).

ثم أخذ يسير مع الآيات مبينا ما تحتويه.

وأنا أرى أن ما ذهب اليه الشيخ شلتوت أعمق نظرا ودق صنعا حيث قال وهذه السورة تهدف في جملتها إلى غرضين هما:

أولا: توجيه الدعوات إلى بني اسرائيل ومناقشتهم فيما كانوا يثيرونه حول الرسالة المحمدية من تشكيكات وشبه. وفي سبيل ذلك أخذت تذكرهم بنعم الله على أسلافهم، وبما اصاب هؤلاء الأسلاف حينما التوت عقولهم عن تلقي دعوة الحق من أنبيائهم السابقين، وارتكبوا ما ارتكبوا من صنوف العناد والتكذيب والمخالفة....

ثانيا: الغرض الثاني التشريع الذي اقتضاه تكوّن المسلمين جماعة متميزة عن غيرها في عباداتها ومعاملاتها وعاداتها(٢).

وهذان الكلامان كأنهما متقاربان إلا أن اقتصار الشيخ شلتوت على ما ذكر وجنوح ابن عاشور إلى السير مع محتويات السورة يجعل كلام الشيخ شلتوت كما ذكرت أعلاه.

وهناك مثالا كاملا ونموذجا واحدا أكتفي به عما عداه في هذا الجانب ليدلنا بوضوح تام أن مقصد ابن عاشور في تبيان الأغراض هو ذكر محتويات السورة بشكل اجمالي مقتضب.

قال في تفسير سورة الأنعام "أغراض هذه السورة"

ابتدأت باشعار الناس بأن حق الحمد ليس الا لله لأنه مبدع العوالم جواهر واعراضا، مع أنه المتفرد بالالهية، وأبطال تأثير الشركاء من الاصنام والجن باثبات أنه المتفرد بخلق العالم جواهره وأعراضه، وخلق الإنسان ونظام حياته وموته بحكمته تعالى وعلمه، ولا تملك آلهتهم ضرا ولا نفعا

وتنزيه الله عن الولد والصاحبة، قال أبو اسحق الاسفرايني(٣) في سورة الانعام كل قواعد التوحيد.

وموعظة المعرضين عن آيات القرآن والمكذبين بالدين الحق، وتهديدهم بأن يحل بهم ما حل بالقرون المكذبين من قبلهم والكافرين بنعم الله تعالى، وأنهم ما يضرون بالانكار إلا أنفسهم ووعيدهم بما سيلقون عند نزع أرواحهم، ثم عند البعث وتسفيه المشركين فيما افتروه على النبي - صلى الله عليه وسلم -، من طلب إظهار الخوارق تهكما.

---

(١) ٢٠٣/١

(٢) تفسير القرآن الكريم ص٥١-٥٢

(٣) هو ابراهيم بن محمد بن مهران توفي سنة ٤١٨هـ من كبار علماء الأصول والفقه، وفيات الأعيان ٢٨/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وابطال اعتقادهم أن الله لقنهم على عقيدة الاشراك(١) قصدا منهم لإفحام الرسول - صلى الله عليه وسلم -

وبيان حقيقة مشيئة الله، وإثبات صدق القرآن بأن أهل الكتاب يعرفون أنه الحق.

والإنحاء على المشركين تكذيبهم بالبعث، وتحقيق أنه واقع، وأنهم يشهدون بعده العذاب، وتبرأ منهم آلهتهم التي عبدوها. وسيندمون على ذلك، كما أنها لا تغني عنهم شيئا في الحياة الدنيا، فإنهم لا يدعون إلا الله عند النوائب. وتثبيت النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأنه لا يؤاخذ بإعراض قومه، وأمره بالاعراض عنهم، وبيان حكمة إرسال الرسل، وأنها الإنذار والتبشير وليست وظيفة الرسل إخبار الناس بما يتطلبون علمه من المغيبات، وأن تفاضل الناس بالتقوى والانتساب إلى دين الله، وابطال ما شرعه أهل الشرك من شرائع الضلال، وبيان أن التقوى الحق ليست مجرد حرمان النفس من الطيبات، بل هي حرمان النفس من الشهوات التي تحول بين النفس وبين الكمال والتزكية.

وضرب المثل للنبي - صلى الله عليه وسلم - مع قومه بمثل ابراهيم - صلى الله عليه وسلم -، مع أبيه وقومه، وكان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على ذلك المثل من تقدم منهم ومن تأخر، والمنة على الأمة بما أنزل الله من القرآن هدى لهم كما أنزل الكتاب على موسى، وبأن جعلها الله خاتمة الأمة الصالحة.

وبيان فضيلة القرآن ودين الاسلام، وما منح الله لأهله من مضاعفة الحسنات، وتخللت ذلك قوارع للمشركين وتنويه بالمؤمنين، وامتنان بنعم اشتملت عليها مخلوقات الله، وذكر مفاتح الغيب الخ.(٢).

وأنت ترى بوضوح أن هذا الذي ذكره ابن عاشور ليس إلا محتويات هذه السورة الكريمة لا أغراضها.

وقد عرض الشيخ شلتوت رحمه الله لهذه السورة الكريمة عرضا رائعا بين فيه أن أغراض هذه السورة ومحاورها التي دارت عليها هي ثلاثة شغلت بقضايا ثلاثة وهي:-

أولا: قضية الألوهية وعبادة الله.
ثانيا: قضية الوحي والرسالة.
ثالثا: قضية البعث والجزاء(٣).

وهذا الكلام أحسن مما عند الشيخ ابن عاشور وأدق وأمتن ومثل ما ذكرت في تفسير

---

(١) هكذا في ولعلها لقنهم عبدة.
(٢) ٧/١٢٢-١٢٤.
(٣) تفسير القرآن ص٣٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا ثم يلخص الشيخ ابن عاشور في ذكره لمحتويات السورة وما تشتمل عليه. غير أنه أحيانا كان يتحدث عن المحتويات بشكل أوجز وأجمع وهذا نادر في هذا التفسير وكمثال عليه قال الشيخ عند تفسيره لسورة الشعراء مبينا الأغراض التي اشتملت عليها:

التنويه بالقرآن، والتعريف بعجزهم عن معارضته، وتسلية النبي - صلى الله عليه وسلم -، على ما يلاقيه من إعراض قومه عن التوحيد الذي دعاهم اليه القرآن، وفي ضمنه تهديدهم على تعرضهم لغضب الله تعالى، وضرب المثل لهم بما حل بالامم المكذبة رسلها والمعرضة عن آيات الله(١).

خامسا:(٢) **ثم يذكر ابن عاشور سبب النزول للسورة الكريمة إن كان لها سبب.**

وليس بظن أن كثيرا من سور القرآن مجموعة نزلت بسبب حتى يتطلب لكل سورة سبب نزول. غير أن قليلا من سور القرآن الكريم كان لابتداء نزوله سبب، وقد عرض الشيخ لمثل هذا القليل. ولعل نموذجا أو نموذجين كافيان لتبيان منهجه في ذلك وسأكتفي بذكر ما ذكره في تفسير سورتي الطلاق والتحريم.

قال الشيخ في تفسير سورة الطلاق: وسبب نزولها ما رواه مسلم عن طريق ابن جريج عن أبي الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن يسأل ابن عمر كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضا فقال: طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فسأل عمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال له: ليراجعها، فردها وقال: إذا طهرت فليطلق أو ليمسك. قال ابن عمر وقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم -، (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن)(٣).

فظاهر قوله: وقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - .. الخ أنها أنزلت عليه ساعتئذ ويحتمل أن تكون نزلت قبل هذه الحادثة(٤).

وقال ابن عاشور أيضا: وقال الواحدي عن السدي: إنها نزلت في قضية طلاق ابن عمر(٥)، وعن قتادة أنها نزلت بسبب أن النبي - صلى الله عليه وسلم -، طلق حفصة ولم يصح(٦) وجزم أبو بكر بن العربي بأن شيئا من ذلك

---

(١) ٩١/١٩ وانظر ٣١٤/١٨.

(٢) عمدا أخرت هذا والذي بعده عن الأغراض لأنه لم يكن عاما في كل سور القرآن.

(٣) هكذا ذكره ابن عاشور في ٢٩٣/٢٨ والذي في صحيح مسلم فطلقوهن في قبل عدتهن ٦٩/١٠ مع اختلاف.

(٤) هذا الحديث بهذه الألفاظ رواه مسلم في كتاب الطلاق ٦٩/١٠ ورواه أبو داود في السنن في كتاب طلاق ٢٢٢/٢ طبع الهند مع العون ورواه الامام احمد في المسند ٨٠/٢-٨١ والنسائي ١٣٩/٦ والبغوي في التفسير ٣٦٥/٤.

(٥) أسباب النزول ٤٦٣.

(٦) حديث قتادة ذكره الواحدي ص ٣٦٤ والطبري في ٨٥/٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

م يصح وأن الأصح أن الآية نزلت بيانا لشرع مبتدأ(١).

قلت ولعل رأي ابن العربي هو الأرجح لتعاور الاحتمالين لحديث مسلم.

وقال في طالعة تفسيره لسورة التحريم ما نصه:

وسبب نزولها حادثتان حدثتا بين أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -:

إحداهما: ما ثبت في الصحيح عن عائشة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان شرب عسلا عند إحدى نسائه، اختلف في أنها زينب بنت جحش، أو حفصة، أو أم سلمة أو سودة بنت زمعة، والأصح أنها زينب فعلمت بذلك عائشة فتواطأت هي وحفصة على أنه أيهما دخل عليهما تقول له (إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير؟) (والمغافير صمغ شجر العرفط وله رائحة منكرة) وكان النبي - صلى الله عليه وسلم -، يكره أن توجد منه رائحة، وإنما تواطأتا على ذلك غيرة منهما أن يحتبس عند زينب زمانا يشرب فيه عسلا، فدخل على حفصة فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلا عند فلانة، ولن أعود له، أراد بذلك استرضاء حفصة في هذا الشأن وأوصاها أن لا تخبر عائشة بذلك (لأنه يكره غضبها) فأخبرت حفصة عائشة فنزلت الآيات.

هذا أصح ما روي في سبب نزول هذه الآيات. والتحريم هو قوله (ولن أعود له) لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يقول إلا صدقا. وكانت سودة تقول لقد حرمناه(٢).

والثانية ما رواه ابن القاسم في المدونة عن مالك عن زيد بن أسلم قال: حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم ابراهيم جاريته فقال: (والله لا أطؤك) ثم قال هي علي حرام فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) وتفصيل هذا الخبر ما رواه الدارقطني عن ابن عباس عن عمر قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأم ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها فقالت حفصة: تدخلها بيتي! ما صنعت بي هذا من بين نسائك إلا من هواني عليك. فقال لها: لا تذكري هذا لعائشة فهي علي حرام إن قربتها. قيل: فقالت له حفصة كيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف لها ان لا يقربها. فذكرته حفصة لعائشة فآلى أن لا يدخل على نسائه شهرا فأنزل الله (ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) وهو حديث ضعيف(٣).

وبعد فهذان نموذجان من نماذج هذه الطريقة عند ابن عاشور اكتفي بهما ولعلهما قد أديا غرضنا في توضيح ما نريد والله الموفق.

---

(١) التحرير ٢٩٢/٢٨، وانظر أحكام القرآن ١٨٢٣/٤.

(٢) ٣٤٤/٢٨ وهذا الحديث رواه البخاري في غير ما موضع من كتابه منها في التفسير ٦٥٦/٨ رقم ٤٩٣٠ ومسلم في الخيل ٣٤٢/١٢ رقم ٦٩٧٢ ورجح ابن حجر في مجموع الروايات لهذا الحديث أن الشارب عندها هي زينب ٣٧٦/٩ من الفتح وروى هذا الحديث أيضا الإمام مسلم في الصحيح ٧٣/١٠.

(٣) ٣٤٤/٢٨-٣٤٥، وهذا الحديث رواه الدارقطني في سننه ٤١/٤-٤٢ والطبري في التفسير بأسانيد عدة ١٠٠/١٨-١٠٢ والواحدي في أسباب النزول ٤١٦. فأما رواية الدارقطني فقال في التعليق المغني إن فيها راويا واهيا-؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادساً: ثم يذكر الشيخ أحاديث في فضائل السور القرآنية الكريمة.

ولم يكن ثمة أحاديث تتعلق بذلك لكثير من السور، وإنما وجدت بعض الأحاديث لعدة سور من القرآن الكريم، وقد تفاوتت هذه الأحاديث بين القوة والضعف، وعلى الناظر في الكتب التي عرضت لذلك التريث في استقبال مثل هذه الأحاديث.

ومن أمثلة ما ذكره ابن عاشور في فضائل سور القرآن الكريم، ما ذكره في طالعة تفسيره لسورة (يس) حيث قال: وورد في فضلها ما رواه الترمذي عن أنس قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس. ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات. قال الترمذي هذا حديث غريب وفيه هارون أبو محمد شيخ مجهول. قال أبو بكر بن العربي حديثها سقيم(١).

ومن ذلك أيضا ما ذكره في طالعة تفسيره لسورة الحديد حيث قال: وورد في فضلها مع غيرها من السور المفتتحة بالتسبيح ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن العرباض بن سارية أن النبي - صلى الله عليه وسلم -، كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد ويقول إن فيهن آية أفضل من ألف آية وقال الترمذي حديث حسن غريب(٢)

ومن ذلك أيضا ما ذكره في خاتمة تفسيره لسورة الحشر حيث قال: روى الترمذي بسند حسن عن معقل بن يسار عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب) إلى آخر السورة، وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه

---

(١) أي ذاهب الحديث ٤٢/٤ وقد ذكر أيضا أن هذا الحديث مما أخرجه الديلمي بن كليب في مسنده باسناد صحيح واختاره الحافظ المقدسي في كتابه المستخرج ٤١/٤ وانظر الفتح ٦٥٧/٨ وقال في التعليق إن رواية الطبري سندها صحيح عن زيد بن أسلم لكنه مرسل ٤٦/٤-٤٣. وقال الحافظ في الفتح إن النسائي أخرج القصة بسند صحيح عن أنس وقال إنه أصح طرق هذا السبب. وقال أيضا بعد أن ذكر أن طرق هذا الحديث يشد بعضها بعضا. قال: فحصل أن الآية نزلت في السببين معا ٦٥٧/٨. ونقل النووي في شرح مسلم عن القاضي عياض أن الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح انظر ٧٧/١٠ قلت وهو الصواب ان شاء الله.

(١) ٣٤١/٢٢ والحديث في الترمذي ١٩٦/٨ مع التحفة ورواه الدارمي في الفضائل ٣٢٨/٢ طبع اليماني ... ٣٤١/٢٢ وذكر في الزوائد ضعفا منه وقال فيه راو لم يسم ٣١١/٦ وانظر التهذيب ١٥/١١.

(٢) ٣٥٤/٢٧ والحديث في الترمذي ٢٣٨/٨ مع التحفة وأبي داود ٤٧٢/٤ مع العون وذكر في تحفة ... عند النسائي في الكبرى في فضائل القرآن ٢١ أنظر ٢٨٨/٧ ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن ... يفضي الى كلام صاحب تحفة الأحوذي ان الحديث ضعيف ٢٣٩/٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حين يمسي وإن مات ذلك اليوم حتى يصبح، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة(١).

وأخيرا ما ذكره في خاتمة تفسيره لسورة الإخلاص حيث قال: وقد وردت في فضل هذه السورة أخبار صحيحة وحسنة استوفاها المفسرون وثبت في الحديث الصحيح في الموطأ والصحيحين من طرق عدة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال : قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن(٢).

وبعد فإذا كنا لا نعذر بعض الأقدمين الذين رووا مثل هذه الأحاديث الضعيفة دون تحقيق فإنّا أكثر لوما للشيخ على صنيعه هذا، لا سيما وقد أصبح تحقيق مثل هذه الأمور سهلا ميسورا.

---

(١) ١٣٧/٢٠ والذي في نسخ أخرى للترمذي غريب دون حسن انظر ١٨٢/٥ حديث رقم ٢٩٢٢ طبعة أحمد شاكر وكذلك هو في تحفة الأشراف ٤٦٥/٨ وهذا الحديث رواه الترمذي ٢٣٩/٨ ورواه ابن الضريس في فضائل ١٠٤ والبغوي في التفسير ٣٢٧/٤.

(٢) ٦٢٠/٣٠ والحديث رواه البخاري في فضائل القرآن بلفظ قريب من هذا ٥٩/٩ ورواه مسلم في صحيحه بنحو اللفظ ٩٤/٦ وأخرجه مالك في الموطأ ٢٠٩/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القسم الثالث من المبحث الأول:

تفسير السورة

بعد ما تقدم من مقدمات عامة للتفسير، ومقدمات خاصة بكل سورة، يدخل ابن عاشور إلى التفسير على شاكلة سائر المفسرين الذين انتهجوا النهج التحليلي(١) وهذا النهج هو النهج التقليدي للمفسرين المتقدمين ويكاد الجميع من المتقدمين يدلون فيه بدلو واحد من حيث الأطر العامة. غير أن الإختلاف إنما يكون بأسلوب المفسر وطريقة عرضه، والزيادة أو النقصان عمن سبقه وذلك بحسب ثقافته.

ويمكن عرض طريقة ابن عاشور باجمال هنا ثم ندخل بعد ذلك إلى التفاصيل المتعلقة بهذا الإجمال إن شاء الله تعالى. وقد رأيت من خلال قراءتي لتفسيره أن ذاك يقوم على أسس عشرة هي:

أولا: يسير ابن عاشور مع السورة القرآنية مقسما إياها إلى مقاطع وتتفاوت هذه المقاطع كثيرا من سورة إلى أخرى، بل وفي السورة نفسها، والغالب أن تكون هذه المقاطع متحدة الفكرة الخاصة وذات إطار موضوعي واحد، غير أن هذا لا يكون دائما متيسرا بسبب أن الموضوع قد تكون آياته كثيرة، أو كثيرة لكنها طويلة(٢) فيكون التقطيع بحسبه.

ثانيا: يبتدىء باللفظة القرآنية، أو الجملة القرآنية فيعرض لمعانيها واشتقاقها وما يتعلق بها من أمور لغوية من حيث ورودها في أساليب الفصحاء والاستشهاد على ذلك بأشعار العرب وأمثالهم إلى غير ذلك مما سنطلع على تفاصيله في القسم الخاص بذلك من المباحث اللغوية في التفسير.

ثالثا: يذكر ابن عاشور نظائر الآية القرآنية أو الآيات وهو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن.

رابعا: يستشهد على ما يقول بالأحاديث الشريفة والآثار المروية عن السلف لتوضيح المعنى المقصود وهو في ذلك مختار مناقش مرجح.

---

(١) أنظر تفسير ابن عاشور هدفه ومصادره ص١٧ للدكتور عبد اللطيف محمود آل محمود.

(٢) راجع أيضا ابن عشور ومنهجه في التفسير للزبير ص٢٩٩ وتفسير ابن عاشور هدفه ومصادره ص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامسا: يعرض لبيان المناسبة بين المقطع المختار أو الآية لما قبلها.

سادسا: يقوم بدفع الإشكالات التي يمكن أن تبدو من ظاهر النظم في الآيات الكريمة إن وجدت، ويرد عليها وعلى أسلوبه (فإن كانت) أمثلتها.

سابعا: إذا تحدثت الآيات القرآنية ذات المقطع الواحد عن موضوع معين، أو كان ثمة موضوع كثر فيه الكلام من المتقدمين فإن ابن عاشور يتابعهم فيعرض لتفاصيل تتعلق بذلك.

ثامنا: عند مروره بآيات الأحكام وآيات العقيدة او الآيات التي اتخذت لها مواضع معينة في علوم القرآن وغيرها من المباحث، يعرض ابن عاشور لذكر خلاف العلماء في تلك الآيات ويفصل في تلك القضايا بما هو مناسب عنده.

تاسعا: عرض إلى إشارات علمية عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية الكريمة.

عاشرا: استخدم الحاشية لأغراض متعددة في تفسيره.

هذه هي طريقته التي سار عليها في تفسيره لسور القرآن الكريم، غير أنه لا يلتزم ترتيبا معينا لهذه الأسس العشرة المتقدمة، فكثيرا ما يكون هناك تقديم وتأخير فيها، وذلك بحسب المقطع المفسر.

وسأتحدث عن الأسس التالية فيما تحت هذا المبحث إن شاء الله تعالى وهي الأول، الخامس، السادس، السابع، التاسع، العاشر، وأما الأسس الباقية فسوف يأتي الحديث عنها في مواضعها من البحث بحول الله وقوته.

أولا: تقسيم السورة إلى مقاطعها:

خذ مثلا تقطيعه لسورة النبأ حيث كان على الشكل التالي:

(١-٣)، (٤)، (٥)، (٦)، (٧)، (٨)، (٩)، (١٠)، (١١)، (١٢)، (١٣)، (١٤-١٦)، (١٧-١٨)، (١٩)، (٢٠)، (٢١-٢٣)، (٢٤-٢٦)، (٢٧-٢٨)، (٢٩)، (٣٠)، (٣١-٣٦)، النصف الأول من الآية ٣٧)، (الباقي من الآية ٣٧)، (٣٨)، (٣٩)، (الثلث الأول من الآية ٤٠)، (الباقي من الآية ٤٠)(١).

---

(١) ١٠/٣٠-٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيفسر ابن عاشور على هذا النمط في سائر سور القرآن الكريم دون استثناء حتى السور القصيرة فمثلا سورة الكوثر كان تقطيعها كما يلي: (١-٢)، (٣)

[illegible] مثلا كان تقطيعها كما يلي: (١-٢ ومعظم الآية الأخيرة)، (وجعل قوله تعالى إنه كان توابا) في مقطع منفصل(٢).

ثانيا: اهتمامه بابراز وجه الاتصال أو المناسبة بين الآيات في سورها واعلم أن هذا الموضوع دقيق وعظيم الفائدة، قل من تعرض له من المفسرين لدقته، وقد أكثر الرازي منه في التفسير وكذلك البرهان البقاعي وغيرهما(٣).

وقد نقل السيوطي عن ابن العربي قوله في سراج المريدين: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد تفصل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطالة محتجنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه(٤).

قال السيوطي في تعريف المناسبة: هي في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها: عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب أو المسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه، والمناسبة جعل أجزاء الكلام بعضها أعجاز بعض، فيقوى بذلك الإرتباط ويصير البناء حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء(٥).

وارتباط الآي يرجع في كل آية أن يلتفت أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم(٦).

وقد اهتم ابن عاشور نوع اهتمام بابراز المناسبة بين الآي الكريمة، ووجه اتصال بعضها ببعض. وطريقته في ذكره للمناسبة تقوم على نحوين اثنين:

الأول: أن تكون المناسبة منقولة عمن سبق وغالبا ما يذكر رأيه بعد أن ينقل أقوالهم.

الثاني: أن يذكر المناسبة مبتدأ دون أن يشير إلى كلام السابقين فلا تدري أهو قول ابتدأه أم أنه نقله ولم يذكر المنقول عنه؟!

---

(١) ٣٠/٥٧٢-٥٧٥

(٢) ٣٠/٥٩٠-٥٩٦

(٣) الاتقان ٢/١٠٨

(٤) الاتقان ٢/١٠٨

(٥) المصدر السابق ٢/١٠٨

(٦) المصدر السابق نفس الموضع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأما أمثلة القسم الأول فمنها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله) آل عمران/ ١٣٠-١٣٢ حيث قال: لولا أن الكلام على يوم أحد لم يكمل، اذ هو سيعاد عند قوله تعالى:(قد خلت من قبلكم سنن) إلى قوله (بل هم أحياء عند ربهم يرزقون بنعمة من الله) آل عمران/١٣٧-١٧١ لقلنا إن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) اقتضاب تشريع. ولكنه متعين لأنْ نعتبره استطرادا في خلال الحديث عن يوم أحد، ثم لم يظهر وجه المناسبة في وقوعه في هذا الأثناء. قال ابن عطية: ولا أحفظ سببا في ذلك مرويا. وقال الفخر: من الناس من قال لما أرشد الله المؤمنين إلى الأصلح لهم في أمر الدين والجهاد أتبع ذلك بما يدخل في الأمر والنهي فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) فلا تعلق لها بما قبلها. وقال القفال(١) لما أنفق المشركون على جيوشهم أموالا جمعوها من الربا خيف أن يدعو ذلك المسلمين إلى الإقدام على الربا وجده مناسبة مستبعده(٢) وقال الحرالي لما ذكر الله وعيد الكافر عقبه ببيان أن الوعيد لا يخصهم بل يتناول العصاة، وذكر أن صور العصيان وهو أكل الربا. وهو في ضعف ما قبله(٣)، وعندي بادي ذي بدء(٤) أن لا حاجة إلى اطراد المناسبة(٥) فان مدة نزول السورة قابلة لأن تحدث في خلالها حوادث ينزل فيها قرآن. فيكون من جملة تلك السورة كما بيناه في المقدمة الثامنة(٦) فتكون هذه الآية نزلت عقب ما نزل قبلها فكتبت هنا ولا تكون بينهما مناسبة اذ هو ملحق بالكلام إلحاقا(٧).

---

(١) كثيرا ما ينقل ابن عاشور عن القفال دون التصريح بمكان النقل. وقد رأيت ذلك كثيرا في تفسير الرازي. والقفال هو أبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل القفال الشاشي توفي اواخر سنة ٣٦٥هـ على الخلاف في ذلك وهو من كبار الأئمة وأحد الأعلام المشاهير في الفنون المختلفة، أنظر الوفيات ٤/٢٠٠-٢٠١.

(٢) قلت والذي في الرازي من قول القفال ما نصه: يحتمل أن يكون ذلك متصلا بما تقدم من جهة أن المشركين لما أنفقوا على تلك العساكر أموالا جمعوها بسبب الربا. فلعل ذلك يصير داعيا للمسلمين إلى الإقدام على الربا حتى يجمعوا المال وينفقوه على العسكر فيتمكنون من الانتقام منهم فلا جرم نهاهم الله عن ذلك اهـ ٢/٩ ولا أدري ما هو سبب استبعاد هذا الرأي.

(٣) لا يخفى أن هذا الرأي ليس كرأي القفال حتى يجمعا معا، وعجيب صنع ابن عاشور هذا. غير أنه ذكر في المنار بعد أن نقل قول الرازي والقفال ما نصه: إن المروي في السير أن المشركين أنفقوا في حرب أحد ما بعثوا في تجارة العير التي جاءت من الشام عام بدر، فما أورده الرازي غير وجيه ١٠١/٤

(٤) هكذا يستخدمه ابن عاشور في غير ما موضع من التفسير والصواب بادئ بدء.

(٥) هذا كلام غريب جدا وغير مقبول

(٦) أنظر ٨١/١

(٧) ٨٤/٤-٨٥ قلت: إعلم أن هذا الكلام غير مقنع وانه يقتضي أن آية من تلك السورة نزلت متأخرة عن بعضها في تلك السورة فألحقت بها إلحاقا. ولو سلمنا بوقوع ذلك فلا بد أن تكون لتلك الآية مناسبة لما قبلها وبعدها وإلا لما وضعت هناك وكلام ابن عاشور يقتضي تفكيك النظم الكريم فلا يخلو من بعد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

[illegible] الآلوسي في بيان وجه المناسبة بين هذه الآيات وما سبقها ما نصه، ابتداء الكلام هنا على أمر ونهي وترغيب وترهيب وما لما سلف من الإرشاد إلى ما هو الأصلح في أمر الدين وفي باب الجهاد، وأعلى أبواب الخير من الربا بخصوصه هنا لما أن الترغيب في الإنفاق في السراء والضراء الذي عدته الإنفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس إلى طرق الاكتساب ومن جملتها بل أسهلها الربا فنهوا عنه وقدمه على الأمر(١) اعتناء به وليجيء ذلك الأمر بعد سد ما يخدشه(٢).

وما أجمل ما قاله الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى في ذلك حيث يقول: ... لقد انتهت المعركة في ميدان الأرض، ليبدأها القرآن في ميدانها الأكبر: ميدان النفس، وميدان الحياة الشاملة للجماعة المسلمة، وصنع بهذه الجماعة المسلمة ما تصنعه يد الله، عن علم وعن تدبير، وعن خبرة، وعن بصيرة. وكان ما شاءه الله وما دبره. وكان فيه الخير العظيم، من وراء الضر والأذى، والابتلاء الشاق المرير. ولعل مما يلفت النظر في التعقيب القرآني على أحداث المعركة هو ذلك الإزدواج العجيب بين استعراض مشاهدها ووقائعها، والتوجيهات المباشرة على هذه المشاهد والوقائع، وبين التوجيهات الأخرى المتعلقة بتصفية النفوس وتخليصها من غبش التصور، وتحريرها من ربقة الشهوات، وثقلة المطامع، وظلام الأحقاد، وظلمة الخطيئة، وضعف المرض والشح والرغبات الدفينة ... فالمعركة الحربية في الحركة الإسلامية ليست معركة أسلحة، وخيل، وعدة وعتاد، وتدبير حربي فحسب ... هذه المعركة الجزئية ليست منعزلة عن المعركة الكبرى في عالم الضمير، وعالم التنظيم الإجتماعي للجماعة المسلمة ... إنها ذات ارتباط وثيق بصفاء ذلك الضمير، وخلوصه، وتجرده وتحرره من الاوهاق والقيود التي تطمس على شفافيته، وتقعد به دون الفرار إلى الله. وكذلك هي ذات ارتباط وثيق بالاوضاع التنظيمية التي تقوم عليها حياة الجماعة المسلمة، وفق منهج الله القويم، المنهج الذي يقوم على الشورى في الحياة كلها، وعلى النظام التعاوني لا النظام الربوي. والتعاون والربا لا يجتمعان في نظام(٣).

وهذا الكلام على عمومه إلا أنه حسن جدا.

ومن الأمثلة في هذا أيضا ما ذكره الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى في سورة النحل (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم..) الآيات ٩٨-١٠٠ حيث قال: موقع فاء التفريع هنا خفي ودقيق، ولذلك تصدى بعض حذاق المفسرين إلى البحث عنه فقال في الكشاف: لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ ...) ببيانا بأن الاستعاذة من جملة الأعمال التي يجزل عليها الثواب اهـ. وهو ابداء

---

(١) الأمر هو قوله (واتقوا الله).

(٢) الآلوسي ٤/٥٤-٥٥.

(٣) الظلال في ١/٤٥٨، وراجع المنار ٤/١٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مناسبة ظاهرة تقتضي تمكن ارتباط أجزاء النظم. وقال فخر الدين: لما قال: (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أرشد إلى العمل الذي تخلص به الأعمال من الوسواس اهـ. وهو أمكن من كلام الكشاف وزاد أبو السعود: لما كان مدار الجزاء هو حسن العمل رتب عليه الإرشاد إلى ما به يحسن العمل الصالح بأن يخلص من شوب الفساد اهـ. وفي كلاميهما من الوهن أنه لا وجه لتخصيص الإستعاذة بإرادة قراءة القرآن.

وقول ابن عطية (الفاء) في (فإذا) واصلة بين الكلامين والعرب تستعمله في مثل هذا. يمكن الفاء على هذا مجرد وصل كلام بكلام واستشهد له بالاستعمال والعهدة عليه. وقال شرف الدين الطيبي قوله تعالى(فإذا قرأت القرآن) متصل بالفاء بما سبق من قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) الآية ٨٩. وذلك لأنه تعالى لما منّ على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، بإنزال كتاب جامع لصفات الكمال وأنه تبيان لكل شيء ونبه على أنه تبيان لكل شيء بالكلمة الجامعة وهي قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية ٩٠ ، وعطف عليه (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) الآية ٩١ وأكده ذلك التأكيد. قال بعد ذلك (فإذا قرأت القرآن) أي إذا شرعت في قراءة هذا الكتاب الشريف الجامع الذي نبهت على بعض ما اشتمل عليه، ونازعك فيه الشيطان بهمزه ونفثه فاستعذ بالله منه والمقصود ارشاد الأمة اهـ. وهذا أحسن الوجوه وقد انقدح في فكري قبل مطالعة كلامه ثم وجدته في كلامه فحمدت الله وترحمت عليه(١).

وهكذا يفصل في كل ما ينقله عن المفسرين، غير أنه أحيانا لا تعجبه أقوال المفسرين فيضرب عنها صفحا ويذكر رأيه. ومثال ذلك ما وقع عند تفسيره لقوله تعالى (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا)الإسراء/١١ حيث قال: موقع هذه الآية هنا غامض، والنزاع المعنى من نظمها وألفاظها أيضا. ولم يأت فيها المفسرون بما ينثلج له الصدر. والذي يظهر لي أن الآية التي قبلها لما اشتملت على بشارة وإنذار وكان المنذرون إذا سمعوا الوعيد والإنذار يستهزئون به ويقولون (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)(٢)، عطف هذا الكلام على ما سبق تنبيها على أن لذلك الوعد أجلا مسمى(٣).

قلت ونقل الآلوسي في تفسيره عن شيخ الإسلام(٤) ما نصه عند تفسيره لهذه الآية: بيان لحال المهدي إثر بيان حال الهادي وإظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس(٥).

وأما أمثلة القسم الثاني وهو الذي يذكر فيه المناسبة دون التعريج على أقوال المتقدمين ومنها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)البقرة/٢٢١،

---

(١) ١٤/٢٧٤-٢٧٥

(٢) جزء من آية في غير ما موضع من الكتاب الكريم منها ٣٨ الانبياء، ٣٩ سبأ.

(٣) ١٥/٤١-٤٢.

(٤) هو أبو السعود والكلام في تفسيره ٥/١٥٨.

(٥) ١٥/٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث قال: كان المسلمون أيام نزول هذه السورة ما زالوا مختلطين مع المشركين بالمدينة وما حولها بعيد عن أقربائهم من أهل مكة فربما رغب بعضهم في تزوج المشركات. أو رغب بعض المشركين في تزوج نساء مسلمات. فبين الله الحكم في هذه الأحوال، وقد أوقع هذا البيان بحكمته في أرشق موقعه وأسعده به وهو موقع تعقيب حكم مخالطة اليتامى، فإن المسلمين يومئذ أقارب وموالي لم يزالوا مشركين ومنهم يتامى فقدوا آبائهم في يوم بدر وما بعده، فلما ذكر الله بيان مخالطة اليتامى وكانت المصاهرة من اعظم أحوال المخالطة تطلعت النفوس إلى حكم هاته المصاهرة بالنسبة للمشركات والمشركين، فعطف حكم ذلك على حكم اليتامى لهذه المناسبة(١).

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى(واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم ..)النساء/ ١٥-١٦. حيث قال: موضع هذه الآية في هذه السورة معضل، وافتتاحها بواو العطف أعضل لاقتضائه اتصالها بكلام قبلها. وقد جاء حد الزنا في سورة النور وهي نازلة في سنة ست بعد غزوة بني المصطلق على الصحيح، والحكم الثابت في سورة النور أشد من العقوبة المذكورة هنا. ولا يجائز أن يكون الحد الذي في سورة النور قد نسخ بما هنا لأنه لا قائل به. فإذا مضينا على معتادنا في اعتبار الآي نازلة على ترتيبها في القراءة في سورها، قلنا إن هذه الآية نزلت في سورة النساء عقب أحكام المواريث وحراسة أموال اليتامى، وجعلنا الواو عاطفة هذا الحكم على ما تقدم من الآيات في أول السورة بما يتعلق بمعاشرة النساء، كقوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) النساء/٤، وجزمنا بأن أول هذه السورة نزل قبل أول سورة النور، وأن هذه العقوبة كانت مبدأ شرع العقوبة على الزنا فتكون هاته الآية منسوخة بآية النور لا محالة، كما يدل عليه قوله (أو يجعل الله لهن سبيلا)النساء/١٥، قال ابن عطية: أجمع العلماء على أن مضمن الآيتين منسوختان بآية الجلد في سورة النور(٢) ... فالواو عاطفة حكم تشريع عقب تشريع لمناسبة هي الرجوع إلى أحكام النساء، فان الله لما ذكر أحكاما من النكاح إلى قوله (وآتوا النساء صدقاتهن) وما النكاح إلا اجتماع الرجل والمرأة على معاشرة عمادها التأنس والسكون إلى الأنثى، ناسب أن يعطف إلى ذكر أحكام اجتماع الرجل بالمرأة على غير الوجه المذكور فيه شرعا وهو الزنا المعبر عنه بالفاحشة(٣).

وبعد فهذه نماذج من صنيع ابن عاشور في ذكر المناسبات بين الآيات غير أننا وقبل أن نغادر هذا الموضع لا بد من الحديث عن إغفال ابن عاشور لتفسير البقاعي المسمى بنظم الدرر في تناسب الآي والسور حيث لم ينقل عنه ابن عاشور في المناسبات ولا أشار إليه في النقل في التفسير. ولا غرو فإن اغفاله لهذا الكتاب يحتمل لأمرين اثنين:

الأول: أنه لم يطلع عليه، وهذا مستبعد لأنه أشار في الجزء الثامن

---

(١) ٣٥٩/١ وأصل هذا الكلام في نظم الدرر غير أنه ليس بهذا التفصيل أنظره في ٢٦٩/٣.

(٢) هي الآية الثانية المبدوءة بقوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ...)

(٣) ٢٦٩/٤ وانظر الآلوسي ٢٣٤/٤ والمنار ٣٥٦/٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمفسرين(١) إلى أن كلمة (فارقليط) أثبتها البقاعي في تفسيره مرارا، مما يعني اطلاعه على هذا التفسير.

الثاني: أنه قد اطلع عليه ولم يعجبه منه شيء، وقد يدل لهذا ما ذكره في فاتحة كتابه من أن علم المناسبات قد ألف فيه برهان الدين البقاعي تفسيره وعني به الرازي الا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع(٢)، إلا أن هذا الإحتمال قد يكون بعيدا اذ أن هذا الكتاب موضع ثناء من العلماء، والإحتمال الأقرب أن يكون نقل منه ولم يشر إليه والله أعلم.

ثالثا: عرضه لبعض الإشكالات التي يمكن أن تطرح على بعض آي النظم الكريم.

وهذا الأساس لم يهتم به ابن عاشور كثيرا كغيره من الأسس الأخرى غير أنه عرض له في بعض المواضع من تفسير القرآن الكريم.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (أفتطعمون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) البقرة/٧٥ حيث قال:فان قلت: كيف ينهى عن الطمع في ايمانهم أو يعجب به والنبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون مأمورون بدعوة أولئك إلى الإيمان دائما. وهل لمعنى هذه الآية إرتباط بمسألة التكليف بالمحال الذي استحالته لتعلق علم الله بعدم وقوعه؟

قلت: إنما نهينا عن الطمع في إيمانهم لا عن دعائهم للإيمان لأننا ندعوهم للإيمان وإن كنا آيسين منه(٣) لإقامة الحجة عليهم في الدنيا عند إجراء أحكام الكفر عليهم، وفي الآخرة ايضا. ولأن الدعوة إلى الحق قد تصادف نفسا نيرة فتنقذها، فإن استبعاد إيمانهم حكم على غالبهم وجهد منهم. أما الدعوة فانها تقع على كل فرد منهم، فالمسألة أخص من تلك المسألة. لأن مسألة التكليف بالمحال لتعلق العلم بعدم وقوعه مفروضة فيما علم الله عدم وقوعه وتلك قد كنا أجبنا لكم فيها جوابا واضحا(٤) وهو أن الله تعالى وإن علم عدم إيمان مثل أبي جهل إلا أنه لم يطلعنا على ما علمه فيه، والأوامر الشرعية لم تجيء بتخصيص أحد بدعوة حتى يقال: كيف أمر مع علم الله بأنه لا يؤمن، وأما هذه الآية فقد أظهرت نفي الطماعية في إيمان من كان دأبهم هذه الاحوال فالجواب عنها يرجع إلى الجواب الأعم وهو أن الدعاء لأجل

---

(١) ص ١٨٦.

(٢) ١/٨٠.

(٣) لا يتصور الإياس من ايمان الكفرة الا بعد أن يخبر الله بانقطاع الرجاء من إيمانهم. فلينظر كلامه هنا.

(٤) سيأتي الحديث عن هذه المسألة في موضعه من فصل العقائد باذن الله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إقامة الحجة، وهو الجواب الأعم لأصحابنا في مسألة التكليف بما علم الله عدم وقوعه، مع أن بعض أحوالهم قد تتغير فيكون للطماعية بعد ذلك حظ(١).

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون) يونس/٢٨ حيث قال:

... ويقول الشركاء هذا الكلام بخلق نطق فيها خارق للعادة يفهمه الناس لاشعار اولئك العابدين بأن أصنامهم تبرأوا منهم، وذلك مما يزيدهم ندامة، وكلام الأصنام يفيد نفي أن يكونوا عبدوهم بل عبدوا غيرهم، وفي استقامة ذلك إشكال لأن الواقع أنهم عبدوهم وعبدوا غيرهم فكيف ينفي كلامهم عبادتهم إياهم وهو كلام خلقه الله فيهم فكيف يكون كذبا؟ وقد تأول المفسرون هذا بوجوه لا ينتلج لها الصدر.والذي ظهر لي أن يكون آخر كلام الأصنام مبهما لما أجمله أوله بأنهم نفوا أن يكونوا عبدوهم عبادة كاملة، وهي العبادة التي يقصد منها العابد امتثال أمر المعبود وإرضاءه فتقتضي أن يكون المعبود عالما وآمرا بتلك العبادة. ولما كانت الأصنام غير عالمين ولا آمرين استقام نفيهم أن يكون عبدتهم قد عبدوهم تلك العبادة(٢)، وإنما عبدوا غيرهم ممن أمروهم بالعبادة وهم الشياطين ولذلك قالوا (وإن كنا عن عبادتكم لغافلين) يونس/٢٩ كما تفسره الآية الاخرى وهي قوله تعالى (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) سبأ/٤١ فالمراد بالشركاء الأصنام لا غيرها، ويجوز أن يكون نطقها بجحد عبادة المشركين هو أن خلق لها عقولا فكانت عقولها مستحدثة يومئذ لم يتقرر فيها علم بأن المشركين عبدوها ويفسر هذا قولهم بعد ذلك (إن كنا عن عبادتكم لغافلين)(٣).

وهذا التفسير مبني على أن الشركاء هم خصوص الأصنام وليس هو من الضرورة بمكان فيما يظهر لي.

ومنه أخيرا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى حكاية عن الكفار (إن نظن إلا ظنا) الجاثية/٣٢ حيث قال:

وقولهم (إن نظن إلا ظنا) ظاهر في أنه متصل بما قبله من قولهم (ما ندري ما الساعة) ومبين بما بعده من قوله (وما نحن بمستيقنين) وموقعه ومعناه مشكل، وفي نظمه إشكال أيضا: فأما الإشكال من جهة موقعه ومعناه فلأن القائلين موقنون بانتفاء وقوع الساعة لما حكي عنهم

---

(١) ٥٧٦/١ والإشكال اصله في الرازي ١٣٤/٣-١٣٥.

(٢) اعلم أن هذا مشكل لأن النفي حكم من الأحكام ومن لا يعلم كيف يستقيم منه النفي؟

(٣) ١٥١/١١-١٥٢ وهذا الجواب ليس فيه كبير زيادة عما عند الرازي ٨٤/١٧ وانظر المنار ٢٨٩/١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما من قولهم (إن هي إلا حياتنا الدنيا)(١) الخ فلا يحق عليهم أنهم يظنون وقوع الساعة بوجه من الوجوه ولو احتمالا. ولا يستقيم أن يطلق الظن هنا على الايقان بعدم حصوله فيضل معنى قولهم (إن نظن إلا ظنا) فتأوله الفخر فقال: إن القوم كانوا فريقين وإن الذين قالوا (إن نظن إلا ظنا) فريق كانوا قاطعين بنفي البعث والقيامة وهم الذين ذكرهم الله في الآية المتقدمة بقوله (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا) ومنهم من كان شاكا متحيرا فيه وهم الذين أراد الله بهذه الآية اهـ.

وأقول(٢): هذا لا يستقيم لأنه لو سلم أن فريقا من المشركين نافون لوقوعها فلا يناسب مقام التوبيخ تخصيصه بالذين كانوا مترددين في ذلك. والوجه عندي في تأويله: إما أن يكون وارد مجاراة لإستهزائهم بخبر البعث، فإذا قيل لهم (الساعة لا ريب فيها) قالوا استهزاء (إن نظن إلا ظنا)(٣) ويدل عليه قوله عقبة (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون). وتأوله ابن عطية بأن معناه (إن نظن بعد قبول خبركم إلا ظنا، وليس يعطينا يقينا) اهـ. أي فهو إبطالهم لمعنى قول المسلمين: (الساعة لا ريب فيها).

وأما إشكاله من جهة النظم: فمرجع الإشكال إلى استثناء الظن من نفسه في قوله (إن نظن إلا ظنا) فإن الاستثناء المفرغ لا يصح أن يكون مفرغا للمفعول المطلق لإنتفاء فائدة التفريغ(٤). والخلاص من هذا ما ذهب إليه ابن هشام في مغني اللبيب أن مصحح الإستثناء الظن من نفسه(٥) أن المستثنى هو الظن الموصوف بما دل عليه تنكيره من التحقير المشعر به التنوين على حد قول الأعشى:

أجد بسه الشيب أثقاله ... وما اعتره الشيب إلا اعترارا

أي إلا ظنا ضعيفا(٦).

وبعد فهذه شواهد على طرحه للإشكالات حول بعض الآيات أرجو أن تكون وافية بالغرض موصلة القصد والله غاية كل غاية.

---

(١) الصواب ما هي الا حياتنا الدنيا الاية ٢٤ من سورة الجاثية.

(٢) ابن عاشور

(٣) في الأصل (ما نظن) والصواب ما هو مثبت.

(٤) الاستثناء المفرغ هو الأسلوب المنفي من الاستثناء، المحذوف منه المستثنى منه أنظر القواعد الأساسية ... ص٢١٧.

(٥) لعل العبارة أن المصحح لاستثناء الظن من نفسه.

(٦) ٢٥/٣٧٢-٣٧٣ وانظر المغني ١/٣٢٦ والآلوسي ٢٥/١٥٧-١٥٨ والخزانة ٣/٣٧٤، والاعشى هو ميمون بن قيس من قبيلة بكر بن وائل ويكنى بأبي بصير وهو من فحول الشعراء في الجاهلية أنظر الخزانة ١/١٧٥-١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا: ذكره لتفاصيل تتعلق بموضوع الآية المفسرة:

وهذه الأمور كثيرة نسبيا في تفسيره، وهذه التفاصيل متنوعة، فمنها ماله اعتلاق بقضايا التاريخ، أو العقيدة، أو غير ذلك، وأكثرها بجره الحديث عن اللفظة القرآنية وحب التوسع في الحديث عما يتعلق بها، وهذه التفصيلات قد تكون مفيدة في أحيان كثيرة، وبعضها غير مفيد، أو تكون عدم إفادتها من جهة عدم التحقيق فيها، وسأبدأ الحديث عن هذه التفصيلات غير المفيدة:

فمنها: مثلا تاريخ وفيات الأنبياء وولادتهم عليهم الصلاة والسلام فمنه أن سيدنا موسى - صلى الله عليه وسلم - ، ولد بمصر سنة ألف وخمسماية قبل ميلاد المسيح عليه السلام وتوفي فسرب أريحا على جبل نيبو سنة ألف وثلاثماية وثمانين قبل الميلاد(١).

ومنه وفاة سيدنا ابراهم - صلى الله عليه وسلم - كانت سنة ألف وسبعماية وثلاث وسبعين قبل الميلاد وكانت ولادته سنة ألف وتسعماية وست وتسعين قبل الميلاد(٢).

ومنه أن ولادة سيدنا اسماعيل - صلى الله عليه وسلم - كانت سنة الف وتسعماية وعشر قبل الميلاد وكانت وفاته في سنة الف وسبعماية وثلاث وسبعين قبل الميلاد(٣)، ولست أدري عن مصدر هذه التواريخ الا ان تكون كتب أهل الكتاب، غير أنه لا ينبغي الالتفات إلى مثلها لأنها كلها تخرصات وظنون ينبغي أن تتنزه عنها كتب التحقيق العلمي.

ومن هذه التفصيلات غير المفيدة مثلا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياءا والقمر نورا وقدره منازل) يونس/٥ حيث قال:.... وهذه المنازل أماراتها أنجم مجتمعة على شكل لا يختلف. فوضع العلماء السابقون لها أسماء، وهذه أسماؤها في العربية على ترتيبها في الطلوع عند الفجر في فصول السنة. والعرب يبتدئون ذكرها بالسرطان(٤) وهكذا وذلك باعتبار حلول القمر كل ليلة في سمت منزلة من هذه المنازل، فأول ليلة من ليالي الهلال السرطان وهكذا. وهذه أسماؤها مرتبة على حسب تقسيمها على فصول السنة الشمسية، وهي الهقاء، السماك، الأعزل، الغفر، الزّباني، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البَلْدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، الفرغ الأعلى، الفرغ الأسفل، الحوت، السرطان، البطين، الثريا، الدّبران، الهقعة، الهنعة، ذراع الأسد، النثرة، الطرف، الجبهة، الزّبرة، الصرفة

---

(١) ١/٤٩٨-٤٩٩.

(٢) ١/٧٠٢.

(٣) ١/٧١٩ وهو واضح في أن وفاته كانت في السنة التي توفي فيها أبوه عليهما السلام.

(٤) وردت هذه الكلمة هنا ثلاث مرات السرطان بالتين المعجمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه المنازل منقسمة على البروج الإثني عشر التي تحل فيها الشمس في فصول السنة، فكل برج من الإثني عشر برجا له منزلتان وثلث، وهذا ضابط لمعرفة نجومها ولا علاقة له باعتبار منازل القمر(١).

وخذ مثلا على ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) الشعراء/٥٣ حيث قال:

والمدائن جمع مدينة، أي البلد العظيم. ومدائن القطر المصري يومئذ كثيرة منها: (مانوفري أو منفيس) هي اليوم (ميت رهينة) بالجيزة و (تيبة أو طيبة) هي بالاقصر و (أبودو) وتسمى اليوم العرابة المدفونة، و(ابو) وهي (بو) وهي أدنو، و (أونرميي)، و (أرمنت) و(سنى) وهي أسناء و(ساورت) وهي السيوط. و(خمونو) وهي الأشمونيين، و(باماريت) وهي البهنسا، و(خسوو) وهي سخا، و(كاريينا) وهي سد أبي قيرة، و(سودو) وهي الفيوم (وكويتي) وهي قفط(٢).

والسؤال الذي لا بد منه الآن بعد أن ذكر ابن عاشور ما ذكر، ما هو مصدر هذا الكلام أولا، وماذا يمكن أن يفيد منه القارئ ثانيا؟ إنني لا أظن إلا أن مثل هذه التفاصيل غيرالمفيدة لا بدل إلا على اطلاع كاتبها دون جلب منفعة كبيرة لقارئها وخصوصا في هذا الوقت الذي نعيش.

وقد ذكر ابن عاشور تفاصيل أخرى لها اعتلاق بالآيات الكريمة، وهي فيها من الفوائد ما يشفع بايرادها في تلك المواطن من التفسير.

فعلى سبيل المثال عندما عرض ابن عاشور لتفسير قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) البقرة/١٠٢ ذكر تفاصيل متعلقة بالسحر أجملها فيما يأتي:-

فقد عرض لنظرة العرب للسحر المحفوفة بالخيال الواسع، وذكر كذلك نظرة أهل الكتاب للسحر، وعرض لانتقال السحر عن المصريين والكلدانيين إلى الأمم الأخرى وتحدث عن أصول السحر وبين أنها ثلاثة:

الأول: زجر النفوس بمقدمات توهيمية إرهابية.

الثاني: استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام.

الثالث: الشعوذة واستخدام خفايا الحركة والسرعة والتموج.

وعرض لتأثير السحر والخلاف فيه، وبين أن تأثير السحر يتطلب أمورا في الساحر والمسحور: ثم ذكر الأعمال التمويهية التي يقوم بها الساحر والغرض منها، وعرض إلى أن نفوس السحرة نفوس خبيثة تدل على فساد الدين عند أصحابها، وعرض لتحذير الإسلام من السحر، وهل للسحر حقيقة أم ليس له ذلك، وعرض لحكم متعاطي السحر واختلاف الفقهاء

---

(١) ٩٥/١١

(٢) ١٣٠-١٢٩/١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ذلك. واستغرق ذلك حوالي تسع صفحات(١).

ومن ذلك أيضا ما عرض له عند تفسيره لقوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) الأنبياء/٢٢

حيث عرض لما سمي في مصطلح الكلام ببرهان التمانع وإبطال تعدد الآلهة حيث أفاض فيه وبين طرائق المتكلمين في الاستدلال، وما يرد على طريقتهم من إشكالات بما لا مزيد عليه فانظره(٢).

خامسا: إشارات علمية في تفسيره

لاشك أن القرن العشرين قد شهد تطورا هائلا في العلوم الكونية والنظرية وحصل تطور عظيم لدى الأوساط الغربية غير الإسلامية في ذلك، وفي المقابل نجد تخلفا شديدا لدى أوساط أبناء الإسلام بسبب ما خباه لهم الكبت والاستعمار (فغدا الناس ينظرون إلى الدين نظرة التخلف والجمود والجهل)(٣).

ولكن هذا التخلف الذي أصاب ديار المسلمين، لم يمنع أبناء الإسلام من استجداء هداية القرآن الكريم في سبيل النهوض بهذه الأمة لمواصلة مسيرتها الصحيحة وإيقاظها من رقدتها التي استمرت طويلا، لا سيما والعلم في تقدير الهداية القرآنية هو صانع الحضارات وهو القيم على الحياة بما وضع الله في خصائصه من طاقات لتصوير الظواهر الكونية بصورة الحقائق الوجودية التي توجه الحياة دائما وجهة التقدم، وتزيد من قيمتها، وتضيف إليها ألوانا من ذخائر الفكر المكنوزة في كل ذرة من ذرات هذا الوجود الذي سخره الله للإنسان نعمة منه عليه، ليتوصل بالنظر فيه إلى معرفة خالقه معرفة تستوجب الشكر بخالص التعبد وينتفع بما فيه من آيات وخصائص طبيعية مودعة في الكائنات بحكمة وتدبر .... والعلم هو الذي وضع المجتمع الإسلامي في مكان الصدارة من الحياة يوم أن كان العلم هو القائد لهذا المجتمع، فكان زمامه بيد العلم يوجهه ويدفعه دفعا، وكانت مناقل العلم تخفق فوق آفاقها ألوية المجتمع الإسلامي في ظل ظليل من الهداية القرآنية(٤).

لذلك ولغيره فقد برزت في هذا العصر ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم،

---

(١) ١/٦٣٠-٦٣٩ وانظر مثلا ٣/٢٢٥-٢٢٧ عن المحبة و٥/١٥٨-١٦١ عن الحريه.

(٢) ١٧/٣٨-٤٤

(٣) الإشارات العلمية في القرآن ص١٠ لمحمد وفا الأميري.

(٤) القرآن هدايته وإعجازه ٩٠-٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي محاولة يهدف أصحابها إلى تبيان أن القرآن الكريم مشتمل على كل العلوم. ما جد منها وما يجد ... فخرجت على إثر ذلك مؤلفات عديدة يرمي أصحابها إلى إثبات هذه الظاهرة وبكل ما أوتوا من قوة. فظهر مثلا كتاب كشف الأسرار النورانية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية للطبيب محمد بن أحمد الإسكندراني. ومنها كتاب الإسلام والطب الحديث للدكتور عبد العزيز اسماعيل(١) وبرز أيضا كتاب الشيخ محمد بخيت المطيعي الذي سماه توفيق الرحمن للتوفيق بين ما قاله علماء الهيئة وبين ما جاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن(٢) وبرز كذلك كتاب الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان وكتاب الطب محراب الإيمان للدكتور خالص جلبي وكتاب الإسلام في عصر العلم للفمراوي وغيرها كثير يكفي في معرفته الرجوع إلى فهارس مراجع أحدها(٣).

إلا أن أبرز نتاج لهذه الظاهرة كان تفسير الشيخ طنطاوي جوهري الذي سماه الجواهر في تفسير القرآن، وهو كتاب تفسير علمي كامل للقرآن الكريم(٤).

والتفسير العلمي يراد به التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والأسرار الفلسفية منها. وهو تعريف منقول عن أمين الخولي(٥)، وقد عارضه الناقل على هذا التعريف وارتضى ان يراد به اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن حيث يدل ذلك على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان(٦).

وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في مثل هذا النوع من التفسير، فارتضاه أقوام وأفرطوا بالرضا فيه ومنعه آخرون وأفرطوا في منعه والحق وسط بينهما. ولا نريد أن نذكر حيثيات هذا الخلاف، فقد بسطها الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون(٧) وارتضى هو منع مثل هذا التفسير.

وقد عرض ابن عاشور لطرف من الخلاف في هذه المسألة ورد مقولة الشاطبي -وهو أشهر من أنكر التفسير العلمي- وجعل علوم الهيئة من العلوم التي تزيد المفسر علما(٨).

---

(١) التفسير والمفسرون ٢/٤٩٧-٥٠٢ بتصرف.

(٢) مطبوع بمطبعة السعادة بمصر.

(٣) أنظر مثلا بعض اسماء هذه المؤلفات في كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/٦٠٤-٦١٤.

(٤) أنظر خصوص هذا التفسير ما كتبه الذهبي في التفسير والمفسرون ٢/٥٠٥ وما بعدها.

(٥) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/٥٤٧.

(٦) المصدر السابق ٢/٥٤٩ بتصرف.

(٧) ٢/٤٧٦-٤٩٤، وانظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر فقد توسع في ذلك ٢/٥٤٥-٧٠٢.

(٨) التفسير ١/٤٣-٤٥ بتصرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا ريب في أن تحميل نصوص القرآن مالا تحتمل أمر لا يطاق ولا ينبغي أن يشد له نطاق، ومما لا يرتاب فيه مرتاب أن القرآن الكريم احتوى على إشارات علمية قد تحققت الآن وبان للعلماء صحتها، وذلك بواسطة المخترعات الحديثة والمكتشفات العلمية التي توصل الإنسان اليها، فلا مانع من أن نفيد بما وصلنا من علوم في اكتشاف كنوز القرآن الكريم التي تناسب كل عصر لكن دون إسفاف في التأويل أو خروج عن منطق العربية في ذلك. كما لا ينبغي أن يحملنا هذه الإشارات العلمية على محاولة الطعن في السلف الصالح وأنهم لم يعرفوها (فالسلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه(١) وغاية ما يقال إن السلف رضوان الله عليهم قد فهموا من القرآن ما سير حياتهم وجعلها أمثولة لكل حياة رائعة مستقيمة، ولو كانت هذه الإشارات تفيدهم شيئا لتطرقوا إليها.

ولما كان ابن عاشور قد ارتضى القول بالتفسير العلمي لكن دون توسع فقد عرض تفسير بعض الآيات القرآنية مستلهما ذلك من إفادات العلوم التجريبية، إلا أن الملحوظ عليه أنه لم يحاول الإفادة من أي كتاب في هذا الشأن، مما جعل كثيرا من تفسيراته تتسم بالخبط والعشوائية وعدم الدقة. كما سترى إن شاء الله تعالى.

ومن أول ما يلفت النظر ويدلي بحجة واضحة على خبط ابن عاشور في هذا الجانب هو تفسيره للسموات السبع بأنها الكواكب السيارة التي عرفها العرب، فتراه يقول عند قوله تعالى (... ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) البقرة/٢٩: وقد عد الله في هذه الآية وغيرها السموات سبعا وهو أعلم بها وبالمراد منها إلا أن الظاهر الذي دلت عليه القواعد العلمية أن المراد من السموات الأجرام العلوية العظيمة وهي الكواكب السيارة المنتظمة مع الأرض في النظام الشمسي ويدل لذلك أمور:

أحدها: أن السموات ذكرت في غالب مواضع القرآن مع ذكر الأرض، وذكر خلقها هو مع ذكر خلق الأرض فدل على أنها عوالم كالعالم الأرضي. وهذا ثابت للسيارات.

ثانيها: أنها ذكرت مع الأرض من حيث إنها أدلة على بديع صنع الله فناسب أن يكون تفسيرها تلك الاجرام المشاهدة للناس المعروفة للأمم. الدال نظام سيرها وباهر نورها على عظمة خالقها.

ثالثها: أنها وصفت بالسبع وقد كان علماء الهيئة يعرفون السيارات السبع من عهد ... وذهب علماء الهيئة من ذلك العهد إلى العهد الذي أنزل فيه القرآن فما اختلفوا في ...

---

(١) التحرير والتنوير ٢/٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

[illegible] أن هذه السيارات [illegible] الكواكب المنضبط [illegible] بنظام سير الشمس والأرض، [illegible] علماء الهيئة [illegible] يقولون بالنظام الشمسي فناسب أن تكون هي التي قر [illegible] الأرض [illegible] تعالى السموات سبعا هنا وفي غير آية، وقد ذكر [illegible] والكرسي بما يدل على أنهما محيطان بالسموات وجعل الشمس كلها في مقابلة الأرض هذا [illegible] يؤيد ما ذهب إليه علماء الهيئة من عد الكواكب السيارة تسعة ...(١).

قلت: ولقد حمله هذا الخيط أيضا إلى تفسير العرش بالكرسي. ثم قال إن العرش هو الفلك الأعظم والكرسي هو زحل(٢).

[illegible] واعلم أن هذا التفسير من ابن عاشور جنوح عن كل تفسير علمي محقق، وظني ان [illegible] عاشور لم يحاول تكلفة نفسه بالاطلاع على مؤلفات العلماء المعاصرين ولو أنه كلف نفسه [illegible] هذا التفسير المنار لوجد ما يحضه عن الخيط وهذه العجلة حيث يقول الشيخ رشيد لمن أراد مزيد البحث عن حقيقة ذلك ... وعليه بدراسة ما كتب الباحثون فيه من قبل، وما [illegible] الكتشفون من نتونه(٣)، وليأخذ من ذلك بما قام عليه الدليل الصحيح لا بما يتخرص به المخرصون ويخترعونه من الأوهام والظنون(٤).

ولهذا قام الشيخ أحمد الخليلي بالإنحاء باللائمة على ابن عاشور لمتابعته للمتقدمين دون تحقيق وذكر أن العلماء اليوم أثبتوا أن المجموعة الشمسية ليست إلا واحدة من المجاميع التي لا تحصى في هذه المجرة التي تنتسب إليها هذه المجموعة ويقدر قطر هذه المجرة بمائة ألف سنة ضوئية، وهي واحدة من سبع عشرة مجرة [illegible] يقدر قطرها بمليوني سنة ضوئية، وهي تشتمل على ما لا يحصى عددا من الأجرام الفلكية... وجميع المجرات المكتشفة إلى الآن تسمى بالسماية [illegible] ولا مجرة... فليس بعيد أن ينوه القرآن دائما بالمجموعة الشمسية وحدها دون سائر ما في هذا الكون الفسيح لا سيما وأن مجموعتنا الشمسية مرتبطة ارتباطا وثيقا بسائر الأجرام الفلكية ... وليس من المعقول مع ذلك كله أن يسكت القرآن عما عدا المجموعة الشمسية ... وعلينا أن نؤمن بأن السماء سبع طباق كما أخبرنا تعالى ... على أني لا أستبعد أن تكون هذه المجرات المذكورة مع كل ما فيها من أجرام هي في طبقة السماء الدنيا(٥).

وليس الرأي الذي نسبه ابن عاشور لمتقدمي علماء الهيئة هو كذلك بل قد ذكر الشيخ

---

(١) ١/٣٨٥-٣٨٦ وانظر ٢/٧٧ وانظر ١٣/٨٠ وانظر ٢٣/٨٨ وانظر ٢٤/٢٩٩.

(٢) [illegible] ٢١/٩-٢٤.

(٣) [illegible] لتكون

(٤) [illegible] ١/٢٠٨

(٥) جوهر التفسير ٢/٥٣٢-٥٣٥ بتصرف والرأي الأخير الذي أشار إليه قد سبقه به الأستاذ الشعراوي [illegible] الإسلام في عصر العلم ص٢٩٠ وممن قبله الشيخ محمد جميت المطيعي في كتابه توفيق الرحمن ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الظاهر أن العلماء وإن قرروا أن السموات السبع هي حديث عن الكواكب السيارة التي كانت معلومة قديما (بعدد سبع) إلا أنهم لم يفسروا السموات بهذه الكواكب وإنما جعلوا هذه الكواكب مراتب في سمواتها. بمعنى أنهم قالوا إن الكواكب السبعة هذه متفاوتة في البعد جدا فالسماء الدنيا هي التي فيها القمر والسماء الثانية هي التي فيها الزهرة .. وهكذا، مع عدم إنكارهم لامكان اكتشافات أخرى في هذا الكون الرحب(١).

ومما قصر فيه ابن عاشور ما ذكره من أطوار الجنين في الظلمات الثلاث حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى :(يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث) الزمر/٦ أي: أي طورا من الخلق بعد طور آخر يخالفه وهذه الأطوار عشرة:

الأول: طور النطفة، وهي جسم مخاطي مستدير ابيض خال من الأعضاء يشبه دودة ، قطره نحو خمس مليمترات.

الثاني: طور العلقة، وهي تتكون بعد ثلاث وثلاثين يوما من وقت استقرار النطفة في الرحم، وهي في حجم النملة الكبيرة طولها نحو ثلاثة عشر مليمترا يلوح فيها الرأس وتخطيطات من صور الأعضاء.

الثالث: طور المضغة، وهي قطعة حمراء في حجم النحلة.

الرابع: عند استكمال شهرين يصير طوله صانتميترا وحجم رأسه بمقدار نصف بقيته ولا يتميز عنقه ولا وجهه ويستمر احمراره.

الخامس: في الشهر الثالث يكون طوله(١٥سم) ووزنه مائة غرام ويبدو رسم جبهته وأنفه وحواجبه وأظافره ويستمر إحمرار جلده.

السادس: في الشهر الرابع يصير طوله(٢٠سم) ووزنه (٢٤٠) غراما، ويظهر في الرأس زغب وتزيد أعضاؤه البطنية على أعضائه الصدرية وتتضح أظافره في أواخر ذلك الشهر.

السابع: في الشهر السادس يصير طوله نحو (٣٠سم) ووزنه (٥٠٠)غم ويظهر فيه مطبقا وحاجب أظافره.

الثامن: في الشهر السابع يصير طوله (٣٨سم) ويقل احمرار جلده، ويتكاثف جلده ويظهر على الجلد مادة دهنية دسمة ملتصقة، ويطول شعر رأسه ويميل إلى الشقرة وتتقبب جفونه من الوسط.

التاسع: في الشهر الثامن يزيد غلظه أكثر من ازدياد طوله ويكون طوله نحو (٤٠سم) ووزنه نحو أربعة أرطال أو تزيد (٢) وتقوى حركته.

العاشر: في الشهر التاسع يصير طوله من (٥٠-٦٠سم) ووزنه من ستة إلى ثمانية أرطال ويتضخم رأسه، ويكثف شعره، وتبتدئ فيه وظائف الحياة في الجهاز الهضمي والتنفسي، ويصير نموه بالغذاء، وتظهر دورة الدم فيه المعروفة بالدورة الجنينية.

---

(١) انظر توفيق الرحمن ص١٤ بتصرف.

(٢) الرطل هنا أقل من نصف كيلو (شيخنا).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والظلمات الثلاث ظلمة بطن الأم، و ظلمة الرحم. وظلمة المشيمة وهي غشاء من جلد مخلق ... م الجنين محيطا به ليغيبه وليكون به استقلاله مما يمتد إليه من الأغذية في دورته ... ا ... دون أمه (١).

والحقيقة الواضحة في هذا المجال أن ابن عاشور لم يكلف نفسه سؤال طبيب مختص حتى يذكر له تفاصيل أطوار الجنين بشكل دقيق، بل ويبدوا أنه لم يحاول الاطلاع على كتاب علمي في هذا الشأن، والعجب أن هذه الأمور باتت واضحة جدا ولا تحتاج إلى عناء في تحصيلها. ويكفي لتصحيح هذا الخبط الذي أتى به ابن عاشور هنا يكفي لذلك الرجوع إلى كتاب طبي حول الإنسان وخذ مثلا كتاب الدكتور محمد علي البار الذي سماه خلق الإنسان بين الطب والقرآن لتجد فيه تفاصيل مراحل تكوين الجنين(٢)، ثم إن الظلمات الثلاث ليست هي هذه التي ذكرها ابن عاشور كما هو متحقق اليوم في علم الطب بل هي غشاء السلى أو الأمونيون وهو المحيط بالجنين مباشرة، وغشاء الكوريون (الغشاء المشيمي) والغشاء الساقط(٣).

ومن الإشارات العلمية في تفسيره ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) يس/٤٠ حيث قال:

وكان الناس يعرفون تقارب الشمس والقمر فيما يراه الراءون، وكانوا يقدرون مسيرها بأزمنة معلمة بعلامات نجومية تسمى بروجا بالنسبة لسير الشمس، وتسمى منازل بالنسبة لسير القمر، وكانوا يعلمون شدة قرب المنازل القمرية من البروج الشمسية فإن كل برج تسامته منزلتان أو ثلاث، وبعض نجوم المنازل هي أجزاء من نجوم البروج، وزادهم الله عبرة وتعليما بأن للشمس سيرا لا يلاقي سير القمر، وللقمر سيرا لا يلاقي سير الشمس ولا يمر أحدهما بطرائق مسير الآخر، وأن ما يتراءى للناس من مشاهدة الشمس والقمر في جو واحد وفي حجمين ... ابين، وما يتراءى لهم من تقارب نجوم بروج الشمس ونجوم منازل القمر، إن هو إلا من ... الأبصار وتقاربه التقادير بين الأجرام والأبعاد ... فالكرة العظيمة كالشمس تبدو ... مثل القمر في الرأي وإنما ذلك من تباعد الأبعاد. فأبعاد فلك الشمس تفوق أبعاد فلك القمر بمئات الملايين من الأميال. هي بلوح لنا حجم الشمس مقاربا لحجم القمر. فبين الله تعالى سير الشمس والقمر على نظام يستحيل معه اتصال إحدى الكرتين بالأخرى لشدة الأبعاد بين داريهما(٤).

---

(١) ٢٢/٣٣٣-٣٣٤

(٢) انظر فصل أطوار الجنين في القرآن الكريم وعلم الأجنة ص٣٦٥-٤٢٢

(٣) خلق الانسان ص٤٢٣-٤٢٧ وانظر في عدم التحقيق العلمي عند ابن عاشور ايضا ٢٦/٣٠٠ ،

(٤) ٢٣/٢٣ وانظر مثلا ١٤/٢٨ في معنى البروج، ١٤/٢٠٠ الفرث، ١٤/٢١ دوران الأرض ١٨/٢٥٢ تفسير ظاهرة الشروق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن عاشور عرض [illegible] من تفسير بعض الآيات تفسيرا علميا إلا أنه أغفل [illegible] شهرة عظيمة بحيث عادت لا تخفى على آحاد الطلبة، فمنها مثلا ما يذكر [illegible] قوله تعالى (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) القيامة/٤ حيث تدل هذه الآية كما في [illegible] والتفسيرات العصرية على أن للإنسان في طرف إصبعه خاصية لا تتفق مع إنسان آخر [illegible] ولو كان توأما له. تلك الخاصية هي التي تعرف اليوم باسم (البصمة) ولها دور عظيم في تحديد هوية الأشخاص(١) ومع شهرة هذا الأمر على تفاصيله إلا أن ابن عاشور لم يحم حوله إلا ما كان من تفاسير المتقدمين حول جعل تسوية البنان كناية عن إعادة الخلق لا سيما وأن في مقام إثبات البعث(٢).

وقد عرض ابن عاشور في أثناء تفسيره إلى بعض الظواهر القرآنية التي أخذت حيزا في التفسير العلمي منها مثلا تفسير ظاهرتي البرق والرعد(٣) وظاهرة السراب (٤) والظل(٥). وعرض كذلك لبعض الصناعات مثل صناعة الحديد(٦) وصناعة الزجاج(٧).

والخلاصة أن التفسير العلمي عند ابن عاشور تفسير ليس بالتطويل الممل ولا هو بالتقصير المخل وهو وسط بين متنازعين على أنه في بعض أحيانه تعوزه الدقة العلمية، وليس فيه جديد ذا بال وهو مدار بحث معظم المؤلفات التي تحدثت عن التفسير العلمي ولذلك لا نستطيع القول بأن الشيخ كان رائدا في هذا الجانب أقول هذا ولست مع امتداح الدكتورة هند شلبي لابن عاشور في هذا الجانب حيث تصف منهجه بدقة في الوصف تام عن اطلاع وتحقيق(٨).

كما أني لست مع الباحث السيد عبد الله الريس في امتداحه لهذا الجانب من المنهج عند ابن عاشور حيث قال بعد عرضه لمنهجه في التفسير العلمي: تتبين من ذلك دقته في المباحث العلمية حيث نجده يذكر الحقائق العلمية وعلاقتها بالآيات ذكر الخبير بها(٩).

---

(١) انظر تفصيل الحديث عن هذه الآية في كتاب التفسير العلمي للقرآن للدكتورة هند شلبي ص٣٢٠-٣٤٠، وانظر كذلك الإشارات العلمية في القرآن ص٤٥ .

(٢) ٢٥/٣٤٠-٣٤١ ويمكن الرجوع إلى فهرس كتاب الغمراوي في التفسير العلمي فان فيه توضيحا لكثير من [illegible] ص٤٥٥ وما بعدها.

(٣) ٢١٨/١٣

(٤) ٢٥٢/١٨

(٥) ٤٠/١٦ وانظر ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص٣٩٦ وما بعدها.

(٦) ٣٦/١٦

(٧) ٢٢٧/١٨

(٨) جهود الزائلة من وجوه اعجاز القرآن في تفسير ابن عاشور ص٩ .

(٩) ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص٣٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

قضايا علوم القرآن في هذا التفسير

لا ريب أن مباحث علوم القرآن الكريم ذات قيمة علمية مهمة لما لها من اعتلاق في إيصال الباحث إلى فهم كتاب الله تبارك وتعالى، وبرغم خطر هذه المباحث وأهميتها إلا أنك تجد المؤلفات فيها عالة على كتاب الإتقان، بحيث لا يكاد يخلو كتاب في علوم القرآن بعد تاريخ السيوطي إلا واتكأ عليه.

ومع ما لكتاب الإتقان من الأهمية التي تحدث عنها أحد الباحثين بقوله: هذا الكتاب يعد من أهم الكتب التي ألفت في علوم القرآن، بل هو الحلقة الذهبية في سلسلة الدراسات القرآنية، والمرجع الكتب التي ألفت بعده، وأظن أنه لم يأت كتاب يماثله دقة، وعلما، وشمولا، جمع من أنواع لم يزد عالم يوجد في غيره، وهو وإن كان قد سبقه في الوجود كتاب البرهان للإمام بدر الدين الزركشي(١)، أحد علماء القرن الثامن. وكتاب مواقع العلوم من مواقع النجوم للإمام ابن رسلان العسقلاني، أحد علماء القرن التاسع(٢)، وغيرهما إلا أنه لم يأت مؤلف بمثل ما جاء في هذا الكتاب القيم، لأنه تناول موضوعات لم يسبق لأحد من العلماء تحريرها، واشتمل على مسائل دقيقة لم يتيسر لأحد من السابقين الخوض فيها، فهو بحق، يعد من أنفس الكتب التي ألفت في هذا الشأن(٣).

أقول برغم هذه الأهمية، والقيمة لهذا الكتاب، إلا أنه لم يطبع حتى الآن طبعة علمية محققة جدا، وإن مما يؤسف له، أن تكون الطبعة القديمة لهذا الكتاب أدق من تلك التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم، الذي لم يصنع شيئا في تحقيقه لهذا الكتاب(٤).

وكم أنا متمن أن ييسر الله تعالى لهذا الكتاب من يحققه، ويقوم بتحرير مسائله تحريرا وافيا، وما ذلك على الله بعزيز.

وقد اهتم ابن عاشور بإبراز بعض قضايا علوم القرآن الكريم في أثناء تفسيره وقد نقرأ هذه القضايا عنده فنجدها غير محررة كثيرا، وقد يكون

---

(١) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي من كبار علماء مصر توفي سنة ٧٩٠هـ، من كتبه في علوم القرآن البرهان من وضع المحقق ١/٥-١٤.

(٢) الكتاب جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤هـ وليس لابن رسلان كما هنا.

(٣) الإتقان ١/٣، وفي كشف الظنون، ٢/١٨٩٠.

(٤) مع الدان في رسم القرآن ص٢٥٤.

(٤) بعد أن كتبت أسفي هذا بأزيد من شهرين، وجدت أن الحناوي في كتابه الفاصلة القرآنية قد سبقني إلى الأسف أنظر ص١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك لأنه لم يهتم بإبرازها كوحدات موضوعية خاصة، وإنما جاء الحديث عنها في أثناء [illegible]

وقد برز في حديث ابن عاشور في أثناء تفسيره من قضايا علوم القرآن ما سأتحدث عنه في هذا الفصل، والذي سيضم القضايا الرئيسة التالية:-

١- الأحرف السبعة.
٢- القراءات القرآنية.
٣- أسباب النزول للآيات الشريفة.
٤- إعجاز القرآن الكريم.

وسيكون الحديث عن هذه القضايا -إن شاء الله- حديث ابن عاشور نفسه مع ما يلزم من الإضافة، والنقد، وذلك بحسب الطاقة والجهد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : الأحرف السبعة في القرآن الكريم :

إعلم أولاً أنني مكثت أياما أقدم رجلاً وأُأَخِرُ أخرى ، ترددا في الكتابة في هذا البحث الشائك هنا . ليقيني بأنه لا زال بكراً ، برغم كل ما كتب حوله من دراسات ، سواء أكانت الدراسات خاصة به ، أم كانت دراسته في ضمن أبحاث أخر .

ولولا أن ابن عاشور عرض له عرضا ، لم أر أحداً فعل من المحققين فعله في هذا التقصير . وأتى فيه برأي فطير ، فكان حقاً عليّ أن أنبه عليه لئلا يطلع عليه من لا اعتلاق له بكتب المتقدمين والمتأخرين ، فيظنه في غاية التحقيق .

واعلم أيضاً أن دراسة معنى أحاديث هذا الباب ، قد كانت من أشق ما يمكن . ولذلك لا أرى من الغرابه أن يقول ابن الجزري : ولا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة (١) . وهي حرية بالتفكير ، وإعمال النظر لأهميتها .

وقد اختلفت أنظار العلماء في هذا الحديث الذي ينص على نزول القرآن على سبعة أحرف ، اختلافاً شديداً وذكر السيوطي أنه بلغ إلى أربعين قولاً. ذكر هو منها في كتابه خمسة وثلاثين (٢) .

ولا بد أولا : قبل الخوض في شيء حول هذه المسألة من ذكر رأي ابن عاشور ثم التقفيه عليه ، فنقول وبالله نصول ونجول .

قد ذكر ابن عاشور طرفاً من الخلاف في معنى هذا الحديث ختمه بقوله:.. وذهب جماعة أن المراد من الأحرف لهجات العرب في كيفيات النطق كالفتح ، والإمالة ، والمد والقصر ، والهمز والتخفيف ، على أن معنى ذلك رخصة للعرب مع المحافظة على كلمات القرآن، وهذا أحسن الأجوبة لمن تقدمنا ، وهنالك أجوبة أخرى ضعيفة لا ينبغي للعالم التعريج عليها.وقد أنهى بعضهم جملة الأجوبة إلى خمسة وثلاثين جواباً (٣) .

وبعد ذلك قال ابن عاشور : وعندي أنه إن كان حديث عمر وهشام بن حكيم قد حسن إفصاح راويه عن مقصد عمر فيما حدّث به ، بأن لا يكون مروياً بالمعنى مع إخلال بالمقصود أنه يحتمل أن يرجع إلى ترتيب آي السور ، بأن يكون هشام قرأ سورة الفرقان على غير الترتيب الذي قرأ به عمر فتكون تلك رخصة لهم في أن يحفظوا سور القرآن بدون تعيين ترتيب الآيات من السورة ، وقد ذكر الباقلاني احتمال أن يكون ترتيب السور من

---

(١) النشر ٢٦/١

(٢) الاتقان ٤٧/١ وما بعدها .

(٣) ٥٨/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجتهاد الصحابة كما يأتي في المقدمة الثامنة ، فعلى رأينا هذا تكون رخصة. ثم لم يزل الناس يتوخون بقراءتهم موافقة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان ترتيب المصحف في زمن أبي بكر على نحو العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجمع الصحابة في عهد أبي بكر على ذلك لعلمهم بزوال موجب الرخصة . (١)

واعلم أن هذا التفسير من ابن عاشور لم يقل به أحد من المتقدمين ولا أظن أن يقول به أحد من المتأخرين وهو بعيد عن تفسير هذا الحديث بعداً عظيماً إذ كيف يمكن أن يكون ترتيب الآيات القرآنية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ليس على ما نشاهد اليوم، وأي دليل يدل على ذلك ، وقد سبق أن ابن عاشور قال إن ترتيب الآيات توقيفي من زمن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) وهذا كلام يذهب برونق الإعجاز وبهاء النظم، وما دخل الترتيب في قوله في الحديث .. (الكبير والشيخ والهرم) ونحو ذلك .

ثم كيف تكون الرخصة بسبعة أحرف على هذا التأويل ، إن هذا التأويل للحديث لم يحم حول التحقيق ولا كان لصاحبه فيه فضل ولا توفيق . وقد تناقض تفسيره في ٦٣/١ حيث قال : على أنه يجوز أن تكون إحدى القراءات نشأت عن ترخيص النبي صلى الله عليه وسلم للعاجز أن يقرأ بالمرادف تيسيراً على الناس كما يشعر به حديث تنازع عمر وهشام . ومع هذا التناقض بين القولين إلا أن هذا يوهم أن القراءات بالتشهي وهذا لا يقول به أحد وإنما المرادف المسموح به هو الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم تواترا لا غير.

وقبل أن أذكر الرأي الراجح لا بد من ذكر حديث عمر وهشام ، ومن قبله حديث الأحرف ، فقد أخرج البخاري في كتاب فضائل القرآن عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(أقرأني جبريل على حرف، فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)(٣) وأخرج ايضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة . لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلببته بردائة فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : كذبت . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إني سمعت

---

(١) ٥٩/١

(٢) انظر ٧٩/١ وكذلك ابن عاشور ومنهجه في التفسير للريس ص ٤٧٥ .

(٣) الفتح ٢٢/٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله إقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت . ثم قال اقرأ يا عمر : فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منه (١) .

ما المختار في هذه المعمعة العلمية ؟

والذي حطت عليه أكثر الأقوال في هذه المسألة ثلاثة آراء لا غير ، وغيرها لا ينبغي الالتفات اليه .

فأما الرأي الأول : فهو القاضي بأن معنى الأحرف السبعة هو سبعة أوجه من الأوجه التي يقع بها التغاير في ألفاظ القران الكريم ، ومشى على هذا القول ابن قتيبة في مشكل القرآن وأبو الفضل الرازي (٢) ، وابن الجزري في كتابه النشر، والقاضي الباقلاني من المتقدمين ، ورجحه من المتأخرين الشيخ محمد بخيت المطيعي في كتابه الكلمات الحسان والشيخ الخضري الدمياطي والشيخ عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان ، والشيخ عبد التواب عبد الجليل ، والدكتور صبحي الصالح (٣) ، والاستاذ محمد الزفزاف في كتابه التعريف بالقرآن والحديث (٤) والاستاذ محمد يعقوبي خبيزه ، في بحث له عن الأحرف السبعة (٥).

وهذه الأوجه التي ذكروها اختلفوا في تقريرها اختلافاً شديداً ولا بأس من ذكر نموذج منها وهو ما ذكره الرازي حيث جعل الكلام لا يخرج عن سبعة :

الأول : اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر .

الثالث : اختلاف وجوه الإعراب .

---

(١) الفتح ٢٣/٩ وقد ذكر كثيراً من روايات هذا الحديث أبو عمرو الداني في كتابه الأحرف السبعة ص١١ وما بعدها، وقد سبقه الطبري إلى ذكر شيء منها في مقدمة تفسيره وقد استقصى الدكتور عبد الصبور شاهين هذه الروايات في كتابه تاريخ القرآن الكريم ص ٢٢٩ وما بعدها وذكر كثيراً منها الدكتور اسماعيل الطحان في كتابه من قضايا القرآن ص ١٠ وما بعدها . الناشر المكتبة العربية ، قطر ١٩٨٣ .

(٢) الرازي هو ابن شاذان المتوفى سنة ٢٩٠ هـ كما نقله الدكتور صبحي الصالح ص ١١٥ هامش٤ عن النشر والذي في النشر ابن شاذان فقط وهذا الذي ذكره الدكتور هو بناءً على ما ذكر في فهرس الجزء الأول من النشر ص ٥٠٧ .

(٣) انظر لغة القرآن ٧٧ - ٧٨

(٤) ص ٥١

(٥) نشر في مجلة دار الحديث الحسينية بالمغرب ، العدد السابع سنة ١٩٨٩ ، ص ٣٠ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرابع : الاختلاف بالنقص والزيادة
الخامس : الاختلاف بالتقديم والتأخير .
السادس : الاختلاف بالإبدال .
السابع : اختلاف اللغات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك(١).

وقد ذكر الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم هذا القول وأصحابه مع اختلافهم فيه ، وأجاد في الرد عليه وتوهينه بما لا يحتاج معه إلى مزيد(٢) .

القول الثاني : أن الأحرف السبعة هي لغات سبع :
وقد ذهب إلى هذا القول طائفة من العلماء منهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، وثعلب ، والكرماني ، والطبري وابن عطية والأزهري وصححه البيهقي وأبو علي الأهوازي (٣).

ومال إلى هذا الرأي ابن حجر في الفتح (٤) . وصنيع أبي شامة في كتابه المرشد الوجيز يشعر بهذا (٥) .
وقد انشعب القائلون بهذا القول إلى فريقين :
الأول : يقول إن معنى سبع لغات أي سبع أوجه من الألفاظ المختلفة الدالة على معنى واحد نحو : هلم وأقبل وتعال وإليّ وقصدي ونحوي ، وإلى هذا مال ابن جرير الطبري .

وقد تمحل الدكتور حسن ضياء الدين العتر في أن الطبري لم يقل أنها أوجه مختلفة لكلمات تدل على معنى واحد نحو هلم وأقبل وتعال ، وحاول أن يفرق بين القول القائل أنها سبعة أوجه من المعاني المتقاربة ذات الالفاظ المختلفة وبين القول القائل انها سبع لغات (٦) ولست أرى أن هناك فرقاً بينهما سوى في اختلاف التعبير عنهما .

---

(١) انظر النشر ٢٧/١

(٢) لغة القرآن الكريم ٧٧-٩٢ وانظر في رد هذا القول في البحث المنشور في مجلة الزيتونة بعنوان قضية نزول القرآن على سبعة احرف ص ٢٤٣ - ٢٤٨ عدد ٥ لمحمد التومي.

(٣) تفسير الآلوسي ٢١/١ ولغة القران ٩٢ وانظر الزرقاني على الموطأ ١١/٢ .

(٤) ٣٠/٩

(٥) انظر المرشد الوجيز ٩١ وما بعدها .

(٦) انظر ١٦٨ ، ١٧٣ من كتابه المعنون بالأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها . دار البشائر الاسلامية ط ١ ١٤٠٩-١٩٨٨ م بيروت - لبنان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني : يقول إنها سبع لغات مبثوثة في القرآن الكريم لسبع قبائل من العرب وقد مال إلى هذا القسم كثير (١) .

والذي يترجح لي من هذا الأمر ما ذهب إليه الإمام الطبري من أن المقصود سبع لغات متباينة دالة على شيء واحد وأن المصحف لا يشتمل من هذه الأحرف إلا على حرف واحد، وهذا الرأي هو الذي مال إليه شيخنا الأستاذ الدكتور احمد السيد الكومي (٢) وقد أفاد ببعض الأمور المهمة جداً :

الأول : أن الأحرف السبعة لم تتواتر، ولو تواترت لم يقع فيها الخلاف .
الثاني : الحرف كلمة في قبيلة مهجورة في قبيلة أخرى .
الثالث : لم ينزل القرآن الكريم على أحرف مختلفة ، وإنما نزل منه على قدر الضرورة على حروف مختلفة ، وأما الذين لم يقرئهم الرسول صلى الله عليه وسلم من القبائل الأخرى فقد قرأوا على حرف قريش .
وقد مال إلى هذا الرأي شيخنا الدكتور فضل عباس ، ودافع عنه الشيخ أبو شهبة دفاعاً شديداً في كتابه المدخل . (٣)

ثانيا : القراءات القرآنية في هذا التفسير
اهتم ابن عاشور في تفسيره بالقراءات اهتماماً عظيماً ، ولا غرو في هذا الاهتمام ، فإن للقراءات واختلافها شيئاً عظيماً في إثراء معاني النص الكريم ، ولهذا جعل ابن عاشور المقدمة السادسة من مقدمات تفسيره خاصة بالقراءات القرآنية وبين منهجه فيها (٤) .

وقد ذكر ابن عاشور بادىء بدء أنه سيعرض عن ذكر كثير من القراءات في أثناء التفسير (٥) .
وبين أن القراءات القرآنية إنما تكون على حالتين اثنتين من حيث تعلقها بالتفسير .

---

(١) لغة القرآن ١٠٤ ما قبلها وما بعدها وانظر من روائع القران للبوطي ٥٩ وانظر الأحرف السبعة لحسن ضياء الدين عتر ص ١٧٧ وما بعدها .
(٢) وذلك في مقابلة لي معه جرت بمنزله بالقاهرة صباح الجمعة ١٩٨٩/٢/٢٤ .
(٣) ١٧٦ وما بعدها .
(٤) قد وهم الباحث خميس زهمول حين ادعى عدم اهتمام ابن عاشور بالقراءات وبيانها إلا بالقدر الذي يراه مناسباً للتوضيح وذلك في بحثه بعنوان المصادر المعرفية لابن عاشور من خلال تفسير سورة ال عمران ص٢٩.
(٥) ٥١/١ ولكن لم يحدد لنا سبب هذا الإعراض ولا نوعيته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحالة الاولى : تلك التي لا تعلق لها بالتفسير بحال وهي من نحو اختلاف اللهجات ، وتعدد وجوه الإعراب وغيرها ، وإنما تكون فائدة هذا النوع من القراءات في أنها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها من تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف من مخارجها وصفاتها .. فهي مادة كبرى لعلوم اللغة العربية (١) .

الحالة الثانية : تلك التي لها اعتلاق بالتفسير من جهات متنوعة وذلك نحو الخلاف في (ننشرها وننشزها) و (حتى يطهرن ويطّهّرن) فإن في مثل هذا الاختلاف توضيحاً للمعنى في إحدى القراءتين وتكثيراً للمعاني (٢) .

ثم عرض ابن عاشور بعد ذلك إلى مراتب القراءة الصحيحة والترجيح بينها وجاء بكلام في ذلك من أخطر ما يمكن حيث نقل عن أبي بكر بن العربي قوله في العواصم : اتفق الأئمة على أن القراءات التي لا تخالف الألفاظ التي كتبت في مصحف عثمان هي متواترة وإن اختلفت في وجوه الأداء وكيفيات النطق اهـ .

ثم استنتج منه أن تواتر هذه القراءات تبع لتواتر صورة كتابة المصحف وما كان نطقه صالحاً لرسم المصحف واختلف فيه فهو مقبول . وما هو بمتواتر لأن وجود الاختلاف فيه مناف لدعوى التواتر .. ولما قرأ المسلمون بهذه القراءات من عصر الصحابة ولم يغير عليهم ، فقد صارت متواترة على التخيير ، وإن كانت أسانيدها المعينة آحاداً وليس المراد ما يتوهمه بعض القراء من أن القراءات كلها بما فيها من طرائق أصحابها ورواياتهم متواترة وكيف وقد ذكروا أسانيدهم فيها فكانت أسانيد آحاد ، وأقواها سنداً ما كان له راويان عن الصحابة ... وقد جزم ابن العربي ، وابن عبد السلام التونسي ، وأبو العباس ابن إدريس فقيه بجايه من المالكية والأبياري من الشافعية بأنها غير متواترة ، وهو الحق . أما اللفظ المقروء فغير محتاج إلى تلك الأسانيد لانه ثبت بالتواتر اهـ(٣) .

هذا هو ما استنتجه ابن عاشور من كلام ابن العربي الآنف الذكر وهو يدور على أمرين اثنين مؤداهما واحد .

---

(١) ٥١/١ وهذا الكلام غير دقيق فان وجوه الإعراب لها دخل في التفسير ومثال ذلك قراءة ليس البرّ بالنصب والرفع .

(٢) ٥٥/١ والاية الاولى ٢٥٩ البقرة والثانية ٢٢٢ البقرة .

(٣) ٦٠/١ وابن عبد السلام هذا لعله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير قاضي الجماعة بتونس ت ٧٤٩ هـ أنظر الديباج ٣٣٦ وأبو العباس لم أعرفه . والأبياري هو علي بن سيف بن علي بن سليمان القاهري الدمشقي الشافعي من كبار فقهاء الشافعية ت في ٨١٤ هـ، كما في الضوء اللامع ٢٣٠/٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولهما: أن القراءات غير متواترة الإسناد .

ثانيهما: أن التواتر الذي حصل لها إنما هو بالتبع لتواتر لفظ المصحف وخطه .

واعلم أن هذه المسألة مما جرى فيها خلاف العلماء وقد نقل الونشريسي في المعيار طائفة من الآراء والتداخلات العلمية حول هذه المسألة وإنه لحري أن لا يفوت طالب العلم الاطلاع عليه (١).

قال ابن عرفة : والحاصل من اجوبة المتقدمين حول المسألة ثلاثة أقوال:

الأول :أنها متواترة. نقلة الأبياري عن أبي المعالي وأنكره عليه.

الثاني : أنها متواترة عند طائفة خاصة وهم القراء فقط ، نقلـه المازري في شرح البرهان وبسط القول فيه .

الثالث : أنها غير متواترة ، قاله ابن العربي وبسط القول فيه ولم يحك غيره وذلك في كتاب العواصم والقواصم له وقاله الابياري (٢) .

وقد مشى على عدم اشتراط التواتر في قبول القراءة ابن الجزري في النشر (٣) ومكي في الإبانة (٤).

قال في غيث النفع : مذهب الأصوليين والفقهاء الأربعة أن التواتر شرط في صحة القراءة ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية وقال الشيخ أبو محمد مكي : القراءة الصحيحة ما صح سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وساغ وجهها في العربية ووافقت خط المصحف وتبعه على ذلك بعض المتأخرين ومشى عليه ابن الجزري في نشره وطيبته .. وهو قول محدث لا يعول عليه ويؤدي إلى تسوية غير القرآن بالقران (٥) .

قلت : وهذا هو الذي يعول عليه ، فلا بد من التواتر لإثبات القرآنية ولا تقبل الإستفاضة والشهرة كما ادعاه محقق مراتب الأصول وغرائب الفصول (٦) .

وقد اختار الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه القراءات الشاذة التواتر ومشى عليه ورفض كل ما يفضي إلى غيره فانظره (٧) .

---

(١) المعيار المعرب ١٢/٦٨ - ١٦٢ .

(٢) السابق ١٢/٧٢ بتصرف وانظرالعواصم من القواصم ص ٤٨٥ ومابعدها.والصواب في اسم كتاب ابن العربي ما هنا.

(٣) ١/١٣

(٤) ٣٩ وما بعدها

(٥) غيث النفع للصفاقسي ص ١٧ بهامش سراج القارىء .

(٦) محمد عصام القضاة في تحقيقه ص ٧٤ من المقدمة .

(٧) مطبوع مع البدور الزاهرة في نهايته ص ٧ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر البنا صاحب كتاب اتحاف الفضلاء الخلاف واختار القول بالتواتر ، وأنه هو المتلقى عن الشيوخ (١) .

وأما قول ابن عاشور بأن القراءات متواترة تبعاً لتواتر المصحف فهذا كلام مردود ، فإنه بظاهره يفيد أن التواتر في الخط يفيد التواتر في اللفظ ، فتستوي القراءات المتواترة لفظاً وغيرها من هذا الوجه لموافقة الخط ، وهذا إذا تؤمّل غير معقول إذ لا يصح أن تكون القراءة نفسها متواترة بتواتر خطها لتغيرها (٢) ، إذ اللفظ لا يكون إلا معيناً لما ليس في الخط من الشكل والنقط والتشديد والتخفيض وإثبات ما هو محذوف في الرسم ، وحذف ما هو ثابت فيه ، فقد ذكر أبو عمرو الحافظ (٣) في كتابه الموضوع في شواذ القراءات ان في قوله تعالى (بعذاب بئيس) في الاعراف/١٦٥ من القراءات أربعة عشر وجهاً ، قال أربعة منها في قراءة أئمة العامة ، وعشرة شواذ ، والخط يقبلها كلها(٤).

"وكيف يكون ذلك صحيحاً والأئمة لا يعتمدون الرسم في التلاوة ، وإنما تعتمد فيها الرواية وإنما الرسم مجتمع للسور والآيات والكلمات حتى لا يزاد فيها ، ولا ينقص منها ، ولا بعوض ، ولا يقدم ، ولا يؤخر ، ولو كان الرسم يُعتمد في القراءة على ما يقتضيه ويكون قرآناً بمقتضى الرسم لكان للملحدة متسع مجال في كثير من قراءاتهم ، وقد أنكر الأئمة ذلك عليهم ، وبطريق التواتر في النقل ردوا مقالهم فيما افتروه على الأمة من التصحيف في كتاب الله مع قبول الرسم" (٥) .

"ثم ألا ترى أن اسم القرآن كان حاصلاً قبل كتب المصحف ، ولم يكن إلا باعتبار التلاوة فكذلك بعده" (٦) .

والحاصل أن ابن عاشور لم يوفق في هذا القول ، ولا يفوتنا أن نقول إن ابن عاشور ذكر ما يمكن ان يعد نقضاً لكلامه السابق كله حيث قال عند من قرأ قول الله تعالى (وما هو على الغيب بضنين) التكوير/٢٤ عند من قرأها بالظاء المشالة قال : ولا شك أن الذين

---

(١) اتحاف فضلاء البشر لأحمد البنا ٧٢/١ وانظر ما كتبه الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم تحت عنوان ضابط ما يسمى قرآناً في كتابه لغة القران ص ١١٩ وما بعدها وانظر تفصيل المسألة بخطورتها في مقالات الكوثري ص ١٩ وما بعدها .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب لتغايرهما (الخط واللفظ)

(٣) أبو عمرو الداني إمام القراءات المشهور

(٤) المعيار ٨١/١٢

(٥) السابق ٨٩

(٦) السابق ٩٦ ثم انظر هل نقل الرسم تواتراً كاللفظ ام لا راجع ايقاظ الاعلام ص ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرأوه بالظاء المشالة من أهل القراءات المتواترة وهم ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب ، قد رووه متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فلا يقدح في قراءتهم كونها مخالفة لجميع نسخ مصاحف الأمصار لأن تواتر القراءة أقوى من تواتر الخط إن اعتبر للخط تواتر ؟!!

ثم قال : وما ذكر من شروط موافقة القراءة لما في مصحف عثمان لتكون قراءة صحيحة يجوز القراءة بها إنما هو بالنسبة للقراءات التي لم ترو متواترة كما بيناه في المقدمة السادسة(١)

والذي ذكره في المقدمة السادسة ليس فيه هذا البيان وقد سبق نقله فانظر إلى هذا التناقض عنده رحمه الله .

قلت : وقد أغرب في دليل الحيران بقوله برد القراءة المخالفة للرسم العثماني ولو متواترة ؟! (٢)

وأما ما نقله عن ابن العربي فهو كلام ناقض نفسه فيه في كتاب آخر حيث نقل الونشريسي عن الأحكام قوله إن القرآن لا يثبت إلا بنقل التواتر (٣) .

ثم قد رد كلامه أبو سعيد بن لب في كتابه فتح الباب ورفع الحجاب بتعقيب ما وقع في تواتر القران من السؤال والجواب (٤). حيث قال عن كتاب العواصم من القواصم ما نصه وكلام ابن العربي في الفصل مصرح بالسبع كلها على اختلاف وجوهها ، وهو الذي اضاف الناس اليه المخالفة فيه في ذلك الكتاب . ومسألته القرانية في كتابه هذا قاصمة ليس لها عاصمة ، وقد وقع له في هذا الكتاب أشياء أخذ عليه فيها... وله في تلك القاصمة القرآنية من الكلام ما خالف فيه الجماعة ، وعدل في مرماه عن طريق الإصابة وعاب القراء وقراءتهم ، ونبذ طريقتهم ، وقال إن جمع السبع لم يكن بإجماع . وإنما كان باختيار من واحد وآحاد مخالفاً في هذا المذهب الجماعة ، ومذهبه أيضاً في غير العواصم ، وقال إن ما صح سنده في القرآن وخالف خط المصحف لا يقرأ به بحال فان الإجماع قد انعقد على تركه .. هذا نص كلامه . فإن كان أراد بمخالفة مثل فامضوا ومتتابعات وبابهما فصحيح ، وإن كان أراد المخالفة بإطلاق فكيف له في ذلك بصحة هذا الإجماع مع قراءة المسلمين قديماً وحديثاً بأشياء كثيرة بخلاف خط المصحف صحت بها الرواية ، واجتمعت على صحتها الجماعة..(٥).

---

(١) انظر ٣٠/١٦١ وانظر كذلك ١٦/٢٥٤ وانظر ٢٩/٣٩٣

(٢) انظر ص ٤٠

(٣) المعيار ١٢/٩٣

(٤) مطبوع مع المعيار في ١٢/٧٦-١٤٧

(٥) المعيار ١٢/١١٩ وما بعدها ومما يلفت النظر إلى أن ابن عاشور أحال إلى هذه المناظرات العلمية في كتاب المعيار ولا أدري لماذا اقتصر منها على ما اقتصر ، أفلم يطلع على ردود هذا العالم على ابن العربي ؟! .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم عرض ابن عاشور بعد ذلك إلى موضوع تفاوت القراءات والترجيح بينها فقال : ثم إن القراءات العشر الصحيحة المتواترة ، قد تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة أو الفصاحة أو كثرة المعاني أو الشهرة ، وهو تفاوت متقارب وقل أن يكسب إحدى القراءات في تلك الآية رجحاناً . على أن كثيراً من العلماء كان لا يرى مانعاً من ترجيح قراءة على غيرها ، ومن هؤلاء الإمام محمد بن جرير الطبري ، والعلامة الزمخشري وفي أكثر ما رجح به نظر سنذكره في مواضعه اهـ.(١) .

واعلم أننا ماشون على أن القراءات العشر كلها متواترة فمصدرها واحد وإعجازها واحد يدل لذلك ماذكره ابن عاشور حيث قال : فإن قلت: هل يفضي ترجيح بعض القراءات على بعض إلى أن تكون الراجحة أبلغ من المرجوحة فيفضي إلى أن المرجوحة أضعف في الإعجاز ؟ قلت : حد الإعجاز مطابقة الكلام لجميع مقتضى الحال ، وهو لا يقبل التفاوت .(٢) وإذا كانت معجزة كلها ، وحد الإعجاز مطابقة الكلام لجميع مقتضى الحال وهو لا يقبل التفاوت . علمت أنه لا تنبغي المفاضلة بين القراءات المتواترة من جهة البلاغة ولا من جهة الاعجاز وإنما تتفاوت القراءات في أنها تضيف معان جديدة يثرى بها النظم الكريم، ومرتبتها الكلامية واحدة(٣).

وإذا علمت ذلك علمت ما في قول مصطفى الجويني في حديثه عن الزمخشري حيث قال : ورأى الزمخشري أن في القرآن بليغاً وأبلغ وهذا نوع من الإحساس الفني لم يشبع القول فيه ولكنه ألمع ولم يفصل اهـ.(٤) ، فان ذلك ليس إحساساً فنياً بقدر ما هو نوع من الخطل في تأويل القراءات القرآنية ولهذا أنكر من أنكر على الزمخشري ذلك .

وقبل أن نغادر إلى منهج ابن عاشور في تبيان القراءات لا بد من التنبيه على أن الشيخ قال : على أنه يجوز أن تكون إحدى القراءات نشأت عن ترخيص النبي صلى الله عليه وسلم للقارىء أن يقرأ بالمرادف تيسيراً على الناس . (٥)

وقال أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ) إبراهيم/٢٢ وقرأ حمزة وخلف بمصرخيّ بكسر الياء تخلصاً من التقاء الساكنين واتفق الجميع على أن التخلص بالفتحة في مثله أشهر من التخلص بالكسرة ، وإن كان التخلص بالكسرة في مثله هو

---

(١) التحرير ٦١/١-٦٢

(٢) التحرير ٦٢/١-٦٣

(٣) وانظر دفاع عن القراءات المتواترة ص٢٠ للبيب سعيد

(٤) منهج الزمخشري ص ٣٠٠

(٥) ٦٣/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القياس ، وقد أثبته سند قراءة حمزة ...والذي يظهر لي أن هذه القراءة قرأ بها بنو يربوع من تميم وبنو عجل من بكر بن وائل فقرأوا بلهجتهم أخذاً بالرخصة للقبائل أن يقرأوا القرآن بلهجاتهم وهي الرخصة التي أشار إليها قول النبي صلى الله عليه وسلم (إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه).. ثم نسخت تلك الرخصة بقراءةالنبي صلى الله عليه وسلم في الأعوام الأخيرة من حياته المباركة. ولم يثبت ما ينسخها في هذه الآية. (١)

أقول : وبرغم ما في هذا الكلام من عدم الدقة فقد تلقفه السيد عبدالله الريّس في بحثه حول تفسير ابن عاشور ، وفهم منه أن ابن عاشور يجوّز القراءة بالمعنى بناء على كلامه السابق (٢).

وانا أرى أن ليس الأمر على ذلك ، فإن القراءة بالمعنى لا يقول بها آحاد الطلبة والذي ينبغي أن يحمل كلام الشيخ عليه هو اضطرابه في فهم الأحرف السبعة والله اعلم .

وأول ما يطالعنا من منهجه في ذكر القراءات أنه يسوق القراءات دون ذكر لمصادرها وفي أحيان قليلة يشير إلى بعض المصادر من كتب التفسير والقراءات إلا أن الأعم الأغلب هو عدم ذكر المصادر.

وأكتفي بمثال واحد لذكره المصادر فقد قال عند قوله تعالى (فاستوى على سوقه)الفتح/٢٨ وقراءة الجميع على سوقه بالواو بعد الضمة ، وقال ابن عطية : قرأ ابن كثير (سؤقه) بالهمزة وهي لغة ضعيفة يهمزون الواو التي قبلها ضمة ومنه قول الشاعر :

لحبّ المؤقدان إلي مؤسي وجعدة إذا أضاءهما الوقود .

والبيت لجرير منه .

وتنسب لقنبل عن ابن كثير ولم يذكرها المفسرون ولم يذكرها في حرز الأماني ، وذكرها النوري في كتاب غيث النفع وكلامه غير واضح في صحة نسبة هذه القراءة إلى قنبل (٣) .

---

(١) ٢٢٠/١٣ وما بعدها بتصرف

(٢) ابن عاشور ومنهجه في التفسير ٤٧٧

(٣) ٢٠٩/٢٦ وقال في غيث النفع : قرأ قنبل بهمزة ساكنة بعد السين بدل الواو وعنه ايضاً ضم الهمزة بعد السين بعدها واو ساكنة وهذا الوجه من زياداته على أصله وهو غريب جدا حتى ادعى بعضهم أنه مما انفرد به وليس كذلك كما قاله المحقق اهـ ص٢٥٦ فأنت تراه صريح النسبة لقنبل وإنما المشكل فيه هو الوجه الاخر فانظر ما قاله ابن عاشور !

وذكر هذه القراءة لقنبل في اتحاف فضلاء البشر ٤٨٤/٢ وذكرها ابن الجزري في النشر لقنبل ٣٣٨/٢ وذكرها أبو حيان في البحر ١٠٣/٨ وذكرها الآلوسي ١٢٧/٢٦ وذكرها مكي في الكشف ١٦١/٢. وانظر كمثال اخر على ذكره المصادر ٣٥٢/٢٣.والبيت المذكور هو من أبيات جرير وهو في ديوانه ص١١٦،طبع دار صادر- بيروت ١٩٦٠م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ادعى أحد الباحثين احتمالية اعتماد ابن عاشور على النشر في ذكر القراءات (١) وهو ادعاء لا يحتمله كتاب ابن عاشور وليس عليه ظلال دليل ولا ينبغي اعتماده ويتلخص منهج الشيخ في ذكر القراءات بشكل عام في النقاط التالية:

١. توجيه القراءات القرآنية
٢. دفاع عن القراءات القرانية المتواترة
٣. بعض متفرقات اخرى .

اولا : توجيه القراءات القرآنية في هذا التفسير :-

بدأ بها ابن عاشور بقوله (إن الأصل في اختلاف القراءات الصحيحة اتحاد المعاني (٢) وهذا الكلام يبدو لي انه مجانب للصواب فإن الأصل في اختلاف القراءات تكثير المعاني لا اتحادها وإلا غدا اختلاف القراءة ناحية لفظية شكلية فحسب ، وأنا أرى أنه لا ينبغي اعتماد مثل هذا القول في توجيه القراءات القرآنية ، ذلك أن القرآن لم يراع الناحية الشكلية او اللفظية دون المعاني ، وقد يجرنا ذلك إلى إعمال القول القائل بوقوع الترادف في القرآن الكريم (وهو خلاف ما عليه تحقيق المحققين) (٣).

ومن أمثلة ما ذكره في توجيه القراءات ما كان عند تفسيره لقوله تعالى (قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت) ال عمران/٣٦.

حيث قال : وقوله (والله أعلم بما وضعت) جملة معترضة ، وقرأ الجمهور : وضعت بسكون التاء فيكون الضمير راجعاً إلى امرأة عمران . وهو حينئذ من كلام الله تعالى وليس من كلامها المحكي ، والمقصود منه : أن الله أعلم منها بنفاسة ما وضعت . (٤) وانها خير من مطلق الذكر الذي سألته ، فالكلام إعلام لاهل القرآن بتغليطها وتعليم بأن من فوّض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقب تدبيره .

وقرأ ابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم : بضم التاء على انها ضمير المتكلمة امرأة عمران

---

(١) المصادر المعرفية لابن عاشور من سورة ال عمران ص ٣٠. وانظر كدليل على اعتماد ابن عاشور على غير ما مصدر قوله في ٣/٢٩٣

(٢) ٣/٢٥ ، ١٠٠ وانظر ما يناقض هذا القول في المقدمة ١/٥٦ حيث قال إن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لان في اختلافها توفيراً لمعاني الاية غالباً فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن .

(٣) يتيمة البيان لمشكلات القران لمحمد البنوري ص ٩٩ نقلاً عن نيل المرقدين للكشميري .

(٤) المشهور أن كلمة (أنفس) لا تستخدم هنا وانما هي في الاشياء والمعادن وما اشبهها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتكون الجملة من كلامها المحكي ، وعليه فاسم الجلالة التفات من الخطاب إلى الغيبة فيكون قرينة لفظية على ان الخبر مستعمل في التحسر . (١)

ومن ذلك ايضاً ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) الاية ٤٦: ابراهيم.

حيث قال : وقرأ الجمهور : (لتزول) بكسر اللام وبنصب الفعل المضارع بعدها فتكون (إن) نافية ولام (لتزول) لام الجحود ، اي وما كان مكرهم زائلة منه الجبال . وهو استخفاف بهم اي ليس مكرهم بمتجاوز مكر امثالهم ، وما هو بالذي تزول منه الجبال وفي هذا تعريض بأن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين الذين يريد المشركون بهم المكر لا يزعزعهم مكرهم لانهم كالجبال الرواسي .

وقرأ الكسائي وحده - بفتح اللام الاولى - من (لتزول) ورفع اللام الثانية على أن تكون (إن) مخففة من إن المؤكدة ، وقد أهمل اعمالها . واللام فارقة بينها وبين النافية. فيكون معنى الكلام اثباتاً لزوال الجبال من مكرهم ، اي هو مكر عظيم لتزول منه الجبال لو كان لها أن تزول ، اي جديرة ، فهو مستعمل في معنى الجدارة والتأهل للزوال لو كانت زائلة، وهذا من المبالغة في حصول امر شنيع او شديد في نوعه على نحو قول الله تعالى (يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا) مريم/٩٠ (٢) .

ومنه ايضاً ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) الجاثية/٤-٥ .

حيث قال : وقرأ الجمهور قوله (آيات لقوم يوقنون) وقوله (آيات لقوم يعقلون) برفع (آيات) فيهما على انهما مبتدآن وخبراهما المجروران ، وتقدر (في) محذوفة في قوله (واختلاف الليل والنهار) لدلالة اختها عليها التي في قوله (وفي خلقكم) والعطف في كلتا الجملتين عطف جملة لا عطف مفرد .

وقرأها حمزة ، والكسائي ، وخلف : (آيات) في الموضعين بكسرة نائبة عن الفتحة ف(آيات) الاولى عطف على اسم (إن) و(في خلقكم) عطف على خبر (إن) فهو عطف على معمولي عامل واحد ولا اشكال في جوازه ، وأما (ايات لقوم يعقلون) فكذلك الا أنه عطف على معمولي عاملين مختلفين ، اي ليسا مترادفين هما (إن) و (في) على اعتبار أن الواو عاطفة

---

(١) ٢٣٣/٣ وانظر ابراز المعاني لابي شامة ص ٣٨٦ والكشف لمكي ٣٤٠/١

(٢) ٢٥٠/١٣ وانظر الكشف لمكي بن ابي طالب ٢٧/٢ وانظر ابراز المعاني لابي شامة ص ٥٥٣ وانظر الاتحاف ١٧١/٢ وفيه أن ابن محيصن من القراء وافق الكسائي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(آيات) وليست عاطفة جملة (في خلقكم) الاية ، وهو جائز عند اكثر نحاة الكوفة وممنوع عند اكثر نحاة البصرة ولذلك تأول سيبويه هذه القراءة بتقدير (في) عند قوله (واختلاف الليل والنهار) لدلالة اختها عليها ، وتبقى الواو عاطفة (آيات) على اسم (إن) فلا يكون من ذلك عطف على معمولي عاملين .

والحق ما ذهب اليه جمهور الكوفيين وهو كثير كثرة تنبو عن التأويل وجعل ابن الحاجب في امالية قراءة الجمهور برفع (آيات) في الموضعين ايضاً من العطف على معمولي عاملين لان الرفع يحتاج إلى عامل كما ان النصب يحتاج إلى عامل قال واكثر الناس يفرض الاشكال في قراءة النصب لكون العامل لفظياً وهما سواء .

وقرأ يعقوب (آيات) الثانية فقط بكسر التاء على انه حال متعدد من اختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق وتصريف الرياح والسحاب . (١)

وقد يعلل ابن عاشور اختلاف القراءات بالتفنن وهو نادر ومثاله ما وقع في تفسير قوله تعالى (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين) يونس/١٠٣ حيث قال : وقرأ الجمهور (نُنْجِي) بفتح النون الثانية وتشديد الجيم على وزان (ننجي رسلنا) . وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم (ننجي) المؤمنين بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم من الانجاء ، فالمخالفة بينه وبين نظيره الذي قبله تفنن والمعنى واحد (٢) .

والذي يظهر انه لا بد من الفرق بين المعنيين قال في الكليات في الفرق بينهما والانجاء قيل معناه اخلصه قبل وقوعه في المهلكة ، ونجاه : اخلصه بعد الوقوع.(٣)
قلت : وسيأتي مزيد تفاصيل لهذا الذي يسميه ابن عاشور بالتفنن في موضعه من البحث في فصل اللغة في تفسيره ان شاء الله تعالى .

ثانيا : **الدفاع عن القراءات القرآنية المتواترة** :-
وقد دافع ابن عاشور في تفسيره دفاعاً عظيماً عن القراءات المتواترة،يظهر ذلك من كثرة ردوده على الطاعنين في هذه القراءات .

---

(١) ٣٢٨/٢٥ وانظر امالي ابن الحاجب ٤٥/١ وانظر الكشف ٢٦٧/٢ وانظر المبسوط ص ٤٠٣ حيث جعل قراءة يعقوب في الموضعين كما عند الكسائي ولم يذكر خلفاً معهما وكذلك في النشر ٣٧١/٢ وكذلك الاتحاف ٤٦٥/٢ وانظر في توجيه هذه القراءة كذلك ابراز المعاني ص٦٨٣.

(٢) ٩٩/١١ وانظر كمثال آخر ١٤٦/٩

(٣) الكليات للكفوي ٣٣٨/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائماً) ال عمران/٧٥ حيث قال :-

وقرأ الجمهور (يؤده اليك) بكسر الهاء من يؤده على الاصل في الضمائر . وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر باسكان هاء الضمير في (يؤده) فقال الزجاج: هذا الاسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بيّن لان الهاء لا ينبغي أن تجزم وإذا لم تجزم فلا يجوز ان تكسر في الوصل (هكذا نقله ابن عطيه ، ومعناه : أن جزم الجواب لا يظهر على هاء الضمير بل على آخر حرف من الفعل ولا يجوز تسكينها في الوصل كما في اكثر الايات التي سكنوا فيها الهاء) (١).

وقيل هو اجراء للوصل مجرى الوقف وهو قليل ، قال الزجاج : وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسر فغلط عليه من نقله وكلام الزجاج مردود لأنه راعى فيه المشهور من الاستعمال المقيس ، واللغة اوسع من ذلك والقراءة حجة ، وقرأه هشام عن ابن عامر ويعقوب ، باختلاس الكسر . وحكى القرطبي أن مذهب بعض العرب يجزمون الهاء إذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كمايسكنون ميم انتم وقمتم واصله الرفع كما قال الراجز:-

لما رأى الأدَعْ ولا شَبَعْ مال إلى أرطاةِ حِقف فاضطجع(٢)

وقد دافع السمين الحلبي في كتابه الدر المصون عن هذه القراءة دفاعاً عظيماً مبيناً وهم الزجاج فيما ذهب اليه ، وأن هذه لغة ثابتة عن العرب حفظها الاعلام (٣) .

ومن ذلك ما ذكرعند تفسيره لقوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم ..) الانعام/١٣٧ حيث قال : وقرأ الجمهور : (زيّن) بفتح الزاي ونصب (قتل) على المفعولية لـ(زين) ، ورفع (شركاؤهم) على أنه فاعل (زين) وجر (أولادهم) باضافة قتل اليه من اضافة المصدر إلى مفعوله .

وقرأه ابن عامر :(زيّن لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم) ببناء فعل (زيّن) للنائب ، ورفع (قتل) على انه نائب الفاعل ، ونصب (أولادهم) على أنه مفعول (قتل) ، وجر (شركائهم) على اضافة (قتل)

---

(١) والعبارة التي في تفسير الزجاج :(وهذا الاسكان الذي حكي عن هؤلاء غلط بيّن لا ينبغي أن يقرأ به ... الهاء لا ينبغي أن تجزم ولا تسكن في الوصل انما تسكن في الوقف اهـ ٤٣٢/١

(٢) ٢٨٦/٣ والبيت لمنظور بن حبة الاسدي والرواية فالطجع كما في الخصائص ٦٣/١ وهو في اللسان كما هنا مادة رطا ٣٢٥/١٤ سبه هكذا محي الدين في حواشيه على اوضح المسالك ٣٧١/٤ ، ونسبه محقق السمين إلى منظور بن مسرثد ٢٦٣/٣ واستشهد به الفراء عند قوله تعالى (ارجه وأخاه) ١١١/الاعراف ٣٨٨/١

(٣) السمين ٣٦٢/٣ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انيه من اضافة المصدر إلى فاعله ، وكذلك رسمت كلمة (شركائهم) في المصحف العثماني الذي ببلاد الشام .(١)وذلك دليل على أن الذين رسموا تلك الكلمة راعوا قراءة (شركائهم) بالكسر ، وهم من اهل الفصاحة والثبت في سند قراءات القران ، إذ كتبوا كلمة (شركائهم) بصورة الياء بعد الالف . وذلك يدل على أن الهمزة مكسورة ، والمعنى على هذه القراءة : إن مزيناً زين لكثير من المشركين أن يقتل شركاؤهم اولادهم ، فاسناد القتل إلى الشركاء على طريقة المجاز العقلي ، إما لأن الشركاء سبب القتل ، اذ كان القتل قرباناً للأصنام . وإما لان الذين شرّعوا لهم القتل هم القائمون بديانة الشرك مثل عمرو بن لحي (٢) ومن بعده . وإذا كان المراد بالقتل الوأد ، فالشركاء سبب ، وإن كان الوأد قرباناً للأصنام ، وإن لم يكن قرباناً لهم (وهو المعروف)فالشركاء سبب السبب ،لانه من صنائع الشرك.

وهذه القراءة ليس فيها ما يناكد فصاحة الكلام لان الإعراب يبين معاني الكلمات ووظائفها ، واعرابها مختلف من رفع ونصب وجر ، بحيث لا لبس فيه ، وكلماتها ظاهر اعرابها عليها ، فلا يعد ترتيب كلماتها على هذا الوصف من التعقيد المخل بالفصاحة، مثل التعقيد الذي في قول الفرزدق :

وما مثله في الناس الا مملكاً أبو أمه حيّ أبوه يقاربه(٣)

لانه ضم إلى خلل ترتيب الكلام أنه خلل في اركان الجملة ، وما حف به من تعدد الضمائر المتشابهة وليس في الاية مما يخالف متعارف الاستعمال الا الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول ، والخطب فيه سهل . لان المفعول ليس اجنبياً عن المضاف والمضاف اليه .

وجاء الزمخشري في ذلك بالتهويل ، والضجيج والعويل ، كيف يفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول . وزاد الطين بلة الانكار نغمة فقال : (والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف (شركائهم)مكتوباً بالياء.وهذا جرى على عادة الزمخشري في توهين القراءات المتواترة إذا خالفت ما دوّن عليه النحو، لتوهمه أن القراءات اختيارات وأقيسةمن القراء ، وانما هي روايات صحيحة متواترة ، وفي الاعراب دلالة على المقصود لا تناكد الفصاحة . ومدونات النحو ما قصد بها الا ضبط قواعد العربية الغالبة ليجري عليها الناشئون في اللغة العربية ، وليست حاصرة لاستعمال فصحاء العرب ، والقراء حجة على النحاة دون العكس ، وقواعد النحو لا تمنع الاقياس المولدين على ماورد نادراً في الكلام الفصيح،والندرة لا تنافي الفصاحة ، وهل يظن بمثل ابن عامر أنه يقرأ القرآن متابعة لصورة حروف التهجي في الكتابة . وبمثل هذا لا يروج على المبتدئين في علم العربية ، وهلا كان رسم المصحف على ذلك الشكل

---

(١) لا يظهر لي مراده فالمصاحف التي بين ايدينا فيها (شركاؤهم) بالرفع .

(٢) هو اول من ادخل الاصنام إلى جزيرة العرب .

(٣) هذا البيت من أبيات البلاغة والفصاحة حيث يذكره مدونو البلاغة هناك ولم أجده في ديوان الفرزدق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمادياً للزمخشري أن يتفطن إلى سبب ذلك الرسم . أما ابن عطية فقال : (هي قراءة ضعيفة في استعمال العرب) يريد أن ذلك الفصل نادر ، وهذا لا يثبت ضعف القراءة ، لان الندور لا ينافي الفصاحة . وبعّد ابن عطية هذه القراءة بعدم مناسبتها للتعليل بقوله (ليردوهم) وتبعه أبن عطية لها توّهم : اذ لا منافاة بين أن يزينوا لهم قتل اولادهم ، وبين التعليل ، فان التعليل يستعمل في العاقبة مجازاً مثل قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) ٨/القصص . ومن العجيب قول الطبري : والقراءة التي لا استجيز غيرها - بفتح الزاي ، ونصب (القتل) ، وخفض (اولادهم) ، ورفع (شركاؤهم) وذلك على عادته في نصب نفسه حكماً في الترجيح بين القراءات اهـ (١) .

وقد شغلت هذه القراءة المفسرين والمشتغلين بالقراءات في الدفاع عنها ، فدافعوا عنها وردوا كلام الزمخشري وابن عطيه رداً لا مزيد عليه ، وتابعهم على ذلك بعض اللغويين في دفاعهم (٢) . وكان ينبغي أن يردوا على الفراء قبل الزمخشري ، وذلك لانه هو اول من فتح باب الطعن في هذه القراءة (٣) .

ومنه ايضاً ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (فإذا برق البصر) ٧/القيامة حيث قال:(وبرق) قرأه الجمهور بكسر الراء ، ومعناه دهش وبهت ، يقال: بَرِقَ يبرَقُ فهو بَرِق من باب فرح فهو من احوال الانسان .... وقرأه نافع وأبو جعفر بفتح الراء من البريق بمعنى اللمعان ، اي لمع البصر من شدة شخوصه ، ومضارعه يبرق بضم الراء واسناده إلى البصر حقيقة . ومآل القراءتين واحد وهو الكناية عن الفزع والرعب كقوله تعالى (واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) ٩٧/الانبياء فلا وجه لترجيح الطبري قراءة الجمهور على قراءة نافع وابي جعفر لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ولا من جهة التفسير اهـ.(٤)

والذي يظهر لي أن القراءتين ، وإن كانتا تدلان على الهول والفزع الا أن كل واحدة منهما تعطي وصفاً خاصاً ، فاحداهما على الحيرة والفزع والثانية على تغير اللون ولمعان البصر وهو ايضاً من الفزع واللّه

---

(١) ٨ أ /١٠٢-١٠٣

(٢) انظر حجة القراءات لابن زنجله ٢٧٣ وابراز المعاني ٤٦١-٤٦٦ وانظر النشر ٢٦٣/٢ وخزانة الادب ٤٢١/٤ وما بعدها وانظر التحرير ١٦١/٥-١٨٠ حيث دافع عنها دفاعاً لا مزيد عليه ومن قبله أبوحيان في البحر ٤٠٣/٨ وما بعدها وانظر دفاع عن القراءات المتواترة ٧٣ وما بعدها وانظر دفاع عن القرآن ص ١٠٤ وما بعدها .

(٣) ٣٥٧/١ وانظر الخزانة ٤٢١/٤

(٤) ٢٤٤/٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعلم (١) .

ومن المدافعة الضعيفة عنده - نذكر مثالاً واحداً وهو ما ذكره عند قوله تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الاية ٣٤/البقرة حيث قال : وقرأ أبو جعفر في أشهر الروايات عنه (للملائكة اسجدوا) بضمة على التاء في حال الوصل على اتباع حركة التاء لضمة الجيم في اسجدوا لعدم الاعتداد بالساكن الحاصل بين الحرفين لانه حاجز غير حصين ، وقراءته هذه رواية ، وهي جرت على لغة ضعيفة في مثل هذا . فلذلك قال الزجاج ، والفارسي : هذا خطأ من ابي جعفر إذا كان ما قبل الهمزة ساكناً صحيحاً نحو :(وقالت اخرج عليهن) الاية ٣١/سورة يوسف الخ . وإنما حملوا عليه هذه الحماة لان قراءته معدودة في القراءات المتواترة فما كان يحسن فيها مثل هذا الشذوذ وان كان شذوذا في وجوه الاداء لا يخالف رسم المصحف (٢) .

فانظر إلى هذا الدفاع الضعيف الذي يسلم فيه ابن عاشور بشذوذ هذه القراءة من جهة الاداء وليس ينبغي تخطئة هذا القاريء لتدقيقات النحويين ما دام أن هذه لغةمن لغات العرب . وقد دافع عن هذه القراءة غير واحد من الاجلة وعلى رأسهم شيخ النحاة أبو حيان في البحر (٣) والالوسي في تفسيره (٤) وصاحب طلائع البشر(٥).

وبهذا نكون قد اوضحنا منهج ابن عاشور في دفاعه عن القراءات القرآنية وهو مسلك طيب وحسن.

---

(١) انظر ايضاً حجه القراءات ٧٣٦ وطلائع البشر ٢٧٣

(٢) ١/٤٢٣

(٣) ١/١٥٢

(٤) ١/٢٢٩

(٥) ص ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : اسباب النزول للآيات الشريفة :-

لن اتحدث عنها الا بالقدر الذي حاول ابرازه ابن عاشور في تفسيره والا فالحديث عنها يطول جداً ، لان كثيراً من المؤلفات التي جمعت الاسباب لم تحررها جيداً ، وقد اختلط فيها الغث بالسمين (١).

وقد عني الشيخ باسباب النزول ، وافرد لها المقدمة الخامسة من مقدمات التفسير . تحدث عنها مبيناً انه ليس من الضروري ان يتطلب لكل آية سبب نزول (٢) .

وقد أخذ الشيخ على المفسرين المتقدمين ولعهم بتطلب اسباب لنزول آيات القرآن الكريم ، وان كثيراً منهم تلقف الروايات الضعيفة ، فاثبتها في كتابه دون التنبيه على مرتبتها من حيث القوة والضعف . (٣)

قلت : ومن عجب هذا الاخذ على المتقدمين ، وكان الاجدر والاجدى به ان ينحي على من اوردها اذا وقع في ايراد بعض الروايات الموضوعة وليست الضعيفة كالتي رويت في حق الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب على ما سيأتي بيانه .

ويقسم الشيخ اسباب النزول بعد تصفحها كما يقول الى خمسة اقسام :

الاول : هو المقصود من الاية يتوقف فهم المراد منها على علمه ، فلا بد من البحث عنه للمفسر وهذا منه تفسير مبهمات القرآن . مثل قول الله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)١١/المجادلة. ونحو (يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا)١٠٤/البقرة، ومثل بعض الايات التي فيها (ومن الناس) .

الثاني : هو حوادث تسبب عنها تشريعات احكام وصور تلك الحوادث لا تبين مجملاً ولاتخالف مدلول الاية بوجه تخصيص ، او تعميم او تقييد ،ولكنها إذا ذكرت امثالها وجدت مساوية لمدلولات الايات النازلة عند حدوثها مثل : حديث عويمر العجلاني الذي نزلت عنه آية اللعان (٤)... وهذا القسم لا يفيد البحث فيه الا زيادة تفهم في معنى الاية ، وتمثيلا لحكمها .

الثالث : هو حوادث تكثر امثالها تختص بشخص واحد فنزلت الاية لاعلانها وبيان أحكامها وزجر من يرتكبها ، وذلك مثل الايات النازلة في المنافقين في سورة براءة المفتتحة بقوله تعالى (ومنهم - ومنهم) (٥).

---

(١) يضرب للوقوع في التخليط انظر مجمع الامثال ٤٢٥/١

(٢) ٤٦/١

(٣) ٤٦/١

(٤) هو صحابي والحديث في البخاري تفسير سورة النور ٤٤٨/٨ وانظر اختلاف العلماء في صاحب القصة هل هو رجلاً جاء ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل وجد مع امرأته رجلاً ماذا يصنع ونزلت لذلك ام هلال رمى من قومه (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم) الاية ٦/النور .

(٥) وذلك بدءاً من الاية ٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرابع : هو حوادث حدثت وفي القرآن آيات تناسب معانيها سابقة ، او لاحقة ، فيقع في بعض السلف ما يوهم أن تلك الحوادث هي المقصود من تلك الايات مع أن المراد انها مما يدخل في معنى الاية ، وذلك مثل ما وقع في صحيح البخاري في سورة النساء ان ابن عباس قرأ قول الله تعالى : (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا)٩٤/النساء، بألف بعد اللام السلام، وقال كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال : السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته فأنزل الله في ذلك (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام) الاية (١) . فالقصة لا بد أن تكون قد وقعت لان ابن عباس رواها لكن الاية ليست نازلة فيها بخصوصها، وانما نزلت في احكام الجهاد بدليل ما قبلها وما بعدها .

والخامس : قسم يبين مجملات ، ويدفع متشابهات مثل قوله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون)٤٤/المائدة، فإذا ظن احد أن من للشرط اشكل عليه كيف يكون الامر في الحكم كفراً ، ثم إذا علم ان سبب النزول هم النصارى علم أن مَن موصولة وعلم أن الذين تركوا الحكم بالانجيل لا يتعجب منهم ان يكفروا بمحمد (٢) .

وهذه الاقسام التي ذكرها الشيخ لا يمكننا ان نسلم له كلها بسهولة لعدة اسباب :

١ – انها اقسام متداخلة يمكن الاستغناء ببعضها .

٢ – إن منها ما لا يسمى سبب النزول كالقسم الرابع.

٣ – إن القسم الخامس من هذه التقسيمات يُعد من فوائد أسباب النزول وليس نوعا منها.

٤ – إن القسم الأول يغلب عليه طابع المبهمات، وهذه لا تعد من أسباب النزول.

ثم إن كلام الشيخ في هذا القسم غير دقيق لأنه يمكن أن نفهم الآية بدون تعيين ما أبهمه القرآن فيها، ولو كان كلام الشيخ دقيقا، لعُدَّ هذا القسم من مسوّغات طلب البحث عما أبهم في القرآن الكريم، ولم نر من نص على ذلك.

٥ – إن القسم الأول والثاني لا فرق بينهما تقريبا.

وقبل أن نلمح إلى طريقته في تبيان أسباب النزول لا بد من التنبيه إلى أمرين:

الأول: قبول الشيخ: وثمة فائدة عظيمة لأسباب النزول، وهي أن في نزول القرآن عند وقوع حوادث دلالة على إعجازه من ناحية الارتجال، وهي إحدى طريقتين لبلغاء العرب في الكلام، فنزوله على حوادث يقطع دعوى من ادعوا أنه أساطير الأولين(١).

---

(١) الحديث في البخاري ٢٥٨/٨ وقد ذكر الحافظ روايات اخرى لنزولها .

(٢) ٤٦/١ – ٥٠ بتصرف شديد .

(٣) ٥٠/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

[illegible] أقول إن الدليل من ناحية الارتجال غير ظاهر، لأن الارتجال إنما يسند لمنشيء أمين لا لمبلغه، وليس الرسول بمنشيء للقرآن حتى يقال فيه ما قيل، وإنما هو مبلغ القرآن عن ربه.

والثاني: وأما دعوى أن هذا ينفي أنه أساطير الأولين فتصحيح لتلك الآيات التي وقع لها سبب نزول، وهذا لا ينفي في الإعجاز، والصواب من القول أن انتفاء كونه أساطير الأولين إنما هو بنظمه وبلاغته، وبيانه، ككل وليس ببعض آيات منه والله أعلم.

ويتلخص منهجه في ذكر أسباب النزول في الأمور التالية:

أولا: إنه يحقق القول في سبب النزول.

ثانيا: يذكر أسباب النزول بدون إسناد.

ثالثا: يذكر للآية أكثر من سبب نزول.

رابعا: قد يجمع أحيانا بين أسباب النزول.

خامسا: قد وقع منه ذكر لروايات ضعيفة في أسباب النزول وقد ينبه إلى أنها كذلك.

وإلى امثلة على ما سبق من طرائق في هذا الجانب:

أولا: فأما تحقيقه لأسباب النزول فهذا كثير، وهو في الحقيقة مما يتميز به هذا التفسير في هذا الجانب، ومن تحقيقه لأسباب النزول أنه يذكر أن السبب المذكور ليس صالحا لأن تقتصر عليه الآية، وإنما هي عامة، ويصلح من ذكر فيه سببها أن يكون أحد أفراد هذا العموم. ومن أمثلة هذا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) البقرة/٢٠٧ حيث قال: في أسباب النزول قال سعيد بن المسيب نزلت في صهيب بن سنان النمري بن النمر بن قاسط الملقب بالرومي؛ لأنه كان أسره الروم في الجاهلية في جهاد الموصل واشتراه منو كلب فكان مولاهم وأثرى صهيب في الجاهلية بمكة وكان من المسلمين الأولين، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم خرج صهيب مهاجرا فلحق به نفر من قريش ليوثقوه، فنزل عن راحلته وانتثل كنانته وكان راميا وقال لهم لقد علمتم أني من أرماكم، وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بما في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فقالوا لا نتركك تخرج من عندنا غنيا وقد جئتنا صعلوكا، ولكن دلنا على مالك ونخلي عنك، وعاهدوه على ذلك فدلهم على ماله فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين رآه: ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه هذه الآية. وقيل إن كفار مكة عذبوا صهيبا لإسلامه فافتدى منهم بماله وخرج مهاجرا. وقيل غير ذلك. والأظهر أنها عامة، وأن صهيبا أو غيره ملاحظ في أول من تشمله(١)

---

(١) ٢٧٣/٢ وهذه القصة فيها لفظ (فأنزل الله الناس) ولم يذكره ابن عاشور، وروايته للقصة بهذه الطريقة [illegible] أنظر أسباب النزول للواحدي ص ٥٨ . ٥٩ والطبري ١٨٦/٢ ، وقد رجح ابن جرير أن الآية [illegible] وانظر أسباب النزول السيوطي بهامش الجلالين ٤٨/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

[illegible] وهذا التعليق منه لعمومية هذا السبب لا يكفي، فالسبب من أصله غير صالح لهذه الآية لأن الآية مكية والسورة مدنية، وأنت تلاحظ أنه لم يقصر الآية عليه بل قال بعموميتها وهو المختار كما في الطبري.(١)

ومن تحقيقه في أسباب النزول رد الرواية وتبيان أن أسانيدها ليست في الصحيح ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)الحجرات/٦ ، حيث قال: تضافرت الروايات عند المفسرين بأن هذه الآية نزلت عن سبب قضية حدثت، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق من خزاعة ليأتي بصدقاتهم فلما بلغهم مجيؤه، أو لما استبطأوا مجيئه، خرجوا لتلقيه، أو خرجوا ليبلغوا صدقاتهم بأنفسهم وعليهم السلاح، وأن الوليد بلغه أنهم خرجوا إليه على تلك الحالة، وهي حالة غير مألوفه في تلقي المصدقين وحدثته نفسه أنهم يريدون قتله، أو لما رآهم مقبلين كذلك (على اختلاف الروايات) خاف أن يكونوا أرادوا قتله، إذ كانت بينه وبينهم شحناء من زمن الجاهلية. فولى راجعا إلى المدينة. (هذا ما جاء في روايات أربع متفقة في جملة خروجهم إليه مع اختلافها في بيان الباعث لهم على ذلك الخروج/ وفي أن الوليد أعلم بخبرهم إليه أو رآهم أو استشعرت نفسه خوفاً) وأن الوليد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن بني المصطلق أرادوا قتلي، وإنهم منعوا الزكاة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يبعث إليهم خالدا بن الوليد لينظر في أمرهم، وفي رواية أنه بعث خالدا وأمره بأن لا يعزوهم حتى يستثبت أمرهم، وأن خالدا لما بلغ ديار القوم بعث عينا له ينظر حالهم. فأخبره أنهم يقيمون الأذان والصلاة فأخبرهم بما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، وفيض زكاتهم وقفل راجعا.

وفي رواية أخرى أنهم ظنوا من رجوع الوليد أن يظن بهم منع الصدقات فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج خالد إليهم متبرئين من منع الزكاة، ونية القتل بالوليد. وفي رواية أنهم لما وصلوا إلى المدينة وجدوا الجيش خارجا إلى غزوهم.

فهذا تلخيص هذه الروايات وهي بأسانيد ليس منها شيء في الصحيح(٢)

وقد عقّب ابن عاشور بعد ذلك بقوله:- ولو كان الوليد فاسقا لما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تعنيفه واستتابته... واعلم أن جمهور أهل السنة على اعتبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عدولا...

وإنما تلقف هذه الأخبار الناقمون على عثمان إذ كان من عداد مناقمهم الباطلة أنه أولى الوليد بن عقبة إمارة الكوفة فحملوا الآية على غير وجهها، وألصقوا بالوليد وصف الفاسق

---

(١) ٢٨٧/١

(٢) ٢٢٨/٢٦ وقد ورد روايات هذه القصة في عرضنا موضع منها في الطبري ٧٨/٢٦ - ٧٩ وابن كثير [illegible] والسيوطي ١٢٢ - ١١٤ وعند الإمام أحمد ٢٧٩/٤ وانظر مجمع الزوائد ١٠٨/٧ - ١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسماه اسماء منه لتكون ولايته الامارة باطلاً. وعلى تسليم أن تكون الاية اشارة إلى فاسق معين فالسياق لا يحمل على إرادة الذي أعلم الوليد بأن القوم خرجوا له ليصدوه عن الوصول إلى ديارهم قصدا لإرجاعه(١)

قلت: إعلم أن هذه الروايات لا يكاد يخلو منها كتاب تفسير، ومعظم هذه الروايات ضعيفة السند باستثناء تلك التي رواها الإمام أحمد حيث وثق الهيثمي رجالها في مجمع الزوائد(٢) وكذا ابن كثير في التفسير(٣). وقد ذكر ابن كثير طرفا من هذه الروايات في تاريخه وتعقب بقوله والله أعلم بصحة ذلك(٤). ولا بد أن لمثل هذا التعقيب سبب فيما نظن.

وللمزيد من الإمام الرازي حيث يقول... إن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطيء لا يسمى فاسقا(٥)

والذي يهمنا ذكره هنا ما يلي:

أولا: أن هذه الآية دالة على عدالة الصحابة رضوان الله عليهم وذلك من طرف خفي وهذا إذا اعتبرنا أن الجائي ممن له علاقة بالمؤمنين يظهر هذا في قوله (إن جاءكم) والشرط إن نادر الوقوع كما يقولون، فالآية تشريع للمؤمنين بأنهم مع عدالتهم قد يقع منهم شيء من ذلك فإن وقع وجب عليهم أن يتثبتوا منه. ولا يظهر أن القصة قد وقعت فعلا(٦)

ثانيا: إن إطلاق لفظ الفاسق ليتلى إلى يوم القيامة على الوليد لا يمكن تصديقه، وهذا حاطب بن أبي بلتعة قد فعل أعظم من هذا الصنيع -إن صح ذلك في الوليد- ومع ذلك جاء الخطاب القرآني ب(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) الآية الأولى من الممتحنة.

وهذا هو الملحوظ في أدب القرآن الكريم، ولذلك ينبغي أن يُرد مثل هذا الخبر كسبب لنزول هذه الآية.

ثالثا: إن في بعض روايات القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل للقوم بعثا. فهل يعقل أن يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك دون أن يستطلع الأمر، أم أن العادة جرت بإرسال واحد ليستطلع ثم يعود بالخبر. وإني لأظن أن هذا الأمر يوهن هذه الروايات.

---

(١) ٢٣٠/٢٦

(٢) ١٠٩/٧

(٣) ٢٠٩/٤

(٤) البداية والنهاية ٢٣٦/٨

(٥) تفسير الرازي ١١٩/٣٧

(٦) أشير إلى طرف من هذا الإمام الرازي ١١٩/٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا: أضاف الأستاذ على ما سبق تساؤلا حاصله: الوليد بن عقبة هل ذهب وحده لجلب الزكاة؟ وإذا كان معه غيره فهل ارتضوا قوله وصدقوه أم ماذا فعلوا؟!

خامسا: جاء عند ابن العربي في العواصم أنه قيل إن الوليد سبق في يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رؤوسهم. وبرك عليهم إلا هو، فقال إنه كان على رأسي خلوق، فامتنع من مسه، فمن يكون في هذا السن يرسل مصدقا؟(١) وحاصل كلامه أن الوليد كان صغير السن ومثله لا يذهب لجلب الصدقات!

وبناء على ما سبق فإن هذه القصة لا تصلح لأن تكون سببا لنزول هذه الآية، وإضافة إلى ذلك هي قصة باطلة لا ينبغي الالتفات لأمثالها مما يمكن أن تلحق تهما باطلة بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فإنهم أطهار أبرار رضي الله عنهم.

ومن تحقيقه في أسباب النزول، رد السبب لمخالفته لسياق الآيات القرآنية، واعلم أن مسألة السياق غير منضبطة ولكنها أحيانا تكون ظاهرة جدا، وليس كل ما قيل بمخالفته للسياق ينبغي أن ينظر إليه، وفي المقابل ينبغي أن لا يقبل كل أمر على عواهنه دون تحقيق، ومسألة السياق أو النسق الفني لآيات القرآن الحكيم مسألة مهمة جدا ينبغي أن لا تهمل، وإلا ترتب عليها تفكيك للنظم الكريم وتشتيت لأجزاء الآيات المجتمعة وهذا بالطبع غير معقول.

ومما ردة ابن عاشور لمخالفته السياق ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) لقمان/١٤ حيث قال: ولا يحسن ما ذهب إليه جمع من المفسرين أن هذه الآية نزلت في قضية إسلام سعد بن أبي وقاص وامتعاض أمه. لعدم مناسبته السياق، ولأنه قد تقدم أن نظير هذه الآية في سورة العنكبوت نزل في ذلك(٢) وأنها المناسبة لسبب النزول فإنها أخليت عن الأوصاف التي فيها ترقيق على الأم بخلاف هذه، ولا وجه لنزول آيتين في غرض واحد(٣)

وبعد فهذه بعض النماذج من تحقيق القول في سبب النزول وهو بلا شك منهج جيد، ولو أنه فعل ذلك في كل الأسباب التي تحتاج لذلك لأسدى للمسلمين معروفا عظيما(٤)

ثانيا: وأما ذكره لأسباب النزول بدون إسناد، فلا يعد هذا الصنيع مقبولا إذ كانت العمدة في اعتماد أسباب النزول على الرواية.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء) الأنعام/١٦٤ حيث قال: وحكى ابن عطية عن النقاش أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) ص ٢٠١ . وقد رد ابن حجر بعض أسانيد هذه القصة في الإصابة ٦٨٣/٣وحسن إسناد أحمد. وانظر ما كتبه الدكتور الخطيب في تحقيقه لقسم من العواصم في مواضع عدة من الكتاب (٨٥ - ٨٨) ، (٩٠ - ١٠٠)

(٢) انظر ٢١٢/٢٠ وما بعدها من التفسير والآيات (٨-٩) من العنكبوت

(٣) ١٥٧/٢١

(٤) ولمزيد من الأمثلة أنظر ٤٤/١١ ، ٢٢٨/١٧ ، ٣٩٦/٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ارجع إلى ديننا واعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وآخرتك). وأن هذه الآية نزلت في ذلك(١)

قلت ولا يخفى أن هذا غير صالح لأن يكون سببا لنزول الآية. لخلوّه عن الإسناد ولأنه يؤدي إلى تفكيك نظم الآيات المبتدأة بقوله تعالى (قل) في هذه السورة(٢) إضافة إلى أن هذه السورة نزلت متأخرة وأسلوب الآيات فيها تقريري كما هو ظاهر.

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) القصص/٦٨ حيث نقل عن الواحدي قوله: قال أهل التفسير نزلت جوابا للوليد بن المغيرة حيث قال فيما أخبر الله عنه (وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) الزخرف/٣١ الخ ... وتبعه الزمخشري وابن عطية(٣)

قلت: ولا يخفى أن هذا ليس صالحا لأن يكون سببا لنزول هذه الآية. فإن آية الزخرف قد جاء بعدها ما يرد عليهم كلامهم. وذلك بدءا من قوله تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك) الآيات، فإذا كان الجواب في نفس السورة فما الداعي لتكرار نزول آية جديدة ردا على نفس الكلام الذي أتوا به.

ولقد كان الحقيق بابن عاشور أن يحرر مثل هذا الكلام قبل أن ينقله رحمه الله. ولا يفوت أنه ذكر هذه الأسباب دون تعقيب. وهذا من منهجه. ولما كان هذا متكررا في مواضع كثيرة من التفسير وورد ما يصلح له في هذين المثالين فإني أكتفي بهما على ذكره لأسباب النزول دون تحقيق. ولربما مر غير هذين المثالين أيضا.

ثالثا: وقد يذكر للآية أسباب نزول عدة ولكن دون تحقيق ولا بيان أيها يعتمد فمن ذلك ما ذكر عند تفسيره لقول الله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين)آل عمران/٢٨ حيث قال: قيل إن الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وكان من أفاضل المهاجرين، وخلّص المؤمنين، إلا أنه تأول فكتب كتابا إلى قريش يعلمهم بتجهز النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة(٤) . وقيل نزلت في أسماء بنت أبي بكر لما استفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بر والدتها وصلتها، أي قبل أن تجيء أمها إلى المدينة راغبة. فإنه ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: صلي أمّك(٥)

وقيل نزلت في فريق من الأنصار كانوا متولين لكعب بن الأشرف، وأبي رافع بن أبي الحقيق وهما يهوديان بيثرب. وقيل نزلت في المنافقين، وهم ممن يتولى اليهود، إذ هم كفار

---

(١) ٢٠٦/٨ وهذا السبب لم ينقله الواحدي ولا السيوطي كل منهما في كتابه

(٢) بدءا من الآية ١٦١ (٣) ١٦٤/٢٠

(٤) لا يخفى بطلان ذلك فحاطب نزلت فيه أول آيات الممتحنة لهذا الغرض أنظر الفتح ٥١٩/٧، ٦٣٣/٨

(٥) الحديث متفق عليه رواه البخاري في الهبة ٣٣٤/٥ حديث رقم ٢٦٢٠ ومسلم في الزكاة ٨٩/٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جهتهم. وقيل نزلت في عبادة بن الصامت، وكان له حلف مع اليهود فلما كان يوم الأحزاب قال عبادة للنبي صلى الله عليه وسلم: إن معي خمسماية رجل من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي فأستظهر بهم على العدو(١). وقيل نزلت في عمار بن ياسر لما أخذه المشركون فعذبوه عذاباً شديداً فقال ما أرادوه منه، فكفوا عنه فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئنا بالإيمان.، فقال : فإن عادوا فعد اهـ.(٢)

قلت: فأنت تراه وقد ذكر عدة أسباب لنزول هذه الآية وأكثرها لا يصلح أن يكون سبباً لنزول الآية. والأصح أن الآية عامة سيما وإن آل عمران مدنية، وبعض هذه القصص وخصوصاً قصة عمار مكية متقدمة.

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم)الحجرات/١١ حيث قال: وعن الضحاك: أن المقصود بنوتميم إذ سخروا من بلال وعمار وصهيب، فيكون لنزول الآية سبب متعلق بالسبب الذي نزلت السورة لأجله وهذا من السخرية المنهي عنها.

وروى الواحدي عن ابن عباس أن سبب نزولها: أن ثابت بن قيس بن شماس كان في سمعه وقر، وكان إذا أتى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أوسعوا له ليجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فجاء يوماً يتخطى رقاب الناس. فقال رجل قد أصبت مجلساً فاجلس، فقال ثابت: من هذا؟ فقال الرجل: أنا فلان فقال ثابت: ابن فلانه وذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية ، فاستحيا الرجل ، فانزل الله هذه الآية(٣)

وروي عن عكرمة: أنها نزلت لما عيرت بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر(٤).

فأنت ترى وقد ذكر هذه الروايات دون تمحيص ولا تحقيق،وكان هذا المنهج مما ينبغي أن لا ينتهجه الشيخ لا سيما وإن من أسباب تأليف هذا التفسير هو التحقيق والتمحيص كما سماه التحرير(٥)

---

(١) هذه الرواية ذكرها الواحدي ص٩٦ وهي عند الطبري في التفسير ١٢٢/١٤ والبغوي في التفسير ١٦/٣ والسيوطي في اسباب النزول ٢٢٨/١. ٢/٢

(٢) ٢١٦/٣، وانظر الواحدي ٩٦_ ٩٧

(٣) الواحدي ص ٤١٥ وتفسير البغوي ٢١٤/٤

(٤) ٢٦/ ٢٤٦. وانظر الطبري ٨٤/٢٦ لمزيد من أسباب نزول هذه الآية والواحدي ٤١٦

(٥) وانظر لمزيد من الأمثلة ٣٠٣/٣، ٢٠/٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً: وقد يجمع الشيخ بين أسباب النزول، وهذا قليل نادر.

ومن أمثلته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ان الله لايستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها)البقرة/٢٦، حيث قال: روى الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس أن الله تعالى لما أنزل قوله تعالى (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له)الحج/٧٣ وقوله (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت) العنكبوت/٤١. قال المشركون أرأيتم أي شيء يصنع بهذا فانزل الله (ان الله لايستحيي أن يضرب مثلا ما ..)

وروي عن الحسن وقتادة أن الله لما ذكر الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب بها المثل ضحك اليهود وقالوا ما يشبه أن يكون هذا كلام الله فأنزل الله:(إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا..)

والوجه أن نجمع بين الروايتين لنبين ما انطوتا عليه بأن المشركين كانوا يفزعون إلى يهود يثرب في التشاور في شأن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .وخاصة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فيتلقون منهم صوراً من الكيد والتشغيب فيكون قد تظاهر الفريقان على الطعن في بلاغة ضرب المثل بالعنكبوت والذباب فلما انزل الله تعالى تمثيل المنافقين بالذي استوقد نارا وكان معظمهم من اليهود هاجت أحناقهم وضاق خناقهم فاختلقوا هذه المطاعن فقال كل فريق ما نسب إليه في إحدى الروايتين ونزلت الآية للرد على الفريقين ووضع الصبح لذي عينين(١)

خامساً: اعتماده على أحاديث ضعيفة بل واهية أحيانا في أسباب النزول، مع الإشارة إلى بعض هذه الأخبار غالباًونحن نقتصر على مثالين للواهي والضعيف.

فمن الأحاديث الواهية في أسباب النزول ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصَّدَّقن) التوبة/٧٥ حيث قال: قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب من المنافقين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بسعة الرزق فدعاه فأثرى إثراءً كثيراً، فلما جاءه المصدقون ليعطي زكاة أنعامه امتنع من ذلك، ثم ندم فجاء بصدقته فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها منه .

وذكروا من قصته أنه تاب ولكن لم تقبل صدقته في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الخلفاء الثلاثة بعده عقوبة له واظهاراً للاستغناء عنه حتى مات في خلافة عثمان،وقد قيل إن قائل ذلك هو معتب بن قشير، وعلى هذا فضمائر الجمع في لنَصَّدَّقن وما بعده مراد بها واحد ، وإنما نسب الفعل إلى جماعة المنافقين على طريقة العرب في إلصاق فعل الواحد بقبيلته. ويحتمل أن ثعلبة سأل ذلك فتبعه بعض أصحابه مثل معتب بن قشير فأوتي مثل ما أوتي ثعلبة وبخل مثل ما بخل، وإن لم تجيء فيه قصة

---

(١) ٣٥٨/١ وانظر ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص٤٧٠ وانظر هاتين الروايتين في الواحدي ص ٢١_٢٢ والسيوطي ١٠/١ والطبري ١٣٨/١ والبغوي ٥٨/١. وانظر كمثال آخر على هذا النمط من المنهج في ٨١/٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم قال بعد ذلك عندما وردت الآية الدالة على أنهم ماتوا على النفاق ما نصه: وهذا يقتضي أن ثعلبة أو معتبا مات على الكفر، وان حرصه على دفع صدقتة رياءً وتقية، وكيف وقد عُدّ كلاهما في الصحابة وأولهما فيمن شهد بدرا، وقيل هما آخران غيرهما وافقا في الاسم. فيحتمل أن يكون أطلق النفاق على ارتكاب المعاصي في حالة الإسلام وهو اطلاق موجود في عصر النبوءة كقول حنظلة بن الربيع للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله نافق حنظلة ...اهـ.(١).

واعلم ان هذه القصة سرت الى المفسرين سري النار في الهشيم، فلا يكاد كتاب يخلو منها، وانتشرت حتى وصلت إلى الدعاة، فتراهم يتفننون في ايرادهم لها بطرائق مختلفة ظنا منهم أنهم يخدمون الإسلام.. ولم يحسبوا أنهم يكيلون بها لصاحبي جليل من أهل بدر وهم من هم .

وقد شغلت هذه الرواية باحثا فاضلا قام بدراستها وتبرئة الصحابي الجليل رضى الله عنه وشكر الله صنيع الباحث(٢)

واعلم أن هذه القصة واهية لا تصح بحال. قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: وهي قصة تالفة مريضة، وفي سندها (معان بن رفاعة) وهو لين الحديث كثير الإرسال. عامة ما يرويه لا يتابع عليه، قال البخاري فيه: منكر الحديث. وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف هذا اسناد ضعيف جداً(٣)

ومتن هذه القصة غريب لايصح قبوله لامور كثيره منها مخالفته لما تواتر في فضائل أهل بدر ومخالفتها لأحكام الإسلام في أنه يعامل المرء بظاهره لا ببواطن أمره، وغيرها كثير(٤)

وبعد فإن واجب أهل العلم تمحيص مثل هذه الروايات، وردّها ذّبا عن سلف هذه الأمة الطاهر لاذكْرَها والتستر عليها باسم الوعظ والإرشاد.

ومن الأمثلة على هذا النمط كذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) الجاثية/١٤٠ حيث قال وقد روي في سبب نزولها أخبار متفاوته الضعف، فروى مكي بن أبي طالب أن رجلا من المشركين شتم

---

(١) ٢٧٢/١٠ وما بعدها وحديث حنظلة رواه مسلم في التوبة ٦٥/١٧ وحنظلة هو حنظلة الاسيدي التميمي من كتّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ. منه ورواه ابن ماجة في الزهد ١٤١٦/٢ حديث رقم ٤٢٣٩ والرمدي ١٤٨/٧ ورواه الإمام أحمد في المسند ١٧٨/٤

(٢) هو الفاضل عداب الحمش في كتابه ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه.

(٣) من كلام أبي غدة في تحقيق الأجوبة ص ١٠٨ وانظر نقد أسانيد هذه القصة في كتاب عداب الحمش ص ٩٥-١١٣ وأنظر الكافي الشاف ج٧٧/٤ حديث رقم ١٣٣

(٤) أنظر ثعلبة بن حاطب ص١١٥-١٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمر بن الخطاب فهمّ أن يبطش به. قال ابن العربي (وهذا لم يصح) وفي الكشاف أن عمر شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش به فنزلت، وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرأ قارئٌ هذه الآية فقال عمر: ليجزي عُمَرَ بما صنع (يعنى انه سبب نزول الآية).

وروى الواحديّ والقشيري عن ابن عباس، أنها نزلت في غزوة بني المصطلق، نزلوا على بئر يقال لها المريسيع فأرسل عبدالله بن ابي غلامه ليستقي من البئر، فأبطأ، فلما أتاه قال: ما حبسك؟ قال غلام عمر قعد على فم البئر فما ترك أحداً يسقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر وملأه لمولاه. فقال عبد الله بن أبي: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك فهم عمر بقتله فنزلت...وهذه رواية ضعيفة... وأقرب هذه الأخبار ما قاله مكي اهـ.(١).

وهذا من أساليب نقد الروايات عنده

وبعد فإن هذا هو منهج الشيخ في تبيان أسباب النزول أرجو أن يكون واضحاً، مع ملاحظتنا على أن ما جاء به من نقد الروايات وتمحيصها شيء حسن للغاية، ويا ليته أكثر منه، وفي غير ذلك هو متابع لعامة المفسرين. نسأل الله لهم العفو والرحمة.

---

(١) ٣٣٩/٢٥ وانظر كمثال آخر ١٢٢/٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا: اعجاز القرآن الكريم

لا شك ان موضوع اعجاز القرآن طويل وشيق وجذاب ، وهو بحاجة الى مؤلف خاص وما أكثر المؤلفات فيه سواء في القديم أم في الحديث فأما المتقدمون فقد سار فيهم مسير الركبان قول القائل (لم يدر اعجاز القرآن الا الأعرجان) وقيل في توضيحها أحدهما من زمخشر والاخر من جرجان(٥) ولا شك أن هذه العبارة لها موقعها من الحقيقة. فهذان الرجلان هما خير من تحدث عن الاعجاز من بين العلماء المتقدمين قاطبة. وأما في الحديث فقد توالت المؤلفات في هذا الموضوع ولم يخل كتاب منها فيما أحسب من مواضع للانتقاد وخصوصا أن كثيرا من اصحابها هجموا على هذا الموضوع هجوما وأحسن كتب المتأخرين المطبوعة فيما أعلم كتابا الرافعي والاستاذ دراز رحمهما الله تعالى

واعلم أن الكلام قد كثر في وجوه الاعجاز بحيث لا تكاد تجد مؤلّفا الا ويسعى لإضافة جديد في الموضوع فكثرت لذلك وجوه الإعجاز، وإنها لحري بها أن تكثر لأنها جزء من حديث عن هذا القرآن الذي "لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد"(١).

واعلم أن عمود الاعجاز وواسطة عقده هو النظم لأنه متمثل في كل آية بل كل كلمة وفي كل حرف، وإنما نعني بالنظم ما عناه عبد القاهر الجرجاني في كتابه المفيد العظيم دلائل الاعجاز حيث جعل النظم هو توخي معاني النحو في الكلام (٢).

ولقد كانت نظرية الشيخ عبد القاهر هي التي دار عليها الزمخشري في الكشاف وطبقها خير تطبيق، وإذ قد علمت أن النظم يشمل كل حرف في القرآن الكريم وكل كلمة من كلماته فاستمع إلى الأديب الرافعي وهو يقرر ذلك فيقول: ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب، أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض أو ما يقال فيه إنه تغوث أو استراحة(٣) كما تجد من كل ذلك في أساليب البلغاء، بل نزلت كلماته

---

(٥) يتيمة البيان ص٨١

(١) هو جزء من حديث ضعيف رواه الترمذي في فضائل القرآن ٢١٨/٨ والدارمي ٣١٢/٢ - ٣١٣ رقم ٣٣٣٤

(٢) ص ٨٠

(٣) قال العريان يعني استغاثة من ضعف واستراحة من كلال فكأن الكاتب أو المتكلم يتغوث به

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة، وما قد يشبه أن يكون من هذا النحو الذي تمكنت به مفردات النظام الشمسي وارتبطت به سائر أجزاء المخلوقات صفة متقابلة بحيث لو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها، ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة(١).

أقول إذ قد علمت هذا علمت منه أن الخلاف في القدر المعجز من القرآن خلاف لا فائدة فيه ولا ينبغي الاحتفال به سيما وأن الكلمة القرآنية لا يمكن أن يحل غيرها محلها (٢).

وأما الأوجه الأخرى غير النظم فهي كثيرة ومتنوعة بتنوع ثقافة الباحث في إعجاز القرآن الكريم، وكلما تقادم الزمن كلما جدّ جديد من هذه الوجوه، لذلك لا نطيل بها هنا وتنظر في مؤلفاتها الخاصة(٣).

وأما ابن عاشور فقد اهتم بإعجاز القرآن من جهة نظمه وبلاغته اهتماما عظيما بحيث يمكن أن يقال إنه من أكثر من فصّل في جوانب بلاغته الكريمة في كتابه هذا، ولا غرو في ذلك فقد اعتمد في تفسيره أن وجه إعجاز القرآن الكريم هو بلوغه الغاية في درجات البلاغة والفصاحة مبلغا تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله(٤)

وكان من اهتمام الشيخ بأمر الإعجاز أن أفرد له المقدمة الأخيرة من مقدمات تفسيره حيث جعلها خاصة به، ونحن في كلامنا عن الإعجاز عنده إنما نتابعه فيما ذكره في هذه المقدمة ونضيف بعض ما يمكن إضافته مما جاء في ثنايا هذا التفسير ومن الله التيسير وإليه المرجع والمصير.

يبين الشيخ باديء بدء أن العناية بإعجاز القرآن إنما جاءت من كون القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم، وكونه المعجزة الباقية، وهو المعجزة التي تحدى بها الرسول صلى الله عليه وسلم معانديه تحديا صريحا(٥)

ويرى ابن عاشور أن ملاك وجوه الإعجاز راجعة إلى ثلاث جهات، ثم أضاف رابعة مجاراة لغيره من العلماء وهذه الجهات هي:

---

(١) إعجاز القرآن ص ٢٢٤ وما بعدها وهو الجزء الثاني من كتابه تاريخ آداب العرب

(٢) راجع في هذه المسألة كتاب إعجاز القرآن للدكتور الشيخ السيد محمد السيد الحكيم ص ١٦٧ وانظر رأي ابن عاشور في ذلك حيث عد المقدار المعجز منه ثلاث آيات ١٤/٢١

(٣) أنظر مثلا كتاب فكرة إعجاز القرآن لنعيم الحمصي فقد أجاد وأفاد في جمع أقوال الناس في الإعجاز منذ البعثة النبوية حتى العصر الحاضر

(٤) ١٠٤/١

(٥) ١٠٢/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء، من شعرائهم وخطبائهم.

الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة، وهذه جهة مغفولة من علم البلاغة.

قلت: وهاتان الجهتان عند التحقيق يمكن جعلهما جهة واحدة ويظهر هذا جليا من اشتباه الأمثلة التي ذكرها الشيخ لكلتا الجهتين(١) وتداخلها، بحيث يكاد الناظر أن لا يفرق بينهما وقد جُمعت هاتان الجهتان في كلام المتقدمين الذين يعدون من وجوه الإعجاز، اختلاف أسلوب القرآن عن أساليب العرب وبراعة نظمه"

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكيمة والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القرآن من علمائنا مثل أبي بكر الباقلاني والقاضي عياض.

قلت: ولعل هذه العبارة الأخيرة من الكلام حول إغفال هذه الجهة هي التي أوهمت الباحث عبد الله الريس حيث قال تعقيبا على تقسيم ابن عاشور للعلم إلى قسمين إصطلاحي وحقيقي قال ما نصه: وهذه الجهة هي الجانب الجديد الذي أضافه ابن عاشور في وجوه الإعجاز ويعني به الإعجاز العلمي التجريبي والإعجاز في الهداية والتشريع حيث جاء مصلحا لأحوال البشر(٢)

والحق أن ابن عاشور لم يبتديء هذه الجهة وكلامه متناقض فيها، كيف وقد نقل هو نفسه عن القاضي عياض قوله (ومنها(٣) جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد للعرب ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجة العقلية والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة(٤)

وهذا صريح في أن القاضي عياض ذكر هذه الجهة ولم يغفلها كما قال ابن عاشور، ثم إن الباقلاني نفسه لم يغفل هذه الجهة إغفالا تاما كما يقول الشيخ وإنما ذكر طرفا منها في المعنى السابع من الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن وتأليفه وبلاغته(٥)

---

(١) أنظر الأمثلة في الصفحات ما بين ١٠٦ - ١١٩ في الجزء الأول

(٢) ص ٣٩٠

(٣) أي من وجوه إعجاز القرآن

(٤) ١٢٧/١ وانظر الشفاء لعياض ٥٣٤/٢ مع نسيم الرياض

(٥) أنظر إعجاز القرآن للباقلاني ص ٤٢ تحقيق سيد صقر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـذا من جهة ومن جهة ثانية فقـد نقل ابن عاشور نفسه توضيحـا لهذه الجهة قول علماء الأمـة: إن القرآن هو المعجزة المستمـرة على تعاقب السنين، لأنه قـد يدرك اعجازه العقلاء من غير الأمـة العربية بواسطة ترجمة معـانيه التشريعية والحكمية والعلميـة والأخلاقيـة وهو دليل تفصيلي لأهل تلك المعاني وإجمالي لمن تبلغه شهادتهم بذلك(١)

فهـذا صـريح في أن هـذه الجهة راجعـة إلى أقـوال متقـدمة لأهـل العلم. ثم إن الإعجـاز التشـريعي ممـا نبه إليه المرحوم الـدكتور عبد الله دراز في كتابه القيم النبـأ العظيم وإن كـان رحمه الله لم يفصل فيه القول(٢)

فمـن عجب غفلة الباحث عن هذا الكتـاب، ولا يخفى أن الإعجـاز العلمـي قد سبق إليه الكثيرون في هـذا العصـر، وقـل على رأسهـم إن شئـت طنطاوي جوهـري في تفسيره الجـواهر.

الجهة الرابعة: الإخبار بالمغيبات وأنباء القرون السالفة(٣)

وبعـد ذلك ذكر أن الإعجاز من الجهتين الأولى والثـانية منـوجه إلى العـرب إذهو معجز لفصحـائهم وخطبائهم وشعرائهم مبـاشرة، ومعجز لعامتهم بواسطـة إدراكهـم أن عجز مقارعيه عـن معـارضته مع توفر الدواعي عليـه هو برهان ساطع على أنه تجـاوز طـاقة جميعهم ... وهو معجـز لمـن جاء بعدهم بشواهد التـاريخ، فـإعجازه للعرب الحاضـرين دليـل تفصيلي، وإعجازه لغيرهم دليل إجمالي.

والقرآن معجز من الجهة الثالثة للبشر قاطبة إعجازا مستمرا على ممـر العصور، وهو من الجهـة الـرابعة - عند الذين اعتبروهـا زائدة على الجهـات الثلاث - معجـز لأهـل عصر نزوله إعجـازا تفصيليـا، ومعجـز لمـن يجـيء بعـدهم ممـن يبلغـه ذلـك بسـبب تواتر نقـل القـرآن.

ثم قـال: هذا ملاك الإعجاز بحسب ما انتهى إليه استقراؤنا إجمـالا(٤) ثم بعد ذلك أخذ في تفـاصيل هـذه الجهات السابقة بمـا يميط اللثام عن تفاصيلها، وأنا ذاكـر ههنـا ما عرض له في هـذه الجهات، وقد كان عرضه للجهتين الأوليين عرضا طغى على سـائر الجهات، وإني لن أذكر تفـاصيل ما ذكره لأن تفصيل هاتين الجهتين سـأشبع القول فيه إن شـاء الله في المبحث الخاص ببلاغة القرآن الكريم.

---

(١) ١٠٥/١

(٢) النبـأ العظيم ص ٧٩ وهـذا الكتـاب كتـب في الأربعينـات وقبـل أن يذهـب إلى فرنسا اهـ . شيخنا

(٣) التحرير ١٠٤/١ - ١٠٥

(٤) ١٠٦/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد عرض الشيخ في الجهة الأولى إلى خصوصيات النظم الكريم من جهة فصاحة ألفاظه وأثرها في نفس السامعين(١) وعرض إلى اشتمال القرآن الكريم على مراعاة التجنيس وهو من المحسنات البديعية وكذا اشتمال القرآن الكريم من أفانين الكلام على الالتفات وهو شجاعة العربية كما يسميه ابن جني(٢) وعرض للتشبيه والاستعارة وبلاغتهما وأن نظم القرآن الكريم مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة، وعرض كذلك للتقديم والتأخير وبين شيئا من أهميته، وعرض كذلك إلى مراعاة المقام في الخطاب القرآني، وسلامة القرآن كله مما كان يعرض للشعراء والفصحاء، مع تفننه في مختلف الأغراض، وعرض أيضا إلى كون كلمات القرآن هي أقرب في لغة العرب دلالة على المعاني المقصودة(٣)

هذا هو أهم ما تحدث عنه في تفصيله للجهة الأولى من جهات الإعجاز القرآني وهو كما تراه حديث عن بلاغة القرآن الكريم في مختلف مجالاتها.

وأما الجهة الثانية فقال أولا إنها جهة مغفولة من علم البلاغة. فالقرآن بهيكله العام يخالف ما عليه العرب من الخطابة والشعر والنثر، فقد خالف أسلوبه أساليب العرب في نظمه بكونه جامعا بين مقصدين، مقصد الموعظة ومقصد التشريع(٤)

ومن أساليبه ما يسميه ابن عاشور بالتفنن وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الإعتراض والتنظير والتذييل والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنبا لثقل تكرير الكلم وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعدود من أعظم أساليب التفنن عند العرب(٥)

ومنها كذلك اتساع أدب اللغة في القرآن الكريم حيث جاء بأسلوب في الأدب غض جديد صالح لكل العقول، متفنن إلى أفانين أغراض الحياة كلها معط لكل فن ما يليق به من المعاني والألفاظ واللهجة، متضمن المحاورة والخطابة والجدل، والأمثال، والقصص، والتوصيف.(٦)

---

(١) ١٠٦/١ - ١٠٧

(٢) ١٠٩/١

(٣) ١١٠/١ - ١١٣

(٤) ١١٥/١

(٥) ١١٦/١ وسيأتي الحديث عن التفنن في موضعة من البلاغة، وهذه التي ذكرها في التفنن ليست جديدة وإنما هي مما جاء عليه القرآن من أسلوب العرب في الكلام. يفهم هذا مما عده السيوطي في فصله الخاص في جملة من سنن العرب في المزهر ٣٣١/٢ وما بعدها. وقد ذكر ابن فارس في الصاحبي كثيرا من طرائق العرب في كلامها فلينظر هناك

(٦) ١١٨/١ - ١١٩ ومراده بالأمثال هنا الكلم الجوامع كما بينه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعـرض لكثير مـن المبتكـرات التي تميز بهـا نظـم القـرآن عـن بقيـة كلام العـرب(١)

وأمـا الجهة الثالثة من جهات الإعجـاز وهي ما أودع فيه من المعـاني الحكمية والإشارات العلميـة فقـد تحدث ابن عاشور بأن العلم نوعـان: الأول اصطلاحي والثـاني حقيقـي، وبين أن الإصطلاحي هـو ما تواضع الناس في عصـر من الأعصار على ان صـاحبه يعد في صف العلماء، وهذا متغير بتغير الأحوال والأزمنة، وأما الحقيقي فهو معرفة ما به كمـال الإنسان وما به يبلغ إلى ذروة المعـارف وإدراك الحقائق النـافعة عاجلا وآجلا.. وبين بعـد ذلـك أن هذه الجهة خلا عنهـا كلام الفصحـاء، لأن أغـراض شعـرهم كـانت لا تعـدو وصـف المشـاهدات والمتخيلات والافتراضـات المختلفـة، ولا تحـوم حول تقـرير الحقـائق وفضـائل الأخلاق التي هـي أغـراض القرآن(٢)

وبين الشيـخ بعد ذلك أن القرآن مشتمـل على كلا النوعين، فـأما النـوع الأول فتناوله قـريب لا يحتاج إلى كد فكر ولا يقتضي نظرا فإن مبلغ العلم عنـدهم يومئذ علوم أهل الكتاب ومعرفة الشرائع والأحكام وقصص الأنبياء والأمم وأخبار العالم.(٣)

وأمـا النـوع الثاني من الإعجاز العلمـي، فينقسـم إلى قسمين: قسـم يكفـي لإدراكه فهمه وسمعـه، وقسـم يحتاج إدراك وجه إعجـازه إلى العلم بقواعد العلـوم فينبلـج للناس شيئا فشيئا انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم وتطورات العلوم(٤)

وهذا يحتاج إلى شيء من التفصيل فأقول وبالله التوفيق:

إعلم أني قـد ذكرت طرفا من تفسير ابن عـاشور العلمي لبعض الآيات القـرآنيه ودلك في بداية الحـديث عن تفسيره للسورة الكـريمة وبينت أن منهجه في الإشـارات العلميـة أنه لم يكن مـولعا بهـا ولا مقلا إقلال المخـل، برغم تحفظي الشديد على كثير مـن تفسيراته العلميـة وعدم دقتها

---

(١) سوف نرجيء الحديث عن المبتكرات إلى موضعها من البحث إن شاء الله وذلك عند الحديث عن بلاغة القرآن

(٢) ١٢٦/١ . واعلم أنه ليس يظهر لي فعلا خلو كلام الفصحاء من هذه الناحية، فقد ورد في أشعار كثيرين وصف لبعض الأخلاق الحميدة كيف لا والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه مالك في الموطأ في حسن الخلق ٩٠٤/٢ . ثم هل كانت حياة العرب خالية من الحقائق وهلا قالوا شعرا في تبيان حقائق حياتهم. هذا هو الذي تعلمناه في حياتنا العلمية والله أعلم. وانظر كلام عبد القاهر في من ذم الشعر في الدلائل ص٨ . بل لقد وجدت الرافعي رحمه الله تعالى ذكر فصلا في أغراض الشعر، لمطالعه أن ينقض كلام ابن عاشور جملة وتفصيلا، أنظره في تاريخ آداب العرب ٧٤/٣ وما بعدها ثم إن تقسيم العلم بهذه الطريقة ليس دقيقا إذ يرد عليه قولنا هل الإصطلاحي لا يكون حقيقيا؟

(٣) ١٢٦/١

(٤) ١٢٧/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي يعنينا من الحديث هنا أن نقول ما هو الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي على ضوء قراءات في هذا التفسير.

يقول الشيخ الذهبي رحمه الله إن التفسير العلمي معناه: التفسير الذي يحكّم الإصطلاحات العلمية في عبارات القرآن. ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها(١)

وهذا الذي ذكره الشيخ باسم التفسير ذكره الدكتور الشيخ السيد الحكيم باسم الإعجاز(٢)

وفي كثير من الآيات التي فسرها الشيخ تفسيرا علميا لم أره عقب بقوله إنها من الإعجاز، ويمكن أن يلحظ المرء لذلك فرقا بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

فالأول وهو مراد عامة من كتب في هذا الموضوع: وهو بروز نواح علمية من العلوم التجريبية بعد بحث وعناء من أربابها كان القرآن لها سابق، أو قل إن شئت تفسير بعض الآيات القرآنية على ضوء بعض المعطيات العلمية التجريبية.

وأما الإعجاز العلمي فهو ما يشمل هذا وغيره فهو يشمل ما يتعلق بالنواحي العلمية سواء أكانت تجريبية أم غيرها من التاريخ والمنطق وصدق القرآن في أخباره(٣) وبناء عليه فإن الإعجاز العلمي فيما يظهر لي أعم من التفسير العلمي عند الشيخ، وإن كان غيره قد ساوى بينهما.

وقد جعل الشيخ من طرق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أنه دعى إلى النظر والاستدلال وفتح الأعين إلى فضائل العلوم، بأن شبه العلم بالنور وبالحياة، فمن الأول قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) الأنبياء/٢٢ وقوله (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) يس/٨١ ومن الثاني قوله تعالى (لتنذر من كان حيا) يس/٧٠ وقوله (يخرجهم من الظلمات إلى النور) البقرة/٢٧٥ وقوله (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) العنكبوت/٤٣ وقوله (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر/٩ .

وإلى طرف من أمثلة الإعجاز العلمي عنده. تلك الأمثلة التي اختتمها بوصف الإعجاز: فمن الإعجاز التاريخي وصدق إخبار القرآن ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لم خلفك آية) يونس/٩٢ حيث قال: وهي عبارة لم يأت مثلها فيما كتب من أخبار فرعون، وإنها لمن الإعجاز العلمي في القرآن، إذ كانت الآية منطبقة على الواقع التاريخي(٤)

---

(١) التفسير والمفسرون ٤٧٤/٢

(٢) إعجاز القرآن ص ١١٦

(٣) أنظر كذلك ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ٣٩٦

(٤) ٢٨٠/١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الإعجاز التاريخي أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وقال الملك إني أرى سبع بقرات) يوسف/٤٣ حيث قال:

وسماه القرآن هنا ملكا ولم يسمه فرعون لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط وإنما كان ملكا لمصر أيام حكمها (الهكسوس) وهم العمالقة وهم من الكنعانيين أو العرب. فالتعبير عنه بالملك في القرآن دون التعبير بفرعون مع أنه عبّر عن ملك مصر في زمن موسى عليه السلام بلقب فرعون هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي. وقد وقع في التوراة إذ عبر فيها عن ملك مصر في زمن يوسف عليه السلام فرعون وما هو بفرعون لأن أمته ما كانت تتكلم بالقبطية. وإنما كانت لغتهم كنعانية قريبة من الآرامية والعربية، فيكون زمن يوسف عليه السلام في آخر أزمان حكم ملوك الرعاة على اختلاف شديد في ذلك(١). وهذا بلا شك نظر إلى الناحية التاريخية.

ومما جاء في ذلك من الإعجاز كون العرب لم يعرفوا تفاصيله في بعض الآيات منها قوله تعالى (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) النحل/٦٦ حيث قال الشيخ: وقد أحاط بالأوصاف التي ذكرها للبن قوله تعالى خالصا سائغا للشاربين.. فخلوصه نزاهته مما اشتمل عليه البول والثفل، وسوغه للشاربين سلامته مما يشتمل عليه الدم من المضار لمن شربه، فلذلك لا يسيغه الشارب ويتجهمه، وهذا الوصف من معجزات القرآن العلمية، إذ هو وصف لم يكن لأحد من العرب يومئذ أن يعرف دقائق تكوينه، ولا أن يأتي على وصفه بما لو وصف به العالم الطبيعي لم يصفه بأوجز من هذا وأجمع(٢)

ومما ذكره في قضايا المنطق من جهة الإعجاز العلمي ما كان منه عند تفسيره لقول الله تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل/١٢٥ حيث قال: ومن الإعجاز العلمي في القرآن أن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي الحق، وهي البرهان، والخطابة، والجدل، المعبر عنها في علم المنطق بالصناعات، وهي المقبولة من الصناعات. وأما السفسطة والشعر فبرأ عنهما الحكماء الصادقون بله الأنبياء والمرسلون، ثم أخذ ينقل عن الرازي شيئا من تبيان هذه الأمور(٣)

وقد عد الشيخ الإشارة إلى الإختراعات من معجزات القرآن العلمية الغيبية وذلك عند تفسيره لقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) النحل/٨ حيث قال: ... فالذي يظهر لي أن هذه الآية من معجزات القرآن الغيبية العلمية، وأنها إيماء إلى أن الله سيلهم البشر اختراع مراكب هي أجدى عليهم من الخيل والبغال والحمير، وتلك العجلات التي يركبها الواحد ويحركها برجليه وتسمى (بسكلات)، وأرتال السكك الحديدية، والسيارات المسيرة بمصفى النفط وتسمى

---

(١) ٢٨٠/١٢ وانظر ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ٣٩٢

(٢) ٢٠١/١٤ وانظر كذلك ما يتعلق بقوله تعالى (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) ٣٠١/١٥

(٣) ٣٣١/١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أطوموبيل)، ثم الطائرات التي تسير بالنفط المصفى في الهواء. فكل هذه مخلوقات نشأت في عصور متتابعة لم يكن يعلمها من كانوا قبل عصر وجود كل منها(١)

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) الفرقان/٤٨ - ٥٠ حيث قال: ويؤخذ من الآية أن الماء المنزل من السماء لا يختلف مقداره، وإنما تختلف مقادير توزيعه على مواقع القطر، فعن ابن عباس: ما عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء. وتلا هذه الآية(٢). وذكر القرطبي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم المعاصي صرف الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار(٣) فحصل من هذا أن المقدار الذي تفضل الله به من المطر على هذه الأرض لا تختلف كميته وإنما يختلف توزيعه، وهذه حقيقة قررها علماء حوادث الجو في القرن الحاضر، فهو من معجزات القرآن العلمية الراجعة إلى الجهة الثالثة من المقدمة العاشرة لهذا التفسير(٤)

هذا هو منهج الشيخ في الإعجاز العلمي وهو في ظني أدق مما ذكرت له في التفسير العلمي.

وقد عرض الشيخ في أثناء التفسير إلى رد بعض المطاعن حول إعجاز القرآن، وكونه مخالفا لما عند العرب من أساليب. ومن أهم ما عرض له نفي الشعر عن القرآن الكريم، وإنما أتت الشبهة في أصلها من وجود بعض مقاطع الآيات القرآنية تلتئم منها بعض الأوزان الشعرية(٥)

وقد ذكر الشيخ ردودا لبعض العلماء على هذا الإشكال: فذكر رد الباقلاني القاضي بأن البيت المفرد لا يسمى شعرا بله المصراع الذي لا يكمل به البيت. ورأى الشيخ أن هذا الرد غير كاف لأنه لا يستطاع نفي مسمى الشعر عن المصراع، وأولى عن البيت(٦)

ثم قفّى برأي السكاكي في نفي الشعر عن القرآن، ورأي السكاكي هذا هو خاتمة كتابه المفتاح(٧) قال الشيخ: وقد نحا السكاكي بجوابه أمرين: أحدهما أن ما وقع في القرآن المتزن ليس بمقصود منه الوزن، فلا يكون شعرا على رأي الأكثر من اشتراط القصد إلى الوزن لأن الله تعالى لم يعبأ باتزانه. والثاني: إن سلمنا عدم اشتراط القصد فإن نفي كون القرآن شعرا جرى على الغالب، فلا يعد قائله كاذبا ولا جاهلا، فلا ينافي اليقين بأن القرآن من عند الله علمه محمدا صلى الله عليه وسلم(٨)

---

(١) ١١١/١٤ (٢) أخرجه ابن جرير ١٥/١٩

(٣) أخرجه ابن جرير ١٥/١٩ وانظر البغوي ٣٧٢/٣

(٤) ٥١/١٩ (٥) أنظر نماذج منها في ٥٩/٢٣

(٦) ٥٨/٢٣ وانظر رد الباقلاني في كتابه الإعجاز ص ٥١ - ٥٦

(٧) ص ٢٥٠

(٨) ٦٠/٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر الشيخ أن ابن العربي مال إلى أن ما تكلفوه من استخراج فقرات من القرآن على موازين شعرية لا يستقيم إلا بأحد أمور مثل بتر الكلام أو زيادة ساكن أو نقص حرف أو حرفين. وقفّى ابن عاشور عليه بأن بعض أمثلته لا تتم له. ولم يذكر منها شيئا(١).

ولم يرتض ابن عاشور أيا من هذه الردود بل قال: إن الباقلاني والسكاكي لم يغوصا على اقتلاع ما يثيره الجواب الثاني في كلامهما بعدم القصد إلى الوزن(٢)، من لزوم خفاء ذلك على علم الله تعالى فلماذا لا تجعل في موضع تلك الفقرات المتزنة فقرات سليمة من الاتزان؟(٣) ولم أر لأحد من المفسرين والخائضين في وجوه إعجاز القرآن التصدي لاقتلاع هذه الشبهة وقد مضت عليها من الزمان برهة، وكنت غير مقتنع بتلك الردود ولا أرضاها، وأراها غير بالغة من غاية خيل الحلبة منتهاها. فالذي بدا لي أن نقول: ... ومعلوم أن القرآن جاء معجزا لبلغاء العرب فكانت تراكيبه ومعانيها بالغين حدا يقصر عنه كل بليغ من بلغائهم على مبلغ ما تتسع له اللغة العربية فصاحة وبلاغة، فإذا كانت نهاية مقتضى الحال في مقام من مقامات الكلام تتطلب لإيفاء حق الفصاحة والبلاغة ألفاظا وتركيبا ونظما، فاتفق أن كان لمجموع حركاتها وسكوناتها ما كان جاريا على ميزان الشعر العربي في أعاريضه وضروبه(٤) لم يكن ذلك الكلام معدودا في الشعر لو وقع مثله في كلام عن غير قصد، فوقوعه في كلام البشر قد لا يتفطن إليه قائله، ولو تفطن له لم يعسر تغييره لأنه ليس غاية ما يقتضيه الحال، اللهم إلا أن يكون قصد به تفننا في الإتيان بكلام ظاهره نثر وتفكيكه نظم. فأما وقوعه في كلام الله تعالى فخارج عن ذلك من ثلاثة وجوه:

أحدها: أن الله لا يخفى عليه وقوعه في كلام أوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: لا يجوز تبديل ذلك المجموع من الألفاظ بغيره لأن مجموعهما هو جميع ما اقتضاه الحال وبلغ حد الإعجاز.

الثالث: أن الله لا يريد أن يشتمل الكلام الموحى به من عند الله على محسن الجمع بين النظم والنثر لأنه أراد تنزيه كلامه عن شائبة الشعر(٥).

---

(١) نفس الموضع السابق

(٢) أي كون ذلك (الوزن) غير مقصود من جانب الله تعالى

(٣) بقي أن نذكر أن الذين اعترضوا على القرآن لم يعترضوا عليه لهذه العبارات الموزونة، وقصارى ما عندهم التعنت

(٤) لا يخفى من قوله فاتفق ... إلخ أنه غير مقصود أن يكون شعرا. فرجع الإشكال إلى موضعه

(٥) ٦١/٢٣ واعلم أن هذا الجواب وإن أزال الشبهة التي تقول بعدم القصد إلى الوزن،إلا أن الشبهة في وجود كلام موزون على نمط الشعر لا تزال قائمة،ولم يفعل جواب ابن عاشور إلى إلى هنا لها شيئاً!!

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحكمة في أن لا يكون القرآن من الشعر مع أن المتحدَّين به بلغاء العرب ،وجلهم شعراء - وبلاغتهم مودعة في أشعارهم - هي الجمع بين الإعجاز وبين سد باب الشبهة التي تعرض لهم لو جاء القرآن على موازين الشعر وهي شبهة عدّهم الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعراء.

وبعد فإن إقامة الشعر لا يخلو الشاعر فيها أن يتصرف في ترتيب الكلام تارات بما لا تقتضيه الفصاحة مثل ما وقع لبعض الشعراء من التعقيد اللفظي ،ومثل تقديم وتأخير على خلاف مقتضى الحال ،فيعتذر لوقوعه بعذر الضرورة الشعرية ،فإذا جاء القرآن شعراً قصّر في بعض المواضع عن إيفاء جميع مقتضى الحال حقهاه.(١).

هذا هو جواب ابن عاشور الذي احتفل به في رده لشبهة اشتمال القرآن على بعض من موازين الشعر في بعض المواطن ،وجوابه هذا لا يقف أمام أجوبة المتقدمين ولا ينحل به إشكال المستشكلين ،وأنا أرى أن جواب الباقلاني أحسن.

ويرى العقاد أن من خصائص اللغة العربية أن أوزانها تتفق في كل ترتيل فصيح ،ولو لم يكن شعراً مقصوداً كما اتفقت في الآيات الكثيرة من القرآن الكريم ،وينبغي أن يؤمن المسلم وغير المسلم بأن القرآن الكريم لم يكن شعراً ،وما هو بقول شاعر كما جاء فيه ،وكما جاء في كلام الرسول الذي أوحي إليه(٢).

قلت: ومقتضى كلام العقاد أن الوزن ليس خاصاً بالشعر حتى تثار لأجل ذلك الشبهة تلك ،فإن صح قوله وجب أن يعدّ هذا من الردود القوية جداً على نفي تلك الشبهة.

وأما الجهة الرابعة: فليس لها مزيد تعلق بنظم القرآن ودلالة فصاحته وبلاغته على المعاني العليا ولا هو كثير في القرآن ومنه قوله تعالى (الم غُلِبت الروم)(٣).

وبعد فهذا هو كلام الشيخ في إعجاز القرآن . وأنت تراه وليس فيه شيء جديد يضاف إلى أراء السابقين اللهم إلا حسن العرض واستجماع الأفكار فيه ونضوجها وبهذا تعلم أن لا صحة لما أطلقه الباحث عبدالله الريس في رسالته (ابن عاشور ومنهجه في التفسير) من احتواء المقدمة هذه على أراء فذة جديدة(٤). نعم فيها تنظيم وتبويب واستدلال حسن لكن ليس فيها أراء جديدة تضاف إلى أراء السابقين.

ولا يفوتنا أن نذكر إغفال الشيخ للإعجاز الأدبي والنفسي وهو الذي تميزت به المدرسة الأدبية الحديثة بزعامة الخولي.وقد ذكر طرفاً من المنهج الأدبي القرآني في إثارة وجدان القارىء السيد أحمد بدوي في كتابه من بلاغة القرآن(٥).

---

(١) ٦٢/٢٣

(٢) اللغة الشاعرة ص٣٦

(٣) ١٢٩/١

(٤) أنظر ص٣٩١

(٥) ص٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع في هذا التفسير

القضايا اللغوية والبلاغية

وهو يشتمل على مبحثين

المبحث الأول: قضايا اللغة والنحو

تمهيد:-

ما من شك في أن ولوج أبواب التفسير دون سابقة لغوية يمتلكها من أراد ذلك،يُعدّ ضرباً من الإلحاد في آيات الله تعالى،فالقرآن الكريم عربي اللغة،ولا بد لمفسره من أن يكون على دراية بمسائل العربية ومهماتها،ولذلك عُدّ العلم بالعربية من أول أوليات المطالب على المفسر.

وليس يُظن أن اختيار العربية لتكون وسيلة لتبليغ هذا الكتاب الخالد،غُفْلٌ عن الفائدة والسبب،فللعربية ميزتها،وأهميتها وحسبنا من ذلك ما قال الشيخ ابن عاشور في وصفها: إن لغة العرب أفصح اللغات وأوسعها،لاحتمال المعاني الدقيقة الشريفة مع الاختصار،فإن ما في أساليب نظم كلام العرب من علامات الإعراب،والتقديم والتأخير،وغير ذلك والحقيقة والمجاز والكناية،وما في سعة اللغة من الترادف(١)،وأسماء المعاني المقيدة،وما فيها من المحسنات،ما يلج بالمعاني إلى العقول سهلة متمكنه،فقدر الله لهذه اللغة أن تكون هي لغة كتابه،الذي خاطب به كافة الناس،فأنزل بادىء بدء(٢) بين العرب أهل ذلك اللسان ومقاويل البيان،ثم جعل منهم حملته إلى الأمم،تترجم معانيه فصاحتهم وبيانهم،ويتلقى أساليبه الشادون منهم(٣) وولدانهم،حين أصبحوا أمة واحدة يقوم باتحادالدين واللغة كيانهم(٤).

هذه هي العربية لغة القرآن العظيم،وقد اهتم الشيخ بمبادئها وأقسامها وعلومها اهتماماً عظيماً طغى على سائر اهتماماته في هذا التفسير الضخم،مما يمكن الباحث أن يقول بكل هدوء،إن الاهتمام بالعربية عند الشيخ هو ميزة هذا التفسير،ولذلك فلا غرو أن يدرج هذا التفسير في الاتجاهات ضمن اتجاه اللغة المحافظ.

ولما كان هذا الفصل هو عماد هذا البحث الذي أقوم به،فلذلك سينال حظا من التفصيل أكثر من غيره.

وقد تنوعت اهتماماته وعناياته اللغوية بتنوع مفردات علم اللغة، فكان اهتمامه بنواحي اللغه والنحو يمكن اجماله في أهم القضايا التاليه:-

أ- بيان اشتقاق الكلمات

ب- بيان معاني المفردات

ح- ذكر وجود الأعاريب و توضيح بعض المسائل النحوية

---

(١) سيأتي ما فيه

(٢) في الأصل بادىء ذي بدء

(٣) معناها الطالب لذلك

(٤) ١٩٠/١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جعلت هذه القضايا ضمن المبحث الاول من الفصل الرابع وها منهجه فيها:-
أ) اهتمامه ببيان اشتقاق الكلمات و التدرج في استعمال الكلمة عبر الفترات الزمنيه التي مرت بمراحل هذه الأمة .
وهذا مبحث مهم من مباحث علم الصرف ، فالاشتقاق كما يقول الرافعي : سبب من أسباب نمو اللغة، وطريقة من طرق نشأتها(١)

ولعلم الصرف بعامة أهمية بالغة، قال الحملاوي : فما انتظم عقد علم إلا والصرف واسطته، ولا ارتفع مناره إلا وهو قاعدته ، إذ هو إحدى دعائم الأدب ، وبه تعرف سعة كلام العرب ، وتنجلي فرائد مفردات الايات القرآنية،والاحاديث النبوية ، وهما الواسطة في الوصول إلى السعادة الدينية و الدنيوية(٢)

وتتنوع طرائق اجتلاب مسائل هذا العلم في تفسير ابن عاشور على أنحاء متنوعه أهمها:
١- ذكره الخلاف عن العلماء في مسائل الاشتقاق ، سواء أكان الخلاف بين المدرستين أم كان بين الأعلام .
٢- إن معظم ما يقوله الشيخ هو ملخص مما عند العلماء المتقدمين ، إلا أنه لايشير إلى مصادر استقاء هذه المعلومات ، الا في مواضع قليلة من تفسيره ، وهي المواضع التي يذكر فيها الخلاف غالبا
٣- برغم ما سبق فليس يسوق هذه المعلومات سوق المعجب أو الموافق دائما ، وانما يبدي رأيه فيما يذكر سواء فيما يتعلق بترجيحه في الاشتقاق أم ما يتعلق بالكلمة.

هذه هي أهم الجوانب التي يمكن معها تحديد منهج الشيخ في اجتلاب هذه المسائل ، وإلى شيء من التفاصيل حول ذلك :-
فمما يذكر فيه الخلاف ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى : (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) ١٤/البقره قال : ووزن شيطان اختلف فيه البصريون والكوفيون من علماء العربية ، فقال البصريون هو فيعال من شطن بمعنى بعد ، لأنه أبعد عن رحمة الله وعن الجنة ، فنونه أصليه ، وقال الكوفيون : هو فعلان من شاط بمعنى هاج أو احترق أو بطل ووجه التسمية ظاهر ، ولا أحسب هذا الخلاف إلا أنه بحث عن صيغة اشتقاقه فحسب ، أي البحث عن حروفه الأصول وهل إن نونه أصل أو زائد ، و إلا فإنه لا يظن بنحاة الكوفة أن يدعوا أنه يعامل معاملة الوصف الذي فيه زيادة الألف و النون مثل غضبان، كيف وهو متفق على عدم منعه من الصرف في قوله تعالى:

---

(١) تاريخ آداب العرب ١٧٦/١
(٢) شذا العرف ص١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(وحفظناها من كل شيطان رجيم) الحجر/١٧(١) وقال ابن عطيه: يرد على قول الكوفيين أن سيبويه حكى أن العرب تقول : تشيطن إذا فعل فعل الشيطان ، فهذا يبين أنه من شطن وإلا لقالوا تشيط اهـ. وفي الكشاف جعل سيبويه نون شيطان في موضع من كتابه أصليه وفي آخره زائده اهـ.(٢)

والوجه أن تشيطن لما كان وصفا مشتقا من الاسم كقولهم تنمر ، اثبتوا فيه حروف الاسم على ما هي عليه ، لأنهم عاملوه معاملة الجامد دون المشتق ،لأنه ليس مشتقا مما اشتق منه الاسم ، بل من حروف الاسم ، فهو اشتقاق حصل بعدتحقيق الاستعمال ، وقطع النظر عن مادة الاشتقاق الأول ، فلايكون قولهم ذلك مرجحا لأحد القولين ، وعندي أنه اسم جامد شابه في حروفه مادة مشتقة ودخل في العربية من لغة سابقة، لأن هذا الاسم من الأسماء المتعلقة بالعقائد والأديان(٣)

قلت: واختيار ابن عاشور هذا بحاجة إلى إعادة نظر، فإن اللفظ مشتق، وإنما يتعاور اشتقاقه أحد احتمالين، وذلك بحسب النظر إليه من جهة المعنى، وقوله إنه مما دخل في العربية من لغة سابقة كلام يعوزه الدليل، فقد ورد من مادة هذه الكلمة في أشعار العرب(٤) فالمادة عربية خاضعة للأوزان العربية الأساسية وما كان كذلك حكم بأصالته(٥)

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (... ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة ...) الأنفال/١٦ حيث قال:

والتحيز طلب الحيْز – فيعل من الحوز، فأصل إحدى ياءيه الواو، فلما اجتمعت الواو والياء وكانت السابقة ساكنة قلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء، ثم اشتقوا منه تحيز فوزنه تفيعل، وهو مختار صاحب الكشاف جريا على القياس بقدر الإمكان وجوّز التفتزاني أن يكون وزنه تفعّل بناء على اعتباره مشتقا من الكلمة الواقع فيها الإبدال والإدغام وهي الحيز، ونظره بقولهم (تدَيُّر) بمعنى الإقامة في الدار، فإن الدار مشتقة من الدوران، ولذلك جمعت على دور إلا أنه لما كثر في جمعها ديار وديرة عوملت معاملة ما عينه ياء،

---

(١) المراد أنه ليس ممنوعا من الصرف فيها.

(٢) الذي في كتاب سيبويه هو ما نصه: وكذلك شيطان إن أخذته من الشيطن فالنون عندنا في مثل هذا من نفس الحرف إذا كان له فعل يثبت فيه النون، وإن جعلت شيطان من شيّط لم تصرفه ٢١٧/٣ – ٢١٨

(٣) ٢٩٠/١ وما بعدها، والفرق بين المذهبين ، أن صيغة فعلان النون فيها تكون زائده ، فأصل الكلمة ليس فيها نون ، وأما صيغة فيعال فصيغة مجرده الحروف ، وليس فيها حرفا مزيدا اهـ شيخنا

(٤) أنظر اللسان مادة شطن، وبصائر ذوي التمييز ٣١٩/٣ والكليات اللغوية ٨٢/٣ ، والدر المصون ١٠/١ وما بعدها والمفردات ٢٦١ وعمدة الحفاظ ٢٦٧ والمنتخب ٢٦١/١

(٥) راجع بلاغتنا المفترى عليها ص ٤٥ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقالوا من ذلك تديّر بمعنى أقام في الدار وهو تفعل من الدار، واحتج بكلام ابن جني والمرزوقي في شرح الحماسة يعني ما قاله ابن جني في شرح الحماسة عند قول جابر بن حريش(١)

إذ لا تخاف حدوجنا قذف النوى قبل الفساد إقامة وتديرا

(التدير تفعل من الدار وقياسه تدور، إلا أنه لما كثر استعمالهم ديار أَنِسوا بالياء ووجدوا من جانبها أوطا حِسّا وألين مساً فاجتروا عليها فقالوا تدير) وما قال المرزوقي (الأصل في تدير الواو ولكنهم بنوه على ديار لإلفهم له بكثرة تردده في كلامهم)(٢).

ومنه أخيرا ما ذكره من الخلاف عند تفسيره لقوله تعالى (المؤمن المهيمن) حيث قال: واختلف في اشتقاقه فقيل مشتق من أمَن الداخل عليه همزة التعدية فصار ءآمن وأن وزن الوصف مؤيمن قلبت همزته هاء، ولعل موجب القلب إرادة نقله من الوصف إلى الاسمية بقطع النظر عن معنى الأمن، بحيث صار كالاسم الجامد، وصار معناه رقب: (ألا ترى أنه لم يبق فيه معنى الأمن الذي في المؤمن(٣) لما صار اسما للرقيب والشاهد)، وهو قلب نادر مثل قلب همزة أراق إلى الهاء فقالوا هراق، وقد وضعه الجوهري في فصل الهمزة من باب النون، ووزنه مفعلل اسم فاعل من آمن مثل مدحرج، فتصريفه مؤأمِن بهمزتين بعد الميم الأولى المزيدة، فأبدلت الهمزة الأولى هاء كما أبدلت همزة اراق فقالوا هراق.

وقيل: أصله هيمن بمعنى: رقب، كذا في لسان العرب، وعليه فالهاء أصلية ووزنه مُفَيْعِل، وذكره صاحب القاموس في فصل الهاء من باب النون ولم يذكره في فصل الهمزة منه، وذكره الجوهري في فصل الهمزة وفصل الهاءمن باب النون مصرحاً بأن هاءه أصلها همزة وعدل الراغب وصاحب الأساس عن ذكره وذلك يشعر بأنهما يريان هاءه مبدلة من الهمزة وأنه مندرج في معاني الأمن(٤).

قلت: وقد ذكره الزمخشري في الكشاف مشتقا من الأمن(٥)

هذا طرف من ذكره للاشتقاق واختلاف العلماء فيه، وقد يذكر الخلاف في الوزن الصرفي للكلمة فقط دون تعريج على الاشتقاق وهو نادر الوقوع جدا، ومثاله ما وقع عند تفسيره لقوله تعالى (وأنكحوا الأيامى منكم) النور/٣٢ حيث قال: ووزن أيامى عند الزمخشري أفاعل لأنه جمع أيّم بوزن فيعِل، وفيعل لا يجمع على فَعالى. فأصل أيامى أيائم، فوقع فيه قلب مكاني قدمت الميم للتخلص من ثقل الياء بعد حرف المد، وفتحت الميم للتخفيف فقلبت الياء ألفا، وعند ابن مالك وجماعة،

---

(١) هو من شعراء الحماسة وانظر خبر أبياته في شرح التبريزي على الحماسة ٧٣/٢

(٢) ٢٩٠/٩، والفرق بين الرأيين أن الزمخشري نظر إلى الأصل، والتفتزاني جعل النظر إلى الكلمة بعد وقوع الإبدال فيها اهـ شيخنا

(٣) في الأصل معنى إلا من الذي في المؤمن وهي هكذا ليس واضحة

(٤) ١٢١/٢٨ وما بعدها

(٥) ٨٧/٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزنه فعالى على غير قياس، وهو ظاهر كلام سيبويه(١).

وقد يذكر مصادره في الاشتقاق مصرحا بأسمائها ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (فلعلك باخع نفسك) الكهف/٦ حيث قال: وفي اشتقاق الباخع خلاف فقيل مشتق من البخاع بالباء الموحدة (بوزن كتاب) وهو عرق مستبطن في القفا، فإذا بلغ الذابح البخاع، فذلك أعمق الذبح، قاله الزمخشري في قوله تعالى (فلعلك باخع نفسك)الشعراء/٣، وانفرد الزمخشري بذكر هذا الاشتقاق في الكشاف والفائق والأساس. قال ابن الأثير في النهاية (بحثت في كتب اللغة والطب فلم أجد البخاع بالموحدة) يعني أن الزمخشري انفرد بهذا الاشتقاق، وباثبات البخاع اسما لهذا العرق.

قلت: كفى بالزمخشري حجة فيما أثبته، وقد تبعه عليه المطرزي في المغرب وصاحب القاموس(٢)

والشيخ ابن عاشور حين يسوق هذه المعلومات الصرفية، لا يسوقها دائما سياق المسلّم بها المعجب بها، وإنما يبدي رأيه فيما لا يعجبه منها، وقد يلوح له أحيانا عدم قناعة باشتقاق ما، أو عدم معرفة به، فيذكر ذلك في أثناء تفسيره.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم) البقرة/١٤٢ حيث قال: والقبلة في أصل الصيغة اسم على زنة فِعْلة بكسر الفاء وسكون العين، وهي زنة المصدر الدال على هيئة فعل الاستقبال أي التوجه، اشتق على غير قياس بحذف السين والتاء، ثم أطلقت على الشيء الذي يستقبله المستقبل مجازا، وهو المراد هنا لأن الانصراف لا يكون عن الهيئة، قال حسان في رثاء أبي بكر رضي الله عنه:

أليس أوّلَ من صلى لقبلتكم(٣)

والأظهر عندي أن تكون القبلة اسم مفعول على وزن فِعل كالذِّبح والطِّحْن وتأنيثه باعتبار الجهة كما قالوا ماله في هذا الأمر قبلةٌ ولا دبرةٌ أي وجهة اهـ(٤)

قلت: وهذا يخالف ما كان عليه الواقع فهل كانت القبلة مرغوبة لديهم.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (قال الحواريون نحن انصار الله) ال عمران/٥٢،حيث قال بعد أن فسر كلمة (الحواريون)... وقد أكثر المفسرون وأهل اللغة في احتمالات اشتقاقه، واختلاف معناه، وكل ذلك إلصاق بالكلمات التي فيها حروف الحاء والواو

---

(١) ٢١٥/١٨ وانظر الكشاف ٦٣/٣ وانظر كذلك ذكر الخلاف دون التصريح بأسماء المختلفين ٣٥/١١ ، ١١٣/٢٣ ، ٢٩١/٣٠ ، ٣٥٤

(٢) ٢٥٤/١٥

(٣) الشاهد ذكر في هيميان الزاد أنه قاله في حق علي ، أنظر ٤٤٩/١ وهو في الآلوسي كذلك

(٤) ٨/٢ وراجع السمين ١٥٤/٢ والذي ذكره ابن عاشور لا يفرق عما سبق ذكره إلا في البناء الصرفي فيما يظهر لي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والراءو لا يصح منها شيء(١)

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وعاشروهن بالمعروف) النساء/١٩ حيث قال: والمعاشرة مفاعلة من العشرة وهي المخالطة، قال ابن عطية وأرى اللفظة من أعشار الجزور، لأنها مقاسمة ومخالطة، أي فأصل الاشتقاق من الاسم الجامد، وهو عدد العشرة، وأنا أراها مشتقة من العشيرة أي الأهل، فعاشره جعله من عشيرته، كما يقال آخاه إذا جعله أخا، أما العشيرة فلا يعرف أصل اشتقاقها وقد قيل إنها من العشرة أي اسم العدد وفيه نظر(٢)

ومما ذكره لكلمات لا يعرف أصل اشتقاقها ما كان عند تفسيره لقوله تعالى (أولئك لهم نصيب مما كسبوا) البقرة/٢٠٢ حيث قال: والنصيب: الحظ المعطى لأحد في خير أو شر قليلا كان أو كثيرا ووزنه على صيغة فعل، ولم أدر أصل اشتقاقه فلعلهم كانوا إذا عينوا الحظ لأحد ينصب له ويظهر ويشخص، وهذا ظاهر كلام الزمخشري في الأساس، والراغب في المفردات أو هو اسم جاء على هذه الصيغة ولم يقصد منه معنى فاعل ولا معنى مفعول(٣)

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (فإذا أفضتم من عرفات) البقرة/١٩٨ حيث قال: ولا يدري وجه اشتقاق في تسمية المكان عرفات أو عرفة، ولا أنه علم منقول أو مرتجل، والذي اختاره الزمخشري، وابن عطية أنه علم مرتجل والذي يظهر أن أحد الاسمين أصل والآخر طارىء عليه، وأن الأصل (عرفات) من العربية القديمة، وأن عرفة تخفيف جرى على الألسنة، ويحتمل أن يكون الأصل (عرفة) وأن عرفات إشباع من لغة بعض القبائل(٤).

قلت: قال السمين: وعرفات اسم مكان مخصوص، وهل هو مشتق أو مرتجل؟ قولان أحدهما: أنه مرتجل وإليه ذهب الزمخشري قال: لأن العرفة لا تعرف في أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارف. والثاني: أنه مشتق، واختلف في اشتقاقه، فقيل من المعرفة لأن ابراهيم عليه السلام لما عرفه جبريل هذه البقعة قال: عرفت عرفت أو لأنه عرّفه بها هاجرُ واسماعيل لما أخرجتهما سارة في غيبته فوجدهما بها، أو لأن آدم عرف بها حواء. وقيل: مشتقة من العرف وهو الرائحة الطيبة، وقيل من العرف وهو الارتفاع ومنه عرف الديك(٥).

---

(١) ٢٥٥/٣ وهو يرى أنها معربة من النبطية (٢) ٢٨٦/٤

(٣) ٢٤٨/٢ وانظر كذلك اشتقاق الكفل ١٤٤/٥

(٤) ٢٣٩/٢

(٥) الدر المصون ٣٣٠/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

البلاغة القرآنية في هذا التفسير

القسم الاول: مسائل علم المعاني

لعل البلاغة القرآنية هي اكثر ما شغل المفسر في تفسيره، فنالت قسطا عظيما حريا بالدرس والنظر،ولست استطيع ههنا ان اذكر كل شيء عن مسائلها ولكن حسبي ان الم بأهم جوانب الحديث عن اقسام البلاغة القرآنية في هذا التفسير ولا ريب أن فصاحة القرآن وبلاغته، قد شغلت الناظرين فيه منذ نزوله ولا تزال كذلك، يقول ابن عاشور في هذا: إن القرآن قد اشتطت ألفاظه ومعانيه على ما لو تدبره العقل السليم لجزم بكونه من عند الله تعالى، فإنه جاء على فصاحة وبلاغة ما عهدوا مثلهما في فحول بلغائهم، وهم فيهم متوافرون متكاثرون حتى لقد سجد بعضهم لبلاغته، واعترف بعضهم بأنه ليس بكلام بشر، وقد اشتمل من المعاني على مالم يطرقه شعراؤهم وخطباؤهم وحكماؤهم، بل على مالم يبلغ الى بعضه علماء الأمم، ولم يزل العلم في طول الزمان يظهر خبايا القرآن، ويبرهن على صدق كونه من عندالله (١)، ويقول الراغب في وصف الفاظ القرآن التي حازت كل بلاغة: فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب، وزبدته، وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء، والحكماء في احكامهم وحكمهم، واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنهاوالمشتقات منها هو بالإضافة اليها كالقشور والنوى بالإضافة الى اطايب التمر، وكالحثالة والتبن بالإضافة الى لبوب الحنطة(٢).

وسوف نسير مع مسائل علم المعاني على شاكلة ما سرنا في ابحاث متقدمة مقسمين هذه المسائل كل مجموعة خاصة تحت إطار واحد.

وتتلخص اهم موضوعات مسائل علم المعاني في هذا التفسير في الأمور التالية:-

١) التقديم والتأخير

٢) الفاصلة القرآنية والتفنن.

وهذه المسائل هي ابرز المسائل المطروقة في هذا التفسير، اقتصرنا عليها نظرا للإختصار الشديد المطلوب في نظام الجامعة ولا يخلو ايضا من الحديث عن موضوعات يمكن ادراجها تحت هذا العلم، وقد يسمح الحال بالتنبيه على بعضها ان شاء الله تعالى.

---

(١) ٣٣٦/١ . (٢) مقدمة المفردات ص٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : التقديم والتأخير

يقول الشيخ عبدالقاهر عليه الرحمة، هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية، لايزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك الى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك ان قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان الى مكان(٢).

ويعد التقديم مظهرا من مظاهر كثيرة تمثل قدرات ابانه او طاقات تعبيرية يديرها المتكلم اللقن ادارة حية وواعية، فيسخرها تسخيرا منضبطا للبوح بأفكاره، والوان احاسيسه، ومختلف خواطره، ومواقع الكلمات من الجملة عظيمة المرونة كما هي شديدة الحساسية، واي تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية في شكل المعاني، والوان الحسن وظلال النفس(٣).

هذه هي اهمية هذا الباب في فن البلاغة، وليس من غرضنا في هذه الدراسة الوقوف مع مختلف ضروب هذا الباب، باحثين عن اسراره في مختلف السياقات اللفظية، ولكننا نلم ههنا ببعض الجوانب التي ذكرها الشيخ كاسرار من وراء هذا العمل اللفظي في الكتاب المكنون ولنبدأ اولا بتقديم المسند اليه ثم نقفي بتقديم المسند، وبعد ذلك نعرض الى تقديم غيرهما.

تقديم المسند اليه:

عرض الشيخ الى جوانب كثيرة من الجوانب التي يتقدم المسند اليه بسببها:

فقديتقدم المسند اليه لتقوية الحكم، والمراد به التأكيد، وقد علل الشيخ كثيرا من تقديم المسند اليه بهذه العلة، ورد اقوالا كثيرة للزمخشري في هذا الجانب وذكر ان طريقة الزمخشري باطراد في تقديم المسند اليه على الخبر الفعلي انه يفيد تخصيصه بالخبر(١).

---

(١) ١٨٠/٢٤ .

(٢) دلائل الإعجاز ١٠٦ .

(٣) دلالات التراكيب ١٧٠ .

(١) ٢٠٨/١٩-٢٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)٤/"البقرة"، حيث قال: جيء بالمسند اليه مقدما على المسند الفعلي (هم يوقنون) لإفادة تقوية الخبر اذ هو ايقان ثابت عندهم من قبل مجيء الإسلام على الإجمال، وان كانت التوراة خالية عن تفصيله، والإنجيل اشار الى حياة الروح وتعرض كتاب حزقيال واشعياء لذكره، وفيه تعريض بالمشركين الدهريين ونداء على انحطاط عقيدتهم(٢).

قلت: قد ذكر السيد في حاشية الكشاف الى ان هذا التقديم يفيد الاختصاص، يعني ان اختصاص الإيقان بالآخرة مقصور عليهم لا يتجاوزهم الى الذين لم يؤمنوا من اهل الكتاب وفيه تعريض بأن اعتقادهم الذي يزعمون انه ايقان بالآخرة ليس ايقانا اصلا بل هو جهل محض، كما ان معتقدهم خيال باطل، وان الإيقان ما عليه المؤمنون، كما ان الآخرة هي التي يعتقدونها(٣).

وقد مال الى هذا الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي(٤) ومثله عند الشهاب الآلوسي(٥)، وما ذكره ابن عاشور من ان اهل الكتاب كان عندهم ايقان بالآخرة قبل الإسلام غير مسلّم اذ لم يكن عندهم الا الأوهام.

ومنه ايضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)٩٩/"المائدة" حيث قال: وتقديم المسند اليه على الخبر الفعلي لإفادة تقوي الحكم وليس لإفادة التخصيص لنبو المقام عن ذلك(٦).

ومنه ما ذكره عند تفسير لقوله تعالى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)٩٩/"يونس" حيث قال: والاستفهام في (أفأنت تُكْرِه الناس) انكاري، فنزل النبي - صلى الله عليه وسلم - لحرصه على ايمان اهل مكة وحثيث سعيه لذلك بكل وسيلة صالحة، منزلة من يحاول اكراههم على الإيمان حتى ترتب على ذلك التنزيل انكاره عليه، ولاجل كون هذا الحرص الشديد هو محل تنزيل ومصب الإنكار وقع تقديم المسند اليه على المسند الفعلي فقيل (أفأنت تكره الناس) دون ان يقال افتكره الناس، لأن تقديم المسند اليه على مثل هذا المسند يفيد تقوي الحكم، فيفيد تقوية صدور الإكراه من النبي - صلى الله عليه وسلم - لتكون

---

(٢) ٢٤١/١ بتصرف.

(٣) حاشية السيد علي الكشاف ١٣٧/١ وبمثله قال في الكشف ٩/١أ.

(٤) ٢٣٨/١ .

(٥) ١٢٣/١ .

(٦) ٦١/٧ وقوله لنبو المقام غير ظاهر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلك التقوية محل الإنكار، وهذا تعريض بالثناء على النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعذرة له على عدم استجابتهم اياه(١)، ومن بلغ المجهود حق له العذر، وليس تقديم المسند اليه هنا مفيدا للتخصيص، اي القصر، لأن المقام غير صالح لاعتبار القصر، اذ مجرد تنزيل النبي - صلى الله عليه وسلم - منزلة من يستطيع اكراه الناس على الإيمان كاف في الإشارة الى تشبيه حرصه على ايمانهم بحرص من يستطيع اكراههم عليه، فما وقع في الكشاف من الإشارة الى معنى الإختصاص غير وجيه لأن قرينة التقوي واضحة كما اشار اليه السكاكي(٢).

وقد عرض الشيخ هنا الى تقديم المسند اليه المنفي مع عدم ايلاء المسند اليه حرف النفي وهذه الصورة في الغالب تأتي لإفادة تقوية الحكم وتأكيده قال عند قوله تعالى (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون)٥٥/"الأنفال، قال: فان تقديم المسند اليه على الخبر الفعلي المنفي مع عدم ايلاء المسند اليه حرف النفي لقصد افادة تقوية نفي الإيمان عنهم، اي الذين ينتفي الإيمان منهم في المستقبل انتفاء قويا، فهم بعداء عنه اشد الابتعاد، وليس التقديم هنا مفيدا للتخصيص لأن التخصيص لا اثر له في الصلة، ولأن الأكثر في تقديم المسند اليه على الخبر الفعلي المنفي، إذا لم يقع المسند اليه عقب حرف النفي، ان لا يفيد تقديمه الا التقوي، دون التخصيص، وذلك هو الأكثر في القرآن كقوله تعالى (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون)٢٧٢/ "البقرة" اذ لا يراد وانتم دون غيركم لا تظلمون(٣).

وقد يكون التقديم للقصر والاختصاص فمنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق)١٣/الكهف، حيث قال: وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي في جملة(نحن نقص عليك) يفيد الاختصاص، اي نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق(٤).

ومنه ايضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (بل انتم بهديتكم تفرحون)٣٦/"النمل" حيث قال: وتقديم المسند اليه على المسند الفعلي في (انتم تفرحون) لافادة القصر، اي انتم وهو الكناية عن رد الهدية(٥).

وقال الآلوسي: عند مثل هذا التعقيب الأخير ما نصه، وقيل الكلام كناية عن الرد،

---

(١) ولعل الأحسن استجابتهم له.

(٢) ٢٩٣/١١ وانظر الكشاف ٢٥٤/٢ ، وانظر البلاغة ٢١٨/١ ، وانظر لمزيد ١٣٤/١٣ ، ١٢٣/١٤ .

(٣) ٤٧/١٠ وانظر ما يتعلق بهذا الجانب في كتاب البلاغة فنونها وافنانها ٢١٧/١ .

(٤) ٢٧١/١٥ .

(٥) ٢٦٩/١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعنى انتم من حقكم ان تفرحوا بأخذ الهدية لا انا فخذوها وافرحوا وهو معنى لطيف الا ان فيه خفاء(١).

هذا جانب من افادة تقديم المسند اليه للاختصاص، وانت ترى هذه الأمثلة هنا هي امثلة على ذلك حال كون المسند اليه مثبتا، وقد عرض الشيخ ابن عاشور الى الأمثلة التي يكون فيها المسند اليه منفيا، وما ينبغي الإشارة اليه ان المسند اليه إذا كان منفيا وكان المسند فعلا فإن تقديم المسند اليه يفيد التخصيص قطعا، كما ذكر ذلك الشيخ ابن عاشور(٢).

وظاهر كلام استاذنا وشيخ شيوخنا ان الجرجاني لا يقول بهذا، وان الزمخشري يتوسع فيجعل مثل هذه الصورة مما يفاد معها القصر والتخصيص(٣).

واما تقديم المسند اليه على المسند المشتق فقال ابن عاشور في ذلك: ان تقديم المسند اليه على المسند المشتق لا يفيد الاختصاص عند جمهور ائمة المعاني، بل الاختصاص مفروض في تقديمه على المسند الفعلي خاصة، ولذلك صرح صاحب الكشاف تبعا للشيخ عبد القاهر بأن موقع الضمير هنا (وما هم بخارجين من النار)١٦٨/"البقرة" كموقعه في قول المعذّل البكري:

هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباق يبذُّ المغالبا(٤)

في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص اهـ.

وادعى صاحب المفتاح ان تقديم المسند اليه على المسند المشتق قد يفيد الاختصاص كقوله تعالى (وما انت علينا بعزيز)٩١-/"هود" (وما انا بطارد الذين آمنوا)٢٩/"هود" (وما انت عليهم بوكيل)١٠٧/"الأنعام"، فالوجه ان تقديم المسند اليه على المسند

---

(١) ٢٠١/١٩ روح المعاني.

(٢) انظر ابن عاشور ١٠٠/٢ ، وانظر البلاغة ٢١٥/١ .

(٣) البلاغة ٢١٦/١ .

(٤) البيت في ديوان الحماسة، والمعذل البكري سماه التبريزي المعذل بن عبد الله الليثي ١٣٦/٤ ، وانظر الأعلام ٢٦٧/٧ ، ومعنى البيت انهم يجعلون الصوف احيانا على الأفراس ولديهم خيول سباقة جرداء لا يضعون عليها الصوف تبذ وتسبق الخيول الأخرى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشتق لا يفيد بذاته التخصيص، وقد يستفاد من بعض مواقعه معنى التخصيص بالقرائن(١).

ومن امثلة ماذكره في مثل هذا ما كان عند تفسيره لقوله تعالى (وما اناعليكم بحفيظ)١٠٤/"الأنعام" حيث قال: ولا يفيد تقديم المسند اليه في الجملة الاسمية اختصاصا خلافا لما يوهمه ظاهر تفسير الزمخشري، وان كان العلامة التفتزاني مال اليه وسكت عنه السيد الجرجاني، وهو وقوف مع الظاهر(٢).

وابعد الشيخ ابن عاشور في اهم المواضع التي استدل بها الزمخشري على مذهبه هذا من ان تقديم المسند اليه المنفي على الخبر غير الفعلي يفيد التخصيص وهو ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وما انت علينا بعزيز)٩١/"هود"، وذلك في مجاوبة بين شعيب عليه السلام وقومه، فقال الزمخشري، وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل: وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا، ولذلك قال في جوابهم (ارهطي اعز عليكم من الله) الآية -٩٢- ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب (٣).

اقول ابعد ابن عاشور اذ قال: وليس تقديم المسند اليه على المسند في قوله (وما انت علينا بعزيز) بمفيد تخصيصا ولا تقويا(٤)، وهو واضح في عدم اختيار اي من طريقتي الشيخين في هذا المثال اضافة الى انه لم يبد توجيها في سبب هذا التقديم، كما هو ظاهر .

وختاما نقول هل ذهب الزمخشري الى افادة التخصيص في كل هذه الامثلة التي على هذا النمط؟ ولا يبدو ذلك كذلك ولكن الظاهر ان الزمخشري يذهب الى هذا في غالب هذه التراكيب الا انه في بعضها، قال بافادتها للتقوي فحسب(٥)

وهناك صور اخرى لتقديم المسند اليه فقد ذهب الشيخ ابن عاشور الى ان تقديم المسند اليه قد يكون احيانا للاهتمام، فمثلا قال عند تفسيره لقوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم)١٧/"الأنفال"، وقدم المسند اليه على الخبر الفعلي في قوله (ولكن الله قتلهم) دون ان يقال قتلهم الله لمجرد الاهتمام لا الاختصاص، لان نفي اعتقاد المخاطبين انهم القاتلون قد حصل من جملة النفي فصار المخاطبون

---

(١) ١٠٠/٢-١٠١ وظاهر كلام الزمخشري في آية هود ان التقديم مفيد الاختصاص انظر الكشاف ٢٨٩/٢ .

(٢) ٤٢١/٧ وانظر الكشاف٤٢/٢

(٣) ٢٨٩/٢ .

(٤)١٥٠/١٢ وانظر تفصيل ذلك في تفسير البقرة ١٠٠/٢ .

(٥) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٢٧٧ وانظر ابن عاشور ١٠٠/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متطلبين لمعرفة فاعل قتل المشركين فكان مهما عندهم تعجيل العلم به(١)، وهذا التعليل في حقيقته غير مرضي، وحسبك في عدم الرضا به ان هذا تعليل عام يمكن ان تعلل به مختلف انواع التقديمات، وهذا ما فعله ابن عاشور فعلا في تفسيره فقد علل التقديم بهذا التعليل في تقديم المجرور في مواضع كثيرة(٢)، وكذلك تقديم المفعول(٣) وتقديم المتعلق(٤) وتقديم المعمول(٥).

وقد شنع شيخ البلاغيين على الذين يعللون تقديم كلمة على اخرى او جملة على اخرى بهذا التعليل فقال: وقد وقع في ظنون الناس انه يكفي ان يقال: انه قدم للعناية ولأن ذكره اهم من غير ان يذكر من اين كانت تلك العناية؟ وبم كان اهم؟ ولتخيلهم ذلك قد صغر امر التقديم والتأخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه، حتى انك لترى اكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف، ولم نر ظنا ازرى على صاحبة من هذا وشبهه اهـ. (٦) وهو كلام حسن جدا.

هذه بعض صور تقديم المسند اليه والدواعي البلاغية لذلك، ولكننا وقبل ان نغادر تقديم المسند لنا وقفة عند كلام الشيخ في تفسير قوله تعالى (وما هم بخارجين من النار)١٦٨/"البقرة"، حيث قال: وعدل عن الجملة الفعلية بأن يقال (وما يخرجون) الى الاسمية للدلالة على ان هذا الحكم ثابت انه من صفاتهم، وليس لتقديم المسند اليه هنا نكتة، الا انه الأصل في التعبير بالجملة الاسمية في مثل هذا اذ لا تتأتى بسوى هذا التقديم... ثم اخذ في ذكر تقديم المسند اليه على الخبر المشتق وهل يفيد الإختصاص ام لا، ونقل عن الكشاف انه قال: ان تقديم المسند اليه في هذه الآية لتقوية الحكم ليدل على قوة امرهم فيما اسند اليهم(٧)، فإذا كان قد نقل عن الزمخشري ان التقديم في الآية لتقوية الحكم فلا وجه لقوله انه لا نكتة له وعلى كل حال هو بهذا يسير مع الزمخشري اذ جنح في تفسيره الى انه ليس بالضرورة ان يكون للتقديم في كل صورة نكتا بلاغية(٨).

وهذا المذهب ليس حسنا ويبدو لي ان ذلك هو الذي دعا شيخ البلاغيين من قبل الى انكاره(٩) ولم لا يكون التقديم في الآية للإختصاص

---

(١) ٢٩٤/٩ وانظر كذلك ٣٠٤/٩ .

(٢) انظر ٣٨٤/٧، ١٩٤/١١، ٦٣/١٢، ٢٢/٢٠ ، وغيرها.

(٣) انظر مثلا ١٥٦/٧، ٣٣٨/٧ .

(٤) ٧٢/١١ .

(٥) ١٩٠/١٢ .

(٦) دلائل الإعجاز ص١٠٨ .

(٧) ١٠٠/٢ .

(٨) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٢٨٧.

(٩) دلائل الإعجاز ص١١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على معنى ان غيرهم سيخرجون من النار اهـ. شيخنا.

وبعد فإذا كان لمثل هذا التعليل وجه في تفسير كلام الشعراء، فإن قداسة القرآن الكريم تمنع المسلم من ان يوصل مثل هذا التعليل الى آيات الكتاب الحكيم، وكنا نود من الشيخ لو نزه قلمه عن هذه الكلمة التي تفوق الكلمات، والله اعلم.

تقديم المسند:

ولذلك اغراض بلاغية عرض الشيخ لها في اثناء تفسيره نقتطف منها ما يسد حاجتنا ههنا فقد يقدم المسند للاختصاص، قال الشيخ: عند قوله تعالى (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون)٤٧/"الصافات"، وتقديم الظرف المسند على المسند اليه لإفادة التخصيص، اي هو منتف عن خمر الجنة فقط دون ما يعرف من خمر الدنيا(١)

ومثله عند قوله تعالى (ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما)٤/"الفتح" حيث قال: وتقديم المسند على المسند اليه في (ولله جنود السماوات والارض) لإفادة الحصر، وهو حصر ادعائي اذ لا اعتداد بما يجمعه الملوك، والفاتحون من الجنود لغلبة العدو بالنسبة لما لله من الغلبة لأعدائه والنصر لأوليائه(٢).

وقد يقدم المسند للتشويق للمسند اليه وذلك على نحو ما قرره في تفسيره لقوله تعالى (ومن الناس من يقول امنا بالله)٨/"البقرة" حيث قال: وقوله (ومن الناس)، خبر مقدم لا محالة وقد يتراءى ان الإخبار بمثلة قليل الجدوى لأنه إذا كان المبتدأ دالا على ذات مثله، او معنى لا يكون الا في الناس كان الإخبار عن المبتدأ بأنه من الناس او في الناس غير مجد بخلاف قولك الخضر من الناس، اي لا من الملائكة فإن الفائدة ظاهرة، فوجه الإخبار بقولهم من الناس في نحو الآية ونحو قول بعض اعزة الأصحاب في تهنئة لي بخطة القضاء:

في الناس من القى قلادته الى خلف فحرم ما ابتغى واباحا

إن القصد اخفاء مدلول الخبر عنه كما تقول قال هذا انسان، وذلك عندما يكون الحديث يكسب ذما او نقصانا ... وقد كثر تقديم الخبر في مثل هذا التركيب، لان في تقديمه تنبيها للسامع على عجيب ما سيذكر وتشويقا لمعرفة ما يتم به الإخبار(٣).

وقد يقدم المسند للتعجيب من مضمون صلة المسند اليه، ذكر الشيخ ذلك عند تفسيره لقوله تعالى (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك)٧٦/"ال عمران" حيث قال: وتقديم المسند في قوله (ومن اهل الكتاب) في الموضعين للتعجيب من مضمون صلة المسند اليهما ففي

---

(١) ١١٣/٢٣ .

(٢) ١٥١/٢٦، وانظر كذلك ٣٦٥/٢٧، ٢٥٠/٢٨، ٢٦١/٢٨، ٥٨٤/٣٠ .

(٣) ٢٦٠/١ وانظر ٥٧٣/١، ١٤٢/٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاول للتعجيب من قوة الأمانة، مع امكان الخيانة ووجود العذر له في عادة اهل دينه، وفي الثاني للتعجيب من ان يكون الخون خلقا لمتبع كتاب من كتب الله، ثم يزيد التعجيب عند قوله (ذلك بأنهم قالوا) فيكسب المسند اليهما زيادة عجب حال(١).

وقد علل الشيخ اخيرا تقديم المسند ليتأتى الإتيان بالمسند اليه وهو نكرة فقال عند قوله تعالى (ام لكم كتاب فيه تدرسون)٣٧/"القلم"، وتقديم (لكم) على المبتدأ وهو (كتاب) لأن المبتدأ نكرة وتنكيره مقصود للنوعية فكان تقديم الخبر لازما(٢)

وقال عند قوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)٣٧/"عبس"، وتقديم الخبر في قوله (لكل امرئ) على المبتدأ ليتأتى تنكير (شأن) الدال على التعظيم لأن العرب لا يتبدئون بالنكره في جملتها الا بسوغ من مسوغاتٍ عدها النحاة بضعة عشر مسوغا، ومنها تقديم الخبر على المبتدأ(٣).

وانا وان كان لم يظهر لي سر هذين التقديمين الا انني لا اشك ان لهما سرا بديعا وتعليل ابن عاشور تعليل لفظي محض، ما كنا نود من الشيخ ان يقف بنا عنده.

تقديم متعلقات الفعل(٤):

عرض الشيخ لهذا النوع من التقديم من خلال تفسيره للآيات الكريمة المشتملة على ذلك وبنا ان نقف مع بعض الأسرار البلاغية لبعض هذه المتعلقات.

فقد يقدم المفعول مثلا لانه محل تعجيب، وذلك على نحو ما قرره الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن)١٠٠/الأنعام فإن شركاء مفعول ثان وانما قدم على الأول (الجن) لأنه محل تعجيب وانكار فصار لذلك اهم وذكره اسبق(٥).

وقد يكون تقديم المفعول لتعجيل المساءة كما ذكره في التقديم في قوله تعالى (ثم الجحيم صلوه)٣١/"الحاقة" حيث قال: وتقديم (الجحيم) على عامله لتعجيل المساءة مع الرعاية على الفاصلة(٦)، والمجرور قد يقدم لزيادة استحضار الصورة كما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (انتم لها مالكون)٧١/"يس" حيث قال: وتقديم (لها) على (مالكون) الذي هو متعلقه لزيادة استحضار الأنعام عند السامعين قبل سماع متعلقة ليقع كلاهما امكن وقع بالتقديم، وبالتشويق، وقضى بذلك ايضا رعي الفاصلة(٧).

---

(١) ٢٨٥/٣ .

(٢) ٩٣/٢٩ .

(٣) ١٣٦/٣٠ .

(٤) يقصد بها الزمان والمكان الذي يقع فيهما الفعل، والجار والمجرور، والحال، والمفعول به، أنظر البلاغة ٢٣٤/١ .

(٥) ٤٠٦/٧ .

(٦) ١٣٨/٢٩ .

(٧) ٦٨/٢٣-٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكون تقديم المجرور لكمال الامتنان، وذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ويتزل لكم من السماء رزقا)١٣/"غافر" حيث قال: وتقديم (لكم) على مفعول (يتزل) وهو (رزقا) لكمال الامتنان بأن جعل تنزيل الرزق لأجل الناس، ولو اخر المجرور لصار صفة لـ(رزقا) فلا يفيد ان التنزيل لأجل المخاطبين بل يفيد ان الرزق صالح للمخاطبين، وبين المعينين بون بعيد، فكان تقديم المجرور في الترتيب على مفعول الفعل على خلاف مقتضى الظاهر لأن حق المفعول ان يتقدم على غيره من متعلقات الفعل، وانما خولف الظاهر لهذه النكتة(١).

هذه بعض جوانب التقديم في متعلقات الفعل.

واخيرا نرى انه من المفيد، واتماما لهذا الموضوع ان نذكر ان الأمور السابقة في التقديم بانواعها الثلاثة هي محاور البحث في دراسات البيانيين، ولكن هناك من التقديم مالا يندرج تحت قاعدة معينة، وهو ما عرض له بعض الكاتبين من الأجلة في الدراسات القرآنية(٢).

وقد عرض الشيخ ابن عاشور لمثل هذا التقديم الذي لا يندرج تحت قاعدة معينة وبين اسراره البلاغية وهاك بعض الأمثلة على ذلك:

قال مثلا عند قوله تعالى (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون)٤/"يونس"، قال: وقدم جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات لشرفه ولياقته بذلك العالم، ولأنهم قد سلكوا في عالم الحياة الدنيا ما خلق الله الناس لأجله ولم يتصرفوا فيه بتغليب الفساد على الصلاح(٣).

وعند قوله تعالى (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين)١/"الحجر" قال: فأما تقديم الكتاب على القرآن في الذكر فلأن سياق الكلام توبيخ بالكافرين وتهديدهم بأنهم سيجيء وقت يتمنون فيه ان لو كانوا مؤمنين، فلما كان الكلام موجها الى المنكرين ناسب ان يستحضر المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بعنوانه الأعم وهو كونه كتابا لأنهم حين جادلوا ما جادلوا الا في كتاب فقالوا: (لو انا انزل علينا الكتاب لكنااهدى منهم)١٥٧/"الأنعام" ولأنهم يعرفون ما عند الأمم الآخرين بعنوان (كتاب) ويعرفونهم بعنوان (اهل الكتاب). فأما عنوان القرآن) فهو مناسب لكون الكتاب مقروءا مدروسا وانما يقرأه ويدرسه المؤمنون به ولذلك قدم عنوان (القرآن) في سورة النمل كما سيأتي(٤).

وعند قوله تعالى (وسبحوه بكرة واصيلا)٤٢/الأحزاب، قال: وقدم البكرة على الأصيل لأن البكرة اسبق من الأصيل لا محالة، وليس

---

(١) ١٠٣/٢٤

(٢) انظر الزكشي في البرهان فضل القول في التقديم والتأخير ٢٣٣/٣ ومابعدها.

(٣) ٩٢/١١ .

(٤) ١٠-٩/١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصيل جديرا بالتقديم في الذكر كما قدم لفظ (تمسون) في قوله في سورة الروم (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون)١٧/"الروم" لأن كلمة المساء تشمل اول الليل فقدم (تمسون) هنالك رعيا لاعتبار الليل اسبق في حساب ايام الشهر عند العرب وفي الإسلام وليست كذلك كلمة الأصيل(١).

وهكذا يسير ابن عاشور في هذا الموضوع البياني الرائع الذي تفتق به اكمام وروائع الآيات القرآنية الكريمة، ارجو ان اكون قد اعطيت تصورا واضحا حول منهجه فيه ، والله الموفق.

ثانيا: الفاصلة القرآنية والتفنن:

لا نريد في عجالتنا هذه ان نتحدث حديثا تاريخيا عن الفاصلة والتفنن، وندخل بذلك إلى موضوع السجع في القرآن اهو موجود ام لا؟ ولكننا نلقي الضوء على جانب من جوانب الحديث والذي يتعلق بالإجابة عن سؤال مفاده هل يصح ان نعلل بعض اساليب القرآن على انها بسبب من الفاصلة او للتفنن؟ دون الولوج إلى ما يمكن افادته من المعاني وراء ذلك ولكن قبل الجواب على ذلك نريد ان نعرف ما المراد بالفاصلة والتفنن.

قال الزركشي في البرهان في تعريف الفاصلة: هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع وقال الداني: كلمة آخر الجملة ... وقال القاضي ابو بكر: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها افهام المعاني(٢).

وقال الأستاذ احمد بدوي في تعريف الفاصلة: نعني بها تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن(٣).

وأما التفنن فيعرفه ابن عاشور بقوله: ومن اساليبه -اي القرآن- ما اسميه بالتفنن وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتذييل والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنبا لثقل تكرير الكلم، وكذلك الإكثار من اسلوب الالتفات المعدود من اعظم اساليب التفنن عند بلغاء العربية، فهو في القرآن كثير، ثم الرجوع إلى المقصود فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماعه واقبالهم عليه ... وفي هذا التفنن والتنقل مناسبات بين المنتقل منه

---

(١) ٤٨/٢٢

(٢) البرهان ٥٣/١ وانظر اعجاز القرآن للباقلاني ص٢٧٠ .

(٣) من بلاغة القرآن ص٧٥ وانظر الفاصلة القرآنية للحسناوي ص٢٢-٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمنتقل اليه في منتهى الرقة والبداعة بحيث لا يشعر سامعه وقارئه بانتقاله الا عند حصوله وذلك التفنن مما يعين على استماع السامعين ويدفع سآمة الإطالة عنهم فإن من اغراض القرآن استكثار ازمان قراءته كما قال تعالى (علم ان لن تحصوه فتاب عليكم، فاقرأوا ما تيسر من القرآن) ٢٠/"المزمل"، فقوله ما تيسر يقتضي الاستكثار بقدر التيسر، وفي تناسب اقواله، وتفنن اغراضه مجلبة لذلك التيسير وعون على ذلك التكثير(١).

وهو ناحية لفظية بحتة كما ترى، وهذا الذي يقوله لا ينكره احد، ولكن لما طبق ابن عاشور هذا الكلام على آيات القرآن تجده مثلا يقول ان الفرق بين انزل اليه وانزل عليه ان المعدّى بالى يفيد الغاية ، والمعدى بعلى يفيد التمكن والاستقرار وإن القرآن يختار احد التعبيرين تفننا(٢)؟! فأين هي بداعة الأسلوب بمثل هذا التعليل، وستعرف ما في هذه الآية بعد قليل ان شاء الله.

وقد شغل هذا التعليل اللفظي حيزا في كتب المتقدمين بحيث تجد التعليل بالفاصلة قد غلب عند كثير من المتقدمين وتابعهم عليه ايضا كثير من المتأخرين، وأما التفنن فقد اشار اليه الزمخشري من قبل ابن عاشور(٣).

ونحن هنا كما قلت لا نعيب القول بالفواصل على انها من روعة الأسلوب وبهاء النظم ولكننا نعيب الوقوف عند هذا التعليل دون فتح مغاليقه، واذ قد كان ثم التزام في الحديث بين الفواصل ، والاسجاع عند كثير من الكاتبين فقد انكر الأشاعرة وجود السجع في القرآن كما اوضح ذلك الباقلاني في كتابه الإعجاز(٤).

ولا يهمنا الوقوف عندالناحية التاريخية بقدر ما يهمنا امر الفاصلة والاقتصار في تعليل ورود بعض الآيات على نمط معين بأنه بسبب منها، وللدكتورة بنت الشاطئ جهود مشكورة في هذا المجال، استمع اليها في احد المواضع من كتابها التفسير البياني وهي تقول: اما تعليل الحذف برعاية الفاصلة، فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي دون أن يكون الزخرف الشكلي هو الأصل ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى (٥)، ومن قبلها انكر الشيخ محمد عبدة مثل هذا القول انكارا شديدا فقال عند قول الجلال: والرأفة شدة الرحمة، وقدم الأبلغ للفاصلة، وذلك في ١٤٣/"البقرة"، قال الشيخ: ان كل كلمة في القرآن موضوعة في موضعها اللائق بها فليس فيه كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لأجل الفاصلة لأن القول برعاية الفواصل اثبات للضرورة كما قالوا في كثير من السجع والشعر انه قدم كذا، واخر كذا لأجل السجع ولأجل القافية، والقرآن ليس بشعر ولا التزام فيه للسجع، وهو من الله الذي لا تعرض له الضرورة، بل هو على كل شيء قدير وهو العليم الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه، وما قال بعض المفسرين مثل هذا القول الا لتأثرهم بقوانين

---

(١) ١١٦/١ . (٢) ٢٣٩/١.

(٣) راجع البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٢٢٠-٣٦٠ .

(٤) ص٢٧٠ وانظر الفاصلة القرآنية للحسناوي ص١٠٣-١٥١ . (٥) التفسير البياني ٢٤/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنون البلاغة وغلبتها عليهم في توجيه الكلام، مع الغفلة في هذه النقطة عن مكانة القرآن في ذاته، وعدم الالتفات إلى ما لكل كلمة في مكانها من التأثير الخاص عند اهل الذوق العربي(١).

هذا هو رأي الشيخ محمد عبدة وهو رأي حري بالقبول، وبه اقول والله المأمول.

وسنعرض الآن لنماذج مما كان يصنعه الشيخ تعليلا لأسلوب القرآن الكريم بادين بالفاصلة ثم نقفي بالتفنن.

فمن ذلك ما ذكره الشيخ في تقديم (هارون على موسى) في سورة طه وحدها من بين السور التي تحدثت عن قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون، ولعل هذا الموضع في سورة طه/٧٠ كان تكأة لمثبتي السجع في القرآن الكريم(٢)، هذا الموضع لا يكاد يختلف فيه المتقدمون على ان سبب التقديم فيه انما هو للرعي على الفاصلة(٣).

وقال ابن عاشور في تفسيره: وتقديم هارون على موسى هنا وتقديم موسى على هارون في قوله تعالى في سورة الأعراف (قالوا آمنا برب العالمين ﴿٨﴾ رب موسى وهارون) الآيتان ١٢١-١٢٢ لادلالة فيه على تفضيل ولا غيره لان الواو العاطفة لا تفيد اكثر من مطلق الجمع في الحكم المعطوف فيه، فهم عرفوا الله بأنه رب هذين الرجلين، فحكي كلامهم بما يدل على ذلك، الا ترى انه حكي في سورة الأعراف قول السحرة(قالوا آمنا برب العالمين)، ولم يحك ذلك هنا، لأن حكاية الأخبار لا تقتضي الإحاطة بجميع المحكي وانما المقصود موضع العبرة في ذلك المقام بحسب الحاجة ووجه تقديم هارون هنا الرعاية على الفاصلة، فالتقديم في الحكاية لافي المحكي ... وجوز ايضا ان يكون هذا من كلام السحرة وانه وقع منهم قولان، قدموا هارون في احدها باعتبار كبر سنه، وقدموا موسى في الثاني اعتبارا بفضله(٤).

وعلى كل حال فهذا القول الثاني الذي شفع به ابن عاشور القول الأول لا يغني في فتيل ولا قطمير، والأرجح في هذه الآية ما ذكره شيخ شيوخنا في تفسيرها حيث قال سورة طه هي السورة الوحيدة التي حدثتنا عما حصل لموسى - عليه السلام - من خوف، وكان حريا به ان لا يكون منه ذلك، فهارون اولى به منه، لأنه لم يشاهد ما شاهده موسى، ولم يشرف بمناجاة الحق قال تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى)٦٧/"طه"، فكان حريا به ان يكون رابط الجأش، ثابت الجنان، من اجل ذلك يلوح لي ان هارون عليه السلام قدم في هذه السورة، وهي قيمة قرآنية عظيمة حري بنا ان نقف عندها ونتدبرها، وهي تقدير كل عامل بعمله(٥).

---

(١) المنار ١١/٢ .

(٢) المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز للدكتور فضل عباس ص٤٥، وانظر الفاصلة القرآنية للحسناوي ص١٣٧-١٤٠ .

(٣) انظر مثلا البحر ٢٦١/٦ .

(٤) ٢٦٢/١٦-٢٦٣ .

(٥) المفردات القرآنية ص٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذ قد وقع الإغراب في تأويل هذه الآية بما سمعت قبلا فلا اعجب من احتفال السيد الحسناوي برأي ظنه راجحا وهو قوله (ان هناك وجها بيانيا بعيدا، يصور الحال النفسية التي كان عليه السحرة، لما ظهرت معجزة موسى فألقوا سجدا يتلعثمون بالشهادة كحال العبد الذي فرج بلقاء راحلته بعد ضياعها ... وذكر الحديث(١).

وهذا التأويل غريب كل الغرابة، وهو يناقض الآيات بعدُ التي ذكرت ان السحرة ثبتوا على ايمانهم برغم تهديد فرعون لهم بالصلب فكيف يكون حال المتلعثم بالكلام لا يدري ما يقول هل يثبت بايمان يزلزل كيان فرعون ام حين يحس بالخطر يتراجع؟!.

وفي سبب تقديم كلمة على اخرى يقول الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور) ١٩-٢١/"فاطر".

قال عند قوله(ولا الظل ولا الحرور)، وقدم في هذه الفقرة ما هو من حال المؤمنين على عكس الفقرات الثلاث التي قبلها لأجل الرعاية على الفاصلة بكلمة (الحرور) وفواصل القرآن من متممات فصاحته فلها حظ من الإعجاز(٢).

قلت واحسن منه فيما يظهر لي ماذكره الخفاجي في حاشية التفسير حيث قال: وقدم الظل ليكون مع ما قبله على نمط واحد، فان العمى والظلمة والظل متناسبة، او لسبق الرحمة كما مر مع ما في ذلك من رعاية الفاصلة(٣).

ومن الغريب في هذا التفسير ما ذكره ابن عاشور في هذاالشأن عند تفسيره لقوله تعالى (ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) ٢٧/"النجم" حيث قال: والتعريف في (الأنثى) تعريف الجنس الذي هو في معنى المتعدد والذي دعا إلى هذا النظم مراعاة الفواصل ليقع لفظ (الأنثى) فاصلة كما وقع لفظ (الأولى) ولفظ (يرضى) ولفظ (شيئا)(٤).

وهذا غريب يجعل الفواصل من قبيل الالتزام، وهو وان جاز في كلام البشر، فانه لا يصح ان يحوم حول القرآن الكريم، واحسن رد على هذا ما ذكره الشيخ محمد عبده مما ذكرته اول هذا الحديث عن هذا الموضوع.

واغرب من هذاالذي ذكره ابن عاشور هنا ما ذكره في تفسير سورة القدر حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى (ليلة القدر خير من الف شهر) الآية -٣-، وتفضيلها بالخير على الف شهر، انما هو بتضعيف فضل ما يحصل فيها من الأعمال الصالحة، واستجابة الدعاء ووفرة ثواب الصدقات والبركة للأمة فيها، لأن تفاضل الأيام لا يكون بمقادير ازمنتها ولا بما يحدث

---

(١) الفاصلة القرآنية ص١٤٠ .

(٢) ٢٢/٢٩٣ .

(٣) حاشية الشهاب ٧/٢٢٣ .

(٤) ٢٧/١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها من حر او برد، ولا بطولها او بقصرها فان تلك الأحوال غير معتد بها عند الله ... وعدد الألف يظهر انه مستعمل في وفرة التكثير كقوله (واحد كالف)... وانما جعل تمييز عدد الكثرة هنا بالشهر للرعي على الفاصلة التي هي بحرف الراء(١).

ولا ادري ما الذي حمل ابن عاشور على هذا التأويل الذي يبعد باللفظ بعيدا عن مرماه وهل فعلا جيء بكلمة شهر من اجل ان تتسق الفواصل ام ان من ادرك هذه الليلة محتسبا لله طائعا عابدا كان ذلك كفضيلة الف شهر في غيرها؟!!

وبعد فهذه مما علل به ابن عاشور سلوك النظم بطريق خاص بالفاصلة ، واما التفنن فهو كثير في تفسيره وهو ناحية لفظية كما تقدم وأظن ان الذي حمل ابن عاشور على القول به، وبالفاصلة هو التدقيق النحوي والبلاغي لاغير، وهاك بعض النماذج والأمثلة لما علل به ابن عاشور بالتفنن، قال عند تفسيره لقوله تعالى (والذين يؤمنون بما انزل اليك) ٤/"البقرة" قال: وعدي الإنزال بإلى لتضمينه معنى الوصف، فالمنزل اليه غاية للنزول والأكثر والأصل ان يعدى بحرف على لأنه في معنى السقوط كقوله تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق) ٣/"آل عمران" واذا أريد ان الشيء استقر عند المنزل عليه وتمكن منه قال تعالى (وانزلنا عليكم المن والسلوى) ٥٧/"البقرة"، واختيار احدى التعديتين تفنن في الكلام(٢)

ولعل احسن جواب مكتوب عن الفرق بين انزل اليه وانزل عليه، هو ماذكره الراغب الأصفهاني عليه الرحمة في كتابه الرائع درة التنزيل وغرة التأويل عند سورة الزمر حيث قال: ان(على) يتضمن معنى فوق، وان يكون الوحي جاءه من تلك الجهة، وان (إلى) للنهاية لا يختص بجهة دون جهة، ولذلك كان اكثر المواضع التي فيهاانزال القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم -، عدي بعلى كقوله تعالى (الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب) ١/"الكهف" وقوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده) ٢/"النحل"، وقوله (نزل به الروح الأمين على قلبك) ١٩٣/"الشعراء"، وقوله (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) ٨٩/"النحل"، واكثر ما جاء ذكر انزاله على الناس جاء معدى بالى كقوله (يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا) ١٧٤/"النساء"، ثم كل موضع قيل فيه انزلنا اليك فقد شدد فيه التكليف عليه، ونزل منزلة امته فيما يجب على عالمهم تبيينه لمتعلمهم كقوله في اول السورة(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) ٢-٣/"الزمر"، فقد امر باخلاص العبادة، والمراد هو وامته، وكقوله (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزّل اليهم) ٤٤/"النحل"، فكان المراد في المواضع

---

(١) ٤٥٩/٣٠ .

(٢) ٢٣٩/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي استعملت فيها (الى) انه تناهى إلى حيث لا يتعدى وراءه من عالم تبيينه مقصور عليه فكل موضع عدي فيه الإنزال، بعلى فإن المراد به انه شرّفك، واعلى بذلك ذكرك لتؤدي ما عليك فتنذر وتبشر، فمن قبل فحظه اصاب، ومن اعرض فنفسه اوبق، ويكون فيه تهديد لمن ترك القبول(١).

وخذ مثلا على ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (اولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون) ٤٨/"النحل".

قال الشيخ في تفسيرها وقوله (عن اليمين والشمائل) اي عن جهات اليمين وجهات الشمائل مقصود به ايضاح الحالة العجيبة للظل اذ يكون عن يمين الشخص مرة وعن شماله اخرى، اي اذا استقبل جهة ما ثم استدبرها، وليس المراد خصوص اليمين والشمال بل كذلك الأمام، والخلف، فاختصر الكلام، وافرد (اليمين) لأن المراد به جنس الجهة كما يقال المشرق، وجمع (الشمائل) مرادا به تعدد جنس جهة الشمال بتعدد اصحابها، كما قال (فلا اقسم برب المشارق) ٤٠/"المعارج"، فالمخالفة بالإفراد والجمع تفنن(٢).

والحق ان هذا التفسير ليس بمرضي، وأرضى منه عندنا ما ذكره الدكتور عبد الفتاح لاشين في كتابه صفاء الكلمة حيث بدأ الحديث عن هذه الآية فقال: جاء التعبير القرآني هكذا لأن جهة (اليمين) هي الخير والفلاح، واهلها هم الناجون، ولهذا افردت ولما كانت جهة (الشمال) هي جهة الباطل، والباطل منافذه شتى، وطرقه مختلفة، جمعت، فقال تعالى (عن اليمين والشمائل) وأما إفرادها في قوله تعالى (واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال) ٤١/"الواقعة"، لأن المراد اهل هذه الجهة، ومصيرهم ومآلهم إلى جهة واحدة، وهي جهة اهل الشمال مستقر اهل النار فأفردت لفظة (الشمال) لأن الطرق الباطلة وان تعددت فغايتها المرد إلى طريق جهنم، وهي جهة الشمال وكذلك جاء التعبير بالافراد في قوله تعالى (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) ١٧/"ق"، فلما كان لكل عبد قعيدان، قعيد عن يمينه وقعيد عن شماله يحصيان عليه الخير والشر، فلا معنى للجمع بينهما، وهذا بخلاف قوله تعالى حكاية عن ابليس (ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) ١٧/"الأعراف"، فان ابليس اقسم ان يأتي الإنسان من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، فكان الجمع هنا في مقابلة كثرة من يريد اغواءهم، مقابلة الجملة بالجملة، ولذلك كان لفظ الجمع في الآية اولى واجدر(٣)، هذا هو التعليل السليم فيما ارى لمثل هذه المخالفة بين الافراد والجمع، والله اعلم.

---

(١) درة التنزيل مخطوط ص٧٦ب-٧٧أ وهو في المطبوع ص٤٠٣-٤٠٤ .

(٢) ١٦٩/١٤ .

(٣) صفاء الكلمة ص١٤٤-١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخذ ايضا ما ذكره عند تفسيره لسورة الكهف ولقوله تعالى فيها (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) ٦٥/"الكهف"، حيث قال: و(عند) و(لدن) كلاهما حقيقة اسم مكان قريب، ويستعملان مجازا في اختصاص المضاف اليه بموصوفهما ... والمخالفة بين (من عندنا) وبين (من لدنا) للتفنن تفاديا من اعادة الكلمة(١).

وعندي ان هذا خطير جدا وقد يدخل منه على قدسية القرآن الكريم، وهذا اقحام لباب الضرورة في القرآن، وهو غير مقبول ولا يلتفت اليه وقد كتب الأستاذ الشيخ محمد محمد المدني عليه الرحمة كلاما حسنا في ذلك حيث قال: وقد وجدنا القرآن الكريم لا يذكر كلمة (لدن) الا في موضع يراد به الدلالة على معنى التمكن، اي تمكن الصدور عمن اضيفت له، وانما كان ذلك لأن (لدن) اقوى من (عند)، في افادة هذا المعنى، فاذا قلت: اصبت من عند فلان مالا، فقد دللت بذلك على ان المال صادر عنه فيصح ان يكون مما يعتز به، ويعتد بحفظه، ويصح ان يكون مالا عاديا ليس له بالغ قيمة، اما اذا قلت: اصبت من لدنه مالا فقد دللت بذلك على ان المال متمكن منه، اي من حر ماله ومما يدخر ويعتز به، ولا يبذل الا في موضع يستحقه ويستأهله، كالمال الذي يدخر للمهام، وهكذا في كل ما يراد فيه الدلالة على تمكن الصادر ممن صدر عنه، واعتزازه به وفي القرآن الكريم (قد بلغت من لدني عذرا)" الكهف"/٧٦، كأنه قال: قد وصلت إلى اقصى ما في نفسي من قبولي لعذرك واقتناعي به وفيه ايضا (ربنا آتنا من لدنك رحمة) الآية -١٠- "الكهف"، و(فهب لي من لدنك وليا) ٥/"مريم" و(اجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) ٨٠/"الإسراء" و(علمناه من لدنا علما) ٦٥/"الكهف" ولا يخفى ان هذه المواضع كلها تفيد التمكن والاختصاص الذي ذكرناه، فإن الذي دعا بقوله (ربنا اتنا من لدنك رحمة) هم فتية الكهف لما خرجوا من ديارهم، وآووا إلى كهفهم، وفي حالة تبين فيها شدة احتياجهم إلى رحمة من الله فوق ما يعهد الناس ويألفون، ولذلك اجاب الله دعوتهم برحمة من لدنه، هي هذا الخارق العظيم الذي هيأه الله لهم، وكذلك كانت دعوة زكريا طلبا لرحمة خاصة، اذ هو يريد ان يهبه الله وليا بعدما وهن العظم منه، واشتعل الرأس شيبا واصبحت امرأته عاقرا، فلا شك ان اجابته إلى ذلك لاتكون الا بخرق السنن العادية، وكذلك القول في (السلطان) الذي امر الله رسوله ان يطلبه منه، وفي العلم الذي آتاه الله صاحب الخوارق وهو العبد الصالح في قصة موسى(٢).

ومنه ما ذكره في خاتمة قصة موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح وذلك عند تفسيره لقوله تعالى (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا)، ٨٢/الكهف حيث قال: و(تسطع) مضارع

---

(١) ٣٦٩/١٥ .

(٢) القصص الهادف في سورة الكهف ص٤٩-٥٠، وانظر ايضا ص١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(اسطاع) بمعنى (استطاع) وحذف تاء الاستفعال تخفيفا لقربها من مخرج الطاء، والمخالفة بينه وبين قوله (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) ٧٨/للتفنن تجنبا لإعادة لفظ بعينه مع وجود مرادفة وابتدء بأشهرهما استعمالا وجيء بالثانية بالفعل المخفف لان التخفيف اولى به لأن (تستطع) يحصل من تكريره ثقل(١).

والذي اقوله إن هذاالتعليل ليس من تعملات التحقيق فالبعد عنه هو الحقيق، والذي يظهر لي في تفسير الاختلاف هو ان تطلب الإجابة عن الحوادث التي شاهدها موسى عليه السلام كان يعتمل في نفسه اعتمالا شديدا لا سيما وان الحوادث كانت من الغرابة بحيث تشرئب النفس لمعرفة دواعيها، ولشدة ذلك فقد نفد صبر موسى عليه السلام بالفعل لثلاثة حوادث منها، فكانت الياء في (تستطيع) لاجل ما كان يعانيه موسى عليه السلام في سبيل معرفة الإجابات وهي ناحية نفسية جديرة بالنظر فلما ان فسر له العبد الصالح سري عنه وكان حاله حال من ازيح عن صدره ضيق شديد فتنفس تنفس الاستراحة والطمأنينة ولهذا جاء العبد الصالح بقوله (تسطع) لأنه لا حاجة إلى الزيادة في المبنى حينئذ.

هذا تأويل نظرته في هذه الآية ولا اعلم ان احدا ذكره، فان اصبت فمن الله وان كانت الاخرى فلعلي اجد شافعا بمحاولتي والله الموفق.

ولعل هذه الأمثلة كافية في هذا الجانب من الجوانب التي عللها ابن عاشور بالتفنن وهي كثيرة جدا(٢).

---

(١) ١٥/١٦

(٢) أنظر مثلا ٢٩٦/١٨ ، ٢٢/١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القسم الثاني من هذا المبحث
مسائل علم البيان

وسندرس فيه التشبيه وما يتعلق به .

التشبيه:

ولسنا نريد ان نتحدث عن التشبيه من الوجهة البلاغية، فذلك موضعه كتبه الخاصة، ولكن نريد ان نتحدث عن التشبيه حديث ابن عاشور عنه، لنبرز كيف كان الشيخ يعالج مسائل التشبيه وبادئ بدء أحب ان انبه إلى ان حديث الشيخ عن التشبيه في القرآن هو حديث تحليل للآيات في سورها بعيدا عن التقعيد، الذي طرقه اهل البلاغة في هذا الجانب، وان كان بعض ذلك قد حاول الشيخ المرور به عند تحليله لبعض الصور واختلاف العلماء فيها، ويمكن ان نحصر الحديث عند الشيخ ببعض الجوانب البارزة فيه:

١) انواع التشبيه
٢) اغراض التشبيه
٣) صور من إجراء التشبيه
٤) بين التشبيه والتمثيل
٥) تفكيك التشبيه

فأما حديث الشيخ عن انواع التشبيه فلم يكن مواكبا التسارعات البلاغية فيه بقدر ما كان اهتمامه إلى صورة التشبيه اكثر، ولذلك لا تجده ذكر في معظم ما وقعت عليه الا التشبيه البليغ والتمثيلي وعرض الى تقسيمات اخرى مثل تشبيه المحسوس بالمعقول وعكسه، وتشبيه المعقول بالمعقول، وتشبيه الشيء بنفسه.

فمن التشبيه البليغ ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد) ١٠٠/"هود"، في تفسير (قائم وحصيد) .. و(قائم) صفة لموصوف محذوف دل عليه عطف (وحصيد) والمعنى منها زرع قائم وزرع حصيد، وهذا تشبيه بليغ(١).

قلت: وهذا ليس من باب التشبيه كما ذكره الخفاجي عند قول البيضاوي (كالزرع القائم) قال: اشارة إلى انه استعارة بقرينة مقابلته بحصيد والمراد باق(٢)، وقال الشيخ زادة: شبه ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه، وما عفا منها وبطل بالحصيد والمعنى ان تلك القرى بعضها بقي منها شيء، وبعضها هلك وما بقي منه اثره(٣).

وقبل ان نلج إلى بعض الامثلة من التشبيه التمثيلي، نريد ان نقول

---

(١) ١٥٨/١٢ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ١٣٤/٥ .

(٣) حاشية زادة على البيضاوي ٦٤/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنه نال حظا عظيما من الإعجاب عند ابن عاشور، فاهتم به اهتماما كبيرا في تفسيره ولا عجب فالتشبيه التمثيلي حقيق بذلك، قال ابن عاشور في بيان ميزة هذاالتشبيه وحظه في البلاغة: ان للتشبيه التمثيلي الحظ الأوفى عند اهل البلاغة، ووجهه ان من اهم اغراض البلغاء، واولها باب التشبيه، وهو اقدم فنونها، ولا شك ان التمثيل اخص انواع التشبيه لأنه تشبيه هيئة بهيئة، فهو اوقع في النفوس واجلى للمعاني(١).

وتحدث الشيخ عن ان التشبيه التمثيلي يجيء في اربعة اقسام فقال: واني تتبعت كلامهم فوجدت التشبيه التمثيلي يعتريه ما يعتري التشبيه المفرد فيجيء في اربعة اقسام:

الاول: ما صرح فيه بأداة التشبيه، او حذفت منه على طريقة التشبيه البليغ كما في هذه الآية(٢)، وقوله (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) ١٦/"البقرة"، اذا قدرنا اولئك كالذين اشتروا(٣).

الثاني: ما كان على طريقة الاستعارة التمثيلية المصرحة بأن يذكروا اللفظ الدال بالمطابقة على الهيئة المشبه بها، ويحذف ما يدل على الهيئة المشبهة، وهو قولهم، اني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى(٤).

الثالث: تمثيلية مكنية، وهي ان تشبه هيئة بهيئة، ولا يذكر اللفظ الدال على الهيئة المشبه بها بل يرمز اليه بما هو لازم مشتهر من لوازمه(٥)، وقد كنت اعد مثالا لهذا النوع خصوص الأمثال المعروفة بهذااللقب نحو: الصيف ضيعت اللبن(٦)، ثم لم يحضرني مثال للمكنية التمثيلية من غير باب الأمثال(٧) حتى كان يوم حضرت فيه جنازة، فلما دفنوا الميت وفرغوا من مواراته في التراب ضج أناس بقولهم اللهم لا

---

(١) ١/٢٤٤ .

(٢) هي قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) ١٧"البقرة".

(٣) وهذه الآية استعارة وليست تشبيها.

(٤) يضرب للمتردد في امر.

(٥) الصواب ان الاستعارة التمثيلية يذكر فيها اللفظ الدال على الهيئة المشبه بها ولكنه يستعار لهيئة المشبه فيكون كلام الشيخ معكوسا هنا.

(٦) هذا مثل مشهور يضرب لمن فرط في تحصيل امر في زمن يمكن الحصول عليه فيه ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه فيه واجراء الاستعارة في هذا المثل ان تقول شبهت هيئة من فرط في امر زمن امكان تحصيله بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ اللابن، ثم رجعت اليه تطلب منه اللبن شتاءا بجامع التفريط في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية انظر جواهر البلاغة ٣٣٣ .

(٧) الصحيح ان الأمثال من قبيل التمثيلية التصريحية وليست المكنية التي يحذف فيها لفظ المشبه به والتمثيلية كما ترى يذكر فيها ما يدل على لفظ المشبه به، وقد سبق التنبيه على مثل هذا في موقف ابن عاشور من المفسرين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عيش الا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة) فقلت: ان الذين سنوا هذه المقالة في مثل هذه الحالة ما ارادوا الا تنظير هيئة حفرهم للميت بهيئة الذين كانوا يحفرون الخندق مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، اذ كانوا يكررون هذه المقالة كما ورد في كتب السنة، قصدا من هذاالتنظير، ان يكون حفرهم ذلك شبيها بحفر الخندق في غزوة الأحزاب(١)، بجامع رجاء القبول عندالله تعالى، فلم يذكروا ما يدل على المشبه به ولكنهم طووه ورمزوا اليه بما هو من لوازمه التي عرف بها وهو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - تلك المقالة(٢)، ثم ظفرت بقول احمد بن عبد ربه الأندلسي:

وقل لمن لام في التصابي خل قليلا عن الطريق

فرأيته من باب التمثيلية المكنية فانه حذف المشبه به، وهو حال المتعرض لسائر في طريقه يسده عليه ويمنعه المرور به، واتى بشيء من لوازم هذه الحالة، وهو قول السائر للمتعرض خل عن الطريق(٣).

رابعها: تمثيلية تبعية كقول ابي عطاء السندي(٤)

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت مني المثقفة السمر

فاثبت النهل للرماح تشبيها لها بحالة الناهل فيما تصيبه من دماء الجرحى المرة بعد الأخرى كأنها لا يرويها ما تصيبه اولا ثم اتى بنهلت على وجه التبعية(٥).

ومن الأمثلة على ماذكره في هذا المجال ما كان عند تفسيره لقوله تعالى (انزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا) ١٧/الرعد حيث قال... وجيء في هذا التسجيل بطريقة ضرب المثل بحالي فريقين في تلقي شيء واحد، انتفع فريق بما فيه من منافع، وتعلق فريق بما فيه من مضار، وجيء في التمثيل بحالة منها دلالة على بديع تصرف الله تعالى ليحصل التخلص من ذكر دلائل القدرة إلى ذكر عبر الموعظة، فالمركب مستعمل في التشبيه التمثيلي بقرينة قوله(كذلك يضرب الله الحق) الخ شبه انزال القرآن الذي به الهدى من السماء بانزال الماء الذي به النفع والحياة من السماء، وشبه ورود القرآن على اسماع الناس بالسيل يمر على مختلف الجهات، فهو يمر على التلال والجبال فلا يستقر فيها، ولكنه يمضي إلى الأودية والوهاد، فيأخذ منه كل بقدر سعته، وتلك السيول في حال نزولها تحمل في اعاليها زبدا، وهو رغوة الماء التي تربو وتطفو على سطح الماء فيذهب الزبد غير منتفع به ويبقى الماء الخالص الصافي ينتفع به الناس للشراب والسقي.

---

(١) هذا بعيد وليس بظاهر جيدا هنا بدليل ان قولهم هذا بعد الفراغ من الدفن واقفال القبر.

(٢) والكلام الذي هنا هو مما يدل على المشبه به وليس مطويا كما قال والحديث هذا متفق عليه رواه البخاري في فضائل الأنصار ١١٨/٧ ، ومسلم في الجهاد باب غزوة الأحزاب ١٧٢/١٢

(٣) الشاعر هو أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي، المتوفى سنة ٣٢٨هـ والشعر في ديوانه ص١١٨ طبع مؤسسة الرسالة بتحقيق محمد رضوان الداية سنة ١٩٧٩م والبيت يختلف قليلا عما أورده ابن عاشور ونصه: وقل لمن لام في التصابي إليك خلّ عن الطريق

(٤) الشاعر والشعر. (٥) ٣٠٤/١-٣٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم شبهت هيئة نزول الآيات، وما تحتوي عليه من ايقاظ النظر فيها فينتفع به من دخل الإيمان قلوبهم على مقادير قوة ايمانهم وعملهم، ويمر على قلوب قوم لا يشعرون به وهم المنكرون المعرضون ويخالط قلوب قوم فيتأملونه فيأخذون منه ما يثير لهم شبهات وإلحادا ... شبه ذلك كله بهيئة نزول الماء فانحداره على الجبال والتلال وسيلانه في الاودية على اختلاف مقاديرها، ثم ما يدفع من نفسه زبدا لا ينتفع به ثم لم يلبث الزبد ان ذهب وفني والماء بقي في الأرض للنفع(١)

ومنه ايضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده) ٣٩/"النور"، حيث قال: فتشبيه الكافرين واعمالهم تشبيه تمثيلي شبهت حالة كدهم في الأعمال وحرصهم على الاستكثار منها مع ظنهم انها تقربهم إلى رضى الله ثم تبين انها لا تجديهم بل يلقون العذاب في وقت ظنهم الفوز شبه ذلك بحالة ظمآن يرى السراب فيحسبه ماءا فيسعى اليه فاذا بلغ المسافة التي قال انها موقع الماء لم يجد ماءا ووجد هنالك غريما يأسره ويحاسبه على ما سلف من اعماله. واعلم ان الحالة المشبهة مركبة من محسوس ومعقول، والحالة المشبه بها حالة محسوسة(٢).

ثم عرض إلى تقسيم التشبيه من حيث المعقولية والمحسوسيةفذكر مثلا عند تفسيره لقوله تعالى (ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) ٣١/"يوسف"، ما نصه: ثم شبهنه بواحدمن الملائكة بطريقة حصره في جنس الملائكة تشبيها بليغا مؤكدا، وكان القبط يعتقدون وجود موجودات علوية هي من جنس الأرواح العلوية ويعبرون عنها بالآلهة او قضاة يوم الجزاء. ويجعلون لها صورا ولعلهم كانوا يتوخون ان تكون ذواتا حسنة، ومنها ما هي مدافعة عن الميت يوم الجزاء، فاطلق في الآية اسم الملك على ما كانت حقيقته مماثلة لحقيقة مسمى الملك في اللغة العربية تقريبا لأفهام السامعين فهذا التشبيه من تشبيه المحسوس بالمتخيل كقول امرئ القيس:

ومسنونة زرق كانياب اغوال(٣)

قلت وهذا النوع من التشبيه في الأصل غير جائز ، وانما الذي حسن مثل هذا التشبيه هو شيوع هذا المتخيل وتقرره في الذهن حتى صار بمنزلة المحسوسات(٤).

---

(١) ١٣/١١٦-١١٧ .

(٢) ١٨/٢٥١، وانظر لمزيد من الأمثلة ٢٧/١٧٩، ٢٨/١٩٩، ٣٠/١٥٣ .

(٣) ١٢/٢٦٣، البيت مطلعه ايقتلني والمشرفي مضاجعي، وهو من شواهد التلخيص انظر معاهد التنصيص ٢/٧، وهو في الديوان كما اشار المحقق (١٣٧) ومن شواهد دلائل الإعجاز ١١٧ .

(٤) انظر الفوائد المشوق الىعلوم القرآن ص٨٧، ومن بلاغة القرآن لاحمد بدوي ص١٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحق ان تنظير التشبيه الذي في الآية بالتشبيه الذي في بيت امرئ القيس ليس دقيقا فان الملك موجود وهو حقيقة واقعة اما الغول فلا يوجد، ثم ان النسوة لم يردن ان يشبهنه بالملك وانما اخرجنه من جنس البشرية إلى الملكية ولعل التشبيه لم يرد في خواطر النسوة ألبتة اهـ. شيخنا.

وقد وقف ابن عاشور عند قوله تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) ٦٥/"الصافات" وذكر ان هذاالتشبيه من تشبيه المعقول بالمعقول كتشبيه الإيمان بالحياة وان المقصود به تقريب حال المشبه، فلا يمتنع كون المشبه به غير معروف ولا كون المشبه كذلك واستشهد له ببيت امرئ القيس السابق(١).

وهذاالكلام مبني على ان شجر الزقوم ليست مما يعرفه العرب، ولا يبدو لي هذا واضحا، فإن تشبيه غير المعلوم وغير المعروف بما هو غير معروف ولكن متخيل (رؤوس الشياطين) غير ظاهر والتنظير ببيت امرئ القيس ليس في موضعه على هذا لأنه من قبيل تشبيه المحسوس بالمتخيل، فالوجه أن هذه الآية على ذلك ايضا محسوس بالمعقول أوالمتخيل، والذي حسن التشبيه كما يقول الأستاذ احمد بدوي هو الشيوع قال: فالذي سمح بأن يكون المشبه به خياليا، هو ماتراكم على الخيال بمرور الزمن من اوهام رسمت في النفس صورة رؤوس الشياطين في هيئة بشعة مرعبة واخذت هذه الصورة يشتد رسوخها بمرور الزمن، ويقوى فعلها في النفس حتى كانها محسوسة ترى بالعين وتلمس باليد، فلما كانت هذه الصورة من القوة إلى هذاالحد ساغ وضعها موضع التصوير والإيضاح(٢).

ومن تشبيه المعقول بالمحسوس ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيما تذروه الرياح) الآية٤٥/"الكهف"، حيث قال: وهذا تشبيه معقول بمحسوس لأن الحالة المشبهة معقوله اذ لم ير الناس بوادر تقلص بهجة الحياة، وايضا شبهت هيئة اقبال نعيم الدنيا في الحياة مع الشباب والجدة وزخرف العيش لأهله، ثم تقلص ذلك وزوال نفعه ثم انقراضه اشتاتا بهيئة اقبال الغيث منبت الزرع ونشأته عنه ونضارته ووفرته ثم اخذه في الانتقاص وانعدام التمتع به ثم تطايره أشتاتا في الهواء تشبيها لمركب محسوس بمركب محسوس ووجه الشبه فيهما المصير من حال حسن الى حال سيء(٣) .

وقول ابن عاشور تشبيه مركب محسوس لمركب محسوس يبدو انه سبق قلم فالتشبيه تشبيه معقول بمحسوس وايضا فان الناس يرون بوادر تقلص بهجة

---

(١) ١٢٤/٢٣ .

(٢) من بلاغة القرآن ص١٩٤ .

(٣) ٣٣١/١٥-٣٣٢ بتصرف يسير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة او عكسها بما يحصل في الدنيامن لذائذ ومنغصات لا كما ذكر الشيخ من ان ذلك ليس بمرئي.

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) ١٨/"ابراهيم"، حيث قال: شبهت اعمالهم المتجمعة العديدة برماد مكدس، فاذا اشتدت الرياح بالرماد انتثر وتفرق تفرقا لا يرجى معه اجتماعه ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من اضمحلال شيء كبير بعد تجمعه، والهيئة المشبهة معقوله(١).

ولا يكتفي ابن عاشور بعرض صور التشبيه وتحليلها كما رأيت وإنما يتعداها إلى بيان اغراض التشبيه، وبيان المقصود منه ولا شك ان هذه ناحية مهمة في الغوص على معاني الشبيه، ومن أمثلة ماذكره ابن عاشور في هذا الجانب ما كان عند تفسيره لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) ١٨٣/"البقرة"، حيث قال: فقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) تشبيه في اصل فرض ما هية الصوم لا في الكيفيات، والتشبيه يكتفى فيه ببعض وجوه المشابهة، وهو وجه الشبهة المراد في القصد، وليس المقصود من هذا التشبيه الحوالة في صفة الصوم على ما كان عليه عند الأمم السابقة، ولكن فيه اغراض ثلاثة تضمنها التشبيه:

احدها: الاهتمام بهذه العبادة، والتنويه بها لأنها شرعها الله قبل الاسلام لمن كانوا قبل المسلمين وشرعها للمسلمين، وذلك يقتضي اطراد صلاحها ووفرة ثوابها، وانهاض همم المسلمين لتلقي هذه العبادة كي لا يتميز بها من كان قبلهم، ان المسلمين كانوا يتنافسون في العبادات كما ورد في الحديث أن ناسا من اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قالوا: يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول اموالهم الحديث(٢). ويحبون التفضيل على اهل الكتاب، وقطع تفاخر اهل الكتاب عليهم بانهم اهل شريعة (ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) ١٥٦-١٥٧/"الأنعام". فلاشك انهم يغتبطون امر الصوم وقد كان صومهم الذي صاموه، وهو يوم عاشوراء انما اقتدوا فيه باليهود(٣)، فهم في ترقب إلى تخصيصهم من الله بصوم أنف فهذه فائدة التشبيه لأهل الهمم من المسلمين، اذ الحقهم الله

---

(١) ١٣ /٢١٢ .

(٢) الحديث رواه الشيخان، البخاري في كتاب الأذان حديث رقم ٨٤٣ في ٣٢٥/٢ ومسلم في كتاب المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ٩٢/٥ .

(٣) هذا ليس كذلك وانما صاموه لأحقية المسلمين بموسى عليه السلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بصالح الأمم في الشرائع العائدة بخير الدنيا والآخرة قال تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) ٢٦/"المطففين".

والغرض الثاني: ان في الشبيه بالسابقين تهوينا على المكلفين بهذه العبادة ان يستثقلوا هذا الصوم، فإن في الاقتداء بالغير اسوة في المصاعب فهذه فائدة لمن قد يستعظم الصوم من المشركين فيمنعه وجوده في الإسلام من الإيمان ولمن يستثقله من قريبي العهد بالإسلام وقد اكد هذا المعنى الضمني قوله بعده (اياما معدودات).

والغرض الثالث: اثارة العزائم للقيام بهذه الفريضة حتى لا يكونوا مقصرين في قبول هذا الفرض بل ليأخذوه بقوة تفوق ما ادى به الأمم السابقة(١).

ومن ذلك ايضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) ٣٩/"يونس"، حيث قال: وجملة (كذلك كذب الذين من قبلهم) استئناف، والخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، او لمن يتأتى منه السماع والإثارة ب(كذلك) إلى تكذيبهم المذكور، اي كان تكذيب الذين من قبلهم كتكذيبكم، والمراد بالذين من قبلهم الأمم المكذبون رسلهم كما دل عليه المشبه به، ومما يقصد من هذا التشبيه امور:

احدها: ان هذه عادة المعاندين الكافرين ليعلم المشركون انهم مماثلون للأمم التي كذبت الرسل فيعتبروا بذلك.

الثاني: التعريض بالنذارة لهم بحلول العذاب بهم كما حل بأولئك الأمم التي عرف السامعون مصيرها وشاهدوا ديارها.

الثالث: تسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - بانه ما لقي من قومه الا مثل ما لقي الرسل السابقون من اقومهم(٢).

وهذا المنحى في التحليل غوص على المعاني كما أسلفت ولو اكثر منه الشيخ لكان فيه الخير الكثير ولكنه رحمه الله لم يعتن بذلك كثيرا في تفسيره، ولا شك ان الشيخ في تحليله لبعض صور التشبيه في الكتاب الكريم قد خرج عن تحقيق المحققين واختار ما ضعفوه، وفي بعض الصور كان متكلفا جدا، مما يجعل الناظر لا يسلم له كل ما ذكره من صور التحليل، وبنا ان نقف مع بعض الأمثلة التي نراها دالة على هذا المنزع عند الشيخ رحمه الله، قال الشيخ في تحليله لقوله تعالى في سورة مريم (واشتعل الرأس شيبا) الآية -٤-، وشبه عموم الشيب شعر رأسه، او غلبته عليه باشتعال النار في الفحم بجامع انتشار شيء لامع في جسم اسود تشبيها مركبا تمثيليا قابلا لاعتبار التفريق في التشبيه وهو ابدع

---

(١) ٢/١٥٦-١٥٧ والغرض الثالث لا فرق بينه وبين الثاني كما يظهر.

(٢) ١١/١٧٣، وانظر لمزيد من الأمثلة ٣/٤٨، ٣/٥٠، ٦/١٧٨، ١١/١٨٢، ٣٠/٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انواع المركب(١) فشبه الشعر الأسود بفحم والشعر الأبيض بنار على طريق التمثيلية المكنية ورمز إلى الأمرين بفعل (اشتعل)(٢).

وصنيع ابن عاشور مفض إلى ان الذي في الآية تشبيه تمثيلي تنحل اجزاؤه إلى استعارتين تمثيليتين مكنيتين والظاهر ان هذا خلاف التحقيق قال الشيخ محي الدين زادة عند قول البيضاوي (شبه الشيب) اي تشبيها مضمرا في النفس بشواظ النار اي بلهبها الخالص عن الدخان، واقتصر من طرفي التشبيه على ذكر المشبه وهو الشيب، كما اقتصر على ذكر المشبه في انشبت المنية اظفارها، ودل على هذ التشبيه باثبات الاشتعال للشيب، كما دل على تشبيه المنية بالسبع باثبات الأظفار لها فتشبيه الشيب بالشواظ استعارة بالكناية، واثبات الاشتعال له استعادة تخييلية، وشبه انتشار الشيب في شعر الرأس باشتعال النار، ودل عليه باثبات لازم المشبه به حيث اقتصروأخرج التشبيه الثاني مخرج الاستعارة التصريحية التبعية حيث اطلق اسم المشبه به وهو الاشتعال على هذا المعنى المجازي واشتق منه لفظ اشتعل فكان استعارة تصريحية تبعية وكانت هذه قرينة للاستعارة بالكناية(٣).

وقد انكر القزويني في الكشف كون الاستعارة في الآية تمثيلية وقال ان كلام الشيخ لا يدل عليه(٤) وتبعه على هذا الإنكار الخفاجي في حواشي التفسيروادعى انه تكلف وليس بشيء(٥)، ومثله عند خاتمة المفسرين الآلوسي عليه الرحمة(٦).

ومما ذكره مما لا يمكن الموافقة عليه ما كان في تفسيره لقوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) ٩٦/الأنبياء حيث قال: ويجوز ان يكون المراد بفتح يأجوج ومأجوج تمثيل اخراج الأموات(٧)، إلى الحشر، فالفتح معنى الشق كقوله (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير) ٤٤/"ق"، ويكون اسم يأجوج ومأجوج تشبيها بليغا وتخصيصهما بالذكر لشهرة كثرة عددها عند العرب من خبر ذي القرنين، ويدل لهذا حديث ابي سعيد الخدري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: يقول الله يا آدم (يوم القيامة) اخرج بعث النار فيقول يا رب، وما بعث النار؟ فيقول من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين، قالوا يا رسول الله: وأينا ذلك

---

(١) سيأتي ما يتعلق بهذا وان الصواب خلافه.

(٢) ٦٤/١٦ .

(٣) حاشية القاضي زاده علىتفسير البيضاوي ٢٧٨/٣ .

(٤) الكشف ٢٦/٢أ.

(٥) الشهاب على البيضاوي ١٤٤/٦ .

(٦) ٦٠/١٦ .

(٧) هناك رأي آخر ذكره مبتناه على ان يأجوج ومأجوج هم التتار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواحد؟ قال: ابشروا فان منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج تسعماية وتسعة وتسعين(١) او يكون اسم يأجوج ومأجوج استعمل مثلا للكثرة كما في قول ذي الرمة:

لو ان ياجوج وماجوج معا وعادَ عادٌ واستجاشوا تبعا(٢)

اي حتى اذ اخرجت الاموات كيأجوج ومأجوج على نحو قوله تعالى (يخرجون من الأجداث كانهم جراد منتشر)، ٧/"القمر"، فيكون تشبيها بليغا من تشبيه المعقول بالمعقول، ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود ومجاهد (جدث) بجيم ومثلثة اي من كل قبر(٣).

قلت: وهذا التفسير متكلف وبعيد ولا حاجة لتكلف الاستشهاد لمثله بالقراءة غير المتواترة كما لا حاجة بنا في الأصل إلى اخراج لفظ يأجوج ومأجوج عن حقيقته إلى التمثيل ثم ان المعنى لا يساعد عليه إذ لا يمكن فهم واقترب الوعد.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم) ٤١-٤٢/"الذاريات"، حيث قال: والريح العقيم هي الخلية من المنافع التي ترجى لها الرياح من اثارة السحاب وسوقه، ومن القاح الأشجار .. اي الريح التي لا نفع فيها، اي هي ضارة، وهذا الوصف لما كان مشتقا مما هو من خصائص الاناث كان مستغنيا عن الحاق هاء التأنيث لأنه يؤتى بها للفرق بين الصنفين،والعرب يكرهون العقم في مواشيهم اي ريح كالناقة العقيم لا تثمر نسلا ولا درا، فوصف الريح بالعقيم تشبيه بليغ في الشؤم قال تعالى (أويأتيهم عذاب يوم عقيم) ٥٥/"الحج"(٤).

والصواب تخريج الآية على الاستعارة التبعية قال الخفاجي: في شرح قول البيضاوي (لأنها اهلكتهم وقطعت دابرهم) يعني ان العقيم مستعار استعارة تبعية لما ذكر بتشبيه ما في الريح مما ذكر بما في المرأة مما يمانع حملها لأن اصل العقم اليبس المانع من قبول الأثر كما قال الراغب وهو فعيل بمعنى فاعل او مفعول .. فلما اهلكتهم وقطعت بالاستئصال نسلهم شبه ذلك الاحلال بعدم الحمل لما فيه من اذهاب النسل(٥)، او تقول في تفسير هذه الاستعارة شبه الريح الذي ليس فيه مطر بالمرأةالتي لا تلد، فلفظ العقم خاص بالمرأة، وقد استعير للريح، والاستعارة تصريحية وقد استوفت قرينتها ثم قال سبحانه (ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم) وهذا وصف يناسب الريح ويلائمها فقد ذكر في هذه الاستعارة ما يلائم المشبه فهي مجردة(٦).

---

(١) اخرجه البخاري في الأنبياء ٣٨٢/٦ حديث رقم ٣٣٤٨ .

(٢) الشاهد.

(٣) ١٤٨/١٧-١٤٩ .

(٤) ١١/٢٧ .

(٥) حواشي التفسير ٩٩/٨ .

(٦) البلاغة د. فضل عباس ٢١٠/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه اخيرا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (هذا نزلهم يوم الدين) ٥٦/"الواقعة" حيث قال: والنزل بضم النون والزاي وسكونها ما يقدم للضيف من طعام، وهو هنا تشبيه تهكمي كالاستعارة التهكمية في قول عمرو بن كلثوم:

نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى ان تشتمونا
قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا

وقول ابي الشعر الضبي، واسمه موسى بن سحيم

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزولا(١)

والأحسن ان تكون هذه استعارة تهكمية لا تشبيها تهكميا وهو ظاهر في ذلك والله اعلم(٢).

ويذكر الشيخ ابن عاشور في تحليله للصور الواردة في القرآن الكريم كثيرا عبارة التمثيل ولا اذكر اني وجدت له كلاما واضحا في معنى هذا الذي يسميه التمثيل سوى انه ذكر عند تفسيره لقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) ١٧/"البقرة"، قال: والتمثيل منزع جليل من منازع البلغاء لا يبلغ إلى محاسنه غير خاصتهم، وهو هنا من قبيل التشبيه لا من الاستعارة لأن فيه ذكر المشبه والمشبه به واداة التشبيه وهي لفظ مثل(٣).

وقد قرأت على استاذنا نماذج كثيرة مماذكر ابن عاشور فيه لفظ التمثيل وكانت نتيجة ذلك ان لفظ التمثيل عند ابن عاشور اعم من التشبيه والاستعارة، وكان الغالب على الأمثلة التي قرأتها ان قصده فيها كان الاستعارة التمثيلية، وان الشيخ لا يعني تشبيها في اكثر ما ذكر.

واطلاق ابن عاشور (للتمثيل) هكذا دون تحديد، هو صنيع شيخ البلاغيين الجرجاني ولكن هذا كان منه قبل استقرار مصطلحات البلاغة، وتحديد المراد من كل واحد على حدة وقد استقر البلاغيون اخيرا على ان تشبيه التمثيل ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد(٤).

والاستعارة التمثيلية هي تشبيه صورة بصورة لما بينهما من صلة مع حذف الصورة المشبهة وبقاء صورة المشبه به(٥).

ولهذا كان هذاالصنيع من الشيخ غير مقبول عند العلماء.

---

(١) ٣١١/٢٧ وبيت ابي التمر من شواهد الكشاف انظر تنزيل الآيات على الشواهد ٤٧٩/٤ .

(٢) وهذا على اعتبار ان النزل هو ما يقدم للضيف واما اذا كان النزل بمعنى المنزل فليس من هذا الباب.

(٣) ٣٠٢/١ ويمكن مراجعة الفرق بين التمثيل والتشبيه عند علماء البلاغة وخلاف العلماء في ذلك في كتاب شيخ شيوخنا واستاذنا الفاضل الدكتور فضل حسن عباس البلاغة ٥٧/٢-٦٣ .

(٤) البلاغة ٦٤/٢ .

(٥) المصدر السابق ص١٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة ما ذكره من التمثيل ومراده فيه التشبيه التمثيلي ما كان عند تفسيره لقوله تعالى (ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة) ٢٦٥/"البقرة"، حيث قال: عطف مثل الذي ينفقون اموالهم في مرضاة الله على مثل الذي ينفق ماله رئاء الناس لزيادة بيان ما بين المرتبتين من البون وتأكيدا للثناء على المنفقين باخلاص وتفننا في التمثيل، فانه قد مثله فيما سلف بحبة انبتت سبع سنابل، ومثله في ما سلف تمثيلا غير كثير التركيب لتحصل السرعة بتخيل مضاعفة الثواب، فلما مثل حال المنفق رئاءً بالتمثيل الذي مضى اعيد تمثيل حال المنفق ابتغاء مرضاة الله بما هو اعجب في حسن التخييل، فان الأمثال تبهج السامع كلما كانت اكثر تركيبا وضمنت الهيأة المشبه بها احوالا حسنة تكسبها حسنا ليسري ذلك التحسين إلى المشبه، وهذا من جملة مقاصد التشبيه(١).

والأمثلة المذكورة هنا كلها من قبيل تشبيه التمثيل.

ومنه اخيرا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) ٢٩/"الزمر"، حيث قال: وهذا تمثيل لحال المشرك في تقسيم عقله بين الهة كثيرين فهو في حيرة وشك من رضى بعضهم عنه وغضب بعض، وفي تردد عبادته ان ارضى بها احد آلهته لعله يغضب بها ضده، فرغباتهم مختلفة، وبعض القبائل اولى ببعض الأصنام من بعض، قال تعالى (ولعلا بعضهم على بعض) ٩١/"المؤمنون"، ويبقى هو ضائعا لا يدري على ايهم يعتمد ففهمه(٢)، شعاع وقلبه اوزاع، بحال مملوك اشترك فيه مالكون لا يخلون من ان يكون بينهم اختلاف وتنازع، فهم يتعاورونه في مهن شتى ويتدافعونه في حوائجهم، فهو حيران في ارضائهم تعبان في اداء حقوقهم لا يستقل لحظة، ولا يتمكن من استراحة.

ويقابله تمثيل حال المسلم الموحد يقوم بما كلفه ربه عارفا بمرضاته مؤملا رضاه وجزاءه، مستقر البال، بحال العبد المملوك الخالص لمالك واحد قد عرف مراد مولاه وعلم ما اوجبه عليه ففهمه واحد وقلبه مجتمع(٣).

وهذا المثال مما يوهم اشتراكه في الاستعارة وقد لفت الزمخشري اليه ، وان مثل هذه الصورة التي يطوي فيها ذكر المشبه، ويبقى المشبه به مستعملا في معناه الحقيقي وليس هناك وجه شبه، ولا ذكر للمشبه بوجه من الوجوه، وانما هناك مقتضيات معنوية تقتضي ان يكون تشبيها لا استعارة، وان هذا الضرب من

---

(١) ٥٠/٣ وانظر ٢٣٤/١٨-٢٣٥ .

(٢) في الأصل فوهمه والتصويب من الكشاف ٣٩٧/٣ .

(٣) ٤٠١/٢٣-٤٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشبيه يجري على طريقة الاستعارة ويأخذ سمتها، ويكاد يكون استعارة لولا هذه المقتضيات المعنوية الخفية، وقد عرض السعد التفتزاني في شرحه على الكشاف لهذا المثال وبين ان اسم المشبه به في الاستعارة مستعمل في المشبه، مراد به ذلك بحيث لو اقيم مقامته اسم المشبه استقام الكلام، وفي التشبيه يكون مستعملا في معناه الحقيقي، مراد به ذلك، ثم فسر هذه الآية بقوله جعل الله عبدا يملكه شركاء متشاكسون مثلا لعابد الأصنام وجعل عبدا سالما لواحد مثلا لله وحده فذكر المشبه مطوي، والمشبه به مستعمل في معناه الحقيقي ثم قال: ولخفاء ذلك ذهب كثير من الناس إلى ان هذه الآية من قبيل الاستعارة، وان صاحب الكشاف اوردها مثالا للاستعارة، ولا يخفى ضعفه على من تأمل لفظ الكشاف(١)، وذكر الدكتور ابو موسى في كتابه القيم التصوير البياني المقتضى المعنوي لعدم صحة وقوع المشبه موقع المشبه به في هذه الآية، وان مرجعه إلى دقيقة بيانيه تدركها الفطرة السليمة كما قال السيد(٢)، فقال: وربما كان مرجع ذلك من الوجهة التحليلية الموضوعية أن نفي الاستواء الذي جاء تعقيبا على المثل في قوله (هل يستويان) منصب على هذه الصورة الحقيقية، اعني الرجل الذي تتوزع طاعته بين جهات متصارعة لا يستطيع وان اجهد نفسه ان يلائم بينها لأنه وجبت عليه طاعتهم لكونه مملوكا لهم، فهم فيه شركاء ثم هم متشاكسون لا تتلاءم مطالبهم، ولا يستطيع التوفيق بين حاجاتهم، فهو في صراع وهم وتنازع، لا يستوي هذا مع ذلك الرجل الذي سلم ملكه لرجل واحد فوجه ولاءه وطاعته نحوه، فهو مجموع النفس ماض على طريق آمن واذا وضعنا المشبه مكان المشبه به كان نفي الاستواء متجها نحو المشرك والموحد يؤول الكلام إلى مثل قولنا من يعبد آلهة شتى ومن يعبد الها واحدا هل يستويان، وبهذا يفقد نفي الاستواء المتضمن في اسلوب الاستفهام قوته لأنه في الآية متجه نحو صورة محسوسة واضحة ، ابرزت الصراع، والتناقض، والتوزع وجسدته في صورة المملوك لشركاء متنازعين، كما ابرزت القرار والأمان في الصورة المقابلة، وهذا هو المغزى من التعبير، فاذا ذهب لم يبق في العبارة شيء ... والله اعلم(٣).

ومن الأمثلة على ان المراد بالتمثيل الابستعارة ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (والذين سعوا في آياتنا معاجزين، اولئك اصحاب الجحيم) ٥١/"الحج" حيث قال: والكلام تمثيل: شبهت هيئة تفننهم في التكذيب بالقرآن وتطلب المعاذير لنقض دلائله من قولهم: هو سحر، هو شعر، هو اساطير الأولين، هو قول مجنون، وتعرضهم بالمجادلات والمناقضات للنبي - صلى الله عليه وسلم -، بهيئة الساعي في طريق يسابق غيره ليفوز بالوصول(١).

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٤١٠-٤١١، وانظر كذلك التصوير البياني ص١٩٥وما بعدها.

(٢) انظر شرح السيد على الكشاف ٢١٠/١ .

(٣) التصوير البياني ١٩٧-١٩٨ .

(١) ٢٩٥/١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يخفى ان هذا تحليل للاستعارة التمثيلية.

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (حتى تضع الحرب اوزارها) ٤/"محمد"، حيث قال: ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل، فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمال او المسافر اثقاله وهذا من مبتكرات القرآن واخذ منه عبد ربه السلمي، او سليم الحنفي قوله:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

فشبه حالة المنتهي من كلفة بحالة السائر يلقي عصاه التي استصحبها في سيره(١).

وفي هذه الاستعارة اجراء آخر، فقد قال الخفاجي عند قول البيضاوي ان (اوزارها) يعني آلاتها: يعني ان الاوزار كالأحمال وزنا ومعنى استعير لما ذكر استعارة تصريحية او مكنية بتشبيهها بإنسان يحمل حملا على رأسه او ظهره، وأثبت له ذلك تخييلا، وكلام الكشاف له أمْيَل(٢).

ولا يخفى ان تحليل الشيخ ابن عاشور لهذه الاستعارة على انها استعارة تمثيلية وهكذا يفعل ابن عاشور في كثير من هذه الاستعارات فيسميها تمثيلا دون تحديد لمدلول مصطلح التمثيل كما سبق ايضاحه من قبل(٣).

ويكثر ابن عاشور من اجراء الاستعارة التمثيلية او تشبيه التمثيل بجعله من قبيل التشبيه المفرق الأجزاء، وهو يرى ان اتم شروط التمثيل كونه صالحا لتفريق اجزائه(٤)، وقال عند تفسيره لقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) ٣٥/"النور" قال: وهذا تشبيه بالغ كمال الإفصاح، بحيث هو مع انه تشبيه هيئة بهيئة هو ايضا مفرق التشبيهات لأجزاء المركب المشبه مع اجزاء المركب المشبه به، وذلك اقصى كمال التشبيه التمثيلي في صناعة البلاغة(٥).

فما موقف البلاغيين من هذه المسألة؟ هل رأوا مايراه ابن عاشور ام ان الأمر بخلاف ذلك؟ هذا ما ستعرف عليه الآن، وقد كنا ذكرنا ان التشبيه التمثيلي والاستعارة

---

(١) ٨٢/٢٦ والشعر نسبه في البيان لمضرس بن الأسدي ٤٠/٣ وقال في اللسان وقال ابن بري هذا بيت لعبد ربه السلمي، ويقال لسليم بن ثمامة الحنفي انظر مادة (عصا) وفيه عن الآمدي ان البيت لمعفر بن حمار وقال عبد السلام هارون ونسب في كتاب العصا إلى راشد بن عبدالله كما في نوادر المخطوطات ١٩٣/١ انظر حواشي الخزانة ٤١٣/٦ .

(٢) حواشي الشهاب ٤١/٨ وانظر الآلوسي ٤١/٢٦ .

(٣) ولمزيد من الأمثلة انظر ١٠٢/١٨، ٢٤٣/٢٢، ٣٢٨/٢٣، ٨٥/٢٦، ١٧٣/٢٧، ١٩٠/٢٨، ٢٢٣/٣٠، ١٩٧/٢٣، وانظر ٣٠٢/٢٤ حيث جعل الاستعارة مكنية.

(٤) ٢١٩/٧ .

(٥) ٢٤٢/١٨ وانظر كذلك ١٢٦/٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمثيلية معتمدة على تشبيه الهيئة بالهيئة، او ان وجه الشبه في التشبيه التمثيلي صورة منتزعة من متعدد وقديما عرض شيخا البلاغة إلى هذا الأمر فقال الجرجاني في تحليل قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا) ٥/"الجمعة"، الشبه منتزع من احوال الحمار وهو انه يحمل الاسفار التي هي أوعية العلوم ومستودع، ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظ سوى انه يثقل عليه ويكد جنبه فهو كما ترى مقتضى امور مجموعة، ونتيجة لأشياء الفت وقرن بعضها إلى بعض.بيان ذلك انه احتيج إلى ان يراعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل، وان يكون المحمول شيئا مخصوصا، وهو الأسفار التي فيها امارات تدل على العلوم، وان يثلث ذلك بجهل الحمار ما فيها حتى يحصل الشبه المقصود، ثم انه لا يحصل من كل واحد من هذه الأمور على الإنفراد، ولا يتصور ان يقال انه تشبيه بعد التشبيه من غيران يقف الأول على الثاني ويدخل الثاني في الأول، لأن الشبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار، ثم لا يتعلق ايضا بحمل الحمار حتى يكون المحمول الأسفار، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جهل الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره، فما لم تجعله كالخيط الممدود ولم يمزج وحتى يكون القياس قياس اشياء يبالغ في مزاجها، حتى تتحد وتخرج عن ان تعرف صورة كل واحد منها على الإنفراد، بل تبطل صورها المفردة التي كانت قبل المزاج وتحدث صورة خاصة غير اللواتي عهدت ويحصل مذاقها، حتى لوفرضت حصولها لك في تلك الأشياء من غير امتزاج فرضت ما لا يكون لم يتم(١)، المقصود ولم تحصل النتيجة المطلوبة، وهي الذم بالشقاء في شيء يتعلق به غرض جليل، وفائدة شريفة، مع حرمان ذلك الغرض، وعدم الوصول إلى تلك الفائدة واستصحاب(٢)، ما يتضمن المنافع العظيمة والنعم الخطيرة، من غير ان يكون ذلك الاستصحاب سببا إلى نيل شيء من تلك المنافع ... فلو قلت هو كالحمار في انه يجهل الأسفار، ولم تشترط ان يكون حمله الاسفار مقرونا بجهله لكان كذلك لو ذكرت الحمل والجهل مطلقين، ولم تجعل لهما المفعول المخصوص الذي هو الأسفار فقلت هو كالحمار في انه يحمل ويجهل، وقعت من التشبيه المقصود في الآية بأبعد البعد والنكتة ان التشبيه بالحمل للأسفار انما كان بشرط ان يقترن به الجهل(٣).

وانظر إلى صنيع عبد القاهر في تحليل بيت ابي طالب الرقي:

وكأن اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق

فانه جعل اعتبار التركيب فيه احق واولى ، وان صح التشبيه بين

---

(١) جواب (فما لم تجعله كالخيط) خفاجي.

(٢) (عطف على الذم او الشقاء) خفاجي.

(٣) اسرار البلاغة ٢١٠/١-٢١٢ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي بتصرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفرداته(١)، وهذا ظاهر كما تراه في التدقيق على تشبيه الهيئة، دون ولوج باب الشتبيه بمفرداته.

ثم جاء الزمخشري فذكر المذهبين القائلين بأن التمثيل انما يكون هيئة بهيئه، او ان وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، والمذهب الثاني القاضي بأن تشبيه التمثيل او الاستعارة التمثيلية وان كان الأصل فيهما اعتبار الهيئة بالهيئة الاانه يمكن ان تنحل اجزاء مثل هذا التمثيل الى استعارات او تشبيهات، وذلك بجعل بعض الأجزاء المشبهة مقابلة لبعض اجزاء المشبه بها كل جزء منها على حدة فقال في التشبيه المفرق في احد مواضع التفسير وعند قوله تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق) ٣١/"الحج"، قال: يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق، فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء، فاختطفته الطير مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة، وان كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان، واشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة(٢).

وهذا الموضع قد نقله ابن عاشور في تفسيره(٣)، وقال: ولا يخفى عليك ان في مطاوي هذا التمثيل تشبيهات كثيرة لا يعوزك استخراجها(٤).

وانت خبير بأن الزمخشري حين ذكر ذلك ذكره على سبيل الجواز، ولم يقل فيه انه تمثيل بالتفرق يبلغ الغاية كما كان ابن عاشور يفعل، ولكن الزمخشري ذو الحس المرهف والبيان العالي لم يكن ليرتضي هذا المذهب وإن جوزه، فقد اوضح في طالعة تفسيره ان الذي عليه البيانيون هو عدم التفريق في اجزاء الهيئة المشبهة والهيئة المشبهة بها في التمثيل، فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) الآيات ١٧ ومابعدها من سورة البقرة.

فان قلت: قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار، فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالبرق وبالصواعق؟

قلت: لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من

---

(١) اسرار البلاغة ٤٦/٢ .

(٢) الكشاف ١٢/٣-١٣ .

(٣) ٢٥٤/١٧ .

(٤) السابق ٢٥٥/١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكفرة من الإفزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الإسلام بالصواعق والمعنى او كمثل والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها مالقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء بأشياء، فأين ذكر المشبهات؟ وهلا صرح به كما صرح في قوله (وما يستوي الأعمى والبصير، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) ٥٨/"غافر" وفي قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

قلت: كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج) ١٢/"فاطر"، وقوله (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل) ٢٩/"الزمر". والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به، وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس، وجاء في القرآن، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا، بأخرى مثلها كقوله تعالى (مثل الذين حملو التوراة) ٥/"الجمعة"، لغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآيتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر ببدنه من الكد والتعب، وكقوله (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء) ٤٥/"الكهف"، المراد: قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر، فأما ان يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيره شيئا واحدا فلا، فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم، بما يكابد من طفئت ناره بعد اتقادها في ظلمة الليل، وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق(١).

وقد حفل السيد الجرجاني بكلام صاحب الكشاف هذا وقال: ويظهر منه ان التفريق الذي ذكره في التمثيلين احتمال لفظي قد يذهب اليه اهل الظاهر من النحاة، واما عند الطائفة الذين يحافظون على جزالة المعاني فلا مساغ له، وذلك لأنه يحصل في النفس من تشبيه الهيئات المركبة مالا يحصل من تشبيه مفرداتها، فانك اذا تصورت حال من اخذتهم السماء في ليلة تكاثف ظلماتها بتراكم السحب وانتساج قطراتها وتواتر فيها الرعود الهائلة والبروق المخيفة، والصواعق المختلفة المهلكة، وهم في اثناء

(١) الكشاف ١/٢٠٨-٢١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك يزاولون غمرات الموت، حصل في نفسك هيئة عجيبة توصلك إلى معرفة حال المنافقين على وجه يتقاصر عنه تشبيهك الدين بالصيب والشبهات بالظلمات إلى آخر ما عرفته هناك.

ثم قال: وقد بينا في شرح المفتاح ان التشبيه التمثيلي والاستعارة المبنية عليه يجب تركبهما قطعا، وان ما توهمه جماعة من المنتمين إلى هذه الصناعة خيالات فاسدة(١).

واني لاجد في كلام السيد ابلغ رد على ما ذهب اليه الدكتور ابو موسى في قوله (ويردد الزمخشري كثيرا من صور التشبيه في القرآن بين التشبيه المركب والتشبيه المفرق، وهذا الترديد يرجع في نظري إلى الرغبة في تحليل الجزئيات والوقوف عند المفردات، وهذا الميل نتاج التفكير النحوي، والدراسة اللغوية اذ ان هذين اللونين من الدراسة يكونان في الدارس ميلا شديدا إلى التدقيق، والوقوف عند الجزئيات وهذا ادق منهج في فهم التراكيب كما نعتقد وان عابه المتعجلون(٢)، ونريد هنا الرد على جملته الأخيرة.

وبعد فان ما نحاه ابن عاشور من تفريق التمثيل مخالف للتحقيق وحسبك ان العلمين لم يحفلا به وهاك بعض الأمثلة لما ذكره ابن عاشور في هذا المجال ومن اول ما يطالعك ما ذكرنا ان العلمين رفضاه وهو المتعلق بقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) الآيات حيث قال ابن عاشور:ومن بدائع هذا التمثيل انه مع ما فيه من تركيب الهيئة المشبه بها، ومقابلتها للهيئة المركبة من حالهم هو قابل لتحليله لتشبيهات مفردة لكل جزء من هيأة احوالهم بجزء مفرد من الهيأة المشبه بها فشبه استماعهم القرآن باستيقاد النار، ويتضمن تشبيه القرآن في ارشاد الناس إلى الخير والحق بالنار في اضاءة المسالك للسالكين، وشبه رجوعهم إلى كفرهم بذهاب نور النار، وشبه كفرهم بالظلمات ويشبهون بقوم انقطع ابصارهم(٣).

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (والذين كفروا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله) ٣٩/"الأنعام" حيث قال:

وانما قيل (في الظلمات)ولم يوصفوا بانهم عمي كما في قوله (عميا وبكما وصما) ٩٧/"الإسراء"، ليكون لبعض اجزاء الهيئة المشبه بها ما يصلح لشبه بعض اجزاء الهيئة المشبهة، فان الكفر الذي هم فيه والذي اصارهم إلى استمرار الضلال يشبه الظلمات في الحيلولة بين الداخل فيه وبين الاهتداء إلى طريق النجاة فهذا التمثيل جاء على اتم شروط التمثيل، وهو قبوله لتفكيك اجزاء الهيئتين إلى تشبيهات مفردة كقول بشار:

---

(١) حاشية السيد على الكشاف ٢١١/١-٢١٢ .

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٣٩٩ .

(٣) ٣١٣/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه(١)

وهـذاالذي ذكره الشيخ رحمه الله في غاية التكلف، والبيت لم يختلف احد في ان المراد منه تشبيه هيئة بهيئة وانه مركب لا مفرق.

ولكن ابن عاشور وهو يقرر ذلك في كثير من التمثيلات يرى احيانا ان التشبيه التمثيلي ليس مراعى فيه تفكيك اجزائه وانحلالها الىتشبهات او استعارات، فقد ذكر عندتفسيره لقوله تعالى (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كثيرا من المؤمنين لكارهون) ٥/"الأنفال"، ذكر ما نصه تشبيه حال بحال، وهو متصل بما قبله اما بتقدير مبتدأ محذوف هو اسم إشارة لما ذكر قبله تقديره هذا الحال كحال ما اخرج ربك من بيتك بالحق، ووجه الشبه هو كراهية المؤمنين في بادئ الأمر لما هو خير لهم في الواقع، واما بتقدير مصدر لفعل الاستقرار الذي يقتضيه الخبر بالمجرور في قوله (الأنفال لله والرسول)(٢)، اذ التقدير استقرت لله والرسول استقرارا كما اخرجك ربك، اي فيما يلوح (لك)(٣)، الكراهية بالإمتعاض في بادئ الأمرثم نوالهم النصر والغنيمة في نهاية الأمر، فالتشبيه تمثيلي وليس مراعى فيه تشبيه بعض اجزاء الهيئة المشبهة ببعض اجزاء الهيئة المشبهة بها(٤).

واذا ما ضممنا إلى ذلك قوله إن التمثيل يعتمد تشبيه الهيئة بالهيئة(٥)، اصابتنا حيرة في تقرير الضابط لكون التشبيه التمثيلي او التمثيل بعموم متى يراعى فيه تحليل اجزائه ومتى لا يكون ذلك كذلك، على اني لا ادري ما الذي يمنع من انحلال اجزاء اي تمثيل بالصورة التي ذكرها،ولهذا وذاك فان رأي البيانيين الذي سبق ترجيحه هو الراجح في هذه المسألة لئلا نقع في تناقضات لا يسمح بها علم البيان والله اعلم.

وهكذا كان الشيخ يحلل مثل هذه التمثيلات(٦)، وقد جره هذا التحليل والوقوف عند ظواهر اجزاء الألفاظ إلى منحى خطير جدا وهو ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) ٣٩/النور حيث قال بعد أن ذكر أن هذا التمثيل مفرق الأجزاء ففي قوله (يحسبه الظمآن) استعارة مصرحة، ومفاجأة الكافر بالأخذ والعتل من جند الله او بتكوين الله تشبه مفاجأة من حسب انه يبلغ الماء للشراب فيبلغ إلى حيث تحقق انه لاماء فوجد عندالموضع الذي بلغه من يترصدله لأخذه او

---

(١) ٢١٩/٧ والشاهد من ابيات المعاني انظردلائل الإعجاز ٩٦، وغيرها وهو من ابيات التلخيص انظر معاهد التنصيص ٢٨/٢ .

(٢) الآية الأولى من السورة وفي الأصل ولرسول.

(٣) هذه الكلمة مطموسة والسياق يقتضيها.

(٤) ٢٦٣/٩-٢٦٤ .

(٥) ٤٦/٢٤ .

(٦) انظر لمزيد من الأمثلة ٣٠٢/٧، ٢٥٥/١٨، ٢٥٧/١٨، ٢٥٢/٢٠، ٨٦/٢١، ٢٩٤/٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسره، فهنا استعارة مكنية او شبّه امرالله او ملائكته بالعدو ورمز الى العدو بقوله (فوفاه حسابه)(١).

ووقوفنا عند الاستعارة الأخيرة، وانه لا يصح بحال تشبيه أمر الله بالعدو، فهو غير لائق وفضلا عن ذلك هو ممنوع ولعله يدخل في قوله (فلا تضربوا لله الأمثال) ٧٤/"النحل".

والأغرب من هذا وكلاهما غريب ما ذكره عند تفسيره لقوله تعال (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) ٣/الإنسان، حيث قال: وهداية السبيل تمثيل لحال المرشد .. وهذا التمثيل ينحل إلى تشبيهات اجزاء الحالة المركبة المشبهة بأجزاء الحالة المشبهة بها، فالله كالهادي والإنسان يشبه السائر المتحيز في الطريق، واعمال الدين تشبه الطريق، وفوز المتتبع لهدى الله يشبه البلوغ إلى المكان المطلوب(٢).

هذا من اغرب ما يمكن من القول فكيف يمكن ان يقال (ان الله كالهادي) وجل الله سبحانه عن اي تمثيل، ولعل المرء لا يجد لابن عاشور سلفا في مثل هذا القول!!

ومثل هذين المثالين ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) الحشر/٢ حيث قال: وتركيب (اتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) تمثيل، مثل شأن الله حين يسر اسباب استسلامهم بعد ان صمموا على الدفاع، وكانوا أهل عدد وعدة ولم يطل حصارهم بحال من اخذ حذره من عدوه واحكم حراسته من جهاته فأتاه عدوة من جهة لم يكن قد اقام حراسة فيها(٣)، ولعل هذا من اغرب الأمثلة الثلاثة، وهو تشبيه غير دقيق، فضلا عن انه لا يجوز ، ومثل هذا الكلام ينبغي ان تنزه الذات العلية عنه، وان كان غرضنا شريفا، وهو كذلك عند الشيخ فيما أحسب، وان هذا لمن مزلة الأقدام، ونسأل الله السلامة والسلام.

الاستعارات:

نالت الاستعارات في القرآن الكريم جانبا عظيما من حديث الشيخ في ثنايا تفسيره، وغالبا ما يجري الشيخ الاستعارة محللا إياها إلى أنواعها وصورها، وتعرض فيما يضاف إلى ذلك إلى شيوع الاستعارة وترشيحها.

ومما يفيد ذكره أن الاستعارة يمكن أن تتغير صورتها في بعض المواضع تبعا لتغير النظر الواقع عليها، ولهذا نجد الشيخ يذكر صورا متعددة من الاستعارة في آن واحد، ولا يستطيع المرء هنا أن يلم بالموضوع من جميع أطرافه، ولكن حسبنا أن نعطي صورة لدراسة الشيخ لهذا الجانب البلاغي فأول ما طالعنا به الشيخ من الحديث المستفيض حول الاستعارة والخلاف في صورتها ما كان عند تفسيره لقوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم) البقرة/٥ .

حيث كانت هذه الآية مثار منازعة بين عالمين عَلَمين هما: السعد التفتزاني، والسيد الجرجاني حيث نحا التفتزاني إلى أن الاستعارة في الآية تمثيلية، ونحا الجرجاني إلى أنها تبعيه واشتدت هذه الخصومة بين العلمين حتى كانت مثارا لأنظار العلماء بعدهما، فهذا الشوكاني يقول في تفسيره: واختلف من بعدهم في ترجيح الراجح من القولين وقد جمعت في ذلك رسالة سميتها الطود المنيف في ترجيح ما قاله السعد على ما قاله الشريف(٤)

---

(١) ٢٥٤/١٨ (٢) ٣٧٥/٢٩ (٣) ٧٠/٢٨

(٤) فتح القدير ٣٧/١ وقد دافع السد عن رأيه دفاعا شديدا في حاشيته على المطول، أنظر ص٢٠٩ - ٢١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا علامة العراق الشهاب الآلوسي بعد أن اختار رأي السعد يقول: وهذا الخلاف بين الشيخين في هذه المسألة مما سارت به الركبان وعقدت له المجالس، وصنفت فيه الرسائل وأول ما وقع بينهما في مجلس تيمور، وكان الحكم نعمان الخوارزمي المعتزلي -فحكم- والظاهر أنه لأمر ما- للسيد السند والعلماء إلى اليوم فريقان في ذلك، ولا يزالون مختلفين فيه إلا أن الأكثر مع السعد ... وقد أشبعنا القول في ذلك، وذكرنا ما له وما عليه في كتابنا الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية(١)

وقد حاول ابن عاشور أن يقف حكما بين العلمين، ولكنه ما لبث أن رجّح كفة السعد، وبعد ذلك قال الشيخ: والذي أختاره في هذه الآية: أن يكون قوله تعالى (أولئك على هدى) استعارة تمثيلية مكنية(٢) شبهت الحالة بالحالة، وحذف لفظ المشبه به، وهو المركب الدال على الركوب كأن يقال: راكبين مطية الهدى، وأبقى ما يدل على المشبه وهو أولئك والهدى، ورمز للمركب الدال على المشبه به بشيء من لوازمه وهو لفظ (على) الدال على الركوب عرفا...(٣)

ولكن الشيخ وهو ينظّر بعض الاستعارات ببعض قال عند تفسيره لقوله تعالى (بل هم في شك يلعبون) الدخان/٩ قال: والإتيان بحرف الظرفية للدلالة على شدة تمكن الشك في نفوسهم حتى كأنه ظرف محيط بهم لا يجدون عنه مخرجا، أي لا يفارقهم الشك، فالظرفية استعارة تبعية مثل الاستعلاء في قوله (أولئك على هدى من ربهم)(٤).

وعاد في سورة الملك ونظّر بها قوله تعالى (تكاد تميّز من الغيظ) الملك/٨ على أنها استعارة تمثيلية مكنية(٥)

ومن صور الاختلاف على تحليل المركب ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) الأنعام/١٢٢ حيث قالك فتضمنت جملة (أو من كان ميتا) إلى آخرها تمثيل الحالة الأولى، وجملة (كمن مثله في الظلمات) تمثيل الحالة الثانية، فهما حالتان مشبهتان، وحالتان مشبه بهما، وحصل بذكر كاف التشبيه وهمزة الاستفهام الإنكاري أن معنى الكلام نفي المشابهة بين من أسلم وبين من بقي في الشرك كما حصل من مجموع الجملتين: أن في نظم الكلام تشبيهين مركبين. ولكن وجود كاف التشبيه في قوله (كمن مثله) مع عدم التصريح بذكر المشبهين في التركيبين أثارا شبهة: في اعتبار هذين التشبيهين أهو من قبيل التشبيه التمثيلي، أم من قبيل الاستعارة التمثيلية، فنحا القطب الرازي في شرح الكشاف القبيل الأول ونحا التفتزاني القبيل الثاني.

---

(١) روح المعاني ١٢٤/١ (٢) رأي السعد هو أنها تمثيليه سعيه

(٣) أنظر المسألة كلها في ٢٤١/١ - ٢٤٥ والكلام المنقول هنا في ص٢٤٥ ، وقد تقدم غير مرة أن التمثيلية لا تكون مكنية إلا بتكلف

(٤) ٢٨٥/٢٥ (٥) ٢٤/٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأظهر ما نحاه التفتزاني أنهما استعارتان تمثيليتان، وأما كاف التشبيه فهو متوجه الى المشابهة المنفية في مجموع الجملتين لا إلى مشابهة الحالين بالحالين، فمورد كاف التشبيه غير مورد تمثيل الحالين، وبين الاعتبارين بون خفي.(١)

وقد ذكر الشهاب في حواشي التفسير كلاما حسنا عند هذا الموضع حيث قال: قيل هما تمثيلان لا استعارتان .. ورد بأن الظاهر أن من كان ميتا ومن مثله في الظلمات من قبيل الاستعارة التمثيلية إذ لا ذكر للمشبه صريحا ولا دلالة بحيث ينافي الاستعارة. والاستعارة الأولى بجملتها مشبه والثانية مشبه به وهذا كما تقول في الاستعارة الإفرادية أيكون الأسد كالثعلب، أي الشجاع كالجبان قلت:(٢) وهذا من بديع المعاني الذي ينبغي أن يتنبه له ويحفظ فإنهم ذكروا أن التشبيه ينافي الاستعارة، بل شرطوا فيها أن لا تشم رائحته والمراد أن التشبيه الواقع في تلك الاستعارة أو في شيء منها مناف لها وأما تشبيه المعنى المستعار بعد تقرر التجوز فيه بمعنى آخر حقيقي أو مجازي كما هنا فلا ينافيها كما صرح به المحققون من شراح الكشاف، وقد أومأ إليه الشريف في سورة البقرة في قوله "كان أذني قلبه خطلاً وإن" فتدبره بأذن واعية(٣)

هذا جانب مما يذكره في خلاف العلماء في تحليل بعض صور الاستعارة(٤) وقد اهتم الشيخ كثيراً بابراز صور الاستعارة وأنواعها من خلال التفسير وسنقف عند بعض الأمثلة لبعض الأنواع وكان أكثر أنواع الاستعارات دورانا فيماذكره -التبعية- والتصريحية- والمكنية- والتمثيلية- والاستعارة التهكمية وعرض كذلك للاستعارة المرشحة والشيوع في الاستعارة على نحو ما سبق ذكر طرف منه في المجاز المرسل.

فمن أمثلة ماذكره في بيان التبعية ما كان عند تفسيره لقوله تعالى (فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسّه) الآية١٢ يونس حيث قال: وعدي الدعاء بحرف إلى في قوله (الى ضر) دون اللام كما هو الغالب في نحو قوله

دعوت لما نابني مسورا

على طريقة الاستعارة التبعية بتشبيه الضر بالعدو المفاجيء الذي يدعو إلى من فاجأه ناصرا إلى دفعه(٥).

وإذا كان الأئمة قد ذكروا أن الاستعارة التبعية هي ما يكون لفظ المستعار فيها مشتقاً والأصلية ما يكون فيها جامداً(٦) فإننا لا نسلم لابن عاشور ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)٧٣/يس حيث قال:

---

(١) ٨أ/٤٤ - ٤٥ (٢) الخفاجي

(٣) حاشية الشهاب ١٢١/٤ والعبارة هنا بنصها والظاهر أنها للكشاف

(٤) وانظر أيضاً ١٢٣/٢-١٢٤

(٥) ١١١/١١ وهذا عجيب من الشيخ فإن الاستعارة أصلية وليست تبعية.

(٦) البلاغة ١٨٤/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اعتبر أئمة البلاغة الاستعارة في الآية أصلية تبعية ولم يجعلوها تمثيلية لما قدمناه من أن المقصود بالتشبيه هو حالة زوال نور النهار عن الأفق فتخلفها ظلمة الليل لقوله (فإذا هم مظلمون)اهـ.(١)

فإن الاستعارة في الآية تبعية مصرحة(٢) أما كونها مصرحة فلان لفظ المستعار (المشبه به) موجود وهو (نسلخ) وأما كونها تبعية فلأن هذا اللفظ مشتقاً وكونها أصلية تبعية تناقض.

وقد عرض الشيخ إلى الاستعارة التبعية في الحرف مبيناً معناها وموضحاً صورتها فقال عند تفسيره لقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً)القصص/٨ واللام في (ليكون) لام التعليل وهي المعروفة عند النحاة بلام كي وهي لام جارة مثل كي، وهي هنا متعلقة بـ (التقطه).

وحق لام كي أن تكون جارة لمصدر منسبك من (أنْ) المقدرة بعد اللام ومن الفعل المنصوب بها فذلك المصدر هو العلة الباعثة على صدور ذلك الفعل من فاعله. وقد استعملت في الآية استعمالاً وارداً على طريقة الاستعارة دون الحقيقة لظهور أنهم لم يكن داعيهم إلى التقاطه أن يكون لهم عدواً وحزناً ولكنهم التقطوه رأفة به وحباً له لما القي في نفوسهم من شفقة عليه ولكن لما كانت عاقبة التقاطهم إياه أن كان لهم عدواً في الله وموجب حزن لهم. شبهت العاقبة بالعلة في كونها نتيجة للفعل كشأن العلة غالباً فاستعير لترتب العاقبة المشبهة الحرف الذي يدل على ترتب العلة تبعا لاستعارة معنى الحرف إلى معنى آخر استعارة تبعية، أي استعير الحرف تبعاً لاستعارة معناه لأن الحروف بمعزل عن الاستعارة لأن الحرف لا يقع موصوفاً، فالاستعارة تكون في معناه ثم تسري من المعنى إلى الحرف فلذلك سميت استعارة تبعية عند جمهور علماء المعاني خلافاً للسكاكي(٣).

ومن الاستعارة التصريحية وهي التي صرح فيها بلفظ المشبه به ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً)١٥/الملك حيث قال: فاستعير الذلول للأرض في تذليل الانتفاع بها مع صلابة خلقتها تشبيهاً بالدابة الموسة المرتاضة بعد الصعوبة على طريقة المصرحة(٤).

ومن الاستعارة المكنية وهي التي طوي فيها ذكر المشبه به ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)٢/الأنفال حيث قال: ان القصر هنا ادعائي بتنزيل الإيمان الذي عدم الواجبات العظيمة منزلة العدم، وهو قصر مجازي لابتنائه على التشبيه فهو استعارة مكنية شبه الجانب المنفي في صيغة القصر بمن ليس بمؤمن. وطوي ذكر المشبه به ورمز إليه بذكر لازمة وهو حصر الإيمان فيمن اتصف بالصفات التي لم يتصف بها المشبه به،

---

(١) ١٨/٢٣ (٢) راجع الآلوسي ١٠/٢٣

(٣) ٧٥/٢٠ - ٧٦

(٤) ٣٢/٢٩ وهذا عجيب عند الشيخ فإن هذا التحليل للتشبيه وليس للاستعارة إذ أن الطرفين هنا موجودان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤول هذا إلى معنى: انما المؤمنون الكاملو الايمان(٥).

وهذا تحليل ظاهر عليه التكلف كما هو واضح وليست هذه الاستعارة بلازمة هنا.

وقد عرض الشيخ للاستعارة التمثيلية بكثرة في التفسير وقد قدمنا عند التشبيه التمثيلي ما يتعلق بتفكيك أجزائه والكلام الذي قيل هناك يقال هنا ولكننا نضيف هنا أن الشيخ ذكر أن الاستعارة التمثيلية تكون مصرحة وتكون مكنية وهذا ما نريد الوقوف عنده حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى : (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون)١٣٥/الأنعام.

وتعريف الدار هنا تعريف الجنس فيجوز أن يكون لفظ (الدار) مطلقاً على المعنى الحقيقي. فإضافة (عاقبة) إلى (الدار) إضافة حقيقية أي حسن الافادة الحاصلة في الدار، وهي الفوز بالدار والفلج في النزاع عليها، تشبيها بما كان العرب يتنازعون على المنازل والمراعي وبذلك يكون قوله (من تكون له عاقبة الدار) استعارة تمثيلية مكنية، شبهت حالة المؤمنين الفائزين في عملهم مع حالة المشركين، بحالة الغالب على امتلاك دار عدوه، وطوي المركب الدال على الهيئة المشبة بها، ورمز اليه بذكر ما هو من روادفه، وهو (عاقبة الدار) فإن التمثيلية تكون مصرحة وتكون مكنية، وان لم يقسموها إليها، لكنه تقسيم لا محيص عنه.

ويجوز أن تكون (الدار) مستعارة للحالة التي استقر فيهاأحد، تشبيهاً للحالة بالمكان في الاحتواء، فتكون إضافة عاقبة الدار إضافة بيانية، أي العاقبة الحسنى التي هي حالة، فيكون الكلام استعارة مصرحة(١).

وهذا الكلام ظاهر عليه التكلف ولا أحسب الذي حدا بابن عاشور الى تقسيم التمثيل إلى هذين القسمين إلا اعتماده الرأي القائل بامكان تفكيك التمثيل وانحلاله إلى صور متعددة وبناء عليه يمكن القول بمثل هذا التقسيم. على أننا لا نرتضي أن نقول إن التمثيلية يمكن أن تكون مكنيةلأن هذا قريب من التناقض إن لم يكنه.

ومن التمثيل ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)٢٥/التوبة حيث قال: وهذا التركيب تمثيل لحال المسلمين لما اشتد عليهم اليأس واضطربوا ولم يهتدوا لدفع العدو عنهم، بحال من يرى الأرض الواسعة ضيقة، فالضيق غير حقيقي بقرينة قوله (بما رحبت) استعير (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) استعارة تمثيلية تمثيلاً لحال من لا يستطيع الخلاص من شده بسبب اختلال قوة تفكيره، بحال من هو في مكان ضيق من الأرض يريد أن يخرج منه فلا يستطيع تجاوزه ولا الانتقال منه (٢).

---

(٥) ٢٥٥/٩ وانظر لمزيد من الأمثلة١٤٣/١١، ٥٧/١٢، ١٥٤/١٤، ٧٠/١٥، ٧١/١٦ ، ١٧٨/١٨ ، ٢١٦/٢٣ .

(١) ٨ أ/ ٩٢ - ٩٣

(٢) ١٥٦/١٠-١٥٧ وانظر صوراً أخرى في ١٣٤/١١ ، ١٠٩/١٣ ، ٢٠٥/١٤ ، ٢٨٢/١٥ ، ٨/١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن تفكيك الاستعارة التمثيلية عنده وهو المذهب الذي احتفل به كثيرا في تفسيره ماذكره لقوله تعالى (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب)١٦٦/البقرة حيث قال:

والأسباب جمع سبب وهو الحبل الذي يمد ليرتقى عليه في النخلة أو السطح، وقوله وتقطعت بهم الأسباب تمثيلية شبهت هيئتهم عند خيبة أملهم حين لم يجدوا النعيم الذي تعبوا لأجله مدة حياتهم وقد جاء إبانه في ظنهم فوجدوا عوضه العذاب، بحال المرتقي إلى النخلة ليجتني الثمر الذي كدّ لأجله طول السنة فتقطع به السبب عند ارتقائه فسقط هالكاً. فكذلك هؤلاء قد علم كلهم حينئذ أن لا نجاة لهم فحالهم كحال الساقط من علو لا ترجى له سلامة، وهي تمثيلية بديعة لأن الهيئة (١) المشبهه تشتمل على سبعة أشياء كل واحد منها يصلح لأن يكون مشبهاً بواحد من الأشياء التي تشتمل عليها الهيئة المشبه بها وهي:

تشبيه المشرك في عبادته الأصنام واتباع دينها بالمرتقي بجامع السعي، وتشبيه العبادة وقبول الآلهة منه بالحبل الموصل، وتشبيه النعيم والثواب بالثمرة في أعلى النخلة لأنها لا يصل اليها المرء الا بعد طول وهومدة العمر، وتشبيه العمر بالنخلة في الطول، وتشبيه الحرمان من الوصول للنعيم بتقطع الحبل، وتشبيه الخيبة بالبعد عن الثمرة، وتشبيه الوقوع في العذاب بالسقوط المهلك. وقلما تأتي في التمثيلية صلوحيةأجزاء التشبيه المركب فيها لأن تكون تشبيهات مستقلة والوارد في ذلك يكون في اشياء قليلة كقول بشار الذي يعد مثالاً في الحسن

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فليس في البيت أكثر من تشبيهات ثلاثة(٢)

وهذا التحليل فيه تكلف كثير وقد تقدم ايضاح ذلك عند التشبيه التمثيلي واخلال أجزائه ونزيد هنا بأن قول ابن عاشور إن أمثلة هذا النوع من التمثيل قليلة يتناقض تماماً مع اكثار ابن عاشور لتحليل كثير من التمثيلات سواء أكانت تشبيهات أم استعارات على ذلك يدرك هذا من يطالع حديثه عن أمثال القرآن باختلاف مواقعها في النسق القرآني. وأما بيت بشار فالحسن الذي فيه ليس بجعله حاوياً لتشبيهات ثلاث وإنما بجعله تشبيه تمثيل لهيئة بهيئة وإلا كان البيت لا يفرق عن أي تشبيه آخر مفرد.

وعرض ابن عاشور للاستعارة التهكمية وهي مما يسمى بالاستعارة العنادية ومن أمثلتها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود)٩٨/ هود حيث قال: وفي قوله (فأوردهم النار..) استعارة الإيراد إلى التقدم بالناس إلى العذاب وهي تهكمية لأن الايراد يكون لأجل الانتفاع بالسقي وأما التقدم بقومه إلى النار فهو ضد ذلك اهـ.(٣)

---

(١) في الأصل لأنها الهيئة.

(٢) ٩٨/٢ وانظر مزيداً من الأمثلة في ٢٣٦/٩ ، ١٧١/١٠ ، ١٣٢/١٤ ، ١٣٥/١٤ ، ١٢٥/٢٢

(٣) ١٥٦/١٢ وانظر لمزيد من الأمثلة ١٩٣/١٤ ، ٢٩٨/١٦ ، ٢٢٥/٢١ ، ٣٢٢/٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قلنا سابقاً إن الاستعارة وكثيراً من صور البيان يمكن أن يدخل فيها أكثر من نوع في أثناء تحليلها وذلك بحسب نظر المتكلم إلى صورة هذه الاستعارة أو غيرها أو بحسب النظر إلى اشتمالها على ما يتعلق بصورة أخرى.

وعرض الشيخ إلى ترشيح الاستعارة والمراد به هو أن يذكر مع الاستعارة ما يلائم المشبه به فإن ذكر فيها ما يلائم المشبه فهي مجردة وإلا فهي الاستعارة المطلقة (١).

قال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون)٣٦/الأنعام قال:

(والموتى) استعارة لمن لا ينتفعون بعقولهم ومواهبهم في أهم الأشياء، وهو ما يرضي الله تعالى. (ويبعثهم) على هذا حقيقة، وهو ترشيح للاستعارة، لأن البعث من ملائمات المشبه به في العرف وإن كان الحي يخبر عنه بأنه يبعث، اي بعد موته، ولكن العرف لا يذكر البعث إلا باعتبار وصف المبعوث بأنه ميت. ويجوز أن يكون البعث استعارة ايضاً للهداية بعد الضلال تبعا لاستعارة الموت لعدم قبول الهدى على الوجهين المعروفين في الترشيح -في فن البيان- من كونه تارة يبقى على حقيقته لا يقصد منه إلا تقوية الاستعارة، وتارة يستعار ملائم المشبه به إلى شبهه من ملائم المشبه (٢).

وعرض الشيخ كذلك لشيوع الاستعارة بحيث تصبح مقاربة للحقيقة وهذا النحو لا يفرق كثيراً عن المجاز من هذه الناحيةولكن قد تختلف الأمثلة ولنأخذ مثالين على ذلك.

قال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (ولتنذر أم القرى ومن حولها)٩٢/الأنعام وأم القرى: مكة، وأم الشيء استعارة شائعة في الأمر الذي يرجع إليه ويلتف حوله، وحقيقة الام الأنثى التي تلد الطفل فيرجع الولد إليها ويلازمها، وشاعت استعارة الأم للأصل والمرجع حتى صارت حقيقة، ومنه سميت الرايةأماً، وسمي أعلى الرأس أم الرأس (٣).

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم)٢٠٠/الأعراف حيث قال: والنزغ النخس والغرز، كذا فسره في الكشاف وهو التحقيق.. وإطلاق النزغ هنا على وسوسة الشيطان استعارة، شبه حدوث الوسوسة الشيطانيةفي النفس بنزغ الإبرة ونحوها في الجسم بجامع التأثير الخفي، وشاعت هذه الاستعارة بعد نزول القرآن حتى صارت كالحقيقة (٤).

هذا هو منهج الشيخ في تحليل استعارات القرآن أغفلنا منه ما لا داعي لذكره واقتصرنا على مهمات الأمور ولكننا بحاجة إلى أن نقف عند بعض التحليلات التي قد نرى أنها تخالف التحقيق أو التحليل السليم، ومن ذلك مثلاً ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (فوجدا فيها

---

(١) البلاغة ٢٠٧/٢ - ٢٠٨

(٢) ٢٠٨/٧ وانظر الآلوسي ١٤٢/٧

(٣) ٣٧٢/٧

(٤) ٢٢٩/٩-٢٣٠ وانظر لمزيد من الأمثلة ٢٤/٢٦ ، ٦٣/٢٩ ، ٧٢/٢٩، ١٥٦/٢٩ ، ١٠/٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جداراً يريد أن ينقض)٧٧/الكهف حيث قال في تحليل هذه الاستعارة: ومعنى (يريد ان ينقض) أشرف على الانقضاض، أي السقوط، أي يكاد يسقط، وذلك بأن مال، فعبر عن إشرافه على الانقضاض على طريقة الإستعارة المصرحة التبعية بتشبيه قرب انقضاضه بارادة من يعقل فعل شيء فهو يوشك أن يفعله حيث أراده ، لأن الارادة طلب النفس حصول شيء وميل القلب له (١).

والآية بهذا التحليل هي من قبيل الاستعارة المكنية التخييلية لأنه حذف فيها المشبه به وذكر المشبه وجاء بالنقض وهو من لوازم المشبه به تخييلاً في الاستعارة (٢).

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا)٩٩/الكهف حيث قال: والنفخ في الصور تمثيلية مكنية تشبيهاً لحال الداعي المطاع وحال المدعو الكثير العدد السريع الإجابة، بحال الجند الذين ينفذون أمر القائد بالنفير فينفخون في بوق النفير. وبحال بقية الجند حين يسمعون بوق النفير فيسرعون إلى الخروج. على أنه يجوز أن يكون الصور من مخلوقات الآخرة (٣).

قلت ولا داعي لمثل هذا التحليل المجازي وما جوّزه أخيراً هو الذي ينبغي اعتماده فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن: وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر) الحديث(٤). فهذا أحسن من تأويل ذلك بالاستعارة والله أعلم.

وبعد فهذا هو منهج الشيخ في المجاز القرآني، وقد رأيت فيه تكلفاً شديداً وظاهراً وشيئاً كثيراً من عدم النضوج والله أعلم.

وبعد فهذا هو منهج الشيخ ابن عاشور في قضايا اللغة والبيان.

أرجو ان اكون قد أوضحته تمام الايضاح، ولا يفوت أن انبه انني اطلت في هذا الفصل عن غيره لأن هذا حديث عن عمدة ما يتميز به هذا التفسير.

---

(١) ٨/١٦

(٢) راجع الآلوسي ٦/١٦ وغيره

(٣) ٤١/١٦

(٤) رواه الامام أحمد ٧/٣ والترمذي في صفة القيامة ١١٧/٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس
القضايا العقديّة عند ابن عاشور

يتلون الدرس العقدي في كتب التفسير ويختلف باختلاف ثقافة المفسر العقدية. وابن عاشور رحمه الله من الاشاعرة المنافحين عن الاشعرية في تفسيره، وتتجلى اشعريته في أمرين.

الأول: تصريحه بالانتساب لمذهب الاشاعرة.

الثاني: ترجيح رأي الاشاعرة والرد على خصومهم في اثناء التفسير.

أما الأمر الثاني فسيأتيك بيانه من خلال هذا الفصل ولذلك لا نحتاج للتدليل عليه هنا واما الامر الاول فحسبنا من ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)٣٨/البقرة فبعد ان رد قول الزمخشري القاضي بارغام الاية على أن تكون دليلا للمعتزلة في عدم وجوب بعثة الرسل للاستغناء عنها بهدي العقل في الايمان بالله... بعد ذلك قال: فلذلك كانت الآية اسعد بمذهبنا أيها الاشاعرة من عدم وجوب الهدى كله على الله تعالى لو شئنا ان نستدل بها على ذلك كما فعل البيضاوي، ولكنا لا نراها واردة لأجله. (١)

وعلى هذا فابن عاشور اشعري العقيدة منافح عن عقيدته بكل ما اوتي من قوة يظهر هذا لمن يطالع تفسيره، ونحن نريد ان نلحظ بالطرف بعض النماذج التفسيرية لقضايا العقيدة عنده ولكننا لا بد أن نقف عند كلمة أليمة قالها الباحث عبدالله الريس عن الاشعري وابن عاشور في هذا الصدد قال: ان ابا الحسن الأشعري لا يدين لله عز وجل بما ذكره الشيخ ابن عاشور من العقيدة التي هي نفي الصفات والقول بالكسب، بل كان يقول بذلك زمنا ثم رجع عنه، فلا يصح الانتساب اليه لأنه رجع عن هذا المذهب...(٢)

وهذا الكلام الذي يقوله الريس هنا ليس غريباً ولا جديداً فهو رأي متأخري الحنابلة الذين حاولوا إلصاق الأشعري بهم في تناقض عجيب ومبتنى ما يقولون هو على أن الاشعري ألف كتابا اسمه (الابانة) في آخر حياته رجع فيه عن كل ما سبق.

وانا اقول لولا ان الرجل الذي كتب عن ابن عاشور قال ما قال ما وقفت عند هذه المسألة لأنها مضنية ولكن لما كان لها اعتلاق بابن عاشور هنا فوجب ان نقف لها، ولكن باقتضاب شديد دون محاولة للتوسع أيا كانت.

فنقول وبالله التوفيق: يكاد يطبق الذين ترجموا للأشعري على أنه في حياته مر بمرحلتين الاولى مرحلة الاعتزال وما قبلها والثانية مرحلة ترك الاعتزال والنهوض بمذهب اهل السنة والجماعة (٣).

---

(١) ٤٤٣/١ وانظر ١٨٧/١٦ ، ١٩٣/٢٢ وانظر ابن عاشور ومنهجه في التفسير للريس ص ٤٩٤ وما بعدها.

(٢) السابق ص ٤٩٨

(٣) انظر تحقيق الدكتورة فوقية حسين للابانة ص ٢٨-٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أننا نجد لابن تيمية كلاماً يخالف هذا ويتابعه تلميذه ابن كثير على هذا الكلام أيضا فأما ابن تيمية فذكر كلامه في فتاويه بقوله: .. وكنت اقرر هذا للحنبلية وأبين أن الأشعري وان كان من تلامذة المعتزلة ثم تاب فانه كان تلميذ الجبائي ومال إلى طريقة ابن كلاب وأخذ عن زكريا الساجي اصول الحديث بالبصرة، ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد اموراً اخرى، وذلك اخر امره كما ذكره هو واصحابه في كتبهم (١).

ونجد كلاماً لابن كثير اوضح من هذا فينقل الزبيدي في شرح الاحياء عن ابن كثير قوله ذكروا للشيخ ابي الحسن الأشعري ثلاثةأحوال أولها حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة الحال الثاني اثبات الصفات العقلية السبعة وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الجزئية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك والحال الثالث إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف وهي طريقته في الابانة التي صنفها آخرا وشرحها الباقلاني ونقلها ابن عساكر وهي التي مال اليها الباقلاني وامام الحرمين وغيرهما من أئمة الأصحاب المتقدمين في اواخر اقوالهم والله اعلم(٢).

وهذا النص الظاهر أنه في كتاب الطبقات لابن كثير، وظاهر فيه ايضاً متابعة الشيخ ابن تيمية على ذلك. ولا أعلم أنا سلفاً لهذين العلمين في اثبات هذه القضية.

ونحن بحاجة اولاً إلى النظر في امر ابن كلاب المتوفى بعد سنة ٢٤٠ هـ فاذا علمنا أن الاشعري ولد في ٢٦٠ للهجرة وانه امضى اربعين عاماً معتزلياً وبدا العود إلى أهل السنة في عام ٣٠٠ هـ كان يعني أن بين عودته ووفاة ابن كلاب نحوا من ستين عاماً وعليه فانه يقتضي ان تكون لابن كلاب مقالات مشهورة ولها اتباع كثر، ولا نجد من يحدثنا عن هذه المقولات سوى الاشعري ولكن بشكل مقتضب في مقالات الاسلاميين(٣).

وهي غير كافية للقول بأن الأشاعرة اليوم يسيرون عليها كما زعمه الريس في كتابه (٤). ثم نحن بحاجة إلى النظر في هذا المقتضب هل يتخالف مع ما في الابانة؟ لا أظن ذلك في شيء ذي بال.

وأما كتاب الابانة المنسوب للأشعري فلا يعلم ان احداً ذكره قبل

---

(١) الفتاوى ٢٢٨/٣ والجبّاني ابو علي محمد بن عبدالوهاب أحد أئمة المعتزلة توفي سنة ٣٠٣ هـ كما في الوفيات ٢٦٧/٤ وما بعدها وابن كلّاب هو عبدالله بن سعيد او محمد احد ائمة اهل السنة توفي بعد ٢٤٠ هـ كما في الطبقات للسبكي ٥١/٢ والساجي هو زكريا بن يحيى محدث البصرة في زمانه توفي سنة ٣٠٧ هـ كما في الاعلام ٤٧/٣

(٢) اتحاف السادة ٤/٢

(٣) ٢٤٩/١ وما بعدها

(٤) ص ٥٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيهقي في الاعتقاد(١) والبيهقي الاشعري متوفى سنة ٤٥٨ هـ.

وهذا الكتاب قد اضطرب فيه القول إن صحت نسبته للأشعري أهو آخر كتبه وعلى ذلك درج معظم متأخري الحنابلة ام هو أول المؤلفات وهو قول الكوثري ومن تابعه ولنا نحن وقفات عند هذا الكتاب:

١- اذا كان هذا الكتاب بهذه المثابة والشهرة فلماذا لم يذكره البغدادي الاستاذ المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في كتابه أصول الدين والذي اكثر من نقول التأويل فيه عن الأشعري .

٢- اذا كان هذا الكتاب فعلاً للأشعري وهو آخر مؤلفاته فلماذا لم يلتزم البيهقي بما فيه في كتابه الاعتقاد ونحا إلى التأويل في كثير من المسائل (٢) وفي تلك التي اثبتها نحا فيها إلى التفويض (٣).

٣- اذا كان هذا الكتاب للأشعري فأين اصحابه الذين تعصبوا لمذهبه الأول أليس فيهم من يعرض لهذا الكتاب لا مدحاً ولا قدحاً.

٤- اذا ثبت أن هذا الكتاب للأشعري فلماذا لم يرض عنه الحنابلة ورفض البربهاري كتاب الابانة منه (٤) وقد لاحقه الحنابلة حتى بعد موته إذ طمس قبره خوفاً عليه منهم ولولا السلطان لنبشوه (٥) وقد علل الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد صنيع الحنابلة بأمرين:

الأول: لأنه نشأ في أحضان المعتزلة ونشأته هذه لم تكن لتزيل عنه اوهامهم وشكوكهم .

الثاني: او لأنهم يمقتون مذاهب المتكلمين ولا يقبلون ان يلفظوا بعبارات من عباراتهم التي أحدثوها(٦).

وكيف يصح مثل هذا القول والرجل عندهم قد تاب ولجأ إلى مذهبهم لو كان كلامهم صحيحاً إن هذا التعليل في ظني لا يزيد العليل الا علة.

٥- لو رجعنا إلى الكتاب المسمى بمجرد مقالات الشيخ ابي الحسن الاشعري المنسوب لابن فورك لوجدنا تطابقاً في كثير من عناوين فهرسته وبين كتاب مقالات الاسلاميين وبين كتاب اللمع ولا نجد لكتاب الابانة ذكراً مطلقاً فيه.

٦- اذا صح أن هذا الكتاب به قد رجع الأشعري إلى مذهب الحنابلة وترك المعتزلة والمذهب الذي ينتسب اليه اليوم الاشاعرة قاطبة فبماذا نفسر العبارات التالية عن ابن تيمية:

---

(١) ص ٤٠

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر ص ٦٦

(٣) انظر ص ٢٩

(٤) انظر تعليق الكوثري على التبيين ص ٣٩٠-٣٩١ ومقدمة الابانة للدكتورة فوقية حسين ص ٣٥ وانظر ترجمة البربهاري في حاشية التبيين للكوثري ص ٣٩٢

(٥) جلاء العينين ص ٢١٣

(٦) مقدمة المقالات ص ٢٤/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- يقول الشيخ ابن تيميه فيما ينقله ان الاشعري الف في آخر عمره كتابا في تكافؤ الأدلة (١) فأين هذا الكتاب من الابانة؟.

ب - يقول عن الاشعري وابن كلاب: ان القران العربي لم يتكلم الله به وانما هو كلام جبريل أو غيره عبر به عن المعنى القائم بذات الله كما يقول ذلك ابن كلاب والاشعري (٢).

ج- ان ابن كلاب إمام الأشعرية اكثر مخالفة لجهم وأقرب إلى السلف من الاشعري نفسه (٣).

د - الاشعري وامثاله برزخ بين السلف والجهمية (٤)

مثل هذه العبارات وغيرها كثير في كتاب الفتاوى وغيره من كتب ابن تيمية كيف نفسرها؟

٦- ليعلم أن كتاب الابانة هذا طبع عدة طبعات غير محققة وأول من قام بتحقيقه الدكتورة فوقية حسين، وكانت آخر طبعات الكتاب تلك التي قدم لها الشيخ حماد الأنصاري وهي تلفيق (بشير عون) الذي قال عن الطبعات السابقة لكتابه ما نصه: والطبعات الثلاثة مليئة بالاخطاء والتصحيف الذي لم تنج منه الآيات والاحاديث وخاصة الطبعة الثالثة المحققة (يعني طبعة الدكتورة فوقية) كما انه لم تخل هذه الطبعات من سقط وان كان قليلاً ثم يقول: لقد تعذر الحصول على مخطوط للكتاب لذا تم تصحيحه على الطبعات الآنفة الذكر (٥) وان هذا التصحيح لمن أعاجيب التلفيق العلمي وكيف نسلم نحن بصحة هذا الكتاب المصحح على طبعات محرّفة، لا شك أن مثل هذا العمل غير أمين ولا يليق بصاحب علم ولا فضل ومن عجب احتفال الانصاري بتقديم مثل هذه الطبعة، وليس عندي من شك لو أن أشعرياً فعل بكتاب ما مثل ما فعل هؤلاء لأقيمت الدنيا عليه ولم تقعد .

٧- اذا جرينا نحن مع قول القائلين بصحة نسبة هذا الكتاب للأشعري فإن أحق كلام يمكن قبوله ما قاله الكوثري عن نسخة الهند المطبوعة انها نسخة محرفة تلاعبت بها الأيادي الاثيمة فتجب اعادة طبعها من أصل وثيق (٦).

فاذا ضممنا إلى هذا ما ذكر في البند السابق تبين ان هذا الكتاب ليس له طبعة يمكن الاعتماد عليها .

---

(١) الفتاوي ٢٨/٤

(٢) السابق ٥٨٣/١٢ مع ان هذا القول قد نفاه عن الاشعري في ٥٥٧/١٢

(٣) السابق ٢٠٢/١٢

(٤) السابق ٤٧١/١٢

(٥) من تقديم بشير عون للإبانة ص ٢٩

(٦) حواشي الكوثري على التبيين ص ٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- ونحب ان نضيف إلى ذلك أن الشيخ أبا زهرة قد اثبت ان هذا الكتاب للأشعري لكنه قال ان الاشعري تراجع عنه بما في اللمع (١) ويرى الدكتور حموده غرابه ان الابانة للأشعري لكنه كان في اول أمره وان كتاب اللمع هو الذي ينبغي اعتماده في تقرير مذهب الشيخ (٢) وبمثله قالت الدكتورة فوقية حسين في تحقيقها لكتاب الابانة (٣).

٩- اذا أدرج الحنابلة أبا الحسن الأشعري ضمن مذهبهم فما معنى أن يقوموا بترويج قصيدة نونية في العقائد منسوبة لرجل يدعى ابا عبدالله المالكي يقول فيها - الآن أهجو الأشعري وحزبه - ثم يصفهم بعد بأوصاف اليهود؟!! فاذا كان الاشعري حنبلي العقيدة فلماذا يفعلون به هذا الفعل وهل يصح في الدين هجاء المسلمين.

١٠- ونحب أخيراً ان نعرّج على مسألة واحدة في الابانة وهي نسبة الكفر والشرك لأبي حنيفة رضي الله عنه فقد جاء في الطبعة الهندية عن سفيان الثوري قال قال لي حماد بن أبي سليمان بلغ أبا حنيفة المشرك أني منه برىء قال سليم: ثم قال سفيان لأنه كان يقول القران مخلوق وجاء عن سفيان بن وكيع قال: سمعت عمر بن حماد بن ابي حنيفة قال اخبرني ابي قال: الكلام الذي استتاب فيه ابن ابي ليلى أبا حنيفة هو قوله القران مخلوق، قال فتاب منه وطاف به في الحلق... (٤)

وهذا الكلام موجود في الطبعة المصرية بحروفه (٥) وهو بحروفه في الطبعة الملفقة من الطبعات المحرفة والتي حفل بها طابعوها (٦) أما في طبعة الدكتورة فوقية حسين فإننا نجد في اصل الكتاب عبارة (وحاشى الامام الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه من هذا القول بل هو زور وباطل فإن ابا حنيفة من أفضل أهل السنة ونجد ايضا بعد ذلك في المتن قوله: وهذا كذب محض على أبي حنيفة رضي الله عنه)(٧).

فهل يعقل ان ينقل الاشعري هذا الكلام المكذوب على ابي حنيفة ولماذا نقله وهو يعلم أنه زور وباطل، ثم ماذا نقول للشيخ الانصاري بتقديمه لهذه الطبعة الملفقة ولماذا اغفلوا مثلاً هذه العبارات؟ ولعلك لو قارنت كثيراً لوجدت عجباً.

وبعد فان الذي ينثلج له الفؤاد أن كتاب الابانة بهذا الوضع الذي هو عليه لا تصح نسبته لأبي الحسن الأشعري ولا ينبغي اعتماده في تقرير مذهبه لا له ولا عليه والله الموفق.

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية ص ١٦٧

(٢) تقديم الدكتور غرابه لكتاب اللمع ص ٣-٩

(٣) انظر تقديمها للابانة ص ٧٨

(٤) انظر ص ٣٨ ضمن مجموعة الرسائل السبعة في العقائد ط ٣ الهند١٩٨٠

(٥) الطبعة المنتورة بادارة الطباعة المنيرية ص ٢٧-٢٨

(٦) ص ١٠٥-١٠٦ تقديم الانصاري

(٧) ص ٩٠-٩١ تحقيق د. فوقية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا علمت ذلك فاعلم ان ما نحاه ابن عاشور هو رأي الاشعري الذي لا امتراء فيه ولسنا بحاجة إلى اثبات ذلك بعد أن سار اغلب العلماء عليه وخلال الدرس العقدي لابن عاشور سنمر ببعض القضايا التي عرض لها ولا نستطيع ان نحوي كل القضايا المتعلقة بذلك هنا وانما نقتصر على بعض المهمات وسيشتمل الحديث في هذا المجال على المحاور التالية:

١- بين الاسلام والايمان.
٢- موقف ابن عاشور من الأسماء والصفات.
٣- بعض الملحوظات في الدرس العقدي عنده.

وسأحاول ما استطعت أن لا أتجاوز هذه القضايا لأن التفسير قد اشتمل على غيرها من القضايا الشهيرة كثيراً ولا يمكننا استيعابها هنا.

أولا - بين الاسلام والايمان.

عرض الشيخ للفرق بين الاسلام والايمان وكون الايمان يزيد وينقص في غير ما موضع من التفسير ولعل اوسع هذه المواضع ما كان في الجزء الاول وذلك عند تفسيره لقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)٨/البقرة حيث قال ... ونفي الايمان عنهم مع قولهم امنا دليل صريح على ان مسمى الايمان التصديق وأن النطق بما يدل على الإيمان قد يكون كذبا فلا يكون ذلك النطق ايمانا... وقد اختلفت علماء الأمة في ماهية الإيمان ما هو وتطرقوا أيضا إلى حقيقة الاسلام ونحن نجمع متناثر المنقول عنهم مع ما للمحققين من تحقيق مذاهبهم في جملة مختصرة. وقد أرجعنا متفرق أقوالهم في ذلك الى خمسة أقوال:

القول الاول: قول جمهور المحققين من علماء الامة قالوا ان الايمان هو التصديق لامسمى له غير ذلك وهو مسماه اللغوي فينبغي ان لا ينقل من معناه لان الأصل عدم النقل الا انه اطلق على تصديق خاص باشياء بينها الدين ..

القول الثاني: ان الايمان هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان بالشهادتين للاقرار بذلك الاعتقاد ونسبه إلى ابي حنيفة ونقل عن النووي نسبته إلى جمهور الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ونقل عن الفخر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نسبته إلى الاشعري وبشر المريسي (١) ونقل عن الخفاجي نسبته إلى محققي الاشاعرة وذكر ان ابن العربي اختاره.

ويرى ابن عاشور انه لا فرق بين القولين لان اصحاب كل قول نظروا الى جانب، فالاول نظر إلى جانب المفهوم والثاني نظر إلى جانب الاعتداد ولم يعتنوا بضبط عباراتهم حتى يرتفع الخلاف بينهم وان كان قد وقع الخلاف بينهم في أن الاقتصار على الاعتقاد هل هو منج فيما بين المرء وبين ربه او لا بد من الاقرار (٢).

القول الثالث: قول جمهور السلف من الصحابة والتابعين أن الايمان اعتقاد وقول وعمل ذلك أنهم لكمال حالهم ومجيئهم في فاتحة انبثاق انوار الدين لم يكونوا يفرضون في الايمان احوالا تقصر في الامتثال. وعزاه لطائفة من السلف وابن حزم من الظاهرية وقال وتمسك به اهل الحديث لأخذهم بظاهر الفاظ الأحاديث وبذلك أثبتوا الزيادة والنقص في الايمان بزيادة الاعمال ونقصها.

القول الرابع: قول الخوارج والمعتزلة ان الايمان اعتقاد ونطق وعمل وبين أنهم نحوا فيه منحى غير ما عند السلف وانهم أرادوا أن الايمان يتركب من مجموع الثلاثة بحيث اذا اختل واحد منها بطل الايمان وأخذ بعد ذلك في رد اقوالهم.

القول الخامس: قول الكرامية الايمان هو الاقرار باللسان اذا لم يخالف الاعتقاد القول فلا يشترط في مسمى الايمان شيء من المعرفة والتصديق، فاما اذا كان يعتقد خلاف مقاله بطل ايمانه وهذا يرجع إلى الاعتداد بايمان من نطق بالشهادتين وان لم يشغل عقله باعتقاد مدلولهما بل يكتفى منه بأنه لا يضمر خلاف مدلولهما، وهذه أحوال نادرة لا ينبغي الخوض فيها.

هذه هي جوامع اقوال الفرق الاسلامية في مسمى الايمان(٣).

وبعد ذلك قال الشيخ: وأنا أقول كلمة أربأ بها عن الانحياز إلى نصرة وهي ان اختلاف المسلمين في أول خطوات مسيرهم واول موقف من مواقف أنظارهم وقد مضت عليه الأيام بعد الأيام وتعاقبت الاقوام بعد الاقوام يعد نقصا علميا لا ينبغي البقاء عليه، ولا أعرفني بعد هذا اليوم ملتفتاً اليه .... ثم ذكر رأيه وحاول أن يجمع بين الاقوال الخمسة ليجعلها ثلاثة وكلها مطلوبة وحاصلها:

---

(١) هو بشر بن غياث المريسي من فقهاء المعتزلة وتنسب له الطائفة المريسية توفي سنة ٢١٩ هـ والمريسي بفتح الميم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبةالى مريس قرية بمصر وقيل إلى درب المريس ببغداد كما في الوفيات ١/٢٧٧-٢٧٨

(٢) قلت قد فصّل الباجوري هذا الامر في شرحه على الجوهره ولعل الشيخ لم ينظره ، انظر ص ٤٢ من شرح الجوهرة.

(٣) ١/٢٦٦-٢٧٠ بتصرف شديد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) الايمان والاسلام هما الأصلان اللذان تنبعث عنهما الخيرات وهما الحد الفاصل بين اهل الشقاء وأهل الخير حدّاً لا يقبل تفاوتا ولا تشككا ... ولا يدعي احد ان مفهوم الايمان هو مفهوم الاسلام، فيكابر لغة تتلى عليه كيف وقد فسره الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك الجالس عند ركبتيه (١).

فما الذين ادعوه الا قوم قد ضاقت عليهم العبارة فارادوا ان الاعتداد في هذا الذي لا يكون الا بالامرين وبذلك يتضح وجه الاكتفاء في كثير من مواد الكتاب والسنة بأحد اللفظين اهـ. وبهذا يجمع بين القول الاول والثاني.

(٢) ان حاصل معنى الايمان حصول الاعتقاد بما يجب اعتقاده، وحاصل معنى الاسلام إظهار المرء أنه أسلم لاتباع الدين ودعوة الرسول اهـ وبين بعد ذلك موقع الاعمال فخلص إلى ان لها المرتبة الثانية بعد الايمان والاسلام لانها مكملة المقصد لا ينازع في هذين - اعني كونها في الدرجة الثانية وكونها مقصودة الا مكابر اهـ. وهذا يصير مع الاول قولان .

(٣) وعرض إلى استحقاق الثواب والعقاب وأن المسلمين لا يخلو جلهم من معصية لانعدام العصمة، وذكر انه ينبغي التفريق بين مؤمن وقع بزلة المعصية وبين الكافر الذي لم يؤمن اصلا وبذلك يجمع بين القول الرابع والخامس اهـ(٢).

هذا هو حاصل ما ذكره الشيخ في تعريف الايمان والاسلام والفرق بينهما وهو لا يخلو من الجمع بين الاقوال المتخالفة ولكني أرى أن لابن حجر قولاً الخص من هذا وأغوص فقد قال عند حديث جبريل: والذي يظهر أن لكل منهما -الايمان والاسلام- حقيقة شرعية، كما أن لكل منهما حقيقة لغوية، لكن كل منهما مستلزم للآخر بمعنى التكميل له، فكما أن العامل لا يكون مسلماً كاملاً الا اذا اعتقد، فكذلك المعتقد لا يكون مؤمنا كاملا الا إذا عمل، وحيث يطلق الايمان في موضع الاسلام أو العكس، أو يطلق احدهما على ارادتهما معا فهو على سبيل المجاز ويتبين المراد بالسياق، فان وردا معا في مقام السؤال حملا على الحقيقة، وان لم يردا معا أو لم يكن في مقام سؤال أمكن الحمل على الحقيقة أو المجاز بحسب ما يظهر من القرائن. (٣)

وأما مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فيتحصل من مجموع ما ذكره الشيخ من تأويل قول السلف بأن الايمان يزيد وينقص إن ذلك إنما هو في عوارض الايمان لا في أصله وحقيقته (٤) .

---

(١) اشارةالى حديث جبريل المشهور في الايمان والاسلام والاحسان الذي رواه البخاري في الايمان حديث رقم ٥٠ باب ٣٧ انظر الفتح ١١٤/١

(٢) ٢٧٠/١ - ٢٧٣ بتصرف

(٣) الفتح ١١٥/١

(٤) انظر مثلا ١٦٩/٤ ، ٢٥٨/٩ ، ١٩٢/٨ ، ٣٠٦/٢١ ، ١٩٣/٢٢ ، ٣٠٦/٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذا مبني على ان الايمـان هو التصـديق وانه لا يتفـاوت وعليـه طـائفة كبيرة مـن اهل العلم(١)

وذهب النووي رحمه الله إلى أن التصديق يتفاوت فقال:

وقال المحققون من اصحابنا المتكلمين: نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقـص بزيادة ثمراته وهي الاعمـال ونقصانها قالوا وفي هـذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالـزيادة وأقـاويل السلـف وبين أصـل وضعـه في اللغـة ومـا عليـه المتكلمـون.

وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهرا حسنا فالاظهر والله أعلم ان نفـس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبهـة ولا يتزلـزل ايمـانهم بعـارض، بل لا تزال قلـوبهم منشـرحة نيرة وان اختلفـت عليهـم الاحوال وأمـا غيرهم من المؤلفة قلوبهم ومن قاربهم ونحوهم فليسـوا كذلك فهذا مما لا يمكن انكـاره، ولا يتشكـك عـاقل في ان نفـس تصـديق ابي بكر الصديق رضـي اللـه عنـه لا يساويه تصديق آحاد الناس...(٢)

ثانياً: باب الأسماء والصفات

اعلم أولاً أنني لا أزال غير مقتنع بأن كـل ما بحثه السابقـون تحـت هـذا العنوان أنه من الصفـات المراد بها ما يسمى بالنعـت في علم النحو وإنما أرى أن ذلـك هو من قبيل الاطلاقات المضـافة إلى اللـه تعالى، وأبني هـذا الكلام على كلام ابن الجوزي الحنبلي في هـذا الشـأن حيث عدّها كذلك فقال عليه الرحمة راداً على الحنابلة في ذلك: انهم سمّوا الاخبار أخبار صفات وإنما هي اضافات وليس كل مضاف صفة فانه قال تعالى (ونفخت فيـه من روحي)٢٩/الحجر وليس لله صفة تسمى روحاً فقد ابتدع من سمى المضاف صفة (٣).

واعلم ثانياً: ان البحث في هذا الموضوع يعد بحثاً في مفصّل الاعتقـاد لا في مجمله. وما دام كـذلك فهـو حري ان لا يثير خلافـاً بين

---

(١) انظر الانصاف للباقلاني ص ٢٢، ٥٥ وما بعدها في تفصيل حسن وانظر شرح الطحاوية للغنيمي الميداني ص ١١٩ وانظر غاية المرام ٣٠٩ وما بعدها وانظر الارشاد للجويني ص ٣٩٦ وما بعدها والعقيدة النظامية ص ٨٥ وما بعدها وانظر النبراس في شرح شرح النسفية ص ٢٤٩ وما بعدها وانظر اصول الدين للرازي ص ١٢٧ وما بعدها.

(٢) المنهاج ١٤٨/١ - ١٤٩

(٣) دفع شبهة التشبيه ص ٣٤ واعلم اني لا أعلم احداً من أهل العلم جعل لله صفة (الروح) الا الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه الفتح الرباني والفيض الرحماني ص ١٥٧ وقد أغرب فيه حيث جعل كل ما اطلقه الله على نفسه بأنه صفة حتى جعل من صفاته انه يأخذ الصدقات لقوله تعالى (هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات)١٠٤/التوبة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلمين فضلا عن ان يستمر الخلاف إلى اليوم، والظاهر والله أعلم أنه كان الأمر على ذلك حتى حدثت فتنة القشيري ببغداد وكان سببها تعصبه للأشعري وغضب الحنابلة عليه، فقتل لذلك جماعة من الفريقين(١) وبعد ذلك استطار أمد الخلاف بين الأشعرية والحنبلية. حتى جاء ابن تيمية فعلا اثر الخلاف عاليا وازدادت المعارك الكلامية ازدياداً بسبب محاولته اظهار أن مذهب غلاة الحنابلة هو مذهب السلف وان غيره ضلال وبدعة. وصار التضليل والتفسيق بل وربما التكفير هو لسان كثير من المتعصبين لكلتا الطائفتين ولا حول ولا قوة الا بالله.

ثالثا: واعلم ان الاشاعرة حين يقولون بأن الاسماء والصفات هي من المتشابه لا يعنون بذلك ان يصبح حال القارىء لكتاب الله حال الأعجمي اذا قرئت عليه العربية كمازعمه السيد عبدالله الريس في رده على ابن عاشور(٢).

فان الاشاعرة لا يقولون ان المتشابه لا يدري معناه ولا يعلمه الا الله (٣) كيف وقد نقل الشنقيطي عن النووي قوله: وقد اتفق اصحابنا وغيرهم من المحققين على أنه يستحيل ان يتكلم الله تعالى بما لا يفيد(٤) وعلى هذا فمراد الاشاعرة من هذا القسم أنه يحتاج في تفسيره الى كد وروية وقدح ذهن أكثر من غيره.

رابعاً: انا حينما نقول ان مذهب السلف هو التفويض لا نقول ذلك ونعني به أنهم كانوا جاهلين بذلك كما زعمه ابن القيم وان التفويض هو التجهيل كما يسميه(٥).

وانما نقول ذلك جريا على ان السلف كانوا لا يتحدثون كثيرا عن هذا الموضوع ويقيننا أنهم فهموه على مقتضى ما تمليه العربية ففسروا ذلك وأحالوا في معناه إلى علم الله او بعبارة اخرى التفويض جعل الامر كله لله او التوقف في مثل هذه الآيات وما في معناها من الاحاديث الصحيحة بحيث لا تفسر بالظاهر ولا بغير الظاهر مع تنزيه الله تعالى عن النقائص(٦).

خامساً: هل يمثل الشيخ ابن تيمية رأي السلف؟ لا بد من وقفة لا تتجاوز السطور حول ذلك لأنني رأيت السيد الريّس في بحثه عن ابن عاشور يسوق الصفحات من كتب ابن تيمية وابن القيم رداً على ابن عاشور وليس هذا منهج الريس وحده بل هو منهج كل الحنابلة اليوم لا تكاد تستثني منهم احداً.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٢٠٨

(٢) ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ٥١٢

(٣) انظر تفصيل المسألة في كتاب استحالة المعية بالذات من ص ٦٠-٧٦

(٤) السابق ص ٦٧

(٥) انظر ابن عاشور ومنهجه في التفسير ص ٥٢٨ نقلا عن الصواعق.

(٦) ابن كثير ومنهجه في التفسير ص ١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا نريد ان نطنب في الجواب عن ذلك ولكنني اقول إنني لا أرى أن ابن تيمية يمثل وجهة نظر السلف وإنما يمثل وجهة نظر الحنابلة الغلاة ولكن بعلم وحجة قويين اكثر من غيره، ولقد اكثر عليه الرحمة من وصف ما يخالف مذهبه ومَنْ قبله مثل ابن خزيمة بأنه على ضلال وبدعة ولا يحوجنا ذلك إلى التدليل فصفحات كتاب الفتاوى ملآى بذلك ولنا على هذا الكلام ما يلي:

١) لو صح أن رأي الاشعرية ضلال لانه يتخالف مع منهج ابن تيمية فكيف نفسر جنوح ابن كثير إلى رأي الاشعرية لو كان ذلك ضلالاً يقول ابن حجر في الدرر الكامنة في ترجمة ابراهيم بن محمد برهان الدين ابن ابن القيم: وقد وقع بينه وبين ابن كثير في بعض المحافل فقال له ابن كثير: أنت تكرهني لأني أشعري فقال له: لو كان من رأسك الى قدمك شعر ما صدقك الناس أنك أشعري وشيخك ابن تيمية (١) وان تعجب فعجب ان تسجل رسالة جامعة باسم ابن كثير السلفي. وقد ذكر الدكتور اسماعيل عبد العال في بحثه القيم عن ابن كثير ومنهجه في التفسير أن منهج ابن كثير يختلف عن منهج شيخه ابن تيميه اذ قد جنح ابن كثير إلى التأويل والتفويض في الاسماء والصفات على نحو ما هو مذكور في تفسيره (٢).

٢) ولو صح ما ينقله ابن تيمية عن ابن خزيمة وأن رأيه في كتابه المسمى بالتوحيد هو الحق وأن ما عداه هو الضلال فكيف نفسر صنيع ابن حبان في اوائل صحيحه حيث عقد فصلاً في تأويل احاديث الصفات وابن حبان تلميذ لابن خزيمة.

٣) قد قرر الامام ابن الجوزي الحنبلي في كتابه دفع شبهة التشبيه مذهب السلف والامام احمد على غير وفاق مع ما يقرره ابن تيمية ومعلوم ان ابن الجوزي متوفى سنة ٥٩٧ هـ واما ابن تيمية فمتوفى سنة ٧٢٨ هـ وهذا يعني ان ابن الجوزي اقرب إلى مذهب احمد بن حنبل بنحو ١٣١ عاماً.

٤) ان المذهب الذي مال اليه ابن تيمية ودافع عنه مبني على انكاره للمجاز في اللغة والقرآن فاذا علمت ان هذا الانكار حقيق بالانكار علمت عدم صحة ما ابتني على اصل المسألة .

٥) لو صح ان مذهب ابن تيمية هو الحق وان ما عداه هو الضلال المبين فإننا سنقول في اطمئنان شديد إن معظم علماء الامة ضالون وحاشاهم .

٦) لو صح ان السلف لم يؤثر عنهم التأويل كما يقول ابن تيمية لوجب ان نقول ان تفسير الطبري محشو بالبدع الخارجة على رأي السلف لانه ذكر مثل هذه التأويلات وعزاها إلى اصحابها السلفيين. وإن كان احيانا يختار التفويض كما ستعلم . ولا نظن احداً طعن في هذا التفسير من هذا الجانب بل لقد امتدح ابن تيمية كتاب ابن جرير وعده اصح

---

(١) الدرر الكامنة ٥٨/١ وانظر الدارس في تاريخ المدارس حيث ذكر ذلك ايضا ٨٩/٢

(٢) ابن كثير ومنهجه في التفسير ص ١٠٣ - ١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفاسير وليس فيه بدعة (١).

٧) وأخيراً ذكر ابن تيمية عن الغزالي قوله: وهذا ابو حامد الغزالي مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة، وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف، ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة، ويميل في اخر امره إلى طريقة اهل الكشف وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة اهل الحديث وصنف إلجام العوام عن علم الكلام (٢).

وهذا الامتداح منه لكتاب الغزالي يدل على أنه صنفه على طريقة اهل الحديث كما هو ظاهر ونحن نوافق الشيخ على ان هذا الكتاب كذلك فهل يرضى بالفعل عن هذا الكتاب الذي سلك الغزالي فيه مسلك التأويل في الاسماء والصفات (٣). وان دل هذا الكلام على شيء فإنما يدل على اضطراب ابن تيمية في هذا الجانب ومحاولته الصاق ائمة الاشاعرة بمذهبه.

وبعد فان الذي يطمئن اليه النظر والفكر ان ابن تيمية لا يمثل وجهة نظر السلف (٤) ولا غرابة في ان اقول انه يجب اليوم اعادة النظر في المنهج العقدي الذي له ولمتابعيه.

وقد نحا ابن عاشور في هذا الجانب منحى الاشاعرة فأوّل ما اوّلوا واثبت ما اثبتوا اللهم الا صفتي السمع والبصر حيث نحا فيهما إلى منحى المعتزلة كما ستعرف وسوف نتحدث عن هذا المبحث عند الشيخ من خلال :

١) الاشارة إلى مواضع من اثبات الصفات السبع المشهور.

٢) تأويل بعض الصفات وسنختار اليد والوجه، والساق، والفوقية والاستواء.

٣) الكلام.

اولاً: الصفات السبع.

والصفات السبع عند الاشاعرة تسمى صفات المعاني وهي العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام .

ولكننا لا بد أن نشير إلى أن الأصل الأصيل في الصفات وما يسند الى الله تعالى ينبغي ان يضمن تحت قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)١١/الشورى.

فقال الشيخ في تفسير هذه الآية ما يعدّ اصلاً للانطلاق في هذا المبحث فقال: واعلم أن هذه الآية نفت ان يكون شيء من الموجودات مثلاً لله تعالى: والمثل يحمل عند اطلاقه على اكمل افراده، قال فخر الدين (المثلان: هما اللذان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقته وماهيته)اهـ. فلا يسمى مثلا حقا الا المماثل في الحقيقة والماهية وأجزائها ولوازمها دون العوارض: فالآية نفت أن يكون شيء من الموجودات

---

(١) دقائق التفسير ٨٥/١

(٢) الفتاوى ٧٢/٤

(٣) انظر ص ٥٣ وما بعدها من الكتاب المذكور

(٤) راجع ايضا ابن تيمية ليس سلفيا ص ٢ لمنصور محمد عويس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مماثلا لله تعالى في صفات ذاته لان ذات الله تعالى لا يماثلها ذوات المخلوقات، ويلزم من ذلك أن كل ما ثبت للمخلوقات في محسوس ذواتها فهو منتف عن ذات الله تعالى. وبذلك كانت هذه الآية اصلاً في تنزيه الله تعالى عن الجوارح والحواس والاعضاء عند أهل التأويل. والذين اثبتوا لله تعالى ما ورد في القران ممانسميه بالمتشابه فإنما اثبتوه مع التنزيه عن ظاهره اذ لا خلاف في إعمال قوله (ليس كمثله شيء) وأنه لا شبيه له ولا نظير له.

واذ قد اتفقنا على هذا الأصل لم يبق خلاف في تأويل النصوص الموهمة التشبيه،الا أن تأويل سلفنا كان تأويلاً جمليا وتأويل خلفهم كان تأويلا تفصيليا كتأويلهم اليد بالقدرة والعين بالعلم. وبسط اليد بالجود، والوجه بالذات والنزول بتمثيل حال الاجابة والقبول بحال نزول المرتفع من مكانه إلى حيث يكون سائلوه لينيلهم ما سألوه . ولهذا قالوا: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف اعلم. (١)

وقد ذكر الشيخ فيما يتعلق فيما يجري على اسمه تعالى من الصفات والأحكام وما يسند اليه من الافعال في الكتاب والسنةأنه ينقسم أربعة اقسام:

القسم الأول: قسم اتصف الله به على الحقيقة كالوجود والحياة لكن بما يخالف المتعارف فينا .

القسم الثاني: قسم اتصف الله بلازم مدلوله وشاع ذلك حتى صار المتبادر من المعنى المناسب دون الملزومات مثل الرحمة والغضب والرضا والمحبة.

القسم الثالث: قسم متشابه وتأويله ظاهر.

القسم الرابع: قسم متشابه شديد التشابه (٢)

واذ قد كانت الصفات من المتشابه فقد عرض الشيخ لتأويلها واختلاف العلماء في ذلك وذكر كلاماً حسنا وعرض إلى توضيح ما يقال حول طريقة السلف والخلف فقال:

وعلى الاختلاف في محمل العطف في قوله تعالى (والراسخون في العلم)٧/آل عمران.

انبنى اختلاف بين علماء الامة في تأويل ما كان متشابها من آيات القران، ومن صحاح الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فكان رأي فريق منهم الايمان بها، على ايهامها واجمالها، وتفويض العلم بكنه المراد منها إلى الله تعالى، وهذه طريقة سلف علمائنا (٣) قبل ظهور شكوك الملحدين أو المتعلمين، وذلك في عصر الصحابة والتابعين وبعض عصر تابعيهم، ويعبر عنها بطريقة السلف. ويقولون طريقة

---

(١) ٢٥/٤٧ - ٤٨

(٢) ٢/٢٨٥ وما بعدها.

(٣) لا ريب ان ذلك كذلك ولكن الحنابلة لا يرون ذلك صحيحاً اذ إن لهم رأيا في تعريف السلف لا ينطبق على هذا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلف أسلم، أي اشد سلامة لهم من ان يتأولوا تأويلات لا يُدرى مدى ما تفضي اليه من أمور لا تليق بجلال الله تعالى ولا تتسق مع ما شرعه للناس من الشرائع، مع ما رأوا من اقتناع أهل عصرهم بطريقتهم، وانصرافهم عن التعمق في طلب التأويل.

وكان رأي جمهور من جاء بعد عصر السلف تأويلها بمعان من طرائق استعمال الكلام العربي البليغ من مجاز، واستعارة، وتمثيل، مع وجود الداعي إلى التأويل، وهو تعطش العلماء الذين اعتادوا التفكر والنظر وفهم الجمع بين ادلة القران والسنة، ويعبر عن هذه الطريقة بطريقة الخلف ويقولون طريقة الخلف أعلم. أي انسب بقواعد العلم وأقوى في تحصيل العلم القاطع لجدال الملحدين، والمقنع لمن يتطلبون الحقائق من المتعلمين.وقد يصفونها بأنها أحكم أي أشد احكاما، لانها تقنع اصحاب الاغراض كلهم. وقد وقع هذان الوصفان في كلام المفسرين وعلماء الأصول، ولم أقف على أول من صدرا عنه، وقد تعرض الشيخ ابن تيمية في العقيدة الحموية إلى رد هذين الوصفين ولم ينسبهما إلى قائل، والموصوف بأسلم وبأعلم الطريقة لا أهلها، فإن اهل الطريقتين من أئمة العلم، وممن سلموا في دينهم من الفتن.

وليس في وصف هذه الطريقة بأنها أعلم أو احكم. غضاضة من الطريقة الأولى، لأن العصور الذين درجوا على الطريقة الاولى. فيهم من لا تخفى عليهم محاملها بسبب ذوقهم العربي، وهديهم النبوي، وفيهم من لا يعير البحث عنها جانبا من همته، مثل سائر العامة. فلا جرم كان طي البحث عن تفصيلها أسلم للعموم، وكان تفصيلها بعد ذلك أعلم لمن جاء بعدهم، بحيث لو لم يؤولوها به لأوسعوا، للمتطلعين إلى بيانها، مجالا للشك أو الالحاد. أو ضيق الصدر في الاعتقاد (١).

وانما اطلت في نقل هذا النقل لانني رأيته كلاماً في غاية الحسن وإن ابى الحنابلة اليوم قبوله (٢).

والى بعض النماذج من مختلف تقسيمات هذه الصفات:

أولاً: صفة الحياة

قال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (هو الحي لا اله الا هو)٦٥/غافر.

والحياة (مع ما عرض من عسر في تعريفها عند الحكماء والمتكلمين) هي صفة وجودية تصحح لمن قامت به الادراك والعقل. فان كان اتصاف موصوفها بها مسبوقاً بعدم فهي حياة ممكنة عارضة مثل حياة الملائكة وحياة الأرواح وحياة الانسان وحياة الحيوان وحياة الاساريع (٣) فتكون متفاوتة في موصوفاتها بتفاوت قوتها فيها ومتفاوتة في موصوفها الواحد بتفاوت أزمانها مثل حياة الشخص الواحد في وقت شبابه، وحياته في وقت

---

(١) ١٦٦/٣ - ١٦٧

(٢) انظر ابن عاشور ومنهجه في التفسير ٥٢٧-٥٣٨

(٣) لا ادري ما المراد بها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـرمه، ومثل حياة الشخص وقت نشاطه، وحياته وقت نومه، وبذلـك التفاوت تصير إلى الخفـوت ثم إلى الـزوال ويظهر أثر تفـاوتها في تفـاوت آثارها مـن الإدراك والارادة والفعـل.

وان كان اتصاف موصوفها بها أزليا غير مسبوق بعدم فهي حيـاة واجب الوجود سبحانه وهي حياة واجبة ذاتية. وهي الحياة الحقيقية لانها غير معرضة للنقـص ولا للزوال، فلذلك كان الحـي حقيقة هو الله تعالى كما انبـأت عنه صيغة الحصر في قولـه (هو الحي) وهو قصد ادعائي لعـدم الاعتـداد بحيـاة مـا سـواه مـن الاحيـاء لانهـا عـارضة ومعـرضة للفنـاء والـزوال (١).

واثبـات هـذه الصفة لا أعلم أنه وقـع فيـه خلاف بين احد ممـن انتمـى الى الاسلام على اختلاف بينهم في طرائق اثباتها (٢).

ثانياً: السمع والبصر

نحا ابن عاشور في اثبات هاتين الصفتين مذهباً خالف فيه جمهـو ر الاشاعرة بجعل السمع والبصر مدرجين تحت صفة العلم.

ففسـر السمـع مثلاً بالعلم في مـواطن متعددة منها في (١٣٧/٤) ،(٢٢٨/١٦) (٢٦٣/٢٥) (٩/٢٨) وغيرها .

وفسر البصر كذلك في بعض المواطن منها (٦١٩/١) ، (١٤٨/٣).

ولكنـه قال في تفسيره لقوله تعالى (والله يسمع تحاوركما) الاية الاولى مـن المجادلة قال والسمـاع في قوله (والله يسمع تحاوركما) مستعمل في معناه الحقيقـي المناسب لصفات الله إذ لا صـارف يصـرفه عن الحقيقة وكون اللـه تعالى عالما بما جرى مـن المحـاورة معلوم لايراد من الاخبـار به إفـادة الحكـم ، فتعين صـرف الخبر إلى ارادة الاعتنـاء بذلـك التحـاور... (٣).

فان هذا يلوح منه التناقض فيما يبدو لي حيث اثبت السماع وجعله علماً في آخر الأمر وعلى العمـوم لنستمـع إلى ما ذكـره الشيخ عند تفسيره لقوله تعـالى (ليـس كمثله شيء وهو السميـع البصير)١١/الشـورى حيث قـال: ولمـا أفاد قوله (ليس كمثلـه شـيء) صفات السلوب أعقـب باثبـات صفة العلم لله تعـالى (وهـي من الصفات المعنوية) وذلـك بوصفـه بـ (السميـع البصير) الـدالين على تعلـق علمه بالمـوجودات من المسموعات والمبصـرات تنبيهـاً على ان نفي ممـــاثلة الأشيـــاء للـــه تعـــالى لا يتـــوهـــم منـــه ان اللـــه

---

(١) ١٩٢/٢٤ وانظر ٣١٢/١٦

(٢) انظر بخصوص ذلك على سبيل المثال لا الحصر: الحصون الحميدية للجسر ص ٢٢ وانظر لباب العقول للمكلاتي ص ٢٠٥ وشـرح الباجوري على الجوهرة ص ٧٠ والاسماء والصفات للبيهقـي ١٩٠/١ وكبرى اليقينيات ص ١٠٧ وانظر النشر الطيب للشريف الوزاني ٥٢٥/١ وما بعدها وانظر العقيدة النظامية ص ٢٤

(٣) ٩/٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منزه عن الاتصاف بما اتصفت به المخلوقات من اوصاف الكمال المعنوية كالحياة والعلم. ولكن صفات المخلوقات لا تشبه صفاته تعالى في كمالها لانها في المخلوقات عارضة، وهي واجبة لله تعالى في منتهى الكمال، فكونه تعالى سميعاً وبصيراً من جملة الصفات الداخلة تحت ظلال التأويل بالحمل على عموم قوله تعالى (ليس كمثله شيء) فلم يقتضيا جارحتين (١).

فهذا النص صريح في جعل السمع والبصر من متعلقات العلم.

وجاء في حاشية عبد الحكيم على حاشية الخيالي على النسفية ان جمهور الأشاعرة والمعتزلة والكرامية يثبتون السمع والبصر كصفتين مغايرتين للعلم وان كان هذا المذهب ليس بلازم على رأي الشيخ أبي الحسن (٢).

وجاء في جامع التقارير على حاشية عبد الحكيم نسبة هذا المذهب القاضي باثبات السمع والبصر منفصلين عن العلم نسبته إلى جمهور الاشاعرة خلافاً للشيخ أبي الحسن (٣).

وفي حاشية اسماعيل الكلنبوي على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية نسبة ما نحاه ابن عاشور إلى الفلاسفة والكعبي وابي الحسن البصري من المعتزلة (٤).

وفي حاشية المولى المرجاني على حاشية الكلنبوي نسبة ذلك الذي نحاه ابن عاشور إلى الشيخ ابي الحسن الاشعري (٥) وفي اللمع اثبات السمع والبصر (٦) وفي مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن المنسوب لابن فورك اثبات السمع والبصر صفتين (٧)

وقد نسب السيد عبدالله الريس في بحثه عن تفسير ابن عاشور نسب ما نحاه ابن عاشور إلى المعتزلة نقلاً عن شرح الاصول الخمسة (٨).

غير أن الدكتور علي المغربي نقل عن الكتاب نص القاضي وهو (فعند شيوخنا البصريين أن الله تعالى سميع بصير مدرك للمدركات، وأن كونه مدركاً صفة زائدة على كونه حياً، أما عند شيوخنا البغداديين هو أنه تعالى مدرك للمدركات على معنى انه عالم بها وليس له بكونه مدركا صفة

---

(١) ٤٨/٢٥ وقوله ان صفة العلم من الصفات المعنوية خلاف المشهور انما المعنوية كون الله عالماً والصفة من صفات المعاني.

(٢) ٢٥٣/١ ضمن مجموعة الحواشي البهية ولعله يريد ان العلم غير السمع والبصر لأن المعتزلة لا يثبتون الصفات.

(٣) جامع التقارير لمجموعة من العلماء ٢٥٣/١ ضمن مجموعة الحواشي البهية.

(٤) ١١٣/٢ وانظر القول السديد في علم التوحيد ١٢٥/٢-١٢٦

(٥) ١١٤/٢

(٦) ص ٢٥ وانظر ص ٣١

(٧) انظر مجرد المقالات ص ٤٤

(٨) ابن عاشور ومنهجه في التفسير ٥٤٥ واحال في الكتاب المذكور إلى ص ١٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زائدة على كونه حيا (١).

وبعد فان الذي نحا اليه ابن عاشور لا نراه والأسلم في هاتين الصفتين أن نعتقد أن الله تعالى متصف بهما حيث وصف نفسه بهما، وأن الانكشاف الحاصل بهما لا يماثل الانكشاف الحاصل لنا بسمعنا وبصرنا من حيث كونه بحاسة ومن حيث كونه أجلى من الانكشاف بالعلم. فان ذلك كمال في حقه تعالى، أما حقيقة الانكشاف الحاصل بهما والمنكشف بهما فأمره مفوض إلى الله تعالى (٢). وهذا نموذج من حديث الشيخ على بعضٍ من صفات المعاني.

ولننتقل إلى طائفة اخرى غير هذه.

ثالثاً: الألفاظ المضافة إلى الله عز وجل.

اعلم انه لا أحسن من قول ابن الجوزي رداً على بعض غلاة الحنابلة في هذا الشأن فإنه الف تاليفا ابدع فيه وأجاد وقال فيه: ورأيتهم نزلوا الى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام على صورته (٣) فأثبتوا له صورة ووجها زائداً على الذات وعينين وفما ولهوات وأضراساً وأضواء لوجهه هي السبحات ويدين واصابع وكفا وخنصرا وابهاماً وصدراً وفخذا وساقين ورجلين، وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس، وقالوا يجوز أن يمس ويمس ويدني العبد من ذاته، وقال بعضهم ويتنفس، ثم انهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل (٤).

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ولا إلى الغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث.

ولم يقتنعوا بأن يقولوا (صفة فعل) حتى قالوا (صفة ذات). ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة مثل (يد) على نعمة وقدرة ولا (مجيء واتيان) على معنى بر ولطف ولا (ساق) على شدة، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود في نعوت الأدميين والشيء انما يحمل على حقيقته اذا أمكن فان صرف صارف حمل

---

(١) الفرق الكلامية الاسلامية ص ٢٢٢ وأحال إلى نفس الموضع الذي احال اليه الريس وانظر مقالات الاسلاميين ٢٥٣/١ وما بعدها وانظر كذلك المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ص ١٣٥ ففيه تقريبا ماذكره الدكتور المغربي عن الاصول الخمسة.

(٢) انظر القول السديد في علم التوحيد لابي دقيقه ١٢٦/٢

(٣) جزء من حديث رواه البخاري في غير ما موضع منها في اول كتاب الاستئذان حديث رقم ٦٢٢٧ انظر الفتح ٣/١١

(٤) يكفي لتصديق بعض من ذلك النظر في كتاب قطف الثمر في عقيدة اهل الاثر لصديق حسن خان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على المجاز، ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من اضافته اليهم ويقولون نحن أهل السنة.

وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلق من العوام. وقد نصحت التابع والمتبوع.فقلت لهم يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع وإمامكم الاكبر احمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول وهو تحت السياط كيف أقول ما لم يقل. فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه ثم أخذ يرد عليهم (١).

وهذا كلام في غاية الدقة لا لأنني ارتضيه وإنما لانه يمثل الواقع أصدق تمثيل.

والى بعض هذه الاضافات أو الاطلاقات المضافة إلى الله تعالى ونحب أن ننبه أولاً إلى أننا لن نستقصي كل المواضع التي ذكرت فيها هذه الاطلاقات وإنما نحاول ان نحصر الحديث عند اشهر المواضع التي ذكرها المتقدمون :

أولاً: إضافة اليد إلى الله تعالى.

وردت في عدة مواضع واشهر مواضع الحديث عنها ثلاثة:

قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)٦٤/المائدة.

وقوله تعالى (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ) ٧٥/ص.

وقوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم)١٠/الفتح.

فقال الشيخ عند الموضع الاول: وبسط اليدين تمثيل للعطاء. وهو يتضمن تشبيه الإنعام باشياء تعطى باليدين. وذكر اليد هنا بطريقة التثنية لزيادة المبالغة في الجود والا فاليد في حال الاستعارة للجود أو للبخل لا يقصد منها مفرد ولا عدد. فالتثنية مستعملة في مطلق التكرير كقوله تعالى (ثم ارجع البصر كرتين)٤/الملك، وقولهم(لبيك وسعديك). وقال الشاعر (انشده في الكشاف ولم يعزه هو ولا شارحوه).

جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده (٢)

وقال عند الموضع الثاني: وحكي هنا أن الله قال له(لما خلقت بيديّ) . أي خلقته بقدرتي، أي خلقاً خاصاً دفعة ومباشرة لأمر التكوين، فكان تعلق هذا التكوين تعلقا أقرب من تعلقه بايجاد الموجودات المرتبة لها اسباب تباشرها من حمل وولادة كما هو المعروف في تخلق الموجودات عن اصولها. ولا شك في أن خلق آدم فيه عناية زائدة وتشريف اتصال أقرب. فاليدان تمثيل لتكوّن آدم من مجرد أمر التكوين

---

(١) دفع شبه التشبيه تحقيق الكوثري ص ٣١-٣٣

(٢) ٢٥٠/٦ والشاهد في الكشاف ٦٢٧/١ ولابن المنير كلام حسن عند هذا الموضع فلينظر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للطين بهيئة صنع الفخاري للاناء من طين اذ يسويه بيديه.

وكان السلف يقرون أن اليدين صفة خاصة لله تعالى لورودهما في القران مع جزمهم بتنزيه الله عن مشابهة المخلوقات وعن الجسمية وقصدهم الحذر من تحكيم الآراء في صفات الله، أو أن تحمل العقول القاصرة صفات الله على ما تعارفته (١).

وقال عند الموضع الثالث بعد أن بين أن القصر ادعائي في الآية. وانتقل من هذا الادعاء إلى تخيل أن الله تعالى يبايعه المبايعون فأثبت له اليد التي هي من روادف المبايَع (بالفتح) على التخييلية مثل اثبات الأظفار للمنية. وقد هيأت صيغة المبايعة لأن تذكر بعدها الأيدي لان المبايعة يقارنها وضع المبايع يده في يد المبايع (بالفتح) كما قال كعب بن زهير:

حتى وضعت يميني لا انازعه في كف ذي يسرات قيله القيل

ومما زاد هذا التخييل حسنا ما فيه من المشاكلة بين يد الله وأيديهم كما قال في المفتاح والمشاكلة من المحسنات البديعية والله منزه عن اليد وسمات المحدثات ... (٢).

قلت: وموضوع هذه اللفظة وغيرها مما تداولته الاقلام فنسب غير واحد من أهل العلم إلى الأشعري أنها صفة لله تعالى ثابتة وغير القدرة كما نص على ذلك القاضي عضد الدين الايجي في المواقف ووافقه السيد في هذه النسبة (٣) ونقل الشيخ محمود خطاب السبكي عن عماد الدين الكندي في تفسيره الكفيل بمعاني التنزيل نقل قوله عن الأشعري :... وهنا قول آخر وهو أن ابا الحسن الأشعري رحمه الله تعالى زعم أن اليد صفة قائمة بذات الله تعالى وهي صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال: والذي يدل عليه أنه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيده علة لكرامة آدم واصطفائه فلو كانت اليد عبارة عن القدرة لامتنع أن يكون عليه السلام مصطفى لان ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من صفة اخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء(٤)، هذا هو رأي امام المذهب أحببت أن أقدمه بين يدي البحث.

ونحن نقول أولاً ان السبب الذي جعل العلماء يختلفون في مثل هذه الاضافات او الاطلاقات هو إخراج اللفظة القرانية من سياقها وجعلها محوراً للحديث، وأنا لا أشك في أنه لو روعي في هذه الالفاظ جميعها أن لها أسيقة معينة وتتحدث عن قضايا معينة من خلال ما جاءت فيه إنه لو روعي ذلك لقضى على الخلاف الدائر بين المسلمين والذي لا زال يسبب الضغائن والأحقاد والفرقة بين افراد كثيرين منهم، والأمل معقود في أن ينهض أحد الأجلّة الفضلاء ذوي الغيرة على دينهم لمثل هذا الموضوع

---

(١) ٢٣/٣٠٢ - ٣٠٣

(٢) ٢٦/١٥٨ والشاهد

(٣) شرح السيد الجرجاني على المواقف ص ٥٠١

(٤) انظر النص في كتاب اتحاف الكائنات ص ١٠٩-١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيدرسه من هذه الزاوية فلعله إن لم يرفع الخلاف أن يضيقه، وأرى أن الاستاذ الدكتور فضل عباس خير من يقوم بهذه المهمة فأرجو أن تكون الدعوة هذه موجهة اليه شخصياً وأملي بالله أن يجيب هذا الطلب وما هو من همته بعزيز.

وقبل ان نعود إلى الآيات الكريمة نحب أن نلفت النظر إلى أن العلماء اختلفوا في تفسير هذا اللفظ بعد أن أخرجوه من أسيقته التي جاء فيها على أقوال وقد جمع الشيخان محمود خطاب السبكي ومحمد الخضر الشنقيطي في كتابيهما في هذا الشأن جمعا أطراف الحديث ونقلا كثيرا من اقوال الائمة في ذلك (١).

ونحا الباقلاني في كتابيه التمهيد (٢) والانصاف (٣) إلى اثبات هذه الاطلاقات والاضافات على أنها صفات لله تعالى مع تفويض علم معانيها إلى الباري دون خوض في ذلك.

ونحا الجويني في كتابه الارشاد إلى التأويل فقال: ذهب بعض ائمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى اثباتها السمع دون قضية العقل. والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العينين على البصر وحمل الوجه على الوجود ومن اثبت هذه الصفات السمعية وصار إلى أنها زائدة على ما دلت عليه دلالات العقول، استدل بقوله تعالى في توبيخ ابليس اذ امتنع عن السجود فقال (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيديّ؟). قالوا: ولا وجه لحمل اليدين على القدرة اذ جملة المبدعات مخترعة لله تعالى بالقدرة، ففي الحمل على ذلك ابطال فائدة التخصيص، وهذا غير سديد. فان العقول قضت بأن الخلق لا يقع الا بالقدرة، او بكون القادر قادرا، فلا وجه لاعتقاد وقوع خلق آدم عليه السلام بغير القدرة. ومما يوضح ما قلناه، ان ادم صلوات الله عليه ما استحق أن يسجد له لما خصص به من الخلق باليدين، وذلك متفق عليه مقضي به في موجب العقل، وانما لزم السجود اتباعا لامر الله، فإذاً وجب على كل محقق القطع بان آدم عليه السلام لم يُسجد له لانه خلق باليدين، وظاهر الآية يقتضي اقتضاء السجود لاختصاص آدم بما تضمنته الآية، فالظاهر متروك إذا والعقل حاكم بان الذي يقع الخلق به القدرة. ثم لا بعد في تكريم بعض العباد بالتخصيص بالذكر، ونظاير ذلك في كتاب الله كثيرة فانه عز اسمه أضاف الكعبة الى نفسه ولا اختصاص لهما بذلك، واضاف المؤمنين بصفة العبودية إلى نفسه، واضاف روح عيسى عليه

---

(١) الاول في كتابه اتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات ص ٩٩-١٢٢ والثاني في كتابه استحالة المعية بالذات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات ص ١٤١-١٦٣ وكلا الكتابين حري بالنظر.

(٢) ص ٢٩٥ وما بعدها.

(٣) ص ٢٣ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلام إلى نفسه، والاضافة تنقسم إلى اضافة صفة، واضافة ملك، واضافة تشريف (١).
هذا رأي الشيخ في كتابه هذا غير أنه نحا إلى رأي اخر في أخر كتبه وهو العقيدة النظامية في الاركان الاسلامية فقال وقد اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة وامتنع على اهل الحق اعتقاد فحواها. واجراؤها على موجب ما تبتدره افهام أرباب اللسان منها، فرأى بعضهم تأويلها والتزم هذا المنهج في آي الكتاب وما يصح من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وذهب ائمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، واجراء الظواهر على مواردها (٢) وتفويض معانيها إلى الرب تعالى. والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقلا اتباع سلف الامة (٣) فالاولى الاتباع وترك الابتداع. والدليل السمعي القاطع في ذلك ان اجماع الامة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة.

وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها ، وهم صفوة الاسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون اليه منها فلو كان تأويل هذه الآي والظواهر مسوغاً ومحتوماً لاوشك ان يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة. واذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك قاطعا بأنه الوجه المتبع. فحق على ذي دين ان يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها إلى الرب تبارك وتعالى (٤).
وذهب المتولي من الشافعية إلى وجوب تأويل اليد في ذلك وارجاعها

---

(١) الارشاد إلى قواطع الأدلة في اصول الاعتقاد ص ١٥٥ وما بعدها.

(٢) قال الكوثري معلقا هنا: يعني ان المستفيض اطلاقه في السنة على الله سبحانه نطلقه عليه جل شأنه من غير خوض في المعنى فيما فيه نوع ابهام والظاهر هنا يقابل الغريب، كما في قول مالك (خير العلم الظاهر وشره الغريب) وليس المراد هنا الظاهر الذي هو من أقسام الوضوح لانه أعم من ان يكون رجحان احد الاحتمالين على الآخر بالوضع او الدليل، ولا ظهور في جانب الوضع اذا ناقضه البرهان، فلا يكون هناك ظهور بهذا المعنى، حتى يحمل عليه راجع تمهيد ابي الخطاب اهـ ص٣٢

(٣) لاحظ أنه جعل التفويض هو مذهب السلف وزعم أحد الحنابلة أن هذه دعوى مردودة وأخذ يرد على ذلك بأدلة هي في واد وما يريده في واد آخر فانظر كتابه علاقةالاثبات والتفويض بصفات رب العالمين ص ٣٠ وما بعدها.

(٤) العقيدة النظامية ص ٣٢-٣٣ ومن عجب أن يتلقف ابن تيمية هذا الكلام ليستنتج منه ان الجويني حرّم التأويل أنظر الفتاوى ٢٠٣/١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى القدرة وذلك بعد ان ذكر ان التفويض من مذهب الاصحاب (١).

ومال البغدادي في اصول الدين إلى التأويل (٢).

ومال البيهقي في الاسماء والصفات إلى اثبات أن اليد صفة لله تعالى في عدة مواضع ذكرها من القران الكريم غير أنه قال: وقد روينا ذكر اليد في اخبار اخر الا أن سياقها يدل على أن المراد بها الملك والقدرة والرحمة والنعمة (٣).

ولنختم ما أردناه بوقوف عند الايات المختارة هنا.

الآية الاولى: قول الله تعالى: (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)٦٤/المائدة.

وسياق هذه الآية في الرد على الذين زعموا ان الله تعالى بخيل -قاتلهم الله- فردّ الله جوابهم بأبلغ ما يكون وقد فسرها ابن كثير على هذا النحو (٤).

وهذا من المواضع التي قدم فيها ابن جرير قوله بأنها جارية مجرى التمثيل على ما عهده العرب ثم بعده أخذ في بيان اختلاف العلماء في معنى (بل يداه مبسوطتان) ولم يرجح رأيا على رأي (٥) والذي يظهر لي ان ابن جرير اختار التمثيل كما هو واضح من تفسير هذه الآية والله اعلم.

وفصل السمين الحلبي وجه التمثيل احسن تفصيل واوضحه أحسن ايضاح فلينظر في كتابه (٦).

فالوجه اذن حمل الآية على متعارف ما عند العرب من التعبير ببسط اليد وقبضها او غلها عن الجود والكرم والبخل لان السياق القراني يرجح هذا ، وعليه فليس هذا الموضع من الصفات.

الآية الثانية: قوله تعالى (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)٧٥/ص وقد تقدم شيء من الحديث عنها أثناء ذكر رأي الجويني ونزيد هنا ما قاله الزمخشري عليه الرحمة ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه، فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك، وحتى قيل لمن لا أيدي (٧) له: يداك اوكتا وفوك نفخ ، وحتى لم يسق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك(٨).

---

(١) الغنية في اصول الدين ص ١١٣-١١٤

(٢) اصول الدين ص ١١٠ وما بعدها

(٣) الاسماء والصفات ٤٩/١ وانظر ٤٣/١-٤٨ وانظر الاعتقاد ص ٢٩-٣٠

(٤) تفسير ابن كثير ٧٥/٢

(٥) انظر تفسير الطبري ١٩٣/٦-١٩٤

(٦) الدر المصون ٣٤٣/٤ وما بعدها.

(٧) في الاصل يدى والتصحيح من تعليقات الكوثري على دفع شبه التشبيه ص ٣٥

(٨) الكشاف ٣٨٢/٣-٣٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الراغب في تأويل هذا الموضع: وقوله (لما خلقت بيدي) عبارة عن تولّيه لخلقه باختراعه الذي ليس إلا له عز وجل. وخص لفظ اليد ليتصور لنا المعنى اذ هو أجل الجوارح التي يتولى بها الفعل فيما بيننا ليتصور لنا اختصاص المعنى لا لنتصور منه تشبيهاً وقيل بنعمتي التي رشحتها لهم (١).

ومال القاسمي في تفسيره إلى جعل التعبير كناية عن النفس فقال (بيدي) أي بنفسي من غير توسط كأب وأم (٢).

وهذا الموضع مرّ عليه ابن جرير دون تطويل واقتصر على قوله انه خلق آدم بيديه (٣).

الآية الثالثة: قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم)١٠/الفتح .

ولا أحسن من تفسير ابن جرير رحمه الله حيث يقول: وفي قوله (يد الله فوق ايديهم) وجهان من التأويل أحدهما يد الله فوق ايديهم عند البيعة لانهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم والآخر قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرته على العدو(٤).

ولا أظننا بحاجة إلى أن نزيد على قولهم قطعت جهيزة قول كل خطيب.

واذ قد أطلنا في هذا الموضع فلا نطيل في سواه الا لحاجة وإنما أردنا جعله نموذجاً خاصاً.

ثانياً: اضافة "الوجه" إلى الله تعالى

تعددت اضافة هذه اللفظة في غير ما موضع في القران الكريم وبعض هذه المواضع إنما المراد منها ما اريد به وجه الله تعالى وانما نريد الوقوف القليل عند قوله تعالى في موضعين :

الاول: (لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه)٨٨/القصص.

الثاني: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)٢٧/الرحمن.

قال الشيخ ابن عاشور في تفسير الآية الاولى: والوجه مستعمل في معنى الذات والمعنى كل موجود هالك الا الله تعالى (٥).

وقال الشيخ عند تفسيره للموضع الثاني: و (وجه ربك): ذاته، فذكر الوجه هنا جاء على عرف كلام العرب قال في الكشاف: والوجه يعبر به عن الجملة والذات اهـ.

وقد أضيف إلى اسمه تعالى لفظ الوجه بمعان مختلفة منها ما هنا ومنها قوله (فأينما تولوا فثم وجه الله)١١٥/البقرة وقوله (انما نطعمكم لوجه الله)٩/الانسان.

---

(١) المفردات يد.

(٢) محاسن التأويل ٥١٢٢/١٤

(٣) ١١٩/٢٣

(٤) الطبري ٤٨/٢٦

(٥) ١٩٧/٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد علم السامعون ان الله تعالى يستحيل ان يكون له وجه بالمعنى الحقيقي وهو الجزء الذي في الرأس. وقد اصطلح علماء العقائد على تسمية مثل هذا بالمتشابه وكان السلف يحجمون عن الخوض في ذلك مع اليقين باستحالة ظاهرة على الله تعالى، ثم تناوله علماء التابعين ومن بعدهم بالتأويل تدريجاً إلى ان اتضح وجه التاويل بالجري على قواعد علم المعاني فزال الخفاء، واندفع الجفاء وكلا الفريقين خيرة الحنفاء... ولما كان الوجه هنا بمعنى الذات وصف بـ (ذو الجلال) أي العظمة. و (الاكرام) أي المنعم على عباده والا فإن الوجه الحقيقي لا يضاف للإكرام في عرف اللغة، وانما يضاف للاكرام اليد فهو لا يفقد عبيده جلاله واكرامه، وقد دخل في الجلال جميع الصفات الراجعة إلى التنزيه عن النقص وفي الاكرام جميع صفات الكمال الوجوديةوصفات الجمال كالاحسان(١).

قلت وهذا الكلام لا أعلم له مخالفا عند متكلمي الا شاعرة الا من نحا عدم التأويل كالباقلاني والبيهقي(٢) وقد جاء في المواقف ان الاشعري والباقلاني نحيا به إلى المذهب الاخر اي فسراه بانه الوجود(٣). ونكتفي هنا بايراد ما ذكره الطبري وابن كثير.

قال الطبري رحمه الله في تفسير الآية الاولى: يقول الله تعالى ذكره ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذي له عبادة كل شيء معبوداً اخر سواه وقوله (لا اله الا هو) يقول لا معبود تصلح له العبادة الا الله الذي كل شيء هالك إلا وجهه واختلف في معنى قوله إلا وجهه فقال بعضهم معناه كل شيء هالك إلا هو وقال اخرون معنى ذلك الا ما اريد به وجهه واستشهدوا لتأويلهم كذلك بقول الشاعر

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل(٤)

وصدر ابن كثير تفسير الوجه بالذات في هذين الموضعين هنا وعزا القول الثاني المار ذكره عن الطبري إلى مجاهد والثوري ثم قال وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له (٥).

ونحا الطبري في تفسير آية الرحمن إلى عدم التفسير غير انه ذكر ان ذو الجلال والاكرام من نعت الوجه (٦) واحال ابن كثير إلى الموضع السابق نقله عنه (٧) وقد ذكر الدكتور

---

(١) ٢٧/٢٥٣-٢٥٤

(٢) راجع المصادر المذكورة في الحديث عن اليد.

(٣) أنظر حاشية السيد على المواقف ص٥٠١

(٤)الطبري ٢٠/٨١-٨٢ والشاهد قال البغدادي هو من ابيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها انظر الخزانة ٣/١١١

(٥) تفسير ابن كثير ٣/٤٠٣

(٦) الطبري ٢٧/٧٨

(٧) ٤/٢٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسماعيل عبد العال في بحثه عن ابن كثير ان هذا الموضع هو من مواضع مخالفة ابن كثير لشيخه ابن تيمية في منحاه العقدي (١).

ثالثا: لفظ "الساق"

لم ترد الاضافة فيه صريحة إلى الله في القران الكريم وموضع الخلاف هو الواقع في سورة القلم حيث يقول ربنا جل وعز (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود) الاية ٤٢ .

فقال الشيخ ابن عاشور في تفسيره في هذا الموضع: والكشف عن ساق: مثل لشدة الحال وصعوبة الخطب والهول، واصله أن المرء اذا هلع ان يسرع في المشي ويشمر ثيابه فيكشف عن ساقه كما يقال شمّر عن ساعد الجد، وايضا كانوا في الروع والهزيمة تشمر الحرائر عن سوقهن في الهرب او في العمل فتنكشف سوقهن بحيث يشغلهن هول الامر عن الاحتراز من ابداء ما لا يبدينه عادة (٢) فيقال كشفت عن ساقهاأو شمّرت عن ساقها، أو أبدت عن ساقها قال عبدالله(٣) بن قيس الرقيات:

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء (٤)

وفي حديث غزوةاحد قال انس بن مالك "انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولقد رأيت عائشة وام سليم وانهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها في افواه القوم ثم ترجعان فتملآنها" الخ.(٥) فاذا قالوا كشف المرء عن ساقه فهو كناية عن هول أصابه وإن لم يكن كشف ساق، واذا قالوا كشف الامر عن ساق. فقد مثلوه بالمرأة المروعة، وكذلك كشفت الحرب عن ساقها كل ذلك تمثيل اذ ليس ثمة ساق . قال حاتم

فتى الحرب عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا(٦)

وقال جد طرفه من الحماسة

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر البواح (٧)

والمعنى يوم تبلغ أحوال الناس منتهى الشدة والروع، قال ابن عباس يكشف عن ساق عن كرب وشدة وهي أشد ساعة في يوم القيامة.

---

(١) ص ١٠٧- ١٠٨

(٢) في الاصل تبدينه بالتاء الفوقية.

(٣) في الخزانة عبيد الله ٢٨٧/٧

(٤) ذكرها البغدادي في الخزانة ٢٧٨/٧

(٥) رواه البخاري في غير ما موضع منها في الجهاد ، حديث رقم ٢٨٨٠ انظر ٧٨/٦ الفتح.

(٦) الشاهد لحاتم الطائي واوله (أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها) ذكره الجاحظ في البيان ٦٠/٤

(٧) اللسان . سوق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وروى عبد بن حميد وغيره عن عكرمة عن ابن عباس انه سئل عن هذا فقال إذا خفي عليكم شيء من القران فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب، اما سمعتم قول الشاعر:

صبراً عناق انه لشر باق قد سنّ لي قومك ضرب الاعناق
وقامت الحرب بنا على ساق (١)

وقال مجاهد: يكشف عن ساق: شدة الامر (٢).
وقد نحا الأشاعرة هذا المنحى في التأويل حتى البيهقي في الاسماء والصفات (٣).

ونحن نكتفي هنا بكلمة للشيخ ابن تيمية في تفسير سورة النور حيث ادعى أنه لم يجد عن الصحابة اختلافاً في تفسير آيات الصفات الا هذه الاية قال: فروي عن ابن عباس وطائفة ان المراد به الشدة أي أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة... (٤)

رابعاً: لفظ (فوق)

ورد هذا اللفظ في القران الكريم مرات عديدة وانما يهمنا الوقوف عند بعض مرّاته التي عرض لتأويلها ابن عاشور تبعاً لكافة الاشاعرة.

فقال عند تفسيره لقوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)١٨/الانعام. قال الشيخ: وهذه الآية أبطلت ان يكون غير الله قاهرا على أحد أو خبيراً أو عالماً باعطاء كل مخلوق ما يناسبه، ولا جرم أن الاله تجب له القدرة والعلم. وهما جماع صفات الكمال، كما تجب له صفات الافعال من نفع وضر وإحياة واماتة، وهي تعلقات للقدرة اطلق عليها اسم الصفات عند غير الاشعري نظرا للعرف، وادخلها الاشعري في صفة القدرة لانها تعلقات لها، وهو التحقيق... و(فوق) ظرف متعلق بـ(القاهر) وهو استعارة تمثيلية لحال القاهر بأنه كالذي يأخذ المغلوب من أعلاه فلا يجد معالجة ولا جراكا. وهو تمثيل بديع ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون (وإنا فوقهم قاهرون)١٢٧/الاعراف. ولا يفهم من ذلك جهة هي في علو كما قد يتوهم، فلا تعد هذه الآية من المتشابهات... ومعنى القهر فوق العباد أنه خالق ما لا يدخل تحت قدرهم بحيث يوجد ما لا يريدون وجوده كالموت، ويمنع ما يريدون تحصيله كالولد للعقيم والجهل بكثير من الاشياء، بحيث ان كل أحد يجد في نفسه اموراً يستطيع فعلها وامورا لا يستطيع فعلها وامورا يفعلها تارة ولا يستطيع فعلها

---

(١) شربق مقلوب شبرق أي مزق اهـ منه وهل تقرأ الكلمة على أنها شرٌّ باق والابيات لم أجدها
(٢) ٢٩/٩٧ وما بعدها.
(٣) ٢/٧٩ وما بعدها.
(٤) دقائق التفسير لابن تيمية ٤/٤٨١-٤٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تارة كالمشي لمن خدرت رجله، فيعلم كل أحد أن الله هو خالق القدر والاستطاعات لانه قد يمنعها، ولانه يخلق ما يخرج عن مقدور البشر، ثم يقيس العقل عوالم الغيب على عالم الشهادة. وقد خلق الله العناصر والقوى وسلط بعضها على بعض فلا تستطيع المدافعة الا ما خولها الله(١).

وقال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)٥٠/النحل. والفوقية في قوله (من فوقهم) فوقية تصرف وملك وشرف كقوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) وقوله (وانا فوقهم قاهرون)اهـ.(٢).

فهذا التأويل هو ما نحا اليه الاشاعرة ولا أعلم أن بينهم خلافاً في أن(الفوقية) في مثل هذه الآيات هي فوقية القهر والغلبة والرتبة والشرف. وليس المراد منها ان الله فوق عباده بذاته حقيقة كما نحا اليه الحنابلة وهو بحيث لا داعي للتدليل عليه في كتبهم (٣).

ونكتفي نحن في هذا المجال برأي امام المفسرين وعمدة الحفاظ والمتقنين الامام ابن جرير رحمه الله تعالى حيث قال عند تفسيره لآية الانعام قال: يعني تعالى ذكره بقوله وهو نفسه يقول والله القاهر فوق عباده ويعني بقوله القاهر المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم وإنما قال فوق عباده لأنه وصف نفسه تعالى بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيئاً أن يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذاً والله الغالب عباده المذللهم العالي عليهم بتذليله لهم وخلقه اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه (٤).

ولا أظننا بحاجة إلى مزيد كلام بعد هذا، ولا ادري بعد ذلك ما رأي الحنابلة في مثل كلام هذا الامام.

خامساً: الاستواء

ورد هذا اللفظ في عدة مواضع من القران الكريم دار حولها خلاف العلماء في تقرير معناها وسنقف عند موضعين منها أفاض فيهما الشيخ.

فتحدث الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (ان ربكم الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار)٥٤/الاعراف وقال:

والاستواء حقيقته الاعتدال، والذي يؤخذ من كلام المحققين من علماء اللغة والمفسرين أنه حقيقة في الارتفاع والاعتلاء، كما في قوله تعالى في صفة جبريل (فاستوى وهو بالافق الأعلى ثم دنا فتدلى)٨/النجم.

---

(١) ١٦٤/٧- ١٦٥

(٢) ١٧١/١٤

(٣) راجع في هذا ماذكره في السيف الصقيل في رد بدعهم وغلوهم من ٣٨ وما بعدها.

(٤) ١٠٣/٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاستواء له معان متفرعة عن حقيقته، أشهرها القصد والاعتلاء، وقد التزم هذا اللفظ في القران مسندا إلى ضمير الجلالة عند الاخبار عن أحوال سماوية، كما في هذه الآية ونظائرها سبع آيات من القران. هنا وفي يونس٣، والرعد ٢، وطه٥، والفرقان ٥٩، والم السجدة ٤، والحديد٤، وفصلت (١). فظهر لي أن لهذا الفعل خصوصيته في كلام العرب كان بسببها أجدر بالدلالة على المعنى المراد تبليغه مجملا مما يليق بصفات الله ويقرب إلى الافهام معنى عظمته، ولذلك اختير في هذه الايات دون غيرها من الافعال التي فسره بها المفسرون.

فالاستواء يعبر عن شأن عظيم من شؤون عظمة الخالق تعالى، اختير التعبير به على طريق الاستعارة والتمثيل. لان معناه أقرب معاني المواد العربية إلى المعنى المعبر عنه من شؤونه تعالى، فان الله لما اراد تعليم معان من عالم الغيب لم يكن يتأتى ذلك في اللغة الا بأمثلة معلومة من عالم الشهادة، فلم يكن بد من التعبير عن المعاني المعنية بعبارات تقربها مما يعبر به عن عالم الشهادة، ولذلك يكثر في القران ذكر الاستعارات التمثيلية والتخييلية في مثل هذا.

وقد كان السلف يتلقون أمثالها بلا بحث ولا سؤال لانهم علموا المقصود الاجمالي منها فاقتنعوا بالمعنى مجملا ويسمون أمثالها بالمتشابهات، ثم لما ظهر عصر ابتداء البحث كانوا اذا سئلوا عن هذه الاية يقولون استوى الله على العرش ولا نعرف لذلك كيفا... فكانوا يأبون تأويلها. وقد حكى عياض في المدارك عن سفيان بن عينيه انه قال: سأل رجل مالكا فقال: الرحمن على العرش استوى كيف استوى يا أبا عبدالله، فسكت مالك مليّا حتى علاه الرحضاء ثم سرّي عنه، فقال (الاستواء معلوم والكيف غير معقول والسؤال عن هذا بدعة والايمان به واجب واني لأظنك ضالاً) واشتهر هذا عن مالك في روايات كثيرة وفي بعضها أنه قال لمن سأله: (واظنك رجل سوء اخرجوه عني)، وانه قال: (والسؤال عنه بدعة) (٢) وعن سفيان الثوري انه سئل عنها فقال: فعل الله فعلاً في العرش سماه استواءً. وقد تأوله المتأخرون من الاشاعرة تأويلات أحسنها ما جنح اليه امام الحرمين ان المراد بالاستواء الاستيلاء بقرينة تعديته بحرف على، وانشدوا على وجه الاستئناس لذلك قول الاخطل:

---

(١) الصواب ان آية فصلت ١١ ليست على هذا النمط فلعل هذا سبق قلم من الشيخ.

(٢) اعلم أن هذه العبارة عن مالك رحمه الله قد شاعت وذاعت وسبب ذلك ترويج الحنابلة لها على أن مالكا رحمه الله كان لا يرى التأويل في مثل هذه الاطلاقات الواردة في الكتاب الكريم ولكنا نجد ابن السيد البطليوسي في كتابه التنبيه ينقل عن مالك تأويل حديث النزول حيث سئل عنه فقال ينزل امره في كل سحر. فأما هو عز وجل فإنه دائم لا يزول انظر ص ٦٦.

ونقل الشيخ محمود خطاب السبكي عن العلامة احمد بن احمد المالكي الشهير بزرّوق في شرحه على رسالة ابن ابي زيد نقل قوله: وقد نسب الطرطوشي لمالك القول بالتأويل اهـ. انظر اتحاف الكائنات ص ٦٩ . ومراده من ذلك التأويل في هذه الالفاظ لا على خصوص واحد منها ونقل في السيف الصقيل التأويل عن مالك في ص ١١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد استوى بشر على العراق بغير سيف ودم مهراق (١)

واراه بعيدا، لان العرش ما هو الا من مخلوقاته فلا وجه للاخبار باستيلائه عليه ومع احتمال أن يكون الأخطل قد انتزعه من هذه الآية، وقد قال أهل اللغة: ان معانيه تختلف باختلاف تعديته بعلى أو بالى. قال البخاري عن مجاهد: استوى علا على العرش. وعن ابي العالية: استوى إلى السماء ارتفع فسوّى خلقهن.

واحسب ان استعارته تختلف بقرينة الحرف الذي يعدى به فعله فإن عدي بحرف (على) كما في هذه الآية ونظائرها فهو مستعار من معنى الاعتلاء، مستعمل في اعتلاء مجازي يدل على معنى التمكن فيحتمل انه أريد منه التمثيل، وهو يمثل شان تصرفه تعالى بتدبير العوالم، ولذلك نجده بهذا التركيب في الايات السبع واقعا عقب ذكر خلق السموات والارض. فالمعنى حينئذ: خلقها ثم هو يدبر أمورها تدبيرا الملك امور مملكته مستويا على عرشه ...(٢)

واعلم ان الاشاعرة اختلفوا في تأويل هذه اللفظة على انحاء عدة فنحا الاشعري فيما رواه عنه البيهقي في الاسماء والصفات إلى أن الاستواء من صفات الافعال وأن الباري سبحانه فعل فعلاً في العرش سماه استواءً(٣) ومثله في مجرد المقالات المنسوب لابن فورك عليه الرحمة(٤).

وجمهور الاشاعرة على انه بمعنى الاستيلاء وهو يعود إلى القدرة(٥).

وذهب البغدادي إلى تأويل العرش بالملك والمعنى كأنه اراد ان الملك ما استوى لأحد غيره قال: وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب ثل عرش فلان اذا ذهب ملكه اهـ واخذ يستشهد لما يقول بالشعر(٦).

واختار السيد في شرحه على المواقف التوقف في هذا (٧).

ولا علينا قبل ان نغادر هذا الموضع إن نشير إلى أن الحنابلة زعموا أن (استوى) بمعنى الجلوس والاستقرار (٨) وقد نقل ابو حامد بن مرزوق

---

(١) الشاهد

(٢) ٨ ب /١٦٢-١٦٤ وانظر ما ذكره في ١٨٧/١٦ وقد فصله في الكتاب الذي جمعه ابنه باسم تحقيقات وانظار ص ١٣-١٧

(٣) ١٥٢/٢

(٤) ص ٣٢٥

(٥) المواقف ص ٢٩٧

(٦) اصول الدين ص ١١٢ وما بعدها

(٧) ص ٥٠١

(٨) انظر الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في كتابه براءة الاشعريين شيئاً من الاعاجيب منها ما ذكروه في تأويل قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محمودا) الاية ، حيث زعموا ان المقام هو مقعده صلى الله عليه وسلم مع ربه على العرش ونقل عن احدهم وهو النجاد قوله: فالذي ندين الله تعالى به ونعتقده، ما قد رسمناه وبيناه في معاني الاحاديث المسندة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما قاله عبدالله بن العباس ومن بعده من أهل العلم. وأخذوا به كابرا عن كابر. وجيلا عن جيل، إلى وقت شيوخنا في تفسير الاية الكريمة. وكان من جحد ذلك وتكلم فيه بالمعارضة إنما يريد بكلامه في ذلك كلام الجهمية، يجانب ويباين ويحذر عنه، وكذلك اخبرني ابو بكر الكاتب عن أبي داود السجستاني انه قال من رد حديث مجاهد فهو جهمي، وحدثنا محمد بن صهيب وجماعة من شيوخنا عن محمد بن عبد الملك الدقيقي قال: سمعت هذا الحديث منذ خمسين سنة، ما سمعت أحدا ينكره انما يكاذبه الزنادقة والجهمية، قال النجاد. وعلى ذلك من ادركت من شيوخنا أصحاب أبي عبدالله احمد بن حنبل، فانهم منكرون في رد هذه الفضيلة ولقد بين ذلك على ألسنة اهل العلم على تقادم الأيام، فتلقاه الناس بالقبول، فلا أحد ينكر ذلك ولا ينازع فيه، قال النجاد فبذلك أقول، ولو أن حالفا حلف بالطلاق ثلاثا ان الله تعالى يقعد محمداً صلى الله عليه وسلم معه على العرش ، واستفتاني في يمينه، لقلت له صدقت في قولك وبررت يمينك وامرأتك على حالها، فهذا مذهبنا ودِيننا واعتقادنا وعليه نشأنا ونحن عليه إلى أن نموت ان شاء الله تعالى فلزمنا الانكار على من رد هذه الفضيلة التي قالها العلماء وتلقوها بالقبول، فمن ردها فهو من الفرق الهالكة (١).

فانظر رحمك الله إلى هذا الكلام فإنه زلقات الاقدام نسأل الله السلامة :

وحديث الاقعاد هو قول لمجاهد عزاه له الطبري في التفسير(٢)وحاول الطبري بعد أن رجح رأي الجمهور أن يجد لقول مجاهد هذا مخرجاً وأنه ممكن، حاول ذلك بكلام كثير لا نطيل به وان كان رحمه الله قد ذكر عن مجاهد ما يوافق قول الجمهور(٣) وقال القرطبي في شأن كلام الطبري ما نصه: وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول وهو لا يخرج الا على تلطف في المعنى، وفيه بعد ...(٤)

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عباس وذكره ثم قال رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع وعطاء بن دينار قيل

---

(١) براءة الاشعريين من عقائد المخالفين لأبي حامد بن مرزوق ٥٢/١-٥٣ وهذا الكتاب من احسن الكتب في رد زلقات الحنابلة وقد أخبرنا شيخنا الشيخ سعيد حوّى عليه رحمة الله أن هذا الكتاب هو من تاليف الشيخ محمد العربي التباني عالم مكة الشهير صاحب كتاب تحذير العبقري عن محاضرات الخضري ١ هـ رحم الله الجميع .

(٢) ٩٨/١٥

(٣) ٩٧/١٥-٩٨(٤)٣١١/١٠(٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يسمع من سعيد بن جبير اهـ.(١)

وقال ابو عمر بن عبد البر فيما ينقله القرطبي في التفسير: ومجاهد وإن كان أحد الأئمة يتأوّل القران فان له قولين مهجورين عند اهل العلم احدهما هذا ...(٢)

وقد شنع الواحدي على القائلين بهذا القول وذلك فيما ذكره الرازي في التفسير حيث قال: قال الواحدي وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ثم أخذ في ابطاله بما لا حاجة إلى ذكره وختم بقوله: فثبت أن هذا القول كلام رذل ساقط لا يميل اليه الا انسان قليل العقل عديم الدين والله اعلم اهـ. من الرازي (٣). قلت ولو صح القول لمجاهد لكان فيما قال الواحدي قسوةً بالغة.

هذا وقد ذكر الالوسي في تفسيره عن الديلمي رواية عن ابن عمر مرفوعة وفيها ذلك ولم يتعقبها بشيء(٤)وذكر كذلك أن الواحدي نسب الرواية إلى ابن عباس(٥) وفي تفسير الرازي أن الواحدي نسب الرواية إلى ابن مسعود(٦)

قال الشيخ الألباني عن هذا الأثر: باطل رواه الذهبي في العلو من طريقين عن احمد بن يونس عن سلمة الأحمر عن اشعث بن طليق عن عبدالله بن مسعود .. الحديث وقال الذهبي: هذا حديث منكر لا يفرح به وسلمة هذا متروك الحديث واشعث لم يلحق ابن مسعود ... ثم ذكر الذهبي نحوه عن عبد الله بن سلام موقوفا عليه وقال: هذا موقوف ولا يثبت إسناده وإنما هذا شيء قاله مجاهد... ورواه كذلك عن ابن عباس موقوفاً وقال اسناده ساقط وفيه عمر بن مدرك الرازي وهو متروك، وهذا مشهور من قول مجاهد وروى مرفوعاً وهو باطل .. ثم قال الألباني ومن العجائب التي يقف العقل تجاهها حائرا أن يفتي بعض العلماء من المتقدمين بأثر مجاهد هذا كما ذكره الذهبي ... عن غير واحد منهم، بل غلا بعض المحدثين فقال: لو أن حالفاً حلف بالطلاق ثلاثا ان الله يقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش واستفتاني، لقلت له: صدقت وبررت !! . قال الذهبي رحمه الله:

فابصر حفظك الله من الهوى كيف آل الغلو بهذا المحدث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر اهـ. ما أردناه من سلسلة الاحاديث الضعيفة(٧)

ونحن لا نتجنى على هذه الطائفة - ومعاذ الله من ذلك- وخذ تأكيداً على ذلك سكوت ابن تيمية وتصحيح ابن القيم لحديث الأطيط الذي رواه ابو داود في السنة وفيه (.. ويحك أتدري ما الله ان عرشه على سمواته لهكذا وقال باصابعه مثل القبةعليه وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب) (٨).

---

(١) ٥١/٧ (٢) ٣١١/١٠

(٣) ٣٢/٢١ (٤) ١٤٢/١٥

(٥) ١٤٢/١٥ (٦) ٣٢/٢١

(٧) ٢٥٥/٢ وما بعدها حديث رقم ٨٦٥

(٨) رواه ابو داود في السنة ٣٦٩/٤ مع العون

(٩) ٤٣٤/١٦ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد سكت عنه ابن تيمية في الفتاوى وأخذ ينازع في اللفظ الوارد بعد ذلك المتعلق ببقاء قدر أربعة اصابع من العرش الوارد من طرق أخرى(٩) وقد دافع ابن القيم بشدة لتصحيح الحديث كما نقله صاحب عون المعبود (١) .

وهذا الحديث ضعيف ضعفه غير واحد (٢) ونكتفي من المفسرين بابن كثير رحمه الله حيث قال في تفسير آية الكرسي عند ذكر حديث (ان كرسيّه وسع السموات والارض وان له اطيطا كأطيط الرحل الجديد من ثقله) قال رحمه الله رواه الحافظ البزار في مسنده المشهور وعبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما والطبراني وابن ابي عاصم في كتابي السنة لهما والحافظ الضياء في المختار من حديث ابي اسحق السبيعي عن عبدالله بن خليفة وليس بذاك المشهور وفي سماعه من عمر نظر. ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفا ومنهم من يرويه عنه مرسلا ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة ومنهم من يحذفها وأغرب من هذا حديث جبير بن مطعم في صفة العرش كما رواه ابو داود في كتابه السنة من سننه والله اعلم (٣) وقد أحسن الدكتور صلاح الدين الادلبي في رد ما نحاه ابن تيمية وتلميذه(٤).

واذا علمت ذلك فلنختم بشهادة الامام أبي حيان عليه الرحمة حيث قال في تفسيره النهر الماد عند قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والارض) قال رحمه الله: وقد قرأت في كتاب لاحمد بن تيمية هذا الذي عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب العرش ان الله يجلس على الكرسي وقد أخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تحيل عليه محمد بن علي بن عبد الحق وكان من تحيله أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب وقرأنا ذلك فيه اهـ.

قال الكوثري: كما ترى ذلك في النسخ المخطوطة من تفسير أبي حيان وليست هذه الجملة بموجودة في تفسيره المطبوع. وقد أخبرني مصحح طبعه بمطبعة السعادة أنه استفظعها جدا وأكبر أن ينسب مثلها إلى مسلم فحذفها عند الطبع لئلا يستغلها اعداء الدين، ورجاني أن أسجل ذلك هنا استدراكا لما كان منه ونصيحة للمسلمين (٥).

---

(١) ٣٧٠/٤

(٢) انظر عون المعبود ٤٧٠/٤ وما بعدها

(٣) تفسير ابن كثير ٣١٠/١ وهو يشير إلى الحديث الذي معنا.

(٤) منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي ص ٢٤٣-٢٤٦

(٥) تبديد الظلام ص ٨٥ ونقل هذه العبارة عن ابي حيان الامام تقي الدين الحصني في كتابه القمم دفع شبه من شبه وقرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل احمد ص ٤٩ وذكر السبكي في السيف الصقيل ص ٨٣ وما بعدها كلاما بشأن ذلك. واعلم أنه قد قام اساتذة بطبع كتاب النهر الماد عن أصل وثيق وأرجعوا هذه العبارة إلى محلها ولا أظن أنهم فعلوا ذلك الا لأجل هذا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاسعاً: بعض الملحوظات في الدرس العقدي في هذا التفسير

ونحن لا نريد أن نتعقب الشيخ في المسائل كلها ولكن نختار بعض الموضوعات والأحاديث التي يمكن أن تفيدنا في منهج الشيخ منبهين على أن الكلام فيها بحاجة إلى إعادة نظر.

أولاً: وأول هذه الملحوظات احتفال الشيخ بالنقل عن كتب اليهود والنصارى مما حدا به إلى نقل ما يفضي إلى خدش عصمة الأنبياء،وقد تقدم الحديث عن مثل ذلك ونرجىء نحن هنا التعليق على هذا إلى حين الفصل المتعلق بالإسرائيليات

ثانياً : التبرك بقبور الموتى

قال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين)البقرة/٦٢، قال بعد أن ذكر شيئاً من التفسير : فمجيء (إنّ) هنا لمجرد الاهتمام بالخبر وتحقيقه لدفع توهم أن ما سبق من المذمات شامل لجميع اليهود فإن كثيراً من الناس يتوهم أن سلف الامم التي ضلت كانوا مثلهم في الضلال ولقد عجب بعض الأصحاب لما ذكرت لهم أني حين حللت برومَه تبركت بزيارة قبر القديس بطرس توهماً منهم بكون قبره في كنيسة رومَه فبينت لهم أنه أحد الحواريين أصحاب المسيح(١)

وهذا الصنيع يفضي إلى تحقق ابن عاشور من وجود القبر في هذه الكنيسة ولكنه متأخراً قال : وكان ممن قتل من الحواريين الحواري الاكبر الذي سماه عيسى (بطرس) ، أي الصخرة في ثباته في الله. ويزعمون أن جثته في الكنيسةالعظمى في رومه المعروفة بكنيسة القديس بطرس (٢) ،وهذا النص يفضي إلى احتمال أن الجثة هناك.

وبالجملة فالتبرك بالقبر الموجود في هذه الكنيسة زلة لا تليق بابن عاشور والله أعلم.

ثالثاً: هل انتفع فرعون بإيمانه

قال الشيخ : ولم يعدم فرعون فائدة من إيمانه فإن الله بحكمته قدر له الخروج من غمرات الماء فلم يبق في الماء أكلة للحيتان ولكن لفظته الأمواج،وتلك حالة أقل خزياً من حالات سائر جيشه بها ظهر نفع ما له بما حصل لنفسه من الإيمان في آخر أحواله(٣).

---

(١) ٥٣١/١-٥٣٢

(٢) ٢٠٣/٢٨

(٣) ٢٧٩/١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذا الكلام من ابن عاشور غير مقبـول بل الصحيح ان مثل هـذا الإيمان غير مقبول في أصله فكيف نرتب عليه فائدة ؟وذكر الآلوسي عن بعض المحققين في تعليـل هذا الإنجاء بما هو حقيـق بالقبول فقال: إن ذلك ايذان بأن هـذه التنجية ليست لإعـزازه أو لفـائدة أخرى عائدة إليـه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحـه على رؤوس الأشهاد،وزيادة تفظيـع حاله كمن يقتل ثم يجـر جسـده في الأسواق ويطرح جيفـة في الميـدان أو يدار برأسـه في النـواحي والبلـدان(١)

وبهذا تعلم بطلان ما نحاه الشيخ ابن عاشور رحمه الله تعالى

رابعاً: تُبّع وحنظلة بن صفوان وخالد بن سنان ، هل هم أنبياء؟

قال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب)الحديد/٢٦ ، قال:

والنبوءة في ذريتهما كنبوءة هود وصالح وتبّع ونبوءة إسماعيل(٢).

وعـن حنظلة بن صفوان وخالد بن سنـان قال الشيخ عند تفسيره لقـوله تعـالى (إن الله اصطفـى آدم ونوحاً وآل إبراهيم)آل عمـران/٣٤ : وشمـل آل إبراهيم الأنبيـاء مـن عقبـه كمـوسى ومن قبله،ومن بعده،وكمحمد عليه الصلاة والسلام، وإسمـاعيل وحنظلة بن صفوان وخالد بن سنان(٣)

وقـال الشيـخ عنـد تفسيره لقـوله تعـالى (لتنـذر قـوماً مـا أتاهـم مـن نذير مـن قبلك)السجدة/١٣...

وأمـا القحطانيون القاطنون بالحجاز مثل الأوس والخزرج وطـيء فإنهم قد تغيرت فرقهم ومـواطنهم بعد سيل العرم .وانقسـموا أقواماً جدداً ولم يأتهم نذير منـذ ذلك الزمن وإن كان المنذرون قد جاءوا أسلافهم مثل هود وصالح وتبع ...وأما ما ورد مـن ذكر حنظلة بن صفوان صـاحب أهـل الرس،وخالد بن سنان صـاحب بني عبـس فلم يثبت أنهمـا رسـولان واختلف في نبـوتهما.وقـد روي أن ابنة خالد بن سنـان وفدت إلى النبي صلى اللـه عليـه وسلم وهي عجوز وأنه قال لها (مرحباً بابنة نبي ضيعه قومه)(٤) وليس لذلك سند صحيح(٥)

---

(١) روح المعاني ١٨٤/١١

(٢) ٤١٩/٢٨

(٣) ٢٣١/٣

(٤) الحـديث رواه ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير مرسلاً ٤١٣/٦ رقم ٣٢٤٩٣ وذكـره في كنز العمال رقم ٣٤٤٢٩ وهو في المصنف الطبعة القديمة ٢٠٠/١٢

(٥) ٢٠٩/٢١-٢١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحديث الشيخ عن حنظلة وخالد يناقض أول موضع تحدث فيه إذ جعلهما نبيين دون هذا التحقيق المتأخر وهو تحقيق حسن وهو المذكور في بعض الكتب وأنه ليس ثمة ما ينهض على كون هذين الشخصين من الأنبياء ولعل الأرجح أنهما من حكماء العرب(١) إذ قد جاء في صحيح مسلم ما يرفع هذا الأمر في فضائل سيدنا عيسى عليه السلام، قال الإمام مسلم: عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء علات وليس بيني وبين عيسى نبي اهـ.(٢). قال الأبي في شرح مسلم والحديث يدل على بطلان قول من قال كان بينهما رسل وأنبياء، وأن الحواريين كانوا أنبياء وأرسلوا بعده إلى الناس وهو قول أكثر النصارى (٣)

وأما (تبّع) فلا أدري بالضبط من هو وليس بين يدي من المصادر ما يفضي الى ان احد التبابعة كان نبيا فلينظر ما هنا ويتأمل والله الهادي.

خامساً : إنكار الجن

قال بعد حديث عنها : وبتعاضد هذه الدلائل وتناصرها وإن كان كل واحد منها لا يعدو أنه ظني الدلالة وهي ظواهر القرآن (٤) أو ظني المتن والدلالة وهي الأحاديث الصحيحة،حصل ما يقتضي الاعتقاد بوجود موجودات خفية تسمى الجن فتفسر بذلك معاني آيات من القرآن وأخبار من السنة،وليس ذلك مما يدخل في أصول عقيدة الإسلام ولذلك لم نكفر منكري وجود موجودات معينة من هذا النوع إذ لم تثبت حقيقتها بأدلة قطعية بخلاف حال من يقول أن ذكر الجن لم يذكر في القرآن بعد علمه بآيات ذكره(٥)

وهذا الكلام في ظني يتعارض مع ما اتفق عليه العلماء إلا شذوذاً في أن الجن مخلوقات معينة وما حديث القرآن عن استماعهم لشيء مما يتلوه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أصرح دليل على أنهم معينون وهل كان العربي يلوذ بشيء لم يتعين لديه؟(٦)

قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : وإذا كان وجود هذه الخليقة مستنداً إلى هذه الأخبار اليقينية التي وردت إلينا من الكتاب وفصلتها السنة،وكان أمرها معلوماً من الإخبارات الإلهية بالضرورة أجمع المسلمون على أن الإيمان بوجود الجن من المستلزمات الأساسية للإيمان بالله عز وجل وأن إنكارهم أو الشك في وجودهم يستلزم الردة والخروج عن الإسلام .

---

(١) راجع الأعلام ٢/٢٨٦،٢/٢٩٦ وبلوغ الأرب ٢/٢٧٨-٢٨٠

(٢) أنظر مسلم بشرح النووي ١١٩/١٥

(٣) إكمال إكمال المعلم ١٥٦/٦

(٤) هذا كلام غير مقبول في هذه الزاوية

(٥) ٢١٩/٢٩

(٦) راجع العقيدة الإسلامية وأسسها ص٢٨٣ وما بعدها وعالم الجن والشياطين ص١١ وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن إنكارهم يستلزم نتيجتين اثنتين :

الأولى : إنكار شيء علم ثبوته من الدين بالضرورة

الثانية : تكذيب الخبر المتواتر اليقيني الوارد إلينا عن الله جل جلاله وهو يناقض الإيمان بالله جل جلاله كما يناقض الإيمان بكتابه المعجز.

وكلا هـاتين النتيجتين تتنـافى مـع الإسلام ومقـومات الإيمـان باللـه عـزوجل(١)

سادساً: هل للسحر تأثير

يقول الشيخ وقد تمسك جماعة لإثبات تأثير هذا النوع من السحر بما روي في الصحيحين عن قول عائشة إن لبيد بن الأعصم سحر النبي صلى الله عليه وسلم ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم أن ملكين أخبراه بذلك السحر(٢)... وينبغي التثبت في عباراته ثم في تأويله،ولا شك أن لبيداً حاول أن يسحر النبي صلى اللـه عليه وسلم فقد كان اليهود سحرة في المدينة وأن الله أطلع رسوله على ما فعله لبيد لتكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم في إبطال سحر لبيد وليعلم اليهود أنه نبي لا تلحقه أضرارهم وكما لم يؤثر سحر السحرة على موسى عليه الصلاة والسلام.كذلك لم يؤثر سحر لبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرض للنبي صلى اللـه عليه وسلم عارض جسدي شفاه اللـه منه فصادف أن كان مقارناً لما عمله لبيد بن الاعصم من محاولة سحره وكانت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم إنباءً من الله له بما صنع لبيد والعبارة عن صورة تلك الرؤيا كانت مجملة فإن الرأي رموز ولم يرد في الخبر تعبير ما اشتملت عليه فلا تكون أصلاً لتفصيل القصة(٣).

وهذا التفسير من الشيخ يقترب به كثيراً من رأي المعتزلة في السحر وهو خلاف ما عليه جمهور أهل السنة وقد أنكر مثل هذ الحديث الشيخ رشيد في المنار تبعاً للجصاص من الحنفية فلا نطيل بالكلام(٤)

وبهذا الكلام نختم ما أردناه في فصل العقائد ونرجو أن يكون قد وفقنا الله تعالى لعرض منهج الشيخ خير توفيق وهو سبحانه بالأمل حقيق.

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية ص٢٢٨

(٢) رواه البخاري في كتاب الطب باب السحر حديث رقم ٥٧٦٣ أنظر ٢٢١/١٠ من الفتح

(٣) ٦٣٤/١

(٤) أنظر فتح الباري ٢٢٦/١٠ وما بعدها وانظر المنار ٥١/٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس

منهج ابن عاشور في عرض آيات الأحكام

ابن عاشور مالكي المذهب نظراً لأن مذهب الإمام مالك عليه الرحمةهو المنتشر في الأوساط الرسمية والشعبية في الشق المغربي من العالم الإسلامي،وقد حفل الشيخ بمذهبه كثيراً على ما سترى إن شاء الله تعالى.

ودراستنا لمنهج ابن عاشور ستنتظم المحاور التالية (١)

أولاً: بيانه لبعض قواعد أصول الفقه في أثناء التفسير

ثانياً: عرضه لأراء الأئمة الأربعة في كثير من قضايا الفقه مع ذكره لكثير من آراء الصحابة والتابعين في أثناء عرضه لاختلاف الأئمة في مسائل الفقه

ثالثاً : ذكره لحكمة التشريع عند تفسيره لبعض الآيات الكريمة.

رابعاً : طبيعة المسائل الفقهية التي يعرضها

خامساً : بعض اختيارات ابن عاشور التي خالف فيها ما عليه التحقيق

هذه المحاور الخمسة هي التي ستنتظمها الدراسة الفقهية في تفسير الشيخ مع الأخذ بعين الاعتبار التنبيه على قضايا أخرى ستمر في أثناء الحديث والى التفاصيل

أولاً : بيانه لبعض قواعد أصول الفقه في أثناء التفسير

تحدث الشيخ في طالعة تفسيره عن العلاقة بين أصول الفقه وبين التفسير فقال :

وأما أصول الفقه فلم يكونوا يعدونه من مادة التفسير،ولكنهم يذكرون أحكام الأوامر والنواهي والعموم وهي من أصول الفقه،فتحصّل أن بعضه يكون مادة للتفسير وذلك من جهتين :

إحداهما : أن علم أصول الفقه قد أودعت فيه مسائل كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب وفهم موارد اللغة أهمل التنبيه عليها علماء العربية مثل مسائل الفحوى ومفهوم المخالفة،وقد عدّ الغزالي علم الأصول من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن وبأحكامه فلا جرم أن يكون مادة للتفسير .

الجهة الثانية : أن علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها(٢)

---

(١) لقد درس السيد عبدالله الريس منهج ابن عاشور في هذا الجانب دراسة حسنة وإن كنت أخالفه في بعض مما ذهب إليه أنظر ذلك في رسالته ص٦١٥-٦٤٧

(٢) ٢٦/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُظهر ابن عاشور أن القاعدة الأصولية مستنبطة من الآية الكريمة أو أن الآية الكريمة كانت مثاراً لتقرير تلك القاعدة.

ومن أمثلة تنبيهه على قواعد الأصول واختلاف العلماء أحياناً في تقرير تلك القواعد ماذكره عند تفسيره لقوله تعالى (هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً)البقره/٢٩.

حيث قال الشيخ أخذوامنها أن أصل استعمال الأشياء فيما يراد له من أنواع الاستعمال هو الإباحةحتى يدل دليل على عدمها لأنه جعل مافي الأرض مخلوقاًلأجلنا وامتن بذلك علينا ، وبذلك قال الإمام الرازي والبيضاوي وصاحب الكشاف ونسب إلى المعتزلة وجماعة من الشافعية والحنفية منهم الكرخي(١) ونسب إلى الشافعي وذهب المالكية وجمهور الحنفية والمعتزلة في نقل ابن عرفة إلى أن الاصل في الأشياء الوقف ولم يروا الآية دليلاً(٢)، قال ابن العربي في أحكامه: (إنما ذكر الله تعالى هذه الآية في معرض الدلالة والتنبيه على طريق العلم والقدرة وتصريف المخلوقات بمقتضى التقرير والإتقان بالعلم إلخ.

والحق أن الآية بجملة قصد منها التنبيه على قدرة الخالق بخلق ما في الأرض وأنه خلق لأجلنا إلا أن خلقه لأجلنا لا يستلزم إباحة استعماله في كل ما يقصد منه بل خلق لنا في الجملة،على أن الامتنان يصدق إذا كان لكل من الناس بعض مما في العالم بمعنى أن الآية ذكرت أن المجموع للمجموع لا كل واحد لكل واحد كما أشار إليه البيضاوي(٣) لاسيما وقد خاطب الله بها قوماً كافرين منكرا عليهم كفرهم فكيف يعلمون إباحة أو منعا وإنما محل الموعظة هو ما خلقه الله من الأشياء التي لم يزل الناس ينتفعون بها من وجوه متعددة.وذهب جماعة إلى أن أصل الأشياءالحظر ونقل عن بعض أهل الحديث وبعض المعتزلة فللمعتزلة الأقوال الثلاثة كما قال القرطبي .قال الحموي في شرح كتاب الأشباه لابن نجيم نقلاً عن الإمام الرازي وإنما تظهر ثمرة المسألة في حكم الأشياء أيام الفترة قبل النبوة أي فيما ارتكبه الناس من تناول الشهوات ونحوها ولذلك كان الأصح أن الأمر موقوف وأنه لا وصف للأشياء يترتب من أجلها عليه الثواب والعقاب.وعندي أن هذا لا يحتاج العلماء إلى فرضه لأن أهل الفترة لا شرع لهم وليس لأفعالهم أحكام إلا في وجوب التوحيد عند قوم .وأما بعد ورود الشرع فقد أغنى الشرع عن ذلك فإن وجد معنى لم يدل عليه دليل من نص أو قياس أو استدلال صحيح فالصحيح أن أصل المضار التحريم والمنافع الحل وهذا الذي اختاره الإمام في المحصول فتصير للمسألة ثمرة باعتبار هذا النوع من الحوادث في الاسلام(٤).

---

(١) هو عبيد الله بن الحسين الكرخي إمام الحنفية في زمانه في العراق ت ٣٤٠ هـ أنظر الفوائد البهية ص ١٠٨

(٢) قال ابن عرفة في التفسير والقول بالوقف هو مذهب المعتزلة والمختار عند أهل السنة ٢٣٠/١

(٣) أنظر تفسيره ١٣١/١ مع الكازروني

(٤) ٣٨١/١-٣٨٢ وانظر١٠٢/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الكلام يفضي إلى أن ابن عاشور رجح أن الأصل في المضار الحظر وفي المباحات الحل لا كما ذهب إليه الباحث الريس(١)

وقال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (إلا إبليس أبى واستكبر) البقر/٣٤، وقد كانت هذه الآية ونظائرها مثار اختلاف بين علماء أصول الفقه فيما تقتضيه دلالة الاستثناء من حكم يثبت للمستثنى فقال الجمهور الاستثناء يقتضي اتصاف المستثنى بنقيض ما حكم به للمستثنى منه فلذلك كثر الاكتفاء بالاستثناء دون أن يتبع بذكر حكم معين للمستثنى سواء أكان الكلام مثبتاً أم منفياً(٢).ويظهر ذلك جلياً في كلمة الشهادة (لا إله إلا الله) فإنه لولا إفادة الاستثناء أن المستثنى يثبت له نقيض ما حكم به للمستثنى منه لكانت كلمة الشهادة غير مفيدة سوى نفي الإلهية عما عدا الله فتكون إفادتها الوحدانية لله بالإلتزام.

وقال أبو حنيفة الاستثناء من كلام منفي يثبت للمستثنى نقيض ما حكم به للمستثنى منه،والاستثناء من كلام مثبت لا يفيد إلا أن المستثنى يثبت له نقيض الحكم لا نقيض المحكوم به،فالمستثنى بمنزلة المسكوت عن وصفه فعند الجمهور المستثنى مخرج من الوصف المحكوم به للمستثنى منه وعند أبي حنيفة المستثنى مخرج من الحكم عليه فهو كالمسكوت عنه. وسوّى المتأخرون من الحنفية بين الاستثناء من كلام منفي والاستثناء من كلام مثبت في أن كليهما لايفيد المستثنى الاتصاف بنقيض المحكوم به للمستثنى منه وهذا رأي ضعيف لا تساعده اللغة ولا موارد استعماله في الشريعة.

فعلى رأي الجمهور تكون جملة(أبى واستكبر) استئنافاً بيانياً،وعلى رأي الحنفية تكون بياناً للإجمال الذي اقتضاه الاستثناء،ولا تنهض منها حجة تقطع الجدال بين الفريقين(٣)

وقال الشيخ عند قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الحجرات/٦، قال بعد تفسيرها،واعلم أن هذه الآية تتخرج منها أربع مسائل من الفقه وأصوله.

المسألة الأولى : وجوب البحث عن عدالة من كان مجهول الحال في قبول الشهادة أو الرواية عند القاضي وعند الزواة.وهذا صريح الآية.

المسألة الثانية : أنها دالة على قبول خبر الواحد الذي انتفت عنه تهمة الكذب في شهادته أو روايته وهو الموسوم بالعدالة،وهذا من مدلول مفهوم الشرط في قوله (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وهي مسألة أصولية في العمل بخبر الواحد.

المسألة الثالثة : قيل إن الآية تدل على أن الأصل في المجهول عدم العدالة،أي عدم ظن عدالته فيجب الكشف عن

---

(١) حيث قال إن ابن عاشور رجح القول بالوقف أنظر ص ٦٢٠ وانظر خلاف العلماء في المسألة في المستصفى ٦٣/١ والأحكام للآمدي ١٣٠/١ وحاشية العطار ٣٩٤/٢ والأحكام لابن حزم ٥٢/١

(٢) في الأصل أو منفياً

(٣) ٤٢٥/١ وراجع المسألة في شرح التلويح على التوضيح ٢٠/٢ وما بعدها وانظر فواتح الرحموت ٣١٦/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجهول الحال فلا يعمل بشهادته ولا بروايته حتى يبحث عنه وتثبت عدالته .وهذا قول جمهور العلماء والمحدثين وهو قول مالك.وقال بعضهم الأصل في الناس العدالة وينسب إلى أبي حنيفة(١) فيقبل عنده مجهول الباطن ويعبر عنه بمستور الحال . أما المجهول ظاهره وباطنه معاً فحكي الاتفاق على عدم قبول خبره ... ويستثنى من هذا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإن الأصل أنهم عدول حتى يثبت خلاف ذلك بوجه لا خلاف فيه في الدين ولا يختلف فيه اجتهاد المجتهدين..(٢)

وابن عاشور حين يذكر مثل هذه المنازع الأصولية المستنبطة من الآيات وتلك التي اختلف فيها الأصوليون لا ينسى مذهبه بل ينبه على بعض المنازع الأصولية الخاصة بمذهب مالك وخذ مثلاً ما ذكره عند تفسيره للبسملة حيث ذكر أن مما يحسم به الخلاف في المسألة وهل البسملة آية من القرآن في أول كل سورة وهل يقرأ بها في ابتداء كل سورة قال : إن الذي يحسم الخلاف عمل أهل المدينة،فإن المسجد النبوي من وقت نزول الوحي الى زمن مالك،صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون والأمراء وصلى وراءهم الصحابة وأهل العلم ولم يسمع أحد قرأ بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة الجهرية،وهل يقول عالم إن بعض السورة جهر وبعضها سر،فقد حصل التواتر بأن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء لم يجهروا بها في الجهرية،فدل على أنها ليست من السورة ولو جهروا بها لما اختلف الناس فيها(٣)

وعمل أهل المدينة أوحجية إجماعهم من المسائل التي خالف فيها الإمام مالك رحمه الله جمهور الأصوليين(٤)

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) البقرة/٣٥، قال الشيخ :وفي تعليق النهي بقربان الشجرة إشارة إلى منزع سد الذرائع وهو أصل من أصول مذهب مالك رحمه الله وفيه تفصيل مقرر في أصول الفقه(٥).

---

(١) وبعض الشافعية وكثير من المحدثين أنظر إعلاء السنن المقدمة ١٢٥/١ وانظر فواتح الرحموت ١٤٦/٢

(٢) ٢٣٣/٢٦

(٣) ١٤١/١ وانظر ذكره لبقية الخلاف في ص ١٣٨ وما بعدها

(٤) أنظر المستصفى ١٨٧/١ وفواتح الرحموت ٢٣٢/٢ وأنظر الأحكام لابن حزم المجلد الأول القسم الرابع ٥٨٤-٥٩٨ والرسالة ٥٣٣-٥٣٥ وإرشاد الفحول ٨٢ والأحكام للآمدي ٣٠٢/١-٣٠٥ وانظر إحكام الفصول في أحكام الأصول لأبي الوليد الباجي ٤١٣-٤١٥ وفيه تفصيل حسن حيث يرى فيه أن مذهب مالك في الاحتجاج بإجماع أهل المدينة إنما هو في المسائل التي طريقها النقل واتصل العمل بها في المدينة على وجه لا يخفى مثله ونقلا بحجج تقطع العذر. ونسب هذا إلى المحققين من أصحاب المالكية.

(٥) ٤٣٢/١ وانظر ٤٣١/٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت : ولا ينبغي أن يتوهم أن سد الذرائع من خصائص مذهب مالك كما توهِمه عبارة الشيخ هنا فقد قال القرافي في الفروق ما نصه : وليس سد الذرائع من خواص مذهب مالك كما يتوهمه كثير من المالكية بل الذرائع ثلاثة أقسام : قسم أجمعت الأمة على سده ومنعه وحسمه كحفر الآبار في طرق المسلمين فإنه وسيلة إلى إهلاكهم فيها وكذلك إلقاء السم في أطعمتهم وسب الاصنام عند من يعلم من حاله أنه يسب الله تعالى عند سبها،وقسم أجمعت الأمة على عدم منعه وأنه ذريعة لا تسد ووسيلة لا تحسم كالمنع من زراعة العنب خشية الخمر فإنه لم يقل به أحد وكالمنع من المجاورة في البيوت خشيةالزنا.

وقسم اختلف فيه العلماء هل يسد أم لا كبيوع الآجال ...فليس سد الذرائع خاصا بمالك رحمه الله بل قال بها هو أكثر من غيره وأصل سدها مجمع عليه(١)

ثانياً : المسائل الخلافية الفقهية وعرض ابن عاشور لها في تفسيره

عرض الشيخ ابن عاشور لأقوال الأئمة الأربعة في تفسيره وهذا الملحظ فيه نوع جِده إذ كان متقدمو المالكية يرون أن الإمام أحمد ليس معدوداً في أئمة الفقه وما صنيع ابن عبد البر في كتابه الاستقصاء إلا خير دليل على ذلك.

وإن كان الشيخ ابن عاشور قد ركز اهتمامه بذكر أقوال أصحاب مذهب مالك إلا أنه والحق يقال لم يكن متعصبا مغالياً فقد رد بعضاً من أقوال مذهبه ورجح آراء الأئمة الثلاثة أحياناً كما ستعرف إن شاء الله

ولا يغفل الشيخ أراءالصحابة والتابعين وقد مر شيء كثير من ذلك في التفسير بالمأثور عنده ونذكر هنا مثالا واحداً على ذلك فقد قال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (فمن تطوع خيراً فهو خير له) البقرة/١٨٤: قال: ولا شك أن الخير هنا مقطوع به فهو الزيادة من الأمر الذي الكلام بصدده وهو الإطعام لا محالة، وذلك إطعام غير واجب فيحتمل أن يكون المراد فمن زاد على إطعام مسكين واحد فهو خير،وهذا قول ابن عباس،أو أن يكون من أراد الإطعام مع الصيام،قاله ابن شهاب،وعن مجاهد : من زاد في الإطعام على المد وهو بعيد،إذ ليس المد مصرحاً به في الآية،وقد أطعم أنس بن مالك خبزاً ولحماً عن كل يوم أفطره حين شاخ(٢)

وأما اقتصار الشيخ من الحديث على مذهب مالك فهذا كثير فنذكر منه ما كان عند تفسيره لقوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) البقرة/٢٢٨ ،حيث قال بعد أن فسرها : وليس في الآية دليل على تصديق

---

(١) الفروق ٢/٣٢-٣٣

(٢) ٢/١٦٨ وانظر كمثال آخر ٣/٢٧،١٦/١١٥ والذي في البغوي أن قول مجاهد : زاد على مكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر أنظر ١/١٥٠ ونقله في البحر كذلك ٢/٣٧ والآلوسي ٢/٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النساء في دعوى الحمل والحيض،كما يجري على ألسنة كثير من الفقهاء،فلا بد من مراعاة أن يكون قولهن مشبهاً

ومتى ارتيب في صدقهن،وجب المصير إلى ما هو المحقق، والى قول الأطباء والعارفين،ولذلك قال مالك : "لو ادعت ذات القروء انقضاء عدتها في مدة الشهر من يوم الطلاق، لم تصدق ولا تصدق في اقل من خمسة وأربعين يوماً،مع يمينها" وقال عبد الملك : خمسون يوماً،وقال ابن العربي : لا تصدق في أقل من ثلاثة أشهر،لأنه الغالب في المدة التي تحصل فيها ثلاثة قروء،وجرى به عمل تونس،كما نقله ابن ناجي وعمل فاس،كما نقله السجلماسي..(١)

ومنه أيضاً ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (غير مضار وصية من الله والله عليم حليم)النساء/١٢، حيث قال: وقد أخذ الفقهاء من هذه الآية حكم مسألة قصد المعطي من عطيته الإضرار بوارثه في الوصية وغيرها من العطايا، والمسألة مفروضة في الوصية خاصة.وحكى ابن عطية عن مذهب مالك وابن القاسم ان قصد المضارة في الثلث لا ترد به الوصية لأن الثلث حق جعله الله له فهو على الإباحة في التصرف فيه.ونازعه ابن عرفة في التفسير بأن ما في الوصايا الثاني من المدونة : صريح في أن قصد الإضرار يوجب رد الوصية وبحث ابن عرفة مكين. ومشهور مذهب ابن القاسم أن الوصية ترد بقصد الإضرار إذا تبين القصد غير أن ابن عبد الحكم لا يرى تأثير الإضرار.

وفي شرح ابن ناجي على تهذيب المدونة أن قصد الإضرار بالوصية في أقل من الثلث لا يوهن الوصية على الصحيح.وبه الفتوى(٢).

وأما ترجيحه لمذهب مالك فهذا أيضا ملحوظ في تفسيره ونكتفي بمثالين على ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) الأنفال/٤١، حيث قال بعد كلام طويل بشأن هذه الآية وتفسيرها : وقد جعل الله الخمس لخمسة مصارف ولم يعين مقداراً ما لكل مصرف منه ولا شك أن الله اراد ذلك ليكون صرفه لمصارفه هذه موكولاً إلى اجتهاد رسوله صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده،فيقسم بحسب الحاجات والمصالح،فياخذ كل مصرف منه ما يفي بحاجته على وجه لا ضر معه على أهل المصرف الآخر،وهذا قول مالك في قسمه الخمس،وهو أصح الأقوال ،إذ ليس في الآية تعرض لمقدار القسمة ،ولم يرد في السنة ما يصح التمسك به لذلك ، فوجب أن يناط بالحاجة،وبتقديم الأحوج والأهم عند التضايق والأمر فيه موكول الى اجتهاد الإمام وقد قال عمر ..فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله(٣)

---

(١) ٣٩٣/٢

(٢) ٢٦٦/٤ وانظر لمزيد من الأمثلة ١٦٨/٢،٦،٧٦/٢٢،٢٧٧/١٠،٢٣٩

(٣) هذا الحديث عن عمر رواه البخاري في كتاب المغازي رقم ٤٠٣٣ أنظر ٣٣٤/٧-٣٣٥ من الفتح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الشافعي : يقسم لكل مصرف الخمس من الخمس،لأنها خمسة مصارف،فجعلها متساوية لأن التساوي هو الأصل في الشركة المجملة ولم يلتفت إلى دليل المصلحة المقتضية للترجيح،وإذ قد جعل ما لله ولرسوله خمساً واحداً تبعاً للجمهور فقد جعله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمصالح المسلمين.

وقال أبو حنيفة :ارتفع سهم رسول الله عليه وسلم وسهم قرابته بوفاته،وبقي الخمس لليتامى والمساكين وابن السبيل،لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أخذ سهماً في المغنم لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأنه إمام،فلذلك لا يخلفه فيه غيره.

وعند الجمهور أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلفه فيه الإمام فيبدأ بنفقته ونفقة عياله بلا تقدير ويصرف الباقي في مصالح المسلمين(١).

ومن ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسيره لآيات القذف في سورة النور(٦-٩)آيات الملاعنة حيث قال : وقد علم من أحاديث سبب نزول الآيةوفي علة تخصيص الأزواج في حكم القذف بحكم خاص وفي لفظ (يرمون)ومن ذكر الشهداء أن اللعان رخصةمنّ الله بها على الأزواج في أحوال الضرورة فلا تتعداها.

فلذلك قال مالك في المشهور عنه وآخر قوليه وجماعة : لا يلاعن بين الزوجين إلا إذا ادّعى الزوج رؤية امرأته تزني أو نفى حملها نفياً مستنداً إلى حدوث الحمل بعد تحقق براءة رحم زوجه وعدم قربانه إياها،فإن لم يكن كذلك ورماها بالزنى،أي بمجرد السماع أو برؤية رجل في البيت في غير حال الزنى،أو بقوله لها يا زانية،أو نحو ذلك مما يجري مجرى السب والشتم فلا يشرع اللعان .ويحد الزوج في هذه الأحوال حد القذف لأنه افتراء لا بينة عليه ولا عذر يقتضي تخصيصه إذ العذر هوعدم تحمل رؤية امرأته تزني وعدم تحمل رؤية حمل يتحقق أنه ليس منه.وقال أبو حنيفة والشافعي والجمهور : إذا قال تحمل(٢)لها : يا زانية وجب اللعان،ذهاباً منهم إلى أن اللعان بين الزوجين يجري في مجرد القذف أيضاً تمسكاً بمطلق لفظ (يرمون).ويقدح في قياسهم أن بين دعوى الزنى على المرأة وبين السب بألفاظ فيها نسبة إلى الزنا فرقاً بيناً عند الفقيه.وتسمية القرآن أيمان اللعان شهادة يومىء إلى أنها لرد دعوى وشرط ترتب الآثار على الدعوى أن تكون محققة.فقول مالك أرجح من قول الجمهور لأنه أغوص على الحقيقة الشرعية(٣).

---

(١) ١٢/١٠ وراجع الشنقيطي في أضواء البيان حيث فصل المسألة واختار ما ذهب إليه الشافعي ٣٦٠/٢ وما بعدها.وانظر المسألة في أحكام القرآن للجصاص ٢٤٣/٤-٢٥٠ وأحكام القرآن لابن العربي ٨٥٤/٢-٨٦٦ وأحكام القرآن للكيا الهراسي ١٥٧/٣-١٦١ وتفسير آيات الأحكام للسايس ٦/٣-٩

(٢) لعل هذه الكلمة زائدة هنا

(٣) ١٦٣/١٨-١٦٤ وراجع المسألة في بداية المجتهد ١٤٥/٢ وأحكام الجصاص ١٣٧/٥-١٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قلت إن الشيخ يعرض للمذاهب الأربعة وقد يرجح متبعاً الدليل أو معللاً ولا يتعصب لمذهب المالكية وسنذكر هنا مواضع ردّ فيها قول المالكية وبعضاً من صور ردوده على المذاهب الأخرى -غير مالك-

فمما رد فيه قول الإمام مالك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين) المائدة/٤ حيث قال بعد تفسيرها :

وقد اختلف الفقهاء في أن الصيد رخصة،أو صفة من صفات الذكاة.فالجمهور ألحقوه بالذكاة و هو الراجح.ولذلك أجازوا أكل صيد الكتابي دون المجوسي.وقال مالك: هو رخصة للمسلمين فلا يؤكل صيد الكتابي ولا المجوسي وتلا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم)المائدة/٩٤،وهو دليل ضعيف:لأنه وارد في غير بيان الصيد ولكن في حرمة الحرم.وخالفه أشهب وابن وهب من أصحابه ولا خلاف في عدم أكل صيد المجوسي إلا رواية عن أبي ثور إذ ألحقهم بأهل الكتاب فهو اختلاف في الأصل لا في الفرع(١).

ومن رده مذهب مالك ما ذكره في نجاسة عين الخمر حيث قال : فأما اجتناب مماسة الخمر واعتبارها نجسة لمن تلطخ بها بعض جسده أو ثوبه فهو مما اختلف فيه أهل العلم.فمنهم من حملوا الرجس في الآية بالنسبة للخمر على معنييه المعنوي والذاتي،فاعتبروا الخمر نجس العين يجب غسلها كما يجب غسل النجاسة،حملاً للفظ الرجس على جميع ما يحتمله.وهو قول مالك.ولم يقولوا ذلك في قداح الميسر ولا في حجارة الأنصاب ولا في الأزلام والتفرقة بين هذه الثلاث وبين الخمر لا وجه لها من النظر.وليس في الأثر ما يحتج به لنجاسة الخمر.ولعل كون الخمر مائعة هو الذي قرب شبهها بالأعيان النجسة،فلما وصفت بأنها رجس حمل في خصوصها على معنييه .وأما ما ورد في حديث أنس أن كثيراً من الصحابة غسلوا جرار الخمر لما نودي بتحريمها شربها(٢) فذلك من المبالغة في التبرىء منها وإزالة أثرها قبل التمكن من النظر فيما سوى ذلك،ألا ترى أن بعضهم كسر جرارها،ولم يقل أحد بوجوب كسر الإناء الذي فيه شيء نجس على أنهم فعلوا ذلك ولم يؤمروا به من الرسول صلى الله عليه وسلم،وذهب بعض أهل العلم إلى عدم نجاسة الخمر وهو قول ربيعة بن أبي عبد الرحمن والليث بن سعد والمزني من أصحاب الشافعي وكثير من البغداديين من المالكية ومن القيروانيين،منهم سعيد بن الحداد القيرواني.وقد استدل سعيد بن الحداد(٣) على طهارتها بأنها سفكت في طرق المدينة،ولو كانت نجساً لنهوا عنه إذ قد ورد النهي عن إراقة النجاسة في الطرق،وذكر ابن الفرس عن أبي لبابة أنه أقام قولاً بطهارة عين الخمر من المذهب.

---

(١) ١١٨/٦

(٢) الحديث

(٣) جاء في الهامش ما نصه أخذ عن سحنون ولد سنة ٣١٩ وتوفي سنة ٣٣٠ هـ.وهي حاشية خطأ قطعاً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقول : والذي يقتضيه النظر أن الخمر ليست نجس العين وان مساق الآية بعيد عن قصد نجاسة عينها ،إنما القصد أنها رجس معنوي،ولذلك وصف بأنه من عمل الشيطان...ولأن النجاسة تعتمد الخباثة والقذارة وليست الخمر كذلك وإنما تنزه السلف عن مقاربتها لتقرير كراهيتها في النفوس(١)

واعلم أن ابن عاشور قد أكثر النقل من كتاب في فقه المالكية يسمى العتبية أو المستخرجة وهو كتاب تفاوتت أنظار علماء المالكية في قبوله أوردّه(٢)

ومما رد به قول الشافعي ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى (فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) النساء/٣ حيث ذكر أن جمهور الفقهاء على أن معنى (ألا تعولوا) أي الا تميلوا وتجوروا ثم قال : (وقيل معنى (ألا تعولوا) أن لاتكثر عيالكم،مأخوذ من قولهم عال الرجل أهله يعولهم بمعنى مانهم.يعني فاستعمل نفي كثرة العيال عن طريق الكناية لأن العول يستلزم كثرة العيال ...وهذا التفسير مأثور عن زيد بن أسلم.وقاله الشافعي،وقال به ابن الأعرابي من علماء اللغة،وهو تفسير بعيد وكناية خفية،لا يلائم إلا أن تكون الإشارة بقوله (ذلك) إلى ما تضمنه قوله(فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) ويكون في الآية ترغيب في الاقتصار على الواحدة لخصوص الذي لا يستطيع السعة في الانفاق،لأن الاقتصار على الواحدة يقلل النفقة ويقلل النسل فيبقى عليه ماله،ويدفع عنه الحاجة إلا أن هذا الوجه لا يلائم قوله (أو ما ملكت أيمانكم) لأن تعدد الإماء يفضي إلى كثرة العيال في النفقة عليهن وعلى ما يتناسل منهن،ولذلك رد جماعة على الشافعي هذا الوجه بين مفرط ومقتصد.

وقد أغلظ في الرد أبو بكر الجصاص في أحكامه حتى زعم أن هذا غلط في اللغة،اشتبه به عال يعيل بعال يعول.واقتصد ابن العربي في رد هذا القول في كتاب الأحكام.وانتصر صاحب الكشاف للشافعي وأورد عليهم أن ذلك لا يلاقي قوله تعالى (أو ما ملكت أيمانكم) فإن تعدد الجواري مثل تعدد الحرائر فلا مفر من الإعالة على هذا التفسير ،وأجيب عنه بجواب فيه تكلف(٣).

واعلم أن من رد قول الشافعي إن كان رده لمخالفته اللغة فهذا ليس بمسلم لأن كلام الشافعي نفسه حجة في اللغة(٤) ولقد وردت هذه الصيغة ومعناها في لغة العرب(٥)

---

(١) ٧/٢٦-٢٧

(٢) الديباج ٢٣٩ وانظر ص٧ من تقديم إبرهيم المختار أحمد عمر الجبرتي الزيلعي لكتاب شرح العلامة الأمير على منظومة بهرام.

(٣) ٤/٢٢٨-٢٢٩

(٤) نقله أحمد شاكر عن ابن هشام وجعله في ص٣ من مقدمة الرسالة للشافعي وهو كلام للأزهري نقله في اللسان مادة عول

(٥) أنظر اللسان عول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

.ولذلك وجه الزمخشري كلام الشافعي كما قال الشيخ هنا وتبعه الآلوسي(١) ومن قبله السمين الحلبي في الدر(٢).

وقال الزمخشري ههنا كلاماً حسناً يحسن ذكره : والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله أنه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم .فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم :مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم،وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب،وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا.

فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :لا تظنن بكلمة خرجت من فيّ أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً. وكفى بكتابنا المترجم (شافي العي من كلام الشافعي) شاهداً بأنه كان أعلى كعباً وأطول باعاً في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرق وأساليب ،فسلك في تفسير هذه الكلمة طريق الكنايات اهـ(٣) وهو كلام في غاية الحسن ورحم الله الجميع.

ومن ترجيح الشيخ لرأي الشافعي عليه الرحمة ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم)محمد/٣٣، حيث قال : وحمل بعض علمائنا قوله تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم)على معنى النهي عن قطع العمل المتقرب به إلى الله تعالى.وإطلاق الإبطال على القطع وعدم الإتمام يشبه أنه مجاز،أي لا تتركوا العمل الصالح بعد الشروع فيه،فأخذوا منه أن النفل يجب بالشروع لأنه من الأعمال،وهو قول أبي حنيفة في النوافل مطلقاً،ونسب ابن العربي في الأحكام مثله إلى مالك.ومثله القرطبي وابن الفرس ونقل الشيخ الجد في حاشيته على المحلي عن القرافي في شرح المحصول ونقل حلولو في شرح جمع الجوامع عن القرافي في الذخيرة،ان مالكاً قال بوجوب سبع نوافل بالشروع وهي الصلاة والصيام والحج والعمرة والاعتكاف والائتمام وطواف التطوع دون غيرها نحو الوضوء والصدقة والسفر للجهاد،وزاد حلولو إلحاق الضحية بالنوافل التي تجب بالشروع ولم أقف على مأخذ القرافي ذلك ولا على مأخذ حلولو في الأخير.

---

(١) ١٩٧/٤

(٢) ٥٦٧/٣ وما بعدها

(٣) الكشاف ٤٩٨/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم ير الشافعي وجوباً بالشروع في شيء من النوافل وهو الظاهر(١).

ومن ذلك أيضاً ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى في كفارة الظهار (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا..) المجادلة/٤.

حيث قال : ولا يمس امرأته حتى يتم الشهرين(٢) متتابعين فإن مسها في خلال الشهرين أثم ووجب عليه إعادة الشهرين.وقال الشافعي : إذا كان الوطء ليلاً لم يبطل التتابع لأن الليل ليس محلاً للصوم،وهذا هو الجاري على القياس وعلى مقتضى حديث سلمة بن صخر(٣) وأما كونه آثماً بالمسيس قبل تمام الكفارة فمسألة أخرى فمن العجب قول أبي بكر بن العربي في كلام الشافعي أنه كلام من لم يذق طعم الفقه لأن الوطء الواقع في خلال الصوم ليس بالمحل المأذون فيه بالكفارة فإنه وطء تعدٍّ فلا بد من الامتثال للأمر بصوم لا يكون في أثنائه وطء(٤)

ومما رجح الشيخ فيه قول أبي حنيفة رحمه الله ما ذكره في مسألة قطع اليد في السرقة وماذا لو تعددت سرقته كيف يصير الحكم ؟ ذكر الشيخ أقوال الفقهاء فقال... فاتفق الفقهاء على أن أول ما يبدأ به في عقوبة السارق أن تقطع يده،فقال الجمهور اليد اليمنى ،وقال فريق اليد اليسرى،فإن سرق ثانية،فقال جمهور الأئمة : تقطع رجله المخالفة ليده المقطوعة.وقال علي بن أبي طالب لا تقطع ولكن يحبس ويضرب.وقضى بذلك عمر بن الخطاب،وهو قول أبي حنيفة،فقال علي : إني لأستحي أن أقطع يده الأخرى فبأي شيء يأكل ويستنجي أو رجله فعلى أي شيء يعتمد ، فإن سرق الثالثة والرابعة فقال مالك والشافعي تقطع يده الأخرى ورجله الأخرى وقال الزهري لم يبلغنا في السنة إلا قطع اليد والرجل لا يزاد على ذلك، وبه قال أحمد بن حنبل والثوري وحماد بن سلمة.ويجب القضاء بقول أبي حنيفة فإن الحدود تدرأ بالشبهات وأي شبهة أعظم من اختلاف أئمة الفقه المعتبرين(٥).

قلت وفي بداية المجتهد أن أبا حنيفة وافق الجمهور في قطع الرجل اليسرى بعد اليد اليمنى ولكنهم اختلفوا فيما بعد ذلك إذا تكررت السرقة(٦) وذكره كذلك في الاختيار وان أبا حنيفة لا يرى القطع في الثالثة وذكر أن هذا الحكم قد صار إجماعاً(٧).

---

(١) ١٢٩/٢٦ وانظر المسألة في التلويح على التوضيح وشرحه ١٢٥/٢

(٢) في الأصل الشهران

(٣) الحديث الطويل في قصته حيث ظاهر من امرأته ووقع عليها وان عليه كفارة واحدة أنظر أبي داود مع العون ٢٣٣/٢ وما بعدها والترمذي مع التحفة ٣٧٩/٤ وابن ماجه ٦٦٥/١

(٤) ٢١/٢٨ وكلام ابن العربي هذا في الأحكام ١٧٥٧/٤ وانظر المسألة في رحمة الأمة ٢٢٦ وبداية المجتهد ١٣٩/٢ وكفاية الأخيار ٧٤/٢

(٥) ١٩٢/٦

(٦) أنظر بداية المجتهد ٥٨٥/٢

(٧) ١٠٩/٤-١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالظاهر أن ابن عاشور قد أغفل جهة من الجهات المتفق عليها وكلامه يؤيد ذلك وهو ما نقله عن الزهري والله أعلم.

وذكر العثماني في رحمة الأمة اتفاق الفقهاء على قطع اليد والرجل من خلاف في أول سرقتين وجرى الخلاف بعد ذلك على نحو ما قرره ابن عاشور(١) وذهب المرداوي إلى أن مذهب الإمام أحمد أنه يحبس ولا يقطع في الثالثة أي بعد قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وقال هذا هو المذهب بلا ريب(٢).

ومن ترجيحه مذهب أبي حنيفة رحمه الله ما ذكره في خلاف الفقهاء في الانتفاع بجلد الحيوان الميت إذا دبغ حيث قال : فقال أحمد بن حنبل لا يطهر جلد الميتة بالدبغ(٣)،وقال أبوحنيفة والشافعي : يطهر بالدبغ ما عدا جلد الخنزير،لأنه محرم العين ونسب هذا إلى الزهري،وألحق الشافعي جلد الكلب بجلد الخنزير،وقال مالك يطهر ظاهر الجلد بالدبغ لأنه يصير صلباً لا يداخله ما يجاوره. وأما باطنه فلا يطهر بالدبغ ولذلك قال : يجوز استعمال جلد الميتة المدبوغ في غير وضع الماء فيه،ومنع أن يصلي به أو عليه،وقول أبي حنيفة أرجح للحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة لميمونة أم المؤمنين فقال هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به(٤)،ولما جاء في الحديث أيما إهاب دبغ فقد طَهُرَ(٥).

ومن رده رأي أبي حنيفة رحمه الله ما ذكره في حرمة أكل خنزير الماء فقال في تقرير المسألة : ومن عجب ما يتعرض له المفسرون والفقهاء من البحث في حرمة خنزير الماء وهي مسألة فارغة إذ أسماء أنواع الحوت روعيت فيها المشابهة كما سموا بعض الحوت فرس البحر وبعضه حمام البحر وكلب البحر،فكيف يقول أحد بتأثير الأسماء والألقاب في الأحكام الشرعية،وفي المدونة توقف مالك أن يجيب في خنزير الماء وقال أنتم تقولون خنزير. قال ابن شاس : رأى غير واحد أن توقف مالك حقيقة لعموم (أحل لكم صيد البحر)المائدة/٩٦

---

(١) ص٢٨٠ وراجع المسألة في كفاية الأخيار ١١٨ وانظر قليوبي على منهاج الطالبين ١٩٨/٤ وانظر حاشية الشرواني على تحفة المحتاج ١٥٥/٩

(٢) الانصاف ٢٨٥/١٠-٢٨٦

(٣) عن أحمد روايات أخرى ذكرها في الإنصاف ورجح طهارة جلد ما كان طاهراً في حال الحياة أنظر ٨٧/١

(٤) رواه البخاري في الزكاة حديث رقم ١٤٩٢ أنظر ٣٥٥/٣ الفتح ،ورواه مسلم في الحيض أنظر ٥١/٤ مع النووي

(٥) رواه الإمام مسلم بلفظ قريب من هذا في الحيض ٥٣/٤ مع النووي وأبو داود في اللباس ١١٢/٤ مع العون والترمذي في اللباس ٣٩٩/٥-٤٠٠ ورواه الإمام مالك في الموطأ ٤٩٨/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعموم قوله تعالى (ولحم الخنزير)البقرة/١٧٣،ورأى بعضهم أنه غير متوقف فيه حقيقة، وإنما امتنع من الجواب إنكاراً عليهم تسميتهم إياه خنزيراً ولذلك قال أنتم تسمونه خنزيراً يعني أن العرب لم يكونوا يسمونه خنزيرا وإنه لا ينبغي تسميته خنزيراً ،ثم السؤال عن أكله حتى يقول قائلون أكلوا لحم الخنزير،أي فيرجع كلام مالك إلى صون ألفاظ الشريعة،لا يتلاعب بها،وعن أبي حنيفة أنه منع أكل خنزير البحر غير متردد أخذاً بأنه سمي خنزيراً وهذا عجيب منه وهو المعروف بصاحب الرأي،ومن أين لنا ألا يكون لذلك الحوت اسم آخر في لغة بعض العرب فيكون أكله محرماً على فريق ومباحاً لفريق(١).

ومن رده مذهب الإمام أحمد ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين)المائدة/٤ ، حيث قال : فاما الكلاب فلا خلاف في إباحة عموم صيد المعلمات منها،إلا ما شذ من قول الحسن وقتادة والنخعي بكراهة صيد الكلب الأسود البهيم،أي عام السواد.محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم (الكلب الأسود شيطان) أخرجه مسلم(٢)،وهو احتجاج ضعيف،مع أن النبي صلى الله عليه وسلم سماه كلباً،وهل يشك أحد أن معنى كونه شيطاناً أنه مظنة للعقر وسوء الطبع.على ان مورد الحديث في أنه يقطع الصلاة إذا مر بين يدي المصلي. على أن ذلك متأول .وعن أحمد ابن حنبل : ما أعرف أحداً يرخص فيه (أي في أكل صيده) إذا كان بهيماً. وبه قال إسحق بن راهويه،وكيف يصنع بجمهور الفقهاء(٣).

وما ذكره هو رأي الإمام أحمد كما حققه المرداوي في الإنصاف(٤) وهو وجه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى(٥).

ثالثاً : بيانه لحكمة التشريع عند تفسيره لبعض الآيات

عرض الشيخ لهذا الأمر في التفسير ولم يكن عرضه كثيراً بحيث يشتمل على محاولة تقرير حكمة التشريع في كل الأحكام ولكن كان له وقوف حسن عند بعض الآيات الكريمة ونكتفي هنا بمثالين أحدهما في بيان حكمة تحريم الربا وسبب انتشاره والوسيلة إلى خلاص المسلمين منه والثاني حكمة تشريع التيمم بدلاً عن الطهارة بالماء.

قال الشيخ في بيان حكمة تحريم الربا : وحكمة تحريم الربا هي قصد الشريعة حمل الأمة على مواساة غنيها محتاجها احتياجاً عارضاً مؤقتاً بالقرض، فهو مرتبة دون الصدقة،وهو ضرب من المواساة إلا أن المواساة منها ،فرض كالزكاة ومنه ندب كالصدقة والسلف فإن انتدب لها المكلف حرم عليه طلب عوض عنها،وكذلك

---

(١) ١١٩/٢

(٢) في الصلاة ٢٢٧/٤ مع النووي

(٣) ١١٥/٦ وقول أحمد ذكره في بداية المجتهد ٥٥٩/١

(٤) ٤٢٧/١٠

(٥) أنظر كفاية الأخيار ١٣٨/٢-١٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعروف كله،وذلك أن العادة ماضية في الأمم،وخاصة العرب،أن المرء لا يتداين إلا لضرورة حياته،وكذلك كان حق الأمة مواساته.والمواساة يظهر أنها فرض كفاية على القادرين عليها،فهو غير الذي جاء يريد المعاملة للربح كالمتبايعين والمتقارضين للفرق الواضح في العرف بين التعامل والتداين،إلا أن الشرع ميز هاته المواهي بعضها عن بعض بحقائقها الذاتية،لا باختلاف أحوال المتعاقدين فلذلك لم يسمح لصاحب المال في استثماره بطريقة الربا في السلف ولو كان المستلف غير محتاج،بل كان طالب سَعة وإيراد بتحريك المال الذي يتسلفه في وجوه الربح والتجارة ونحو ذلك،وسمح لصاحب المال في استثماره بطريقة الشركة والتجارة ودين السلم. ولو كان الربح في ذلك أكثر من مقدار الربا،تفرقة بين المواهي الشرعية. ويمكن أن يكون مقصد الشريعة من تحريم الربا البعد بالمسلمين عن الكسل في استثمار المال.وإلجاؤهم إلى التشارك والتعاون في شؤون الدنيا فيكون تحريم الربا،ولو كان قليلاً مع تجويز الربح في التجارة والشركات ولو كان كثيراً، تحقيقاً لهذا المقصد.

ولقد قضى المسلمون قروناً طويلة لم يروا أنفسهم فيها محتاجين إلى التعامل بالربا ولم تكن ثرواتهم أيامئذ قاصرة عن ثروة بقية الأمم في العالم،أزمان كانت سيادة العالم بيدهم،أو أزمان كانوا مستقلين بإدارة شؤونهم فلما صارت سيادة العالم بيد أمم غير إسلامية وارتبط المسلمون بغيرهم في التجارة والمعاملة وانتظمت سوق الثروة العالمية على قواعد القوانين التي لا تتحاشى المراباة في المعاملات ولا تعرف أساليب مواساة المسلمين،دهش المسلمون ،وهم اليوم يتساءلون،وتحريم الربا في الآية صريح وليس لما حرمه الله مبيح،ولا مخلص من هذا المضيق إلا أن تجعل الدول الإسلامية قوانين مالية تبنى على أصول الشريعة في المصارف،والبيوع،وعقود المعاملات المركبة من رؤوس الأموال وعمل العمال وحوالات الديون ومقاضاتها وبيعها،وهذا يقضي بإعمال أنظار علماء الشريعة والتدارس بينهم في مجمع يحوي طائفة من كل فرقة كما أمر الله تعالى(١) .

وقال الشيخ في حكمة تشريع التيمم وجعله عوضاً عن الطهارة بالماء ما نصه : والتيمم بدل جعله الشرع عن الطهارة،ولم أرَ لأحد من العلماء بياناً في حكمة جعل التيمم عوضاً عن الطهارة بالماء،وكان ذلك من همي زمناً طويلاً وقت الطلب ثم انفتح لي حكمة ذلك : وأحسب أن حكمة تشريعه تقرير لزوم الطهارة في نفوس المؤمنين،وتقرير حرمة الصلاة،وترفيع شأنها في نفوسهم،فلم تترك لهم حالة يعدون فيها أنفسهم مصلين بدون طهارة تعظيماً لمناجاة الله تعالى،فلذلك شرع لهم عملاً يشبه الإيماء إلى الطهارة ليستشعروا أنفسهم متطهرين،وجعل ذلك بمباشرة اليدين صعيد الأرض التي هي منبع الماء ولأن التراب مستعمل في تطهير الآنية ونحوها، ينظفون به ما علق لهم من الأقذار في ثيابهم وأبدانهم وماعونهم،وما الاستجمار إلا

---

(١) ٤/٨٦-٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك ،مع ما في ذلك من تجديد طلب الماء لفاقده وتذكيره بأنه مطالب به عند زوال مانعه وإذ قد كان التيمم طهارة رمزية اقتنعت الشريعة فيه بالوجه والكفين في الطهارتين الصغرى ،والكبرى .. ويؤيد هذا المقصد أن المسلمين لما عدموا الماء في غزوة المريسيع صلوا بدون وضوء فنزلت آية التيمم.هذا منتهى ما عرض لي من حكمة مشروعية التيمم بعد طول البحث والتأمل في حكمة مقنعة في النظر...(١)

وهكذا يسيرالشيخ في بيان حكمة التحريم أو التشريع لبعض الأحكام التي شرع الله تعالى وطلبٌ أو بعض ما نهى الله عنه وحرم(٢).

رابعاً : طبيعة المسائل الفقهية التي يعرضها

لقد كان الشيخ تقليدياً في عرضه لمسائل الفقه بحيث لم يتطرق إلى مستجدات العصر أو المشكلات الفقهية التي يمكن أن تثار من خلال الآيات الكريمة أو تجد استفساراً عنها في الواقع المعاصر،ورغم تقليديته التي طالت التفسير كله تقريباً إلا أنه نادراً ما يعرج على مسألة فقهية معاصرة في تفسيره وهاك مثالان على ذلك .

قال عند تفسيره لقوله تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) الحج/٣٧ :

وقد عرض غير مرة سؤال عما إذا كانت الهدايا أوفر من حاجة أهل الموسم قطعاً أو ظناً قريباً من القطع كما شوهد ذلك في مواسم الحج،فما يبقى منها حياً يباع وينفق ثمنه في سد خلة المحاويج أجدى من نحره أو ذبحه حين لايرغب فيه أحد،ولو كانت اللحوم التي فات أن قطعت وكانت فاضلة عن حاجة المحاويج يعمل تصبيرها بما يمنع عنها التعفن فينتفع بها في خلال العام أجدى للمحاويج.

وقد ترددتُ في الجواب عن ذلك أنظار المتصدين للإفتاء من فقهاء هذا العصر وكادوا أن تتفق كلمات من صدرت منهم فتاوى على أن تصبيرها مناف للتعبد بهديها.

أما أنا فالذي أراه أن المصير إلى كلا الحالين من البيع والتصبير لما فضل عن حاجة الناس في أيام الحج،لينتفع بها المحتاجون في عامهم،أوفق بمقصد الشارع تجنباً لإضاعة ما فضل منها رعياً لمقصد الشريعة من نفع المحتاج وحفظ الأموال مع عدم تعطيل النحر والذبح للقدر المحتاج إليه منها المشار إليه بقوله تعالى (فاذكروا اسم الله عليها صواف) وقوله تعالى (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم) الحج/٣٧ ،جمعاً بين المقاصد الشرعية.

وتعرض صورة أخرى وهي توزيع المقادير الكافية للانتفاع بها على أيام النحر الثلاثة بحيث لا يتعجل نحر جميع الهدايا في اليوم الأول طلباً لفضيلة المبادرة،فإن التقوى التي تصل إلى الله من تلك الهدايا هي تسليمها للنفع بها.وهذا قياس على أصل حفظ الأموال كما فرضوه في بيع الفرس الحُبُس إذا أصابه ما يفضي به إلى الهلاك أو عدم النفع،وفي المعاوضة

---

(١) ٦٩/٥

(٢) أنظر كذلك ٤١٥/٢، ٨٥/٣، ٢٢٦/٤، ٢٩٨/٤، ٩١/٦، ٩٦/٧، ١٦٢/١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لِرُبْع الحبس إذا خرب.وحكم الهدايا مركب من تعبد وتعليل،ومعنى التعليل فيه أقوى،وعلته انتفاع المسلمين..(١).

ومنه ما ذكره عن قصة الخصمين الذين احتكما إلى داود عليه السلام حيث قال : وفي هذا دليل شرعي على جواز وضع القصص التمثيلية التي يقصد منها التربية والموعظة ولا يتحمل واضعها جرحة الكذب خلافاً للذين نبزوا الحريري بالكذب في وضع المقامات كما أشار هو إليه في ديباجتها. وفيها دليل شرعي لجواز تمثيل تلك القصص بالأجسام والذوات إذا لم تخالف الشريعة،ومنه تمثيل الروايات والقصص في ديار التمثيل،فإن ما يجري في شرع من قبلنا يصلح دليلاً لنا في شرعنا إذا حكاه القرآن أو سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد في شرعنا ما ينسخه(٢) ولا يخفى أن هذا الاستنباط مبني على أن الخصومة تمثيل وأن الخصمين ملائكة،وقد علمت ما فيه عند حديثنا عن عصمة الأنبياء.

خامساً : بعض اختيارات ابن عاشور التي خالف فيها ما عليه التحقيق.

ولا نستطيع أن نتتبع الشيخ في كل ما جاء به وحسبنا الوقوف عند بعض المسائل والإشارة إلى بعضٍ آخر.

أولاً : نكاح المتعة

يرى ابن عاشور أنه يجوز رخصة للمسافر ونحوه من أحوال الضرورات وهاك تفصيل كلامه، قال : ونكاح المتعة: هو الذي تعاقد الزوجان على أن تكون العصمة بينهما مؤجلة بزمان أو بحالة،فإذا انقضى ذلك الأجل ارتفعت العصمة،وهو نكاح قد أبيح في الاسلام لا محالة،ووقع النهي عنه يوم خيبر أو يوم حنين على الأصح.والذين قالوا حرم يوم خيبر قالوا : ثم أبيح في غزوة الفتح ثم نهي عنه في اليوم الثالث من يوم الفتح،وقيل نهي عنه في حجة الوداع،قال أبو داود وهو أصح . والذي استخلصناه أن الروايات فيها مضطربة اضطراباً كبيراً

وقد اختلف العلماء في الأخير من شأنه فذهب الجمهور إلى أن الأمر استقر على تحريمه،فمنهم من قال نسخته آية المواريث لأن فيها (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ـــ ولهن الربع مما تركتم) النساء/١٢،فجعل للأزواج حظاً من الميراث،وقد كانت المتعة لا ميراث فيها،وقيل نسخها ما رواه مسلم عن سبرة الجهني أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره الى الكعبة ثالث يوم من الفتح يقول أيها الناس إن كنت أذنت في الاستمتاع من هذه النساء ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة(٣).

---

(١) ٢٦٨/١٧

(٢)٢٣٨/٢٣

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في الصحيح ١٨٦/٩ مع النووي وأبو داود في السنن ١٨٦/٢ وابن ماجة في النكاح ٦٣١/١ حديث رقم ١٩٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانفراد سبرة في مثل ذلك اليوم مغمز في روايته.على أنه ثبت أن الناس استمتعوا . وعن علي بن أبي طالب وعمران بن الحصين،وابن عباس وجماعة من التابعين والصحابة أنهم قالوا بجوازه.قيل مطلقاً وهو قول الإمامية،وقيل في حالة الضرورة عند أصحاب ابن عباس من أهل مكة واليمن.

وروي عن ابن عباس أنه قال لولا عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شفى(١).

وعن عمران بن حصين في الصحيح أنه قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها آية تنسخها،وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.ثم قال رجل برأيه ما شاء،يعني عمر بن الخطاب حين نهى عنها في زمن خلافته بعد أن عملوا بهافي معظم خلافته،وكان ابن عباس يفتي بها فلما قال له سعيد بن جبير : أتدري ما صنعت بفتواك فقد سارت بها الركبان حتى قال القائل

قد قلت للركب إذ طال الثواء بنا ... يا صاح هل لك في فتوى ابن عباس

في بضة رخصة الأطراف ناعمة ... تكون مثواك حتى مرجع الناس (٢)

أمسك عن الفتوى وقال : إنما أحللت مثل ما أحل الله الميتة والدم،يريد عند الضرورة.

واختلف العلماء في ثبات علي على إباحتها،وفي رجوعه. والذي عليه علماؤنا أنه رجع عن إباحتها، أما عمران بن حصين فثبت على الإباحة ،وكذلك ابن عباس على الصحيح. وقال مالك : يفسخ نكاح المتعة قبل البناء وبعد البناء،وفسخه بغير طلاق،وقيل بطلاق ولا حدّ فيه على الصحيح من المذهب ،وأرجح الأقوال أنها رخصة للمسافر ونحوه من أحوال الضرورات،ووجه مخالفتها للمقصد من النكاح ما فيها من التأجيل.

والذي يستخلص من مختلف الأخبار أن المتعة أذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ونهى عنها مرتين والذي يفهم من ذلك أن ليس ذلك بنسخ مكرر ولكنه إناطة إباحتها بحال الاضطرار،فاشتبه على الرواة تحقيق عذر الرخصةبأنه نسخ،وقد ثبت أن الناس استمتعوا في زمن أبي بكر وعمر ثم نهى عنها عمر في آخر خلافته.والذي استخلصناه في حكم نكاح المتعة أنه جائز عند الضرورة الداعية إلى تأجيل مدة العصمة.مثل الغربة في سفر أو غزو إذا لم تكن مع الرجل زوجه. ويشترط فيه ما يشترط في النكاح من صداق وإشهاد وولي حيث يشترط ،وأنها تبين منه عند انتهاء الأجل وأنها لا ميراث فيها بين الرجل والمرأة إذا مات أحدهما في مدة الاستمتاع،وأن عدتها حيضة واحدة وأن الأولاد لاحقون بابيهم المستمتع.وشذالنحاس فزعم أنه لا يلحق الولد بأبيه في نكاح المتعة.ونحن نرى أن هذه الآية بمعزل عن أن تكون نازلة في

---

(١) قال ابن عاشور بفاء بعد الشين ،أي إ لا قليل وأصله من قولهم :شفيت الشمس إذا غربت وفي بعض الكتب شقي

(٢) هذه الأبيات مذكورة في كتب التفسير والاحكام دون تعيين قائلها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نكـاح المتعـةوليس سياقها سامحاً بذلـك.ولكنهـا صالحة لاندراج المتعـة في عمـوم (ما اسمتعتم) فيرجع في مشروعية نكاح المتعة إلى ما سمعت آنفاً(١)

هذا هو رأي الشيخ في هذا الأمر وهو متابع فيه بعضاً ممن يرى جواز مثـل هذا النكاح مـن علماء المالكية كما نص على ذلـك الونشريسي وأن ناكح المتعـة لا يرجم لأن نكـاح المتعة ليـس بحرام في رواية عن مالك(٢) ونقـل مثل ذلك الباجي في المنتقـى(٣) غير أن أبا بكر بن العـربي شـدد النكير على إباحتـه كمـا في كتـابه الأحكام وقال إنه مـن غـرائب الشـريعة(٤) .

ونقل الونشريسي عنه في القبس التشديد في ذلك أيضاً(٥) وذهب ابن عبد البر في الكافي إلى أنه نكاح باطل(٦).

ونقـل الإمام النووي في المنهاج الإجماع على تحريم نكاح المتعـة عن القاضي عياض(٧) ونقـل الحـافظ ابن حجر في الفتح الإجمـاع على تحـريم المتعة عـن ابن المنـذر والقاضي عياض وابن بطـال(٨) وذهب القرطبي إلى تحـريم هذ النكاح كما في تفسيره(٩) وذهـب الكوثري إلى أن ما ينسب إلى مالك في ذلك هو خطأ(١٠)

بقي عندنا مسألتان،الأولى :رجوع ابن عباس عن فتواه تلك

والثانية :حديث سبرة الجهني

فـأما ابن عبـاس فقد قال القاضـي أبو بكـر بن العربي إن القـول بإباحة المتعـة لم يصـح

---

(١) ٥/١٠-١١

(٢) المعيار ٣/٣٩٥

(٣) ٣/٣٣٥

(٤) ١/٣٨٩

(٤) ١/٣٨٩

(٥) المعيار ٣/٣٩٥

(٦) ٢/٥٣٣

(٧) شرح مسلم ٩/١٨١

(٨) الفتح ٩/١٧٣

(٩) ٥/١٣٠-١٣٣

(١٠) المقالات ص٢٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنه(١)

وقال الحافظ في الفتح :وأما ابن عباس فروي عنه أنه أباحها وروي عنه أنه رجع عن ذلك،قال ابن بطال : روى أهل مكة واليمن عن ابن عباس إباحة المتعة،وروي عنه الرجوع بأسانيد ضعيفة وإجازة المتعة عنه أصح(٢) وقال الكوثري : وقد صح رجوع ابن عباس رضي الله عنه إلى قول الجماعة بعد أن حدثه علي كرم الله وجهه بحديث التحريم(٣)، وقال الشيخ رشيد رحمه الله في شأن فتوى ابن عباس ما نصه :...فالانصاف أن مجموع الروايات تدل على إصرار ابن عباس رضي الله عنه على فتواه بالمتعة لكن على سبيل الضرورة وهو اجتهاد منه معارض بالنصوص، ويقابله اجتهاد السواد الأعظم من الصحابة والتابعين وسائر المسلمين(٤).

وأما قول ابن عاشور بشأن حديث سبره وأن إنفراده بروايته مغمز إذ هو مما تتوافر الدواعي على نقله فنقول لو صح حصر السنة والاطلاع علي جميعها وأن سبرة هو المنفرد بالرواية في الواقع ونفس الأمر لكان الاعتراض سائغاً ومقبولاً ولكن أين لنا هذا وكثير من دواوين السنة لم يطبع،وليس يصح الادعاء بأن ما جاوز الصحيحين ينظر فيه فإن الاحاديث الصحيحة خارج الصحيحين كثيرة جداً وعلى هذا نقول إن رد الرواية لانفراد الراوي بها إذا كان غير مجروح ليس من مذهب أهل السنة ولا من أصول اهل الحق(٥)

وبعد فإن فتح باب الجواز لنكاح المتعة لا شك هو فتح باب شر عظيم على المسلمين وأمة الاسلام ولا شك أنه بعد أن وقع الإجماع أو كاد يتم على حرمة هذا النكاح فلا مجال للالتفات لقول ابن عاشور ولا لقول غيره من الشواذ إذا قيس بالسواد الأعظم من أجلّة علماء الأمة،والله أعلم.

ثانياً : نكاح الربيبة

قال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم) النساء/٢٣وظاهر الآية أن الربيبة لا تحرم على زوج أمها إلا إذا كانت في كفالته لأن قوله(اللاتي في حجوركم)وصف والأصل فيه إرادة التقييد كما أريد من قوله (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) فظاهر هذا أنها لو كانت بعيدة عن حضانته لم تحرم.ونسب الأخذ بهذا الظاهر إلى علي بن أبي طالب، رواه ابن عطية،وانكر ابن المنذر والطحاوي صحة سند النقل عن علي ،وقال ابن العربي

---

(١) أنظر الأحكام ٣٨٩/١

(٢) الفتح ١٧٣/٩

(٣) المقالات ص ٢٥٧

(٤) تفسير المنار ١٣/٥

(٥) راجع مقالات الكوثري ص٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنه نقل باطل، وجزم ابن حزم في المحلى بصحة نسبة ذلك إلى علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وقال بذلك الظاهرية وكأنهم نظروا إلى علة تحريمها مركبة من كونها ربيبة وما حدث من الوقار بينها وبين حاجرها إذا كانت في حجره، وأما جمهور أهل العلم،فجعلوا هذا الوصف بياناً للواقع خارجاً مخرج الغالب،وجعلوا الربيبة حراماً على زوج أمها،ولو لم تكن هي في حجره،وكأن الذي دعاهم إلى ذلك هو النظر إلى علة تحريم المحرمات بالصهر...وعندي أن الأظهر أن يكون الوصف هنا خرج مخرج التعليل أي لأنهن في حجوركم،وهو تعليل بالمظنة فلا يقتضي اطراد العلة في جميع مواقع الحكم اهـ.(١)

ورأيه هذا موافق لرأي الظاهرية كما هو ظاهر وهذا الذي نحاه الشيخ هو من شذوذ بعض المتقدمين كما نص على ذلك القرطبي وأن الفقهاء اتفقوا على أن الربيبة تحرم سواء أكانت في حجره أم ليست كذلك(٢) ورأي الجمهور هو الذي لا ينبغي القول بخلافه ويفهم من كلام ابن حجر في الفتح وقوع تحريم نكاح الربيبة بإطلاق(٣) والله أعلم.

ثالثاً : الربا في القرآن

قال الشيخ : ثم اختلف علماء الاسلام في أن لفظ الربا في الآية باق على معناه المعروف في اللغة أو هو منقول إلى معنى جديد في اصطلاح الشرع.

فذهب ابن عباس و ابن عمر ومعاوية إلى أنه باق على معناه المعروف وهو ربا الجاهلية،أعني الزيادة لأجل التأخير.وتمسك ابن عباس بحديث أسامة (إنما الربا في النسيئة)(٤) ولم يأخذ بما ورد في إثبات ربا الفضل بدون نسيئة.

وأما جمهور العلماء فذهبوا إلى أن الربا منقول في عرف الشرع إلى معنى جديد كما دلت عليه أحاديث كثيرة.والى هذا نحا عمر بن الخطاب وعائشة وأبو سعيد الخدري وعبادة بن الصامت.....

ثم ذكر الشيخ طائفة من الأحاديث التي استمسك بها الجمهور وعددها ستة وقال :

فلأجل هذه الأحاديث الستة أثبت.الفقهاء ثلاثة أنواع للربا في اصطلاح الشرع

الأول : ربا الجاهلية،وهو زيادة على الدين لأجل التأخير

الثاني : ربا الفضل،وهو زيادة في أحد العوضين في بيع الصنف بصنفه من الأصناف المذكورة في حديث أبي سعيد وعبادة بن الصامت(٥)

---

(١) ٢٩٩/٤

(٢) تفسير القرطبي ١١٢/٥ وانظر تفسير آيات الاحكام للسايس ٧٠/٢

(٣) الفتح ١٥٨/٩

(٤) حديث أسامة متفق عليه أنظر البخاري ٣٨١/٤ مع الفتح برواية لا ربا إلا في النسيئة وقد رواه الإمام مسلم بهذا اللفظ الذي ذكره الشيخ في ٢٥/١١ بشرح النووي

(٥) هي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثالث : ربا النسيئة ،وهو بيع شيء من تلك الأصناف بمثله مؤخراً،وزاد المالكية نوعاً رابعاً وهو ما يؤول إلى واحد من الأصناف بتهمة التحيل على الربا،وترجمه في المدونة ببيوع الآجال.

ثم ذكر الشيخ ما يرجحه فقال: وعندي أن أظهر المذاهب في هذا مذهب ابن عباس،وأن أحاديث ربا الفضل تحمل على حديث أسامة (إنما الربا في النسيئة) ليجمع بين الحديثين.

ثم قال اخيراً: والظاهر أن الآية لم يقصد منها إلا ربا الجاهلية وأن ما عداه من المعاملات الباطلة التي فيها أكل مال بالباطل مندرجة في أدلة أخرى(١)

وكلام ابن عاشور صريح في أن ربا الفضل ما لم يكن نسيئة هو حلال وليس بحرام وأن اعتماده على ما نحاه ابن عباس رضي الله عنه.

قلت : اعلم أن الإمام النووي قال في شرح مسلم :أجمع العلماء على ترك العمل بظاهر حديث أسامة(٢).

وأما ابن عباس فقد اعتمد جماعة من كبار أهل العلم أن ابن عباس رجع عن قوله هذا نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

النووي في شرح مسلم(٣) وابن حجر في الفتح نقلاً عن الحاكم(٤) والبخاري في التاريخ الكبير(٥) وأحمد بن سهل الرزاز المعروف ببحشل في تاريخ واسط (٦) والبغدادي الخطيب في الفقيه والمتفقه(٧) والطحاوي في شرح معاني الآثار(٨). وابن حجر في المطالب العالية(٩)وابن قدامة في المغني(١٠) والبيهقي في السنن(١١) والبغوي في شرح

---

(١) ٣/٨٦-٩٠ بتصرف شديد

(٢) ١١/٢٥

(٣) ١١/٢٤-٢٥

(٤) ٤/٣٨٢

(٥) القسم الأول /ج٢/٤٨٧

(٦) ص٩٣

(٧) ١/١٤٠

(٨) ٤/٦٤-٦٥

(٩) ١/٣٨٨-٣٨٩

(١٠) ٤/٤-٥

(١١) ٥/٢٨١-٢٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السنة(١) وعبد الرزاق الصنعاني في المصنف(٢).وقد حقق الشنقيطي في أضواء البيان رجوع ابن عباس وابن عمر وابن مسعود عن إباحة ربا الفضل(٣)

وبعد فإن الفقهاء اتفقوا على حرمة ربا الفضل ولا وجه مطلقاً لما نحاه ابن عاشور وقد علمت أن ابن عباس رجع عن قوله وحتى لو سلمنا جدلاً ببقائه عليه،فهو خلاف التحقيق فإن ابن عباس لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة هذا الحديث وإنما سمعه من أسامة وإذا تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وابن عباس عمره ثلاث عشرة سنة(٤) عرفت أن حكم الجمهور هو الأشهر والذي يفتى به والله أعلم.

رابعاً : طلاق الثلاث بلفظ واحد

ذكر الشيخ أن طلاق الثلاث بلفظ واحد يقع على ما نحاه جمهور أهل العلم.. ثم قال : وقال ابن تيمية من الحنابلة:ان طلاق الثلاث في كلمة واحدة لا يقع إلا طلقة واحدة ...ثم قال وهو الأرجح من جهة النظر والأثر(٥).

قلت : واعلم أن أرباب المذاهب الأربعة،أبا حنيفة والشافعي ومالك وأحمد قد اتفقوا على أن هذا الطلاق يقع ثلاثاً(٦) وأن أراءهم كما استقر عليه البحث هي أرجح من جهة النظر والأثر وليس ما ذكره الشيخ هنا صحيحاً من أن رأي ابن تيمية أرجح من جهة النظر والأثر.

وقد تفاوتت أنظار المتأخرين في ترجيح أي من الرأيين :رأي الأئمة الأربعة أم الرأي الذي اشتهر به ابن تيمية وتلميذه،فذهب الشيخ نعمان الآلوسي في كتابه الذي جعله لنصرة رأي ابن تيمية على رأي ابن حجر الهيتمي وسماه جلاء العينين في محاكمة الأحمدين والكتاب حقيق بأن يغير اسمه إلى ما يتناسب مع ما بداخله أقول ذهب إلى ترجيح رأي ابن تيمية ونقل عن الشوكاني كذلك، ونقل عن صديق حسن خان القول بهذا الرأي أيضاً(٧). ورجحه الشيخان محمود شلتوت والشيخ محمد علي السايس في كتابهما مقارنة المذاهب في الفقه ولم يكن ترجيحهما لهذا الرأي لأدلته وإنما نظراً للآثار المترتبة على كلا القولين وأنها على هذا القول أخف وأقل مفسدة وأن ترجيحهما لهذا الرأي من باب ارتكاب أخف الضررين(٨).

---

(١) ٦١/٨

(٢) ١١٨/٨

(٣) ٣٠٠/١-٣٠٨

(٤) التهذيب ٢٤٣/٥-٢٤٤

(٥) ٤١٧/٢ -وما بعدها

(٦) السايس ١٤٢/١ وأنظر لزوم طلاق الثلاث ص٩

(٧) جلاء العينين ٢٣٦ وما بعدها

(٨) مقارنة المذاهب ٨٠-٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما رأي الجمهور فقد اشتهر بنصرته مجموعة من العلماء نذكر منهم الشيخ محمد بن زاهد الكوثري في كتابه الإشفاق على أحكام الطلاق(١) وكتب محمد الخضر بن مايابي الشنقيطي كتاباً سماه لزوم طلاق الثلاث دفعة بما لا يستطيع العالم دَفعه وقد انتصر فيه لرأي الجمهور(٢)وقد انتصر الشنقيطي المفسر في أضواء البيان لرأي الجمهور كما هو مبسوط في موضعه من التفسير(٣) وانتصر له الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه محاضرات في الفقه المقارن(٤).

وبالجملة فإن أدلة القائلين بنفاذ هذا الأمر أرجح وأن أهل العلم عامتهم على هذا الرأي لم يخالف منهم إلا نفر يسير،قال الكوثري عن ابن رجب : لا نعلم من الأمة أحداً خالف في المسألة مخالفة ظاهرة ولا حكماً ولا قضاءً ولا علماً ولا إفتاءً،ولم يقع إلا من نفر يسير جداً وقد أنكره عليهم من عاصرهم غاية الإنكار.وكان أكثرهم يستخفي بذلك ولا يظهره فكيف يكون إجماع الأمة على إخفاء دين الله الذي شرعه على لسان رسوله واتباع اجتهاد من خالفه برأيه في ذلك.هذا لا يحل إعتقاده ألبتة(٥).

ولا يظهر لي أن للقائلين بخلاف رأي الجمهور حجة يمكن قبولها إلا النظر إلى عامة المسألة من جهة ما يترتب عليها من الآثار ،فمن أعمل الأدلة والنظر رجح نفاذ الثلاث بلفظ واحد ومَن أعمل العاطفة ورجا المحافظة على الأسرة وعدم الإكثار من شتات الأفراد ترجح إليه رأي ابن تيمية إعمالاً للمصلحة إن صح أن يكون ذلك طريقاً لها .

والذي أقوله إن رأي الجمهور هو الذي ينبغي اعتماده لئلا يحدث التسيب في الدين والإكثار من التفلت من أحكامه فإن العاصي لا ينفع معه إلا التشديد وبالله التوفيق.

هذا ما أردت الوقوف عنده من المسائل الفقهية التي خالف فيها ابن عاشور تحقيق العلماء الفقهاء وهناك بعض الأقوال الفقهية التي ارتآها ابن عاشور مخالفاً الجمهور أو التحقيق.

منها مخالفته للإجماع او مايقرب منه في تنصيف عدة المرأه (الأمة) المتوفى عنها زوجها وقال:إن إجماع فقهاء الأسلام على تنصيف عدة الوفاه في الأمة المتوفى زوجها لمن معضلات المسائل الفقهيه..،ورجح الشيخ أن الوجه أن تكون عدة الأمة المتوفى عنها زوجها كمثل عدة الحرة وقال وليس في تنصيفها أثر ،ومستند الإجماع قياس مع وجود الفارق (٦)

---

(١) ص٦٣-٦٤ ما قبلها وما بعدها

(٢) وقد حاول فيه جمع أدلة جميع الأطراف وقد أحسن وأجاد فيه طبع الكتاب بالمدينة المنورة عام١٩٨٨

(٣) ٢٢٢/١-٢٦٩ وهو حديث مسهب جداً عن المسألة

(٤) ص ٩٩-١٢٢

(٥) الإشفاق ص٦٣-٦٤

(٦) ٤٤٣/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـن المسائل ما ذكره أن السر في إضـافة لفظ لحم إلى الخنزير هـو الإيمـاءالى أن المحرم أكـل لحمه لأن اللحم إذا ذكر له حكم فإنما يراد به أكله .وهذا إيمـاء الى أن ماعدا أكل لحمه مـن أحوال استعمـال أجزائه هو فيهـا كسـائر الحيوانات في طهارة شعـره اذا انتزع منـه في في حياته بالجز ،وطهارة عرقه وطهارة جلده بالدبغ ..(١)

قلت وكيف يكون ذلك والصواب ان الخنزير نجس العين كما هو منصوص عليه في كتب الأحكام في هذه المسأله.

ومن المسائل في ذلك ترجيح رأي مالك في كراهية أكل كل ذي ناب من السباع .ثم قال الشيـخ وأي ضر في أكل لحم الأسد وكذلك إباحة أكل الخشاش والحشـرات والزواحف البريه والبحريه لاختلاف عوائد الناس في أكلها وعدمه ،فقد كانت جرم لايأكلون الدجاج ، وفقعس يأكلـون الكلـب فلا يحجر على قوم لأجل كـراهية غيرهم مما كرهـه ذوقـه أو عادة قومه (٢)

وهذا كلام غريب من ابن عاشور فإن الحرمة لاتناط بالأذواق وعدمها وإنما بنص الشرع.

وبعد فهذه أهم ملامح الدرس الفقهي في هذا التفسير وهي على ضعـف فيها ليس فيها من الجدة ما يسمح بإلباسها ثوب التجديد والله أعلم.

---

(١) ٩٠/٦

(٢) ١٣٥/٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السابع

هذا التفسير ما له وما عليه

بعد تطواف وتجوال في ثنايا هذا التفسير وكتب كثيرة غيره على مدى ما يزيد على عامين كاملين،آن للقلم أن يتوقف عند هذه المرحلة المتعلقه بتقويم التفسير.

ولاشك في أنني قد خرجت من دراستي لهذا التفسير بانطباع عام حوله وهو يشمل على ملحوظات على هذا التفسير ونبدأ بما عليه لنختم بما هو خير

أولا : ما عليه .

قد كنا ذكرنا ملحوظات مختلفة على سائر الابحاث التي تحدثنا عنها في التفسير ويمكن أن يقع التأكيد عليها هنا مرة أخرى

١- فأول ما يطالعنا من الملحوظات الشكلية على هذا التفسيرهو هذاالحجم الضخم وأنا لا أعيب التفسير لحجمه ولكني أعيب حجما كهذا لم يراع ما فيه من جديد وسط هذه الضخامه،فإني على يقين مثلا لو أن تفسير أبي حيان طبع طبعة جديدة بحرف جديد لفاق تفسير ابن عاشور في الحجم ولا نجد من يعيب أباحيان لانه حجم يتناسب مع ما فيه وفي ظني أن الذي وسع حجم التفسير عند ابن عاشور أمران:

الأول : إكثاره من النقل عن كتب أهل الكتاب

الثاني : محاولة التدقيق على أبحاث لغويه موسعة وخصوصاً فيما يتعلق بعلمي البيان والمعاني وإن كنا نرى أن هذه المحاولة لم تأت بشيء جديد بل لقد عكست صورة واضحة عن أن المغاربة في هذا الفن لا زالوا عالة على المشارقة فيه،مع تحفظناالشديد على كثير من هذه المحاولات.

٢-وثاني الملحوظات الشكلية كثرة الاخطاء المطبعية في الآيات القرآنية سواء أكانت آيات مستشهدا بها أم مفسرة وقد وقعت له على أكثر من مائة خطأ في ذلك،ونضيف إلى ذلك أن بعض سور القرآن الكريم قد خلت آياتها من الترقيم و قد كان ذلك في الأجزاء (٩،١٠،١١،١٢،١٣)كاملة.

٣-اذا كانت للتفسير الحاضر ميزته الخاصة به ، وقد تحدثنا عنها سابقا وطرأت عليه موضوعات معينه أصبحت من سمات مدرسة التفسير الحاضر،فإننا مع كل أسف لا نجد لهذه السمات أثراً ولا لتلك الموضوعات وجوداًفي هذا التفسير

٤- لقد مني الاسلام وأهله في هذا العصر بأعتى مشكلتين في التاريخ،هما مشكلةإلغاء الخلافة الاسلامية ومشكلة الاستعمار بجناحيه العسكري والفكري الذي سبب لهذه الأمة كل ما تعاني منه أجيالها حتى يومنا هذا ويبدو وكأن الشيخ ابن عاشور لم يكن معاصراً لشيء من ذلك فقد كان يكتب تفسيره من وراء الاسوار.وإني أقول والألم يعتصرني أني قرأت هذا التفسير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكثر من مرة ولم أجد فيه كلمة واحدة ، تدل على تألم الشيخ على ما يحدث لأمة الاسلام، وإذا أغضينا الطرف عن المشكلة العامة وتحدثنا عن الخاصة المتعلقة بالاستعمار الفرنسي لتونس، فإنا لم نجد للشيخ كلمة واحدة فيه برغم ما أحدثه هذا الاستعمار من ويلات على الامة في جناحها المغربي.

٥-اذا كانت التفاسير المعاصرة قد اختطت خطاً معيناً يتسم بسهولة عرض المعلومات وتوضيح المشكلات فإنا نقول إن هذا التفسير يُعدُّ انقلاباً على المدرسة المعاصرة بارجاع الاتجاه التفسيري إلى التقليد القديم لصعوبة العرض وعدم التوضيح والإطالة في غير ما طائل.

٦-إذا كان المؤلف قد جعل اسم كتابه "التحرير" وهو يريد تحرير المسائل المطروقة فيه فقد رأيت كثيراً من المسائل غير محررة وكان ثم اختيار لأراء ضعيفة،وقد أحصيت له كثيراً جداً من المواضع التي تحتاج الى إعادة نظر ،وهي كثيرة جداً وتصلح لمؤلف خاص.

٧-وقوع المؤلف فيما عاب به الآخرين وذلك من النقل غير المحص والاهتمام بقضايا جانبية لا يكاد يوجد لها أثر في الجانب التفسيري وذلك على نحو ما عرفت فيما يتعلق بمبهمات القرآن مثلاً

٨-إن من أكبر ما يمكن ملاحظته على الشيخ ليس نقله من كتب اليهود والنصارى فحسب،وإنما اعتماده في التفسير على ذلك النقل

٩-وإن من الملحوظات الواضحة على هذا التفسير أن صاحبه قد تجنب في كثير جداً من المواضع نسبة الفضل لأهله،فأخذ ينقل عن العلماء دون عزو الأقوال لصاحبها،حتى ليحار الناظر في كثير من هذا المنقول ولا يعرف صاحبه

١١-مما لم نحمده للشيخ في ثنايا تفسيره،موقفه العام من المفسرين وغمطه لحق المدرسة المعاصرة في التفسير

هذه بعض من أهم الملحوظات على الشيخ،وكما قلت قد يكون في بعضها تكرار،وإنما أردنا ذلك للتأكيد وأن هذه الملحوظة جديرة بالنظر والله أعلم.

ثانياً :ما له :

وإذا كنا قد أعددنا بعضاً من الملحوظات على هذا التفسير،فإن له بعض الجوانب الايجابية ينبغي أن لا نغفلها:

أولاً: هذه الطباعة الأنيقة والشكل الحسن والورق المصقول

ثانياً:هذا الأسلوب العلمي اللغوي القوي يعد من حسنات هذا التفسير،ويعطي طابعاً خاصاً يتميز به صاحبه من الوجهة اللغوية.

ثالثاً: محاولة صاحبه الهادفة والهادئة لتحقيق كثير من القضايا في أثناء تفسيره،ولعل ما يمكن أن يلفت النظر،المحاولة الجيدة لتحقيق معاني المفردات المفسّرة

رابعاً: مقدمات هذا التفسير حسنة لكنها تحتاج إلى مزيد تحقيق

خامساً: لعل من أهم ما في هذا التفسير وأبدعه على الإطلاق،هو تلكم المقدمات التي كان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يضعها الشيخ في مقدمة تفسيره لكل سورة،وهي تشتمل على مقدمات في علوم القرآن،وأنا أقول إنها من خير ما حققه صاحب التفسير في تفسيره.

وأقترح أن تستل هذه المقدمات جميعها من التفسير فتقرر على طلبة الدراسات العليا في قسم التفسير.

سادساً: هناك تحقيق حسن جداً فيما يتعلق بالمكي والمدني وأسباب النزول للآيات الكريمة،وهو تحقيق قد خلت عنه كتب كثيرة في التفسير.

سابعاً: كثرة مصادر الشيخ وتنوعها والنقل المباشر عنها،ومن حسنات هذه المصادر أنها مصادر أصلية قديمة.

ثامناً: أسلوب الشيخ في تعامله مع المنقولات بشكل عام كان جيداً يضفي على صاحبه ميزة الاعتدال،وقد سار هذا الاعتدال مع الشيخ حتى في مناقشاته الفقهية،فقد كان معتدلاً غير متعصب لمذهب مالك رحمه الله

تاسعاً: بروز شخصيته في تفسيره بروزاً واضحاً

عاشراً: جمْعُه لمعارف شتى في تفسيره

حادي عشر: اعتماد الحاشية في التوضيح والتبيان وهو أمر حسن إذ يقلل من ثقل بعض ما في متن الكتاب

هذه بعض مما للشيخ ولعل المجال لا يسمح باستقصاء كل شيء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة وأهم النتائج

إذا كان لصحبة كتاب ما -مدة زمنية معينة- أثر في نفس مصاحبه،فإن كتاب ابن عاشور كان صديقاً وفيّاً على مدى أزيد من عامين،عشت فيها مؤتمراً علمياً،جمع طائفة عظيمة من علماء الأمة الإسلامية،وإنه لمؤتمر لا تُحسن وصفه إلا إذا جلست فيه.

لقد كانت الرحلة مع هذا التفسير رحلة- ولاشك - ممتعة جداً،نَفَّسَتِ الهمَّ بعضَه،وفتحت جروحاً كان المظنون أن تلتئم فيها،ولكن حسب المرء في حياته أن يحاول ما استطاع أن يكون إيجابياً مضيفا،لا سلبياً عاجزاً،وليسعه قول الشاعر(١)

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وإذا كانت الرحلة كما قلت حملت في ثناياها ما يمتع،وفتحت ما كان المرغوب إقفاله فحسبي من متعتها أعوام قضيتها مع الأستاذ الشيخ المشرف على هذه الرسالة،تلك الأيام هي الحقيقة بأن لا يصلها الوهم بالنسيان.

ولقد كان الأستاذ الفاضل -شكر الله له- خلال سني الدراسة،أباً،وأستاذاً،ومربياً،وصديقاً،ولَعَلّي لا اجاوز الحقيقة إذ اقول: إن صداقته من أمتع الصداقات وأوفاها بتحقيق كثير من الرغبات والتشوّفات.إن الجلوس مع الشيخ جلوس مع جيل من خيرة أجيال العلم.

ولقد كان الشيخ بالنسبة لي،الحبل الذي وُصِلْتُ به بأفذاذ العلماء وصولاً حياً بالروح والجسم معاً،إذ كنت في المؤتمر الذي حضرته في تفسير ابن عاشور حاضراً روحا.

أرجو الله أن يَمُدّ في عمر الشيخ ويحفظه،رجاءً في تواصل العلم على يديه.وإن كان من مطلب لي عليه فالصفح عن ذنوب بدرت والستر على عيوب انكشفت،والنصيحة لتلميذ وابن بار.

وهذا تلخيص موجز جداً لأبرز ما يتعلق بطبيعة الموضوع وكيفية السير فيه حيث إقتضت طبيعته أن يكون في تمهيد وثمانية فصول وخاتمة.

أما التمهيد فقد تحدثت فيه عن أربعة أمور :

الأول : ابن عاشور منذ ولادته حتى نشأته،مروراً بحياته العلمية والوظيفية وأبرز الأحداث التي حصلت له في حياته،وقد غضضت الطرف عن الحديث عما يتعلق بعصر ابن عاشور من الحالة الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية وغيرها،لأني رأيت أن ليس لذلك أثر بارز في حياة الشيخ،وما كان من قضايا جزئية مهمة فقد ذكرتها في مواضعها.

---

(١) هو المتنبي والشعر في ديوانه٤/٢٣٦ بشرح العكبري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني : التفسير في القرن الرابع عشر،وقد تحدثت فيه عن منهجه وأبرز سماته العامة وأهم المؤلفات فيه وبشكل مقتضب.

الثالث : معالم المدرسة المغربية المعاصرة في التفسير وأثرها في تفسير ابن عاشور،وذكرت فيه أن تفسير ابن عاشور هو الأثر الكامل الذي وصلنا من المغرب في هذا العصر،وبينت أهم ما تتميز به المدرسة المغربية في التفسير،من خلال ما وصلنا مما هو مسطور في بعض الكتب وبخاصة كتاب تراجم المؤلفين التونسيين.

الرابع : تعريف بهذا التفسير من حيث الحجم والعنوان والمدة التي قضاها مؤلفه حتى أتمه.

وأما الفصل الأول : فقد كان بعنوان مصادر الشيخ في التفسير حيث سردت مصادره سرداً أظنه كاملا في شتى العلوم . ثم بينت كيفية استقائه المعلومات من هذه المصادر وبينت موقفه في المفسرين.

وأما الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن منهج الشيخ في التفسير بشكل عام وعرضت فيه إلى مباحث ثلاثة:

الأول: البناء الهيكلي لتفسير السورة، وعرضت فيه إلى ما كان يصنعه ابن عاشور كمدخل لتفسير السورة القرآنية. وقد ذكرت أن هذا من أمتع ما كتب في هذا التفسير وأحسنه.

الثاني: اتجاه ابن عاشور في تفسيره حيث بينت فيه أن هذا التفسير مدرج ضمن الاتجاه اللغوي البلاغي التقليدي.

الثالث: التفسير بالمأثور والرأي عند الشيخ، حيث عرضت فيه إلى جوانب اعتماده المأثور في التفسير وعرضت إلى قضية تفسير القرآن عرضا أرجو أن أكون وفقت فيه.

وأما الفصل الثالث: فكان حديثا عن قضايا علوم القرآن الكريم في هذا التفسير حيث تحدثت فيه عن بعض القضايا المهمة واقتصرت على ستة منها:

الأولى: الحروف المقطعة في أوائل السور، ولم أجد للشيخ فيها شيئا جديدا

الثانية: الأحرف السبعة، وقد رأيت الشيخ فيها مضطربا متناقضا، وحديثه لم يكن بذاك الوضوح المرتقب.

الثالثة: القراءات القرآنية، حيث بينت فيها التزام الشيخ ووفاءه بما وعد وبينت أن حديثه فيها على العموم كان حسنا.

الرابعة: أسباب النزول، وقد رأيت للشيخ اهتماما بدراسة سبب النزول دراسة مبنية على السياق القرآني، وموضوع السبب، وهي دراسة حسنة جدا إلا أنها لم تكن وافية في كل الأسباب التي عرض لها الشيخ

الخامسة: المحكم والمتشابه، ولم أجد للشيخ من الجديد شيئا يمكن الاحتفال به

السادسة: إعجاز القرآن، وبينت فيه اعتماد الناحية البلاغية عند الشيخ كمظهر للإعجاز وبينت أن حديث الشيخ قد تداخلت أوصاله في بعض الأحايين، وأن الشيخ لم يأت بجديد، إلا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنه حاول تنظيم الحديث وتبويبه.

وأما الفصل الرابع: فكان بعنوان القضايا اللغوية والبلاغية في التفسير

وكان هذا الفصل لبّ البحث عندي لأنه عمدة ما عني به الشيخ في تفسيره، وقد فصلت الحديث بما أقنعني بوفائه في هذه الرسالة.

وقد كان الحديث مشتملا على مبحثين:

الأول: قضايا اللغة والنحو، وعرضت فيه إلى أبرز ما عني به الشيخ في تفسيره من مثل اشتقاق الكلمات، وبيان معاني المفردات، وذكر وجوه الأعاريب، وتوضيح بعض المسائل النحوية، وعرضت إلى مسألة الاستشهاد بالشعر والأمثال وأقوال الحريري وعرضت إلى قضيتي المعرب والزوائد في القرآن الكريم.

الثاني: البلاغة القرآنية في هذا التفسير وقد جعلت هذا المبحث في أربعة أقسام:

القسم الأول: حول مسائل علم المعاني، حيث عرضت فيه إلى أحرف المعاني وبيان استعمالاتها ومعانيها، وتحدثت عن الحذف والذكر، والفصل والوصل، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والقصر، والالتفات والاعتراض، والتذييل، ومبتكرات القرآن الكريم.

القسم الثاني: حول مسائل علم البيان، حيث عرضت فيه للتشبيهات والاستعارات وبيّنت فيه جنوح الشيخ عن تحقيق البيانين واختياره لمذاهب ضعيفة في هذا الباب، وعرضت كذلك للكنايات.

القسم الثالث: مسائل علم البديع، حيث عرضت فيه للجناس، واللف والنشر، والطباق وغيرها من هذه المباحث، وبينت أن الشيخ لم يأت بشيء في هذا الجانب، وإنما كان حديثي عنه تتميما لمباحث هذا الفصل.

القسم الرابع: كان بعنوان القضايا البلاغية واللغوية التي عزاها ابن عاشور لنفسه وبيّنت فيها أن لا صحة لمعظم ما ادعاه ابن عاشور في هذا الجانب.

وأما الفصل الخامس فكان بعنوان القضايا العقدية عند الشيخ.

حيث بينت فيه أن ابن عاشور كان أشعري المذهب مدافعا عن أشعريته بشدة وعرضت فيه إلى بعض القضايا المفرعة ومنها:

أولا: الإسلام والإيمان، وبينت فيه أن خلاصة رأي الشيخ في الإيمان هو التصديق وأنه لا يزيد ولا ينقص

ثانيا: الأسماء والصفات، وبينت فيه مذهبه الأشعري بوضوح

ثالثا: عصمة الأنبياء، وبينت فيه أن الشيخ قد ندّ به القلم، فصدق بعض الإسرائيليات في هذا الجانب.

رابعا: نظرية الكسب، وبينت فيها دفاعه عن الأشعري.

خامسا: التكليف بالمحال، وذكرت أن رأيه خلاف ما عليه كثير من الأشاعرة

سادسا: موقفه من الفرق المخالفة، أمثال الشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرهم

سابعا: تعرضه للديانات القديمة مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الفصل السادس فكان بعنوان منهج ابن عاشور في عرض آيات الأحكام وبينت طريقته وأسلوبه بعدة أمور

أولاً: أنه كان يعرض لبعض قضايا الأصول في أثناء البحث

ثانياً: أنه كان يذكر أراء الصحابة والتابعين والائمة الأربعة

ثالثاً: أنه كان متبعاً الدليل غير متعصب لمذهب مالك

رابعاً: إن المسائل التي عرضها الشيخ في المجال الفقهي كانت تقليدية

خامساً: إن للشيخ مخالفات كثيرة لأئمة الفقه من مثل إباحة نكاح المتعة في السفر وإباحة ربا الفضل،وجواز نكاح الربيبة إن كانت خارج حجر مربيها،وغير ذلك.

وأماالفصل السابع فكان عن الإسرائيليات،حيث بينت فيها أن الشيخ من المكثرين جداً في الاحتفال بالنقل عن اليهود والنصارى،ولعل أحدا لم يفعل مثله من المفسرين المعاصرين.

وأما الفصل الثامن فكان عن تقويم التفسير،حيث بينت بعضاً من المآخذ على الشيخ وختمت بالذي هو خير.

هذا هو الملخص لطبيعة السير في هذه الرسالة،التي كانت رحلة ممتعة مع الشيخ وتفسيره،ولقد تعلمت في هذه الرحلة أشياء مفيدة،وعلوماً نافعة عديدة،واطلعت على تراث لأجيال الأمة،تراث حري بالمصاحبة والمُخالَلة،وخرجت من هذا البحث بنتائج عديدة يمكن إجمال أهمها هنا:

أولاً: إن العالم ينبغي أن يربأ بنفسه عن أبواب السلاطين،تلك الأبواب التي إن لم توصل قارعها إلى المهلكات،فلا تدفع عنه عادية الشبهات.

وإنّ الظن بأن نشر الدين يمكن أن يجد عوناً من أبواب السلاطين، ما هو إلا تطلع للمناصب، وانضواء تحت غلواء الرغائب، خصوصاً في هذا الزمان الذي اختلطت فيه أنظار علمائه بأنظار الحيارى فيه.

ثانياً: إن أية محاولة لبتر خلف الأمة عن سلفها،محاولة يائسة تفوح منها روائح الخيانة المزكمة للأنوف والمحشرجة للصدور.

ثالثاً: إن ابن عاشور رحمه الله عالم وثيق الصلة بأسلافه العلماء،ولكن إنجراره لأبواب السلاطين كدّر عليه صفو هذه الصلة.

رابعاً: إن ابن عاشور كان عالماً لَسِناً فصيح اللسان.

خامساً لقد أشغلت ابنَ عاشور حياةُ القصور عن أمة يعيش كثير من أبنائها بسبب من الوهن حياة القبور.

سادساً: لقد منعت صلة ابن عاشور بالقصر الجمهوري منعته من الوقوف انتصاراً لدين الله،وآثر السكوت عن كثير مما يجري،مما لا يرضاه الله ولا رسوله ولا أئمة الدين من منكرات وطرائق لهدم أركان الدين.

سابعاً: إن ابن عاشور بسبب من تلك الصلة اقتصر إصلاحه على النواحي العلمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والـذاتية،فلم يكن مصلحاً إجتماعيـاً،وإنما كان يسعى للإصلاح العلمـي والتربوي ولعلـه حقق شيئاً من الشق الأول.

ثامنـاً: إن هذا التفسير على ضخامة حجمه لم يكن صاحبه فيه متفـرداً في منهجه،ولا مجدداً في أسلوبه.

تاسعـاً: لقـد أبرز ابن عاشور الجـانب البلاغي للقرآن الكريم إبرازاً واضحـاً مـن خلال تحليلـه الآيات الكـريمة وتفسيرهـا.فكـان هذا التفسير حقيقاً بأن يدرج ضمـن أصحـاب الاتجـاه البلاغي اللغوي.

عاشراً: لقد أثبت هذا التفسير المغربي أن المغاربة إلى يومنا هذا لا زالوا عالة على المشارقة في علوم البلاغة.

حادي عشر: إذا قومنا هذا التفسير مع تفاسير المشارقة،فإننا نجزم بالقول بأن ابن عاشور لم يحقـق غـرضه ولم يوف بمـا وعـد به،فقـد جاء تفسيره فيمـا نظـن أقـل شـأناً مـن تفـاسير أهـل المشـرق،وأما إذا قومناه بتفاسير أهل المغرب،فإننا نستطيع القول بأنه فـاق جميعها حجماً-إذ لا نعلم تفسيراً مغـربياً بهذا الحجم- وبأنه كان مجدداً في توسيع دائرة البحـث البلاغي عند المغاربة في التفسير.

ثاني عشـر: إنه لا ينبغي لعالم أن يعيـش بعيداً عما تعانيه أمتـه،وإن أمثـل العلماء الذين يتحركون بآلام أمتهم.

ثالـث عشر وأخيراً: إنه لا ينبغي أن يجهل أحد بأن الحق وإن قـل أنصاره فإنه لا يموت.

وبعد فإن أملي أن أكون بهذا البحث قد أمطت اللثام عن هذا التفسير وصاحبه، وأرجو أن أكـون قـد اتبعـت الحـق، وجانبـت الهـوى، وسعيـت في الطـريق الصحيـح نحـو العلم.

فإن قصر بي الجهد،فأرجو أن تشفع لي محاولتي بغض الطرف عن هناتي.

والله أسأل أن يرحمني ويرحم ابن عاشور ويعفو عني وعنه

فهو الحقيق سبحانه بكل ذلك

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والسائرين على دربه

والحمد لله رب العالمين

أنجزت طباعة هذه الرسالة في الثامن والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١/٤/١٣م وذلك في مؤسسة القدس للخدمات المطبعية والتجارية/عمان/هاتف ٦٩٧٤٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص لما تدور حوله هذه الرسالة

عنوان هذه الرسالة وطبيعة بحثها يدور حول كتاب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي وضعه في تفسير القرآن الكريم.

وتهدف هذه المحاولة الى بيان طريقة المؤلف في تأليف كتابه، وبيان طبيعة هذا الكتاب وقيمته العلمية، وهل جاء فيه صاحبه بجديد يمكن أن يضاف الى جهود الأئمة السابقين الأعلام.

ويمكن القول بأن هذا البحث قد دار على محاور ثلاثة:

المحور الاول: محور تمهيدي وتحدثت فيه عن **حياة الشيخ ابن عاشور** مروراً بأهم مميزات عصره وأهم الأحداث فيه،وقد مررت بحياة الشيخ منذ ولادته وحتى وفاته مروراً بالنواحي التعليمية والعلمية والوظيفية التي شغلها ابن عاشور، وقد عرضت في هذا الجانب أيضاً الى أهم الأحداث التي مرّت بحياة الشيخ.

وخلص البحث في هذا الجانب إلى أن الشيخ ابن عاشور كان رجل علم ولم يكن رجل دعوة.

وعرضت في هذا المحور أيضاً إلى أهم ما يتميز به التفسير في القرن الرابع عشر بعامة وعرضت إلى ذكر بعض من أهم المؤلفات المعاصرة في تفسير القرآن الكريم ثم تحدثت عما يتميز به التفسير المغربي المعاصر وعرضت لأهم الجهود فيه.

وأما **المحور الثاني:** فكان حول **منهج ابن عاشور في التفسير**

حيث ذكرت مصادره في تفسيره من مختلف العلوم على طريقة الاستقصاء وعرضت لطريقته في التفسير مروراً بأهم الأبحاث العلمية في علوم القرآن والتي عرض لها الشيخ في تفسيره.

وقد خلص البحث في هذا المحور إلى اهتمام ابن عاشور بشكل واضح جداً **بالأمور البلاغية واللغوية المتعلقة بالقرآن الكريم**. ولكن مع اهتمام الشيخ بذلك إلا أن المسائل التي طرقها كانت تقليدية.

ويمكن القول بشكل عام إن هذا الكتاب لم يكن فيه من الجديد **ما يوازي حجمه**.

وأما **المحور الثالث:** فكان عن **تقويم التفسير** وأهم نتائج البحث حيث بينت فيه أهم ما تميز به هذا الكتاب وعرضت كذلك إلى بيان أهم الملحوظات التي أخذتها على الشيخ.

وقد انهيت هذا البحث ببيان بعض الفوائد التي أفدتها من خلال دراستي لهذا الكتاب.

كان هذا البحث باشراف الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس استاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة بالجامعة الاردنية واستغرق العمل بهذه الرسالة حوالي ثلاث سنوات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــــادر والمراجـــع

رتبت هذه المصادر على الحروف الهجائية دون مراعاة لطبيعة المصدر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١-الإبانة عن أصول الديانة {المنسوب لأبي الحسن الأشعري} تحقيق الدكتورة فوقية حسين، القاهرة، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ١٩٨٧

٢- الإبانة عن أصول الديانة {المنسوب للأشعري} تلفيق بشير عيون وتقديم الشيخ حماد الأنصاري، المدينة المنورة، مركز شؤؤن الدعوة بالجامعة الإسلامية، ١٤٠٥هـ

٣- الإبانة عن أصول الديانة{المنسوب للأشعري} طبع بإدارة الطباعة المنيرية-مصر، بدون تاريخ

٤- الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٩٧٩م

٥- ابراز المعاني من حرز الاماني، لعبد الرحمن بن اسماعيل أبي شامة الدمشقي تحقيق ابراهيم عطوة عوض، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٨١م

٦- ابن باديس حياته وآثاره، للدكتور عمار طالبي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤

٧- ابن تيمية ليس سلفيا، لمنصور محمد محمد عويس، مصر، دار النهضة العربية، ١٩٧٠

٨- ابن عاشور ومنهجه في التفسير، لعبد الله الريس، أطروحة ماجستير، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٨هـ - غير منشورة -

٩- ابن كثير ومنهجه في التفسير، للدكتور اسماعيل سالم عبد العال، مصر،مكتبة الملك فيصل الإسلامية،١٩٨٤م

١٠- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر،للدكتور محمد ابراهيم شريف، القاهرة، دار التراث،١٩٨٢م

١١- اتجاهات التفسير في العصر الحديث، للدكتور عبد المجيد المحتسب، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٣

١٢- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، للدكتور فهد الرومي، السعودية، ١٩٨٦

١٣- اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا، للدكتور فضل حسن عباس، أطروحة دكتوراه، مقدمة لجامعة الأزهر عام ١٩٧٢م - غير منشورة -

١٤- اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين، بيروت، دار الفكر،بدون تاريخ

١٥- اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمد البنا، تحقيق الدكتور شعبان محمد اسماعيل، بيروت والقاهرة، عالم الكتب ومكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٧م

١٦- اتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات، للشيخ محمود خطاب السبكي، مصر، مطبعة السعادة ، ١٩٧٤م

١٧- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ

١٨- أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية،لعبد القادر بن عبد الرحمن السعدي، بغداد،مطبعة الخلود،١٩٨٦(١٩)- الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، لمحمد بن عبد الحي اللكنوي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٩٨٤.

٢٠- الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها للدكتور حسن ضياء الدين العتر، بيروت، دار البشائر، ١٩٨٨م

٢١- أحسن الحديث، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دمشق، دار الفكر

٢٢- إحكام الفصول في أحكام الأصول لسليمان بن خلف الباجي، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣- الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي، تحقيق الدكتور سيد الجميلي، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٨٤م

٢٤- الإحكام في أصول الأحكام، لمحمد بن علي بن حزم الأندلسي، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٧م

٢٥- أحكام القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله الشهير بابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٤م

٢٦- أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ

٢٧- أحكام القرآن لعماد الدين بن محمد الطبري الشهير بإلكيا الهراسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م

٢٨- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد بن زاهر الكوثري، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٨٥م

٢٩- الاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي. تعليق الشيخ محمود ابي دقيقة - دار المعرفة، ١٩٧٥م -بيروت

٣٠- ادب الاختلاف في الاسلام للدكتور طه جابر العلواني. -قطر: رئاسة المحاكم الشرعية، ١٤٠٥هـ

٣١- الاذكياء للشيخ ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. مكتبة الغزالي، بدون تاريخ

٣٢- ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن على الشوكاني. دار الفكر. بيروت، بدون تاريخ

٣٣-- الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لامام الحرمين الجويني. تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد -مصر مكتبة الخانجي،١٩٥٠

٣٤- ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير) لمحمد بن محمد العمادي أبي السعود -بيروت: دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ

٣٥- الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوّى -القاهرة: دار السلام ١٩٨٥م

٣٦- اساس البلاغة للزمخشري. تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، ١٩٧٩م -بيروت

٣٧- اسباب النزول لابي الحسن علي بن الواحدي. تحقيق السيد احمد صقر، دار القبلة، ١٩٨٤م -السعودية

٣٨- استحالة المعيه بالذات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات للشيخ محمد الخضر بن مايابي الشنقيطي.تصحيح الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ،المطبعة المحمودية التجارية -مصر بدون تاريخ

٣٩- اسرار البلاغة للامام عبد القاهر الجرجاني. شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة القاهرة،١٩٧٦ -مصر

٤٠- الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى) لنور الدين علي بن محمد بن سلطان الشهير بالملا علي القارى تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٥م

٤١- الاسلام في عصر العلم لمحمد أحمد الغمراوي. مصر- دار الكتب الحديثة،١٩٧٣م

٤٢- الاسماء والصفات لابي بكر احمد بن الحسين البيهقي. تحقيق عماد الدين حيدر- دار الكتاب العربي،١٩٨٥م -بيروت

٤٣- الاشارات العلمية في القرآن لمحمد وفا الاميري ،دار الرضوان. ١٤٠١هـ -حلب

٤٤- الاشباه والنظائر للسيوطي. تحقيق مجموعة من طلبة العلم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥م-١٩٨٦م، دمشق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٥- الاشتقاق لابي بكر بن الحسن بن دريد. تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي -مصر
٤٦- الاشفاق على احكام الطلاق لمحمد بن زاهد الكوثري. حمص: مطبعة الاندلس،بدون تاريخ
٤٧- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني. وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر -بيروت: دار احياء التراث العربي، مصور عن مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ
٤٨- اصول الانشاء والخطابة لمحمد الطاهر بن عاشور- تونس: مطبعة النهضة، ١٣٣٩هـ
٤٩- اصول الدين للامام الرازي. مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الازهرية بدون تاريخ -مصر
٥٠- اصول الدين لابي منصور عبد القاهر البغدادي. دار الكتب العلمية -بيروت،١٩٨١م
٥١- اصول الفقه للشيخ محمد ابي زهره- القاهرة: دارالفكر العربي، ١٩٥٧م
٥٢- اصول النظام الاجتماعي في الاسلام لمحمد الطاهر بن عاشور. الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م. تونس
٥٣- اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن (تفسير) لمحمد الامين بن محمد الشنقيطي -السعودية، ١٩٨٣م
٥٤- اضواء على تاريخ تونس الحديث للبشير بن الحاج عثمان الشريف، دار بوسلامة للطباعة والنشر -تونس١٩٨١
٥٥- الاعتقاد للامام ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي تصحيح الشيخ احمد محمد مرسي -باكستان: حديث اكاديمي -بدون تاريخ
٥٦- الاعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره للدكتور محمد أحمد يوسف القاسم. المطبوعات الدولية - القاهرة١٩٧٩م
٥٧- الاعجاز البياني ومسائل ابن الازرق للدكتوره عائشه عبد الرحمن. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م
٥٨- اعجاز القرآن لابي بكر بن الطيب الباقلاني. تحقيق السيد احمد صقر-مصر دار المعارف -الطبعة الثالثة
٥٩- اعجاز القرآن للدكتور محمد السيد الحكيم -مصر
٦٠- اعراب القرآن لابي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية بيروت١٩٨٥م
٦١- اعلاء السنن لظفر احمد العثماني. تحقيق عبد الفتاح ابي غدّة -ادارة القرآن والعلوم الاسلامية- باكستان، بدون تاريخ
٦٢- الاعلام لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين -بيروت ١٩٨٤م
٦٣- اعلام تونسيون للصادق السزمرلي تعريب حمادي الساحلي- بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٩٨٦م
٦٤- الاغاني لابي الفرج الاصفهاني. تحقيق مجموعة من اهل العلم، دار الكتب العلمية-بيروت ١٩٨٦م
٦٥- افحام اليهود للسموأل بن يحي المغربي . تحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي، رئاسة البحوث العلمية والافتاء١٤٠٧هـ
٦٦- الاقتضاب لابي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي. تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد -بغداد. دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٩٠م
٦٧-الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لابي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي. تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد -القاهرة،مكتبة الخانجي١٩٧٠م
٦٨- الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والانساب للامير الحافظ ابن ماكولا.تصحيح وتعليق عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني. بيروت- محمد امين رج عن مطبعة مجلس دائره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعارف العثمانية بحيدر اباد بالهند
٦٩- اكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم لابي عبد الله الأبي. دار الكتب العلمية-بيروت .بدون تاريخ
٧٠- الالتفات في حاشية الشهاب الخفاجي لهاشم محمد هاشم محمود -القاهرة: مطبعة الامانة،١٩٨٦م
٧١- إلجام العوام عن علم الكلام لابي حامد الغزلي. تصحيح وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي -بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م
٧٢- اليس الصبح بقريب لمحمد الطاهر بن عاشور- تونس، الشركة التونسية للتوزيع١٩٦٧م
٧٣- الامالي النحوية لابن الحاجب.تحقيق هادي حسن حمودي - مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب- بيروت١٩٨٥م
٧٤- الامالي لابي علي القالي البغدادي. تحقيق لجنة احياء التراث العربي بدار الافاق -بيروت: دار الجيل ودار الافاق الجديدة،١٩٨٧
٧٥- الامام ابو الحسن الماوردي للدكتور محمد سليمان داود والدكتور فؤاد عبد المنعم احمد.مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية١٩٧٨م
٧٦- الامام العز بن عبد السلام واثره في الفقه الاسلامي للدكتور علي الفقير- عمان ١٩٨٤م
٧٧- الامام الشوكاني مفسراً للدكتور محمد حسن الغماري. دار الشروق بيروت١٤٠١هـ
٧٨- الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور امام الشريعة والادب في عصره للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.- ضمن ابحاث ومحاضرات ملتقى الشيخ ابن عاشور في تونس ١٩٨٤م
٧٩- الامثال في القرآن للدكتور محمد جابر الفياض. دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد١٩٨٨م
٨٠- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لابي بكر الباقلاني. تحقيق محمد بن زاهد الكوثري - مؤسسة الخانجي -القاهرة١٩٦٣م
٨١- الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الامام المبجل احمد بن حنبل لعلاء الدين المرداوي. تحقيق محمد حامد الفقي .دار احياء التراث العربي -بيروت ١٩٥٨م
٨٢- الانصاف في مسائل الخلاف لعبد الرحمن بن محمد الانباري. دار الفكر -بيروت بدون تاريخ
٨٣- اوضح المسالك الى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- دار الفكر-بيروت، دون تاريخ
٨٤- أولى ما قيل في آيات النزيل (تفسير) لرشد الخطيب الموصلي-العراق: جامعة الموصل، ١٩٧١م-١٩٧٤م
٨٥- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لاسماعيل باشا البغدادي. دار الفكر -بيروت،١٩٨٢م
٨٦- ايقاظ الاعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الامام لمحمد حبيب الله الشنقيطي. دار الرائد العربي -بيروت،١٩٨٢م
٨٧- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لاحمد محمد شاكر، القاهرة -مكتبة دار التراث، ١٩٧٩م
٨٨- الباقلاني واراؤه الكلامية للدكتور محمد رمضان عبد الله. مطبعة الامانة -بغداد،١٩٨٦م
٨٩- البحر المحيط (تفسير) لابي حيان الاندلسي -الرياض: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، دون تاريخ
٩٠- البدر الطالع في محاسن من بعد القرن التاسع للامام الشوكاني. دار المعرفة- بيروت، دون تاريخ
٩١- بدع التفاسير لعبد الله بن محمد الصديق الغماري. مكتبة القاهرة.١٩٦٥،القاهرة
٩٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد للقاضي ابي الوليد محمد رشد بن القرطبي.مراجعة عبد الحليم محمد عبدالحليم وعبد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرحمن حسن محمود- دار الكتب الحديثة -القاهرة،١٩٨٣م
٩٣- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير دار الفكر العربي مصور عن طبعة١٩٣٢م-مصر
٩٤- براءة الاشعريين من عقائد المخالفين لابي حامد بن مرزوق. مطبعة العلم - دمشق١٩٦٧م
٩٥- البرهان في تناسب سور القرآن لابي جعفر بن الزبير -تحقيق الدكتور سعيد الفلاح، السعودية -ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية١٩٨٨م
٩٦- البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرماني تحقيق عبدالقادر احمد عطا (وقد غير المحقق اسمه إلى اسرار التكرار في القرآن) القاهرة: دار الاعتصام ١٩٧٨م
٩٧- البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ،تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم- القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه،١٩٧٢م
٩٨- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن لكمال الدين عبد الرحمن عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني. مطبعة العاني- تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي -بغداد، مطبعة العاني،١٩٧٤م
٩٩- بغية الايضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي. مكتبة الآداب ومطبعتها -مصر، دون تاريخ
١٠٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ،تحقيق محمد علي النجار -بيروت المكتب العلمية، دون تاريخ
١٠١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. للسيوطي،تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، دار الفكر - بيروت،١٩٧٩م
١٠٢- البلاغة المفترى عليها بين الاصالة والتبعية للدكتور فضل عباس. دار النور للطباعة والنشر - بيروت،١٩٨٩م
١٠٣- البلاغة فنونها وافنانها(علم المعاني) للدكتور فضل حسن عباس. دار الفرقان للنشر، الطبعة الثانية١٩٨٩م، عمان
١٠٤- البلاغة فنونها وافنانها (علم البيان والبديع) للدكتور فضل حسن عباس -عمان:دار الفرقان، ١٩٨٧م
١٠٥- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري للدكتور محمد حسنين ابو موسى.دار الفكر العربي -مصر. دون تاريخ
١٠٦- بلوغ الارب في معرفة احوال العرب لمحمود شكري الالوسي. تصحيح وشرح محمد بهجت الاثري، دار الكتب العلمية - بيروت،دون تاريخ
١٠٧- بيان اعجاز القرآن لابي سليمان الخطابي ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، -مصر دار المعارف، دون تاريخ
١٠٨- البيان في غريب اعراب القرآن لابي البركات الانباري. تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه، الهيئة العامة للكتاب،١٩٨٠م
١٠٩- البيان في مباحث من علوم القرآن لعبد الوهاب عبد المجيد غزلان -مصر: دار التأليف١٩٦٥م
١١٠- البيان والتبيين لابي عثمان الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر -بيروت، الطبعة الرابعة، دون تاريخ
١١١-البيان في تفسير القرآن لابي القاسم الخوئي. دار الزهراء -بيروت
١١٢- تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي -بيروت، ١٩٧٤م
١١٣- تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده للشيخ محمد رشيد رضا -القاهرة: مطبعة المنار ١٣٤٤هـ
١١٤- تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البهيقي.تحقيق محمد كردعلي، مجمع اللغة العربية -دمشق،١٩٨٨م
١١٥- تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين. دار القلم -بيروت١٩٦٦م
١١٦- تاريخ المذاهب الاسلامية للشيخ محمد ابي زهرة. دار الفكر العربي -مصر. بدون تاريخ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٧- تأملات في شخصية ذي القرنين لامتياز على عرشي.نقله إلى العربية سلمان عابدالندوي -بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٨٨م

١١٨- تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة ابي حنيفة من الاكاذيب لمحمد بن زاهد الكوثري. دار الكتاب العربي -بيروت، ١٩٨١م

١١٩- تأويل مشكل القرآن لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق السيد احمد صقر. المكتبة العلمية -بيروت، ١٩٨١م

١٢٠- تبصير الرحمن وتيسير المنان (تفسير) لعلي بن احد المهايمي -بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م

١٢١- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الامام ابي الحسن الاشعري لابي القاسم علي بن الحسن بن عساكر. تحقيق محمد بن زاهد الكوثري -بيروت، دارالكتاب العربي، ١٩٨٤م

١٢٢- تجريد البناني على مختصر السعد.لمصطفى بن محمد البناني -مصر: مطبعة محمد علي صبيح واولاده، ١٣٤٧هـ

١٢٣- التحبير في علم التفسير لجلال الدين السيوطي. تحقيق الدكتور فتحي عبد القادر فريد- مكتبة المعارف-القاهرة١٩٨٦م

١٢٤- تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي لمحمد عبد الرحمن المباركفوري. دار الفكر -بيروت، ١٩٧٩م

١٢٥- تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف للحافظ يوسف بن يوسف المزى.تعليق عبد الصمد شرف الدين، بيروت: دار الكتب العلمية عن الدار القيمة بالهند، دون تاريخ

١٢٦- تحقيقات وانظار في الكتاب والسنة لمحمد الطاهر بن عاشور. جمع عبدالملك بن عاشور، المكتبةالتونسة للتوزيع، -تونس

١٢٧- التحقيق التام في علم الكلام لمحمد الحسيني الظواهري. مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٩م

١٢٨- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي. تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٩٧٩م

١٢٩- تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ. دار الغرب الاسلامي- بيروت، ١٩٨٢م-١٩٨٦م

١٣٠- التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير) للشهيد محمد بن احمد بن جزيّ الكلبي. بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٨٣م

١٣١- التصوير الفني في القرآن للشهيد سيد قطب. بيروت، دار الشروق ١٩٨٢م

١٣٢- التعريف بالقرآن والحديث لمحمد الزفزاف -مصر. مصور عن طبعة مطبعه السنة المحمدية بالقاهرة، ١٩٥٥م

١٣٣- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي -طهران، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية

١٣٤- تفسيرالقرآن العظيم للحافظ ابن كثير، مصر: عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ

١٣٥- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا -مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م

١٣٦- تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت -بيروت: دار التروق.١٩٨٣

١٣٧- التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي -مصر: مطبعة السعادة ١٩٧٧م-١٩٨٦م

١٣٨- تفسير ابن عرفة لابي عبدالله محمد بن عرفة الوَرْغَمّي، تحقيق الدكتور حسن المناعي، تونس: مركز البحوث بالكلية الزيتونية١٩٨٦م

١٣٩- تفسير النصوص في الفقه الاسلامي للدكتور صبحي الصالح -بيروت: المكتب الاسلامي ١٩٨٤م

١٤٠- التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور -تونس دار الكتب الشرقية،١٩٧٢م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤١- تفسير آيات الاحكام للشيخ محمد على السايس-القاهرة: محمد علي صبيح،١٩٥٣م
١٤٢- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق للدكتوره هند شلبي -تونس: المؤلفة ١٩٨٥م
١٤٣- تفسير ابن عاشور هدفه ومصادره للدكتور عبد اللطيف محمود آل محمود ضمن ابحاث ملتقى ابن عاشور،١٩٨٤م
١٤٤- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي. دار الكتب الحديثه-مصر، ١٩٧٦م
١٤٥-تقريب التهذيب للحافظ ابن حجرالعسقلاني . تحقيق محمد عوامة، بيروت: دار البشائر ١٩٨٦م
١٤٦- التلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير للحافظ ابن حجر العسقلاني. تعليق وتصحيح عبدالله هاشم اليماني، دار المعرفة -بيروت ١٩٦٤م
١٤٧- تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني تحقيق عماد الدين احمد حيدر -مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت،١٩٨٧م
١٤٨- التنبيه على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم لعبدالله بن السيد البطليوسي، تحقيق الدكتور احمد حسن كحيل والدكتور حمزة عبد الله النشرتي -الرياض: دار المريخ،١٩٨٢م
١٤٩- تنزيل الآيات على الشواهد لمحب الدين أفندي -طبع بنهايه الجزء الرابع من الكشاف، بيروت: دار الفكر ١٩٧٧م
١٥٠- تهافت التهافت لابي الوليد بن رشد. تحقيق الدكتور سليمان دنيا. دار المعرف- مصر. دون تاريخ
١٥١- تهذيب الأسماء واللغات للامام شرف الدين النووي -بيروت: دار الكتب العلمية، عن نسخة ادارة الطباعه المنيرية دون تاريخ
١٥٢- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني .بيروت: دار الفكر نشر خليل الميس،١٩٨٤م
١٥٣- توضيح الافكار لمعاني تنقيح الانظار لمحمد بن اسماعيل الامير تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد -المدينة المنورة: المكتبة السلفية، دون تاريخ
١٥٤- تونس العربية لاحسان حقي -بيروت .دار الثقافة، دون تاريخ
١٥٥- تونس وجامع الزيتونه لمحمد الخضر حسين، نشر علي الرضا التونسي، ١٩٧١م
١٥٦- توفيق الرحمن بين ما قاله علماء الهيئة وبين ما جاء في الاحاديث الصحيحة وآيات القرآن للشيخ محمد بخيت المطيعي. طبع مطبعة السعاده-مصر، ١٣٤١هـ
١٥٧- تيسير التفسير لمحمد بن يوسف إطفيش -عُمان: وزارة التراث القومي ١٩٨٦م-١٩٨٨م
١٥٨- ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه. لعداب محمود الحمش، السعودية: دار بدر للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م
١٥٩- جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبري- مصر: دار الريان للتراث ودار الحديث. ١٩٨٧م
١٦٠- الجامع لاحكام القرآن (تفسير) لابي عبد الله القرطبي -بيروت: دار الفكر
١٦١- جلاء العينين في محاكمة الاحمدين لنعمان خير الدين الالوسي. دارالكتب العلميه. بيروت، دون تاريخ
١٦٢- جمال القراء وكمال الاقراء لعلم الدين علي بن محمد السخاوى، تحقيق الدكتور علي حسن البواب، مكة المكرمة: مكتبة التراث، ١٩٨٧م
١٦٣- الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي. تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، دار الافاق الجديدة، بيروت،١٩٨٣م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦٤- الجهة الثالثة من وجوه اعجاز القرآن للدكتوره هند شلبي، من ابحاث ملتقى ابن عاشور- تونس
١٦٥- جواهر البلاغة لاحمد الهاشمي.بيروت ،دار الفكر ١٩٨٦م
١٦٦- جواهر التفسير[انوار من بيان التنزيل]لاحمد بن حمد الخليلي-عُمان:مكتبة الاستقامة١٩٨٥
١٦٧- حاشية اسماعيل الكلنبوي على شرح الجلال المحلي على العقائد العضدية. دار الطباعة العامرة،١٣١٧هـ
١٦٨- حاشية الامير على مغني اللبيب للشيخ محمد الامير-مصر:عيسى البابي الحلبي دون تاريخ
١٦٩- حاشية البيجوري على شرح ابن القاسم للشيخ ابراهيم البيجوري -بيروت: دار الفكر دون تاريخ
١٧٠- حاشية العدوي على شرح الرسالة للشيخ على الصعيدي العدوي -بيروت: دار الفكر دون تاريخ
١٧١-حاشية الجمل على الجلالين لسليمان بن عمر الشافعي. دار احياء التراث العربي -بيروت دون تاريخ
١٧٢- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد بن عرفه الدسوقي. دار احياء الكتب العربية- مصر
١٧٣- حاشية الدسوقي على المغني لمصطفى محمد عرفة الدسوقي. مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني -مصر
١٧٤- حاشية زاده على البيضاوي لمحي الدين شيخ زاده: طبع المكتبة الاسلامية-تركيا
١٧٥- حاشية السيد على الكشاف للسيد الجرجاني، طبعت على اوائل الكشاف بمطبعة دار الفكر- بيروت ١٩٧٧
١٧٦- حاشية السيد على المطول للسيد التريف الجرجاني طبعت منفصلة دون كتاب المطول، بِدُر سعادات مطبعه عثمانيه
١٧٧- حاشية السيد على المواقف للسيد الشريف الجرجاني- مصر: دار الطباعه العامره ١٢٦٦هـ
١٧٨- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي - بيروت: دار صادر
١٧٩- حاشية الصاوي على الجلالين احمد الصاوى المالكي -دار احياء الكتب العربية- مصر
١٨٠- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الالفية مع شرح الشواهد الكبرى.دار احياء الكتب العربيه-مصر
١٨١- حاشية عبد الحكيم على حاشية الحيالي على العقائد النسفية لعبد الحكيم السيالكوتي،طبع ضمن مجموعة الحواشي البهية على العقائد النسفية بالهند
١٨٢- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع لابن السبكي للشيخ حسن العطار بيروت: دار الكتب العلمية
١٨٣- حاشية الكازروني على تفسير البيضاوى -مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع
١٨٤- حاشية المولى الحيالي على شرح الجلال على العقائد العضديه طبع بهامش الشرح المذكور -مصر: دار الطباعه العام ، ١٣١٧هـ
١٨٥- حاشية المولى المرجاني على شرح الجلال المحلى على العقائدالعضدية بهامش الشرح المذكور -مصر:دار الطباعة العامرة،١٣١٧هـ
١٨٦- حجة القراءات لابن زنجلة . تحقيق سعيد الافغاني، مؤسسة الرسالة -بيروت،١٩٨٢
١٨٧- الحجة في علل القراءات السبع لابي علي الفارسي، تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبدالفتاح شلبي -مصر: الهيئة العامة للكتاب،١٩٨٣م
١٨٨- الحركة الادبية والفكرية في تونس لمحمد الفاضل بن عاشور. الدار العربية للكتاب -تونس
١٨٩- الحصون الحميدية لمحافظة العقائد الاسلامية للشيخ حسين الجسر، طبع محمد على صبيح -مصر
١٩٠- الحطة في ذكر الصحاح الستة لصديق حسن خان - دار الكتب العلمية -بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩١- الحق الدامغ للشيخ احمد الخليلي. -عُمان، مطابع دار النهضة،١٤٠٩هـ
١٩٢- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء لابي نعيم الاصفهاني. دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٠م
١٩٣- الحملة الصليبية على الاسلام في شمال افريقا مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية. مكتبة الاخبار التونسية -مصر المطبعة السلفية ١٣٥٣هـ
١٩٤- حواشي تحفة المحتاج للشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابي حجر الهيتمي -بيروت ،دار صادر، دون تاريخ
١٩٥- حياتي آرائي جهادي للحبيب بورقيبة، تونس وزارة الاعلام ١٩٨٣م
١٩٦- الحيوان للجاحظ -تحقيق عبد السلام هارون- بيروت: دار الجيل ودار الفكر ١٩٨٨م
١٩٧- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي.تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي -القاهرة ١٩٨٤م
١٩٨- الخصائص لابن جني ،تحقيق محمد علي النجار،الطبعة الثانية
١٩٩- خصائص التراكيب للدكتور محمد ابى موسى -مصر: مكتبة وهبه١٩٨٠م
٢٠٠- خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادى عشر لمحمد المحبى
٢٠١- خلق الانسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد على البار -دار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٨١م
٢٠٢- الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي تحقيق جعفر الحسيني -بيروت:دار الكتاب الجديد ١٩٨١م
٢٠٣- دراسات في التفسير واصوله للدكتور محي الدين بلتاجي -بيروت: دار الثقافة ١٩٨٧م
٢٠٤- دراسات في اللغة لمحمد الخضر حسين -دمشق:المكتب الاسلامي ومكتبة دار الفلاح ١٩٦٠م
٢٠٥- الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني -بيروت
٢٠٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي -بيروت
٢٠٨- درة التنزيل وغرة التأويل في دفع متشابه آي التنزيل للراغب الاصفهاني -مخطوط توجد عندي منه نسخة مصورة عن مكتبة المتحف البريطاني
٢٠٩- دفاع عن القراءات المتواتره في مواجهة الطبرى للدكتور لبيب سعيد -القاهره: دار المعارف ١٩٧٨م
٢١٠- دفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين لأحمد مكي الانصاري - القاهرة: دار المعارف،١٩٧٣م
٢١١- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه في الرد على المجسمة والمشبهة لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى تحقيق محمد بن زاهد الكوثري -مصر، المكتبة التوفيقية بدون تاريخ
٢١٢- دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك الى السيد الجليل الامام احمد تقي الدين الحصني -مصر دار احياء الكتب العربيه دون تاريخ
٢١٣- دقائق التفسير لابن تيمية تحقيق محمد السيد الجليند-. مؤسسة علوم القرآن -بيروت، ودمشق،١٩٨٤م
٢١٤- دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر- مصر: مكتبة الخانجي، دون تاريخ
٢١٥- دلائل النظام لعبد الحميد الفراهي. الهند: الدائرة الحميدية ومكتبتها،١٣٨٨هـ
٢١٦- دلالات التراكيب لمحمد محمد ابي موسي ،مكتبة وهبة -مصر ١٩٨٧م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١٧- دليل الحيران في شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن للعلامة الخراز. مكتبة الكليات الأزهرية -مصر ١٩٨٢م

٢١٨- الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي. دار الكتب العلمية -بيروت دون تاريخ

٢١٩- ديوان عنترة العبسي تحقيق وتقديم فوزي عطوي -بيروت . دار المعرفة -١٩٦٨م

٢٢٠- ذخائر التراث العربي الاسلامي لعبد الجبار عبد الرحمن -البصرة : المؤلف ١٩٨١م

٢٢١- الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام للدكتور بشار عواد معروف -مصر: عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٦م

٢٢٢- ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح لمحمد خير رمضان يوسف. دار القلم -دمشق ١٩٨٦م

٢٢٣- ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي لابي المحاسن الحسيني- دمشق : مطبعة التوفيق ١٣٤٧هـ

٢٢٤- ذيل طبقات الحفاظ للذهبي للسيوطي .دمشق: مطبعة التوفيق ١٣٤٧هـ

٢٢٥- الرحلة الحجازية لمحمد السنوسي تحقيق علي الشنوفي -تونس: الشركة التونسية للتوزيع١٩٧٦م

٢٢٦- رحمة الامة في اختلاف الائمة لابي عبد الله محمد بن عثمان الدمشقي -مصر: مصطفى البابي الحلبي،١٩٨٦م

٢٢٧- رسائل الجاحظ لابي عثمان الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون-مصر مكتبة الخانجي ١٩٧٩م

٢٢٨- الرسائل السبعة في العقائد - الهند: دائرةالمعارف العثمانية، ١٩٨٠م

٢٢٩- الرسالة للامام الشافعي تحقيق أحمد محمد شاكر-دون تاريخ

٢٣٠- الرسالة المستطرفه لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتاني- بيروت: دار الكتب العلميه،١٤٠٠هـ

٢٣١- رشيد رضا المفسر للدكتور حسيب السامرائي - بغداد: دار الرسالة ١٩٧٧م

٢٣٢- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل لعبد الحي اللكنوي تحقيق وتعليق الشيخ عبد الفتاح ابي غده-حلب: مكتب المطبوعات الاسلامية.١٩٨٧م

٢٣٣- روح البيان (تفسير) لاسماعيل حقي البرسوي -بيروت: دار احياء التراث العربي، دون تاريخ

٢٣٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين ابي الفضل الآلوسي-بيروت، دار احياء التراث العربي، دون تاريخ

٢٣٥- الروض الانف في تفسير السيرةالنبوية لابن هشام لابي القاسم السهيلي تعليق عبد الرؤوف سعد، دار الفكر- بيروت، دون تاريخ

٢٣٦- الزمخشري للدكتور احمد الحوفي -القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٦٦م

٢٣٧- الزمخشري لغويا ومفسرا لمرتضى آية الله زاده الشيرازي.دار الثقافة- القاهرة ١٩٧٧

٢٣٨- سلامة الحرف من الزيادة والحذف للدكتور فضل عباس - بحث على الالة الكاتبة وغير منشور

٢٣٩- سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة لمحمد ناصر الالباني. بيروت المكتب الاسلامي ١٣٩٩هـ

٢٤٠- سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر لمحمد خليل المرادي. مكتبه المثنى - بغداد دون تاريخ

٢٤١- سنن ابن ماجة للحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي -بيروت: دار الفكر دون تاريخ

٢٤٢- سنن ابي داود للحافظ سليمان بن اشعث السجستاني ومعه شرحه عون المعبود - الهند: نشر السنة،١٣٩٩هـ

٢٤٣- سنن البيهقي للحافظ البيهقي ومعه الجوهر النقي - مكة: دار الباز للنشر والتوزيع تصوير عن طبعه الهند

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣٥٢هـ

٢٤٤- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية الامام السندي لأبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي -بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ

٢٤٥- سير اعلام النبلاء للحافظ الذهبي تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرون -مؤسسة الرسالة -بيروت ١٩٨١م

٢٤٦- السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي . نشر المكتبة الاسلامية -بيروت بدون تاريخ

٢٤٧-السيرة النبويه والاثار المحمديه لاحمد زيني دحلان - طبع بهامش السيرة الحلبية

٢٤٨- السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل لابن السبكى ومعه تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم للكوثري . مطبعة السعادة -مصر١٩٣٧م

٢٤٩- سيكلوجية القصة في القرآن للدكتور التهامي نقره - الدار التونسيه للتوزيع ١٩٧٤م

٢٥٠- شجرة النور الزكية في تراجم علماء المالكية لمحمد بن محمد مخلوف -بيروت:دار الفكر،دون تاريخ

٢٥١- شذا العرف في فن الصرف للشيخ احمد الحملاوي -مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٩

٢٥٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي تحقيق لجنة احياء التراث العربي - بيروت: دار الافاق الجديد دون تاريخ

٢٥٣- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك للقاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل . دار التراث - القاهرة ١٩٨٠م

٢٥٤- شرح ابيات المغني لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد العزيز رباح واحمد يوسف دقاق- دار المأمون للتراث -دمشق ١٩٨٨م

٢٥٥-شرح البرقوقي على التلخيص لعبد الرحمن البرقوقي - بيروت دار الكتاب العربي

٢٥٦- شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الازهري . طبع دار الفكر - بيروت

٢٥٧- شرح التفتزاني على النسفية وبهامشه حاشية ملا احمد. طبع ضمن مجموعة الحواشي البهيه على العقائد النسفيه بالهند، دون تاريخ

٢٥٨- شرح التلويح على التوضيح للسعد التفتزاني -بيروت: دار الكتب العلمية مصور عن مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٩٥٧م

٢٥٩-شرح جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم بن محمد البيجوري- بيروت: دار الكتب العلمية١٩٨٣

٢٦٠- شرح جوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام بن ابراهيم اللقاني تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد- القاهرة: مطبعة السعادة ١٩٥٥م

٢٦١- شرح ديوان الحماسة لابي زكريا البتريزي - بيروت: عالم الكتب، دون تاريخ

٢٦٢- شرح ديوان الحماسة لابي علي احمد بن محمد المرزوقي تحقيق ونشر احمد امين وعبد السلام هارون -مصر: لجنة التأليف والنشر،دون تاريخ

٢٦٣- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الانصارى -بيروت

٢٦٤- شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الاستراباذي -بيروت دار الكتب العلمية دون تاريخ

٢٦٥- شرح الزرقاني على الموطأ للشيخ محمد الزرقاني -بيروت: دار الفكر دون تاريخ

٢٦٦- شرح السنة للامام البغوي تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط - بيروت المكتب الاسلامي، ١٣٠٤هـ - ١٣٠٨هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٦٧- شرح شواهد شذور الذهب لمحمد بن علي الفيومي - القاهره: مطبعة المعاهد وتوزيع مكتبة محمود توفيق الكتبي ١٣٥٣هـ

٢٦٨- شرح شواهد المغني للسيوطي تصحيح وتعليق محمد محمود الشنقيطي مكتبه الحياة -بيروت دون تاريخ

٢٦٩- شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي الميداني الحنفي تحقيق محمد مطيع الحافظ ومحمد رياض الملح-مكتبة النوري- دمشق ١٩٧٠م

٢٧٠- شرح العلامة الامير على منظومة بهرام للشيخ محمد الامير .طبع دار الغرب الاسلامي بيروت ١٩٨٦م

٢٧١-شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات لابي جعفر محمد بن اسماعيل المرادي الشهير بابن النحاس - بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م

٢٧٢- شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة - بيروت: دار الافاق الجديد ،١٩٨٠م

٢٧٣- شرح المعلقات السبع لابي عبد الله الحسين بن احمد الزوزني- بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٨٥م

٢٧٤- شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي النحوي- مصر: ادارة الطباعة المنيرية، دون تاريخ

٢٧٥- شرح مطالع الانظار على متن طوالع الانوار لابي الثناء شمس الدين بن محمود الاصفهاني، مصر - المطبعة الخيرية ،١٣٢٣هـ

٢٧٦- شرح معاني الاثار لابي جعفر الطحاوي -بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م

٢٧٧- شرح النووي على صحيح الامام مسلم -مصر: المطبعة المصرية ومكتبتها .دون تاريخ

٢٧٨- شروح التلخيص. القاهرة: عيسى البابي الحلبي. ١٩٣٧م

٢٧٩- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الاشهر خلال القرن الرابع عشر. للدكتور محمد بن يونس السويسي . من ابحاث ملتقى ابن عاشور

٢٨٠- الصاحبي لاحمد بن فارس تحقيق السيد احمد صقر - القاهرة:عيسى البابى الحلبي ١٩٧٧م

٢٨١- صفاء الكلمة. للدكتور عبد الفتاح لاشين -دار المريخ بالرياض ١٩٨٣

٢٨٢- صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف - دار الفكر

٢٨٣- الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع للامام السخاوي -مكتبة الحياة بيروت، دون تاريخ

٢٨٤- طبقات الحفاظ للحافظ الذهبي -الهند: دائرة المعارف العثمانية. ١٩٧٠م

٢٨٥- طبقات الشافعية لابن السبكي -دار المعرفة -بيروت دون تريخ

٢٨٦- طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن احمد الداوودى . القاهرة- مكتبة وهبة ١٩٧٢م

٢٨٧- طلائع البشر في توجيه القراءات العشر لمحمد الصادق قمحاوي- القاهره- مطبعة النصر ١٩٧٨م

٢٨٨- عائلة ابن عاشور للطاهر المعموري .من ابحاث ملتقى ابن عاشور

٢٨٩- عالم الجن والشياطين للدكتور عمر الاشقر -مكتبة الفلاح بالكويت ١٩٨٣م

٢٩٠- العز بن عبد السلام حياته واثاره ومنهجه في التفسير لعبد الله بن ابراهيم الوهيبي -المكتبة السلفية بمصر ١٩٧٩م

٢٩١- العقيدة الاسلامية واسسها للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني -دمشق : دار القلم،١٩٨٣م

٢٩٢- العقيدة النظامية في الاركان الاسلامية لامام الحرمين، تقديم احمد حجازي السقا- القاهرة مكتبة الكليات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الازهرية ١٩٧٨م

٢٩٣- علاقة الاثبات والتفويض بصفات رب العالمين لرضا نعمان معطي السعودية: مطبعة التراث ١٤٠٢هـ

٢٩٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ للسمين الحلبي ،تحقيق محمود محمد السيد الدغيم -دار السيد للنشر بتركيا، ١٩٨٧م

٢٩٥- عمل اليوم والليلة للحافظ النسائي دراسة وتحقيق فاروق حمادة- بيروت : مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م

٢٩٦- العهد القديم والجديد [الكتاب المقدس]- دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط

٢٩٧- العواصم من القواصم لابي بكر بن العربي تحقيق الدكتور عمار طالبي -الجزائر الشركة الوطنية للنشر ١٩٨١م

٢٩٨- العواصم من القواصم .تحقيق محب الدين الخطيب -دار اسامة بن زيد، بيروت دون تاريخ

٢٩٩- عيون الاخبار لابن قتيبة- بيروت : دار الكتاب العربي، دون تاريخ

٣٠٠- عيون البصائر لمحمد البشير الابراهيمي - الجزائر:الشركه الوطنية للنشر ١٩٧٠

٣٠١- غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي تحقيق حسن محمود عبد اللطيف القاهرة: المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٩٧١م

٣٠٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان [تفسير] لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، طبع على هامش الطبرى

٣٠٣-الغنية في اصول الدين للامام المتولي الشافعي .تحقيق عماد الدين احمد حيدر- مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت،١٩٨٧م

٣٠٤- غيث النفع في القراءات السبع لعلي النوري الصفاقسي.طبع بهامش سراج القارىء المبتدىء، بيروت، دار الفكر ١٩٧١م

٣٠٥- الفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاشين -الرياض، دار المريخ ١٩٨٢م

٣٠٦- الفاصلة في القرآن لمحمد الحناوي -سوريا:دار الاصيل،١٩٧٧م

٣٠٧- فتاوى ابن تيمية، توزيع دار الافتاء -السعودية

٣٠٨- فتاوى ابن الصلاح، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي - دار الوعى -حلب، ١٩٨٣م

٣٠٩- فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني. دار الفكر، بيروت، دون تاريخ

٣١٠- الفتح الرباني والفيض الرحماني لعبد الغني النابلسي- تحقيق محمد عبدالقادر عطا، بيروت-دار الكتب العلمية١٩٨٥م

٣١١- فتح المنان في نسخ القرآن لعلي حسن العريض. مكتبة الخانجي - القاهرة١٩٧٣م٣١٢٣- الفرق الكلامية في الاسلام للدكتور عبد الفتاح المغربي - القاهرة، مكتبة وهبة،١٩٨٦م

٣١٢- الفرق الكلامية في الاسلام للدكتورعبدالفتاح المغربي -القاهرة:مكتبة وهبه،١٩٨٦م

٣١٣- الفروق اللغوية لابي هلال العسكري -بيروت:دار الآفاق الجديده،١٩٨٣م

٣١٤- الفروق للامام القرافي. عالم الكتب -بيروت، دون تاريخ

٣١٥- فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم للدكتور احمد السيد الكومي والدكتور محمد احمد يوسف القاسم. دار احياء الكتب العربية- مصر،١٩٧٤م

٣١٦- الفصل والوصل في القرآن الكريم للدكتور منير سلطان. دار المعارف -مصر،١٩٨٣م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣١٧- فضائل القرآن لابن الضريس. تحقيق غزوة بدير -دار الفكر -دمشق،١٩٨٧م

٣١٨- فقه اللغة وسر العربية لابي منصور الثعالبي -بيروت

٣١٩- الفكر الديني في مواجهة العصر للدكتور عفت الشرقاوي-دار العودة،بيروت،١٩٧٩م

٣٢٠- فهارس الخزانة التيمورية

٣٢١- فهارس مكتبة كوبريلي للمخطوطات

٣٢٢- فهارس مكتبة الجامعة الاردنية للمخطوطات

٣٢٣- الفهرست لابن النديم -دار المعرفة،بيروت، بلا تاريخ

٣٢٤- فهرس الخزانة العلمية الصبيحية. منشورات معهد المخطوطات العربية- المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة للدكتور محمد حجي ،الكويت، ١٩٨٥م

٣٢٥- الفوائد البهية في تراجم الحنفية لعبدالحي اللكنوي. ومعه التعليقات السنية على الفوائد، البهية لبدر الدين النعساني، دار المعرفة -بيروت، بدون تاريخ

٣٢٦- الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب لنور الدين عبد الرحمن الجامي. دراسة وتحقيق الدكتور اسامة طه الرفاعي، وزارة الأوقاف - بغداد،١٩٨٣م

٣٢٧- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم -دار الكتب العلمية -بيروت، ١٩٨٢م

٣٢٨- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت لعبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري ،طبع بحاشية المسصفى للغزالي -بيروت دار الكتب العلمية،١٩٨٣م

٣٢٩- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي .تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ

٣٣٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي.بيروت. دار الفكر،١٩٧٢م

٣٣١- في ظلال القرآن الكريم للشهيد سيد قطب. دار الشروق، بيروت ١٩٨٠م

٣٣٢- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب لعبد الفتاح القاضي. طبع مع البدور الزاهرة في القراءات المتواترة -بيروت ،دار الكتاب العربي، ١٩٨١م

٣٣٣- القرآءات القرآنية من الوجهة البلاغية للدكتور فضل حسن عباس، بحث على الالة الكاتبة

٣٣٤- القرآن العظيم هدايته واعجازه في اقوال المفسرين لمحمد الصادق عرجون - القاهرة -مكتبة الكليات الازهرية: ١٩٦٦م

٣٣٥- القرطبي ومنهجه في التفسير للدكتور الفصيبي زلط. دار الانصار -القاهرة،١٩٧٩م

٣٣٦- القزويني وشروح التلخيص للدكتور احمد مطلوب. مكتبة النهضة-بغداد. ١٩٦٧م

٣٣٧- القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته للدكتور فضل حسن عباس. دار الفرقان -عمان، ١٩٨٧م

٣٣٨- قطر الندى وبل الصدى لابن هشام مع شرحه -تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد-مصر

٣٣٩- قطعة من موطأ ابن زياد تحقيق وجمع الشيخ محمد الشاذلي النيفر. الدار التونسية للنشر،١٩٧٨م

٣٤٠- قليوبي وعميرة على منهاج الطالبين. بيروت: دار الفكر، الطبعة الرابعة

٣٤١- القواعد الاساسية للغة العربية لاحمد الهاشمي. دار الكتب العلمية، بيروت،١٣٥٤هـ

٣٤٢- القول السديد في علم التوحيد للشيخ محمود ابي دقيقه -مصر

٣٤٣- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي لابن عبد البر تحقيق الدكتور محمد محمد الموريتاني -الرياض: مكتبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرياض الحديثة ١٩٧٨م

٣٤٤- كبرى اليقينيات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. دار الفكر - دمشق،١٣٩٩هـ

٣٤٥- كتاب سيبويه. تحقيق عبد السلام هارون -بيروت: عالم الكتب،١٩٦٦م

٣٤٦- كتاب السير والمغازي لابن اسحق، تحقيق الدكتور سهيل زكار- دمشق

٣٤٧- كشف الاستار عن زوائد البزار للحافظ نور الدين الهيتمي -بيروت مؤسسة الرسالة١٩٧٩م

٣٤٨- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس لاسماعيل بن محمد العجلوني .تصحيح وتعليق احمد القلاش - طبع مؤسسة الرسالة-بيروت١٩٨٣م

٣٤٩- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.بيروت، دار الفكر١٩٨٢م

٣٥٠- الكشف على الكشاف لعمر القزويني، مخطوطة بمكتبة شستربيتي، ومنه نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الاردنية

٣٥١- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن ابي طالب. تحقيق الدكتور محي الدين رمضان -بيروت: مؤسسة الرسالة،١٩٨٩م

٣٥٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل لابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري -بيروت، دار الفكر، ١٩٨٧م

٣٥٣- كفاية الاخيار في حل غاية الاختصار لتقي الدين الحصني. دار المعرفة. بيروت، الطبعة الثانية

٣٥٤- الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن للشيخ محمد بخيت المطيعي -بيروت، دار الرائد العربي،١٩٨٢م

٣٥٥- الكليات اللغوية لابي البقاء الكفوي،تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري. دمشق- منشورات وزارة الثقافة،١٩٨١م

٣٥٦- الكواكب الدرية على متممة الآجرّومية لمحمد بن احمد بن عبد الباري الاهدل.اشرف على التصحيح احمد سعد علي -بيروت، دار الكتب العلمية،مصورة عن الطبعة المصرية لعام ١٩٣٨م

٣٥٧- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي الخازن -القاهرة -مصطفى البابي الحلبي،١٩٥٥م

٣٥٨- لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الاصول ليوسف بن محمد المكلاتي. تحقيق الدكتورة فوقيه حسين -القاهرة: دار الانصار،١٩٧٧م

٣٥٩- لزوم طلاق الثلاث دُفعة بما لا يستطيع العالم دَفعه للشيخ محمد الخضر الشنقيطي. بيروت -دار البشائر الاسلامية،١٩٨٨م توزيع مكتبة الايمان بالمدينة المنورة

٣٦٠- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. بيروت -دار صادر ١٣٠٠هـ

٣٦١- اللغة الشاعرة لعباس محمود العقاد. مكتبه غريب- مصر،بدون تاريخ

٣٦٢- لغة القرآن الكريم للدكتور عبد الجليل عبد الرحيم،مكتبة الرسالة الحديثة،١٩٨١م -عمان

٣٦٣- اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع لابي الحسن الاشعري.تحقيق الدكتور حمودة غرابة- القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ١٩٧٥م

٣٦٤- اللُّمع في اصول الفقه، لابي اسحق الشيرازي -بيروت: دار الندوة الاسلامية ١٩٨٨م

٣٦٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدره المضية في عقد الفرقة المرضية لمحمد بن احمد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السفاريني. مطبعة المدني -مصر،بدون تاريخ
٣٦٦- ما تمس اليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجة لمحمد بن عبد الرشيد النعماني . طبع باكستان، قديمي كتب خانة، دون تاريخ
٣٦٧- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لابي الحسن الندوي. دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٨٢م
٣٦٨- المبسوط في القراءات العشر لاحمد بن الحسين بن مهران. تحقيق سبيع حمزة حاكمي - مجمع اللغة العربية -دمشق،١٩٨٦م
٣٦٩- متشابه القرآن دراسة موضوعية للدكتور عدنان زرزور. دار الفتح- دمشق،١٩٦٩م
٣٧٠- مجاز القرآن لابي عبيدة معمر بن المثنى ،تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين .مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨١م
٣٧١- المجاز في اللغة والقرآن بين الاجازة والمنع للدكتور عبد العظيم المطعني. مكتبة وهبة-القاهرة،١٩٨٥م
٣٧٢- مجالس التذكير لعبد الحميد بن باديس [تفسير]، جمع واعداد محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين -بيروت، دار الفكر،١٩٧١م
٣٧٣- مجرد مقالات الشيخ ابي الحسن الاشعري من املاء ابي بكر محمد بن الحسن بن فورك. تحقيق دانيال جيماربه -دار المشرق الكاثوليكية - بيروت،١٩٨٧م
٣٧٤- مجلة الازهر الجزء١٠، عام١٩٩٠م
٣٧٥- مجلة جوهر الاسلام العدد(٣-٤) السنةالعاشرة. ١٩٧٨م
٣٧٦- مجلة دار الحديث الحسنية بالمغرب العدد٧ ،١٩٨٩م
٣٧٧- مجلة دراسات [الاردن] مجلد١٤ العدد١٠ ،١٩٨٧م
٣٧٨- مجلة الزيتونة العدد١، السنةالاولى، ١٩٧١م واعداد اخر
٣٧٩- مجلة السعادة العظمى الاعداد ٧-١٠ المجلد الاول -نشر علي رضا التونسي
٣٨٠- مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية بالكويت العدد ١٥ السنةالسادسة١٩٨٩م
٣٨١- مجلة الضاد، بغداد،العدد الثاني
٣٨٢- مجلة كلية الدعوة الاسلامية -ليبيا العدد الخامس١٩٩٠م
٣٨٣- مجله المجمع العلمي بدمشق العدد٣٦-٣٧
٣٨٤- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرةالعدد٨/١٩٥٥م
٣٨٥- مجلة مجمع اللغة العربية الاردني العدد (٣-٤) ١٩٧٩م
٣٨٦- مجلة مركز بحوث السنة والسيرة العددالرابع١٤٠٩هـ -قطر
٣٨٧- مجلة المنهل العدد٤٤٥ عام ١٩٨٦ -السعودية
٣٨٨- مجمع الامثال لاحمد بن محمد الميداني تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم -القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٨م
٣٨٩- مجمع البيان في تفسير القرآن لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي تصحيح وتحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاّتي والسيد فضل الله اليزدي الطباطبائي -بيروت -دار المعرفة١٩٨٦م
٣٩٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي. دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٦٧م
٣٩١- مجموعة جريدة البصائر [لسان حال العلماء الجزائريين] العدد الاول. دار البعث بالجزائر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٩٢- مجموع المتون في مختلف الفنون -دولة قطر، الشؤون الدينية بعناية عبدالله بن ابراهيم الانصاري، ١٩٨١م
٣٩٣- محاسن التأويل {تفسير} لمحمد جمال الدين القاسمي ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،القاهرة -دار احياء الكتب العربية، دون تاريخ
٣٩٤- محاضرات في الفقة المقارن للدكتور محمد سعيد البوطي -دار الفكر، دمشق،١٩٨١م
٣٩٥- المحاكمات بين ابي حيان والزمخشري وابن عطيه ليحي الشاوي المغربي. مخطوط توجد عندى منه نسخة عن مكتبة الازهر
٣٩٦- محمد الطاهر بن عاشور رائد الفكر الاسلامي في تونس لبلقاسم بن حسن، ضمن ابحاث ملتقى ابن عاشور
٣٩٧- محمد الفاضل بن عاشور حياته واثره الفكري للمختار بن احمد عمار. الدار التونسية للنشر،تونس ١٩٨٥م
٣٩٨- المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار المعتزلي -القاهرة: المؤسسة المصرية العامة. بدون تاريخ
٣٩٩- مدخل الى الظلال للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي. دارالمنارة-جده،١٩٨٦م
٤٠٠- المدخل لابن الحاج المالكي، دار الفكر -بيروت،١٩٨١م
٤٠١- مدخل لدراسة القرآن والسنة للشيخ محمد ابي شهبه- الرياض، دار اللواء،١٩٨٧
٤٠٢- مدرسة التفسير في الاندلس للدكتور مصطفى المشني. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م
٤٠٣- مذاهب التفسير الاسلامي لاجنتس جولد تسيهر، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار-بيروت: دار إقرأ. ١٩٨٥م
٤٠٤- مراتب الأصول وغرائب الفصول لعلم الدين السخاوي دراسة وتحقيق محمد عصام القضاة رسالة ماجستير بالجامعة الاردنية،١٩٨٧م، غير منشورة
٤٠٥- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لابي شامة المقدسي، تحقيق طيار آلتي قولاج -بيروت: دار صادر. ١٩٧٥م
٤٠٦- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق محمد احمد جاد المولى وعلي محمد البيجاوي ومحمد ابي الفضل ابراهيم -بيروت: دار الفكر العربي، دون تاريخ
٤٠٧- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات لابي علي النحوي، تحقيق ودراسة صلاح الدين عبدالله السنكاوي -بغداد: مطبعة العاني، ١٩٨٣م
٤٠٨- مسائل الرازي من غريب آي التنزيل لمحمد بن إبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، القاهرة: مصطفى البابى الحلبي، ١٩٦١م
٤٠٩- المستدرك على الصحيحين لابي عبدالله الحاكم النيسابوري -بيروت: دار الفكر ١٩٧٨م
٤١٠- المستصفى في علم الاصول لابي حامد الغزالي -بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م
٤١١- مسند الامام احمد -بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨م
٤١٢- مسند الدارمي لابي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي تحقيق عبدالله هاشم يماني -المدينة المنورة،١٩٦٦م
٤١٣- المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً للدكتور توفيق محمد شاهين -القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٠م
٤١٤- مشكلات القرآن لانور شاه الكشميري ومعه يتيمة البيان في اعجاز القرآن لمحمد يوسف البنوري -الهند: مطبوعات المجلس العلمي، ١٩٣٧م
٤١٥- المصاحف لابن ابي داود -بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م
٤١٦- المصادر المعرفية لابن عاشور من خلال تفسير سورة آل عمران لخميس زهمول ،بحث في الكلية الزيتونية في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اثناء الدرس التفسيري، على الالة الكاتبة غير منشور
٤١٧- مصنف ابن ابي شيبة لابي بكر عبدالله بن محمد، ضبطه وعلق عليه كمال يوسف الحوت -بيروت: دار الكتب الثقافية، ١٩٨٩م
٤١٨- مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب لابي عبدالله محمد بن حسين اليمني، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم -بيروت: دار الثقافة،١٩٦١م
٤١٩- معالم التنزيل لابي محمد الحسين بن مسعود البغوي [تفسير] تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار -بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦م
٤٢٠- المعاني في ضوء اساليب القرآن للدكتور عبدالفتاح لاشين -توزيع المكتبة الاموية -عمان،١٩٨٣م
٤٢١- معاني القرآن لابي زكريا يحي بن زياد الفراء ،تحقيق محمد علي النجار واحمد يوسف نجاتي -بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م
٤٢٢- معاني القرآن واعرابه لابي اسحق الزجاج، تحقيق وشرح الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب١٩٨٨م
٤٢٣- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبد الرحيم بن احمد العباسي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد -بيروت: عالم الكتب،١٩٤٧م
٤٢٤- معترك الاقران في اعجاز القرآن للسيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي -القاهرة دار الفكر العربي،١٩٧٣م
٤٢٥- معجم البلدان لابي عبدالله ياقوت الحموي -بيروت: دار صادر، دون تاريخ
٤٢٦- معجم الدراسات القرآنية للدكتورة ابتسام مرهون الصفار -الموصل: مطبعه جامعة الموصل بمساعدة جامعة بغداد، ١٩٨٣م-١٩٨٤م
٤٢٧- معجم الطبراني الكبير لابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي -بغداد: مطبعة الامة، وزارة الاوقاف، دون تاريخ
٤٢٨- معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور علي شواخ اسحق -الرياض: دار الرياض،١٩٨٣م
٤٢٩- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون -بيروت: دار الفكر،١٩٧٩م
٤٣٠- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب لابي العباس احمد بن يحي الونشريسي، اشرف على تحقيقه الدكتور محمد حجي، المغرب: وزارة الاوقاف ودار الغرب الاسلامي ببيروت،١٩٨١م
٤٣١- المغني لابي محمد عبدالله بن احمد بن قدامة -الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، دون تاريخ
٤٣٢- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الانصاري، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمدالله -لاهور: دار نشر الكتب الاسلامية،١٩٧٩م
٤٣٣- مفاهيم جغرافية في القصص القرآني للدكتور عبد العليم خضر- جدة: دار الشروق١٩٨١م
٤٣٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده -بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٥م
٤٣٥- المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة
٤٣٦- المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الاعجاز للدكتور فضل حسن عباس، بحث على الالة الكاتبة
٤٣٧- مقارنة المذاهب في الفقه الاسلامي للشيخ محمد علي السايس والشيخ محمود شلتوت، القاهرة: مطبعة محمد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علي صبيح،١٩٥٣م
٤٣٨- مقامات الحريري -بيروت: دار صادر،١٩٨٠م
٤٣٩- المقتضب للمبرد، تحقيق الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة -بيروت: عالم الكتب،١٩٦٣م
٤٤٠- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لابي الحسن الاشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،١٩٦٩م
٤٤١- مقالات الكوثري -طبعة مصورة عن طبعة مصر، دون تاريخ
٤٤٢- مقدمتان في علوم القرآن، نشر آرثر جفري، تصحيح وتعليق عبدالله اسماعيل الصاوي -القاهرة: مكتبة الخانجي،١٩٧٢م
٤٤٣- المكتفى في الوقف والابتدا لابي عمرو الداني، دراسة وتحقيق جابر زيدان مخلف -بغداد: وزارة الاوقاف،١٩٨٣م
٤٤٤- الملل والنحل لابي عبدالله الشهرستاني، طبع بهامش الفصل لابن حزم -بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠م
٤٤٥- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني -دار احياء الكتب العربية، دون تاريخ
٤٤٦- من بلاغة القرآن لاحمد احمد بدوى -القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٥٠م
٤٤٧- المنتقى، شرح موطأ الامام مالك لابي الوليد الباجي -بيروت: دار الكتاب العربي، مصور عن مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٣١هـ
٤٤٨- منهج ابن عطية في التفسير للدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فايد -القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية،١٩٧٣م
٤٤٩- منهج الامام ابن عاشور في التفسير للصحبي بن معسود، بحث على الالة الكاتبة وغير منشور
٤٥٠- منهج الزمخشري في تفسير القرآن الكريم وبيان اعجازه للدكتور مصطفى الصادق الجويني -القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م
٤٥١- المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة لابي الفتح ابن جني -بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٨٣م
٤٥٢- منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين العتر-دمشق: دار الفكر، ١٩٨١م
٤٥٣- منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوى للدكتور صلاح الدين بن احمد الادلبي -بيروت: دار الافاق الجديدة،١٩٨٣م
٤٥٤- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، تحقيق الدكتور ابراهيم محمد ابي سكين، القاهرة: مطبعة الامانة،١٩٨٠م
٤٥٥- الموافقات في اصول الشريعة للامام ابراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي وعليه شرح للاستاذ عبدالله دراز -بيروت: دار المعرفة،١٩٧٥م
٤٥٦- المواقف في علم الكلام لعبد الرحمن بن احمد الايجي -بيروت: عالم الكتب، دون تاريخ
٤٥٧- مؤتمر تفسير سورة يوسف للشيخ عبدالله العلمي- بيروت: دار الفكر،١٩٦٩م
٤٥٨- موجز البلاغة لمحمد الطاهر بن عاشور- تونس: المطبعة التونسية،١٩٣٢م
٤٥٩- الموطأ للامام مالك بن أنس، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي -بيروت دار احياء التراث العربي، ١٩٨٥م
٤٦٠- موسوعة المستشرقين للدكتور عبدالرحمن بدوي -بيروت:دار العلم للملايين، ١٩٨٤م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٦١- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالم وعباده المرسلين للشيخ مصطفى صبري -بيروت: دار احياء التراث العربي،١٩٨١م

٤٦٢- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف للدكتورة خديجة الحديثي -بغداد: وزارة الثقافة، ١٩٨١م

٤٦٣- النبأ العظيم للدكتور عبدالله دراز -الكويت: القلم،١٩٧٠م

٤٦٤- النبراس شرح شرح النسفية لعبد العزيز الفرهاري ،باكستان: مكتبة امدادية، بدون تاريخ

٤٦٥- النحو الوافي لعباس حسن -القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٤م

٤٦٦- نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض للشهاب الخفاجي -بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ

٤٦٧- نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي -مصر: مطبعة وادي الملوك

٤٦٨- النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب على توحيد ابن عاشر للشريف ادريس بن احمد الوزاني -مصر: دار الكتب الحديثة، ١٣٤٨هـ

٤٦٩- النشر في القراءات العشر لابن الجوزي تصحيح علي محمد الضباع -بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ

٤٧٠- نظم الدرر في تناسب الآي والسور لبرهان الدين البقاعي -الهند: دائرة المعارف العثمانية

٤٧١- نفائس البيان شرح الفرائد الحسان في عد آي القرآن لعبد الفتاح القاضي -مصر عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٠م

٤٧٢- النكت والعيون [تفسير] لابي الحسن الماوردي -طبع الكويت

٤٧٣- نهاية الاقدام في علم الكلام للشهرستاني -القاهرة: مكتبه زهران

٤٧٤- نهاية السول شرح منهاج الاصول لجمال الدين عبدالرحمن الاسنوي -بيروت: عالم الكتب،١٩٨٢م

٤٧٥- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لمحمد بن ابي العباس احمد بن حمزة الرملي -القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٩٦٧م

٤٧٦- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لاحمد بابا التنبكتي -طبع بحاشية الديباج

٤٧٧- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري لعبد الفتاح المرصفي -طبع السعودية

٤٧٨- هدية العارفين في اسماء المؤلفين لاسماعيل باشا البغدادي -بيروت: دار الفكر ،١٩٨٢م

٤٧٩- همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي، تصحيح محمد بدرالدين النعساني -بيروت: دار المعرفة، دون تاريخ

٤٨٠- هيمان الزاد إلى دار المعاد [تفسير] لمحمد بن يوسف اطفيش -عُمان: وزارة التراث ١٩٨٠م

٤٨١- الوصول إلى الأصول لاحمد بن علي بن برهان البغدادي تحقيق الدكتور عبد الحميد علي ابو زنيد -الرياض: مكتبة المعارف ١٩٨٣م

٤٨٢- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق الدكتور احسان عباس، بروت: دار صادر، ١٩٦٨م

٤٨٣- ومضات فكر لمحمد الفاضل بن عاشور -تونس: الدار العربية للكتاب،١٩٨٢م

٤٨٤- ويسألونك عن ذي القرنين لأبي الكلام أزاد، تقديم احمد حسن الباقوري -القاهرة: مطبعة الشعب، ١٩٧٢م

٤٨٥- يوسف الصديق لمحمد محمد عبداللطيف -القاهرة: المطبعة المصرية ومكتبتها،١٩٧٧م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فهرس الموضوعات"

المقـــدمـــة: ١

شكـــر وتقـــدير ٤

التمهيـــد، وفيـــه ٥

ـ ابن عـــاشـــور وعصـــره. ٥

ـ نظرةٌ في الإستعمار بشقيه: المباشر، وغير المباشر وأثاره على أهم مـــرافق الحيـاة بتـــونس. ٥

ـ ولادة ابن عـــاشور ونشـــأته ٨

ـ حيـــاته التربوية والعلميـــة وجهـده الإصلاحي ٩

ـ قـراءاته وأهـم شيـــوخه ٩

ـ مجهـــوده الإصلاحي ١٦

ـ حياته العمليـة ووظـائفه ٢١

ـ أراء ومـواقـف في حياةالشيخ ٢٤

* الفتـوى الترانسـاليـة ٢٤

* فتـــوى التجنيـس ٢٩

* فتـوى القـراءة على الأمـوات ٣٦

ـ مـؤلفاته وكتـاباته ٣٧

* الفصـل الأول. مصـادر ابن عـاشور في تفـسيره. ٣٨

ـ طـرائق ابن عاشـور في الإفادة منهـا ٣٩

* الفصـل الثاني: المنهـج العام لإبن عاشـور في تفـسيره ٥٢

ـ البنـــاء الهيكلي لتفسيره ٥٢

* مـدخل إلى هـذا البنـاء الكبير ٥٣

* مـدخل إلى كـل سـورة ٥٤

* تفـسير الســـورة ٨١

* الفصـل الثالث : قضايا علـوم القرآن في هـذا التفسير ١٠٠

ـ الأحرف السبعـــة ١٠٢

ـ القـراءات القرآنيـة ١٠٦

ـ أسبـــاب النزول ١٢٠

ـ إعجـاز القـرآن الكريم ١٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* الفصل الرابع: القضاياااللغوية والبلاغية ١٤٣
-قضايا اللغة والنحو ١٤٣
* بيان اشتقاق الكلمات ١٤٤
- البلاغة القرآنية في هذا التفسير ١٤٩
* مسائل علم المعاني ١٤٩
** التقديم والتأخير ١٥٠
** الفاصلة القرآنية والتفنن ١٥٩
_مسائل علم البيان ١٦٧
* التشبيه ١٦٧
* الاستعارات ١٨٥

* الفصل الخامس: القضايا العقديه عند ابن عاشور ١٩٣
- بين الإسلام والإيمان ١٩٨
- الأسماء والصفات ٢٠١
- بعض الملحوظات في الدرس العقدي ٢٢٥

* الفصل السادس: منهج ابن عاشور في عرض آيات الأحكام ٢٢٩
_ بيانه لبعض قواعد أصول الفقه ٢٢٩
_ عرضه لآراء الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ٢٣٣
_ ذكر لحكمة التشريع ٢٤١
_ طبيعة المسائل الفقهية التي يعرضها ٢٤٣
_ بعض اختيارات الشيخ التى خالف فيها ما عليه التحقيق ٢٤٤
* نكاح المتعة ٢٤٤
* نكاح الربيبة ٢٤٧
* الربا في القرآن ٢٤٨
* طلاق الثلاث بلفظ واحد ٢٥٠

* الفصل السابع: هذا التفسير ماله وما عليه ٢٥٣
- الخاتمة وأهم النتائج ٢٥٦
- ملخص لما تدور حوله الرسالة ٢٦١
-المصادر والمراجع
-فهرس الموضوعات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

SUMMARY

This thesis discuses and comments on AL-Shik Mohamed Al Taher Bin Ashoor book wich was written in koran explanation (tafseer). The aim of this study is to attempt showing the methodology of the author in his book, its nature and its scientific value; i.e: whether the author had produced original ideas other than those of the previous imams.

This study is divided into three sectors:

The first is an introductory part in which I talked about Bin Ashoor life history and the important characteristics and events of his time. The educational, scietific and professions of the author were dealt with, in addition to the important events that affected his life. It is here concluded that Bin Ashoor was a scietific rather than a dawha man

This part also deals with the important aspects of tafseer in the 14th century and some of the important tafseers of that time. Then, I talked about what characterises the Magribi tafseeer and important efforts in this respect.

The second part was about Bin Ashoor method in Koran explanation. His references in his tafseer from various Koran sciences were evaluated. His approach in tafseer was reviewed through discussing the important studies he used in his tafseer. We concluded in this part that Bin Ashoor was mostly concerned in rhetoric and linquistic part of the holy Koran. However, the problems in his tafseer were traditional and the original ideas in this book cannot be related to its size.

The last part of this thesis was an evaluation of the tafseer and the important conclusions of this study. The properties of Bin Ashoor book were shown and some valuable comments against him were presented.

I ended my study by some points that I benefited from studying this book. The author wishes to express his gratitude to Professor Fadel Hasan Abass, Professor of Koran sciences and tafseer in tafseer in the college of Shariah at Jordan University who gave invaluable advice throughout the duration of this work which was three years.

٣٩٧٠٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

University OF Jordan
College Of Graduate Studies
Departement Of Shariaa And Law

TAfSEER IBEN ASHOUR
Atahreer wa Atanweer
CRITICAL METHODICAL STUDYING

A Master's thesis Submitted in partial fulfilment for the M.Sc. degree in shariaa at the Faculty of Graduate studies, University of Jordan. It was discussed on 22 May 1991

PREPARED BY
Jamal Mahmoud Abu Hasson

UNDER THE SUPERISION OF
I.D. Fadel Hasan Abbas

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit